جهود د. إبراهيم عوض فى الدفاع عن الإسلام

(دراسة تحليلية)

تأليف

مصطفى شعبان أحمد شعبان

باحث بكلية الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

وإمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

مكتبة الشيخ أحمد

منشية الصدر – العباسية

القاهرة

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

الشكر والتقدير

- أشكر الله تعالى على توفيقه وإمداده، وإحسانه وإكرامه، فهو صاحب كل نعمة وفضلٍ علي، ومسدي آلائه إليَّ.
- ثم الشكر للأزهر الشريف جامعا وجامعة، وأخص بالشكر كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، حفظها الله منارة للعلم والعلماء.
- كما أتقدم بالشكر والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد محمد عيسى، الأستاذ بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ورئيس الأكاديمية العالمية لتدريب الدعاة، والمشرف على هذه الرسالة، الذي شملني برعايته وتوجيهه، وعلمه وكرمه، فتعلمت منه الأدب والعلم والدقة في البحث.
- فأفادني وقومني، وصبر عليَّ كثيرا حتى خرج البحث بهذه الصورة، فجزاه الله عني أفضل الجزاء، ورزقني وإياه الإخلاص في القول والعمل، وبارك له في نفسه وأهله وماله، ومتعه بالصحة والعافية، وشفاه من كل داء، وختم لي وله وللمسلمين بخاتمة السعادة.. آمين.
- والشكر موصول لفضيلة الدكتور عبد المنعم مختار عبد الرحمن، عضو هيئة التدريس بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، والذي تطوع بقراءة البحث دون تكليف، فقوى ما فيه من الضعيف، وزادني بذلك تشريفا فوق تشريف.
- فأسأل الله ﷻ أن يجزيه عن هذا المجهود خير ما يجزي به عالما عن تلامذته، وأن يهبه من الصحة ما يعينه على أمر دينه ودنياه.
- ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والامتنان للأستاذين الكريمين والعالمين الجليلين، فضيلة الأستاذ الدكتور نظير محمد النظير عياد أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية بنات بكفر الشيخ والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رمضان أبوبكر، الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، لتفضلهما بقبول مناقشة البحث على الرغم من كثرة أعبائهما العلمية، فجزاهما الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.
- والشكر موصول لفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض على مابذله من جهد وفير في الدفاع عن الإسلام، وما قدمه لي من العون والمساعدة، فلولا مؤلفاته وجهده لما كان لهذا البحث وجود، فأسأل الله أن يجمعني به في جنات الخلود.
- كما أقدم شكرا خاصا لكل أساتذتي وزملائي بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

- وأتقدم بخالص الشكر والدعوات لوالديَّ الكريمين الغاليين رحمهما الله.
- كما أتقدم بالشكر الجزيل لزوجي الكريمة الفاضلة وفاء بحقها وعرفانا بفضلها، فجزاها الله عني خير الجزاء.
- والشكر والدعاء موصولان لأخي الشيخ محمد، وأخي الدكتور أحمد، وأختي أم عبد الرحمن، على ما قدموه من برٍ وعونٍ، فأسأل الله لي ولهم الهداية والتوفيق.
- وفي الختام أتقدم بالشكر لكل من ساندني ووقف بجانبي، ودعا لي بخيرٍ، وأسال الله أن يجزل المثوبة والعطاء لأساتذتي وزملائي وجميع إخواني. وصلى الله وسلم وبارك على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الصراط المستقيم، سيدنا محمدٍ النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، وأشهد ألا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، خلق الإنسان في أحسن تقويم ومنّ عليه بالخير العميم، ووهبه العقل ليميزه به عن خلقه أجمعين، وأرسل إليه الرسل ليأخذوا بيده إلى طريق الله المستقيم، وأصلى وأسلم على النبى الأمين، أرشد الناس إلى أحسن الخالقين، وأخذ بأيديهم من الضلال المبين إلى النور واليقين.

وبعد، فقد أدرك الغرب منذ زمن بعيد عظمة الإسلام، وقدرته على التوسع والانتشار، كما أدرك الغرب أن المسلمين إذا أحسنوا فهم الإسلام والعمل به، أصبحوا قوة لا تقهر، وتأهلوا لقيادة العالم كما كانوا فى عهد الخلافة الراشدة وماتبعها؛ لذا لم يتهاون الغرب فى محاربة الإسلام بكل وسيلة متاحة، وذلك لتحقيق أحد الأهداف التالية:

ـ إما القضاء عليه بالكلية إن أمكن.

ـ وإما وضع الحواجز أمامه حتى لا يصل إلى بلادهم وينتشر فيها كما انتشر من قبل فى بلاد الأندلس وغيرها.

ـ وإما تشويه حقائقه بين المسلمين أنفسهم، والحيلولة بينهم وبين فهمه فهما صحيحا وتطبيقه تطبيقا عمليا؛ لينزعوا بذلك منهم مصدر قوتهم وكرامتهم [١].

وتأتى خطورة الاستشراق، من حيث كونه يعمل على إفساد الدين والعقيدة، بل وربما الخروج من الإسلام بالكلية.

وقد تأثر بعضٌ من أبناء المسلمين بأفكار المستشرقين، بسبب احتكاكهم المباشر بالمجتمع الغربى كمن عاش فيه، أو غير المباشر كمن انكب على قراءة كتبهم دون أن يكون له علم يدفع عنه الشبهات.

ولعل هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم قد جهلوا أو تجاهلوا أن الله ﷻ تكفل بحفظ هذا الدين وبقاء هذه الأمة، فكلما مرت عليها الفتن والمحن، قيض الله لها دعاة مخلصين، وأئمة مهديين، ومفكرين عاقلين يزيلون ما وضعه هؤلاء الأعداء من غبار وغشاوة على أعين أتباع هذا الدين، مصداقا لقول النبى الأمين ﷺ: "يَرِث هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ"[٢].

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام (عرض ونقد) ـ د/ عبد العظيم المطعني/ ٣/ مكتبة وهبه ـ ط(١) ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) أخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى، كتاب(الشهادات)، باب (الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول: كفوا عن حديثه، لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع، أو أنه لا يبصر الفتيا)، برقم: ٢٠٧٠٠/ ١٠/ ٢٠٩/ السنن الكبرى ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي مكتبة دار الباز– مكة، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م. صححه الشيخ الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح برقم(٢٤٨)(ولكن بلفظ يحمل هذا العلم)/ ١/ ٨٢. مشكاة المصابيح– محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)– المكتب الإسلامي– بيروت– الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

وقد احتلت قضية الطعن في الإسلام مكانة خاصة بين قضايا العصر، حيث اهتم بها عدد من علماء المسلمين، محاولين تتبع طرقها وجمع ما يكتبه المستشرقون وغيرهم، والتحقق منه، والرد عليه ردا شافيا من أجل هذا فقد عقد الباحث النية فى هذه المرحلة البحثية على دراسة شخصية إسلامية موسوعية، لها أثرها البارز، ووجودها الواضح، فى ساحة الفكر العربى والإسلامى، فقد أتحفتنا هذه الشخصية بالعديد من الدرر والكنوز على هيئة مؤلفات وكتب، تميز بعضها بالسير على النهج، والبعض الآخر بالابتكار فى الرد على شبهات المستشرقين حول هذا الدين، ألا وهى شخصية أ.د/ إبراهيم محمود عوض.

وقد جاء موضوع هذا البحث، الذي أتقدم به لنيل درجة التخصص (الماجستير) من كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ قسم الأديان والمذاهب ـ تحت عنوان:

"جهود الدكتور إبراهيم محمود عوض في الدفاع عن الإسلام– دراسة تحليلية"

أولا: أهمية الموضوع:

١. تُعدُّ دراسة الشخصيات التي أسهمت في خدمة الدين، وعلومه المختلفة، دراسة تحليلية من الأهمية بمكان، إذ إنها تتناول العصر الذي عاشوا فيه، والبيئة التي نشأوا فيها، وتظهر سماتِهم وأهدافَهم ومناهجهم التي سلكوها، كما تدرس آراءهم دراسة مقارنة تكشف وجه الصواب أو الخطأ فيها، والجهود التي بذلها العلماء في الدفاع عن هذا الدين، وإبراز خصائصه، وأهدافه، ومراميه التي يرمي إليها.

٢ ـ يُعدُّ الدكتور إبراهيم عوض – حفظه الله– علما من أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، حيث إنه من خيرة المدافعين عن الإسلام من خلال مؤلفاته، ومواقع التواصل التي ردَّ فيها على شبهات المستشرقين والعلمانيين وغيرهما من أعداء الإسلام.

كما أنه ليس من أساتذة الأزهر الشريف، وإنما كانت آخر علاقاته التعليمية بالأزهر انتهائه من المعهد الأحمدي الإعدادى بطنطا، ولعل هذا كان له الدور في التأصيل العلمي لفضيلته منذ مراحله التعليمية الأولى، وانتقل بعده ليدرس الثانوية العامة، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم أتم دراسته في جامعة أكسفورد بانجلترا، ودراسة مثل هذه الشخصيات أمرٌ يتناسب مع ما يكنُّه الأزهر الشريف من اهتمام، وتقدير لكل من يخدم الإسلام، وإن لم يكن من أساتذته وشيوخه.

٣ ـ إن عددا من الباحثين في مجال الاستشراق لا يعلمون كثيرا عن جهود الدكتور إبراهيم عوض الفكرية على الرغم من كثرة نتاجه العلمي، وتمتعه بثقافة واسعة لافتة للأنظار، فهو متقن للغتين الإنجليزية والفرنسية، مما أتاح له ما لم يتح لغيره من الاطلاع على الثقافات المتعددة، وترجمة العديد من المقالات والكتب، بسبب تواصله المباشر ببعض مثيري الشبهات من خلال دراسته في جامعة "أكسفورد" وحضوره العديد من المؤتمرات.

٤. إلمام الدكتور إبراهيم عوض الواسع باللغة العربية عامة، والنقد خاصة، مما ساعده على العرض والنقد بأسلوب يجذب القارئ إلى متابعة كتاباته ومقالاته، وتنوع كتاباته ومؤلفاته بين الاستشراق، ومقارنة الأديان، والنقد الأدبي، وإجادته لكل هذه العلوم، فهو إن لم يتفوق على أفذاذها فلا يقل عنهم شأنا.

٥ ـ الإسهام في تحقيق مبدأ من مبادئ التربية العامة في هذه الأيام وهو: المحافظة على التراث وتقديمه للأجيال من غير تحريف أو تبديل.

٦. عدم وجود دراسة علمية (ماجستير أو دكتوراة)– فيما أعلم– عن الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله– فيما يتعلق بجهوده في الدفاع عن الإسلام.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١ـ الارتباط الوثيق بين موضوع الدراسة ودراساتى السابقة، حيث إننى تلقيت مراحل تعليمى فى المعاهد الأزهرية، ثم تخرجت بكلية الدعوة الإسلامية، وبعدها درست الأديان والمذاهب فى مرحلة الدراسات العليا.

٢. الارتباط الوثيق بين موضوع الدراسة وعملى الحالى، حيث إننى أعمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف، وفى مجتمع منفتح فكريا، وأتعرض للعديد من الأسئلة التى لها صلة وثيقة بموضوع الدراسة.

٣. حبى للقراءة فى مجال الاستشراق، ورغبتى الشديدة فى المساهمة بعمل يفيد الإسلام والمسلمين.

٤. رغبتى الملحة فى نشر الإسلام فى الدول التى لا تدين به كديانة رسمية.

٥ ـ رغبة والدي ـ رحمهما الله ـ الملحة فى وصولنا لأعلى المراتب العلمية، فقد تخلى والدي عن معظم متع الدنيا ليصل بنا إلى هذا الهدف.

٦ـ التفوق العلمى لجميع إخوتى، فمنهم من يعمل فى الجامعة مدرسا مساعدا، ومنهم من رفض التعيين معيدا، ومنهم من هضم حقه فى التعيين، فأردت أن أحاكيهم فى هذا التفوق.

ثالثا: الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء تبيَّن لي– فيما وقفت عليه– أنه لا توجد أيُّ دراسةٍ علميةٍ – ماجستير أو دكتوراه– عن الدكتور إبراهيم عوض فيما يتعلق بموضوع البحث، وإن وجدت بعض الدراسات الأخرى التى تتناول شخصية الدكتور من جوانب أخرى.

ـ جهود علماء المسلمين فى توظيف الحوار للدفاع عن بنى الإسلام وشريعته إبراهيم عوض نموذجا ـ د/ ميساء على رويدة، د/ عمر مكى صقر ـ بحث مقدم إلى مؤتمر الحوار وأثره فى الدفاع عن النبى ﷺ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ٢٠١٣م.

ـ إبراهيم عوض الأستاذ والفيلسوف– تأملات فى حياته وفكره بمناسبة بلوغه السبعين ـ محمود القاعود ـ دار النابغة بطنطا ـ ٢٠١٨.

ـ الجهود النقدية للدكتور إبراهيم عوض (عرض ودراسة وتحليل)ـ رقية نجيب /بحث ماجستير تحت الدراسة ـ تم تسجيله بقسم الأدب النقد ـ شعبة اللغة العربية ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات إسكندرية بتاريخ ـ١/٣/٢٠١٤م. ولم تتم مناقشته حتى الآن.

ـ التفسير وعلوم القرآن في كتابات الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض (دراسة وصفية تحليلية)/ محمود عادل/ بحث ماجستير تحت الدراسة تم تسجيله بقسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة عين شمس – بتاريخ

١٥- ١٠ - ٢٠١٨.

ثالثا: مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتمثل مشكلة البحث في السؤال التالي: ما الجهود التي قدمها الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن الإسلام؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة تمثل تساؤلات البحث، وهي كالتالي:

ما الجهود التي قدمها الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن القرآن الكريم؟

ما الجهود التي قدمها الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم؟

ما الجهود التي قدمها الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن العقيدة الإسلامية؟

ما الجهود التي قدمها الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن الشريعة الإسلامية؟

هل أصاب الدكتور إبراهيم عوض في الجهود السابقة أم لا (ما له وما عليه)؟

رابعا: منهج البحث:

اعتمد البحث في مراحل صياغته على الخطوات المنهجية التالية:

. اتبعتُ في بحثي هذا (المنهج التكاملى) [١].

خطوات الدراسة:

١ . اعتمدت بشكل أساسي - في الرد على شبهات المستشرقين- على كتابات الدكتور/إبراهيم عوض- حفظه الله- مستعينا ببعض الكتب ذات الصلة بموضوع البحث رغبة في المزيد من الإيضاح، وإتماما للفائدة.

٢ . عمِلت - قدر طاقتي- على سرد قضايا البحث في إطار منطقيٍ متسلسل، ومتوازن حتى لا يشعر القارئ معه بالانتقال المفاجئ، مع صياغة العرض في أسلوبٍ واضح يعنى بإبراز الفكرة في سهولةٍ ويسر.

٣ . التزمت الحيدة والموضوعية في عرض الحقائق وتناولها دون تحامل، أو تعصب.

٤ . عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقام الآيات، كما عزوت ما أوردت من فقرات العهدين القديم والجديد إلى مواضعها.

٥ . خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة الواردة بالرسالة تخريجا علميا مختصرا، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إلى مصدره مشيرا إلى الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، وإن كان في غيرهما، ذكرت حكم العلماء عليه، مع ذكر المرجع، حتى يسهُلَ الرجوع إليه.

٦ـ ترجمت . قدر المستطاع[٢]- لأهم الأعلام والبلدان والمصطلحات التي ورد ذكرها في الرسالة.

---

(١) هو استخدام أكثر من منهج في البحث بحيث تتكامل ما بينها في وضع وتطبيق مستلزمات البحث/ أصول البحث ـ د/ عبد الهادي الفضلي/ ٦٣/ دار الكتاب الإسلامي ـ إيران.

(٢) من الصعوبات التي واجهتني في البحث كثرة أسماء المعاصرين الذين لم أعثر لهم على ترجمة، وهؤلاء سعيت جاهدا إلى ترجمة من تيَّسر لي ترجمته، وهذا من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله.

٧ ـ ذيلت البحث بفهرسٍ للمراجع مرتبا ترتيبا هجائيا، وآخر للموضوعات مرتبا حسب تسلسل البحث.
٨ . قسمت الرسالة إلى فصول، وقسمتُ الفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب على النحو التالى:
خامسا: خطة البحث:
يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصولٍ وخاتمة
أما المقدمة: فجاء فيها: أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.
وأما التمهيد: فيشتمل على(شرح مفردات العنوان، والتعريف بالدكتور إبراهيم عوض من حيث: مولده ونشأته وطلبه للعلم، وآثاره العلمية، ونبذة مختصرة عن أثر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية فى تكوين شخصيته، وأهم مؤلفاته، وبعض الرسائل العلمية التي أشرف عليها).
ثم تتابعت فصول الرسالة كالتالي:
الفصل الأول:
جهود الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن القرآن الكريم
ويشتمل على ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة باللغة العربية
وفيه ستة مطالب:
المطلب الأول: شبهة خطأ القرآن في نصب كلمة "المقيمين" في قوله تعالى "والمقيمين الصلاة" والرد عليها.
المطلب الثاني: شبهة خطأ القرآن في جمع كلمة "إلياسين" في قوله تعالى "سلام على إلياسين" والرد عليها.
المطلب الثالث: شبهة خطأ القرآن في استخدام صيغة المضارع في قوله تعالى "كن فيكون" والرد عليها.
المطلب الرابع: شبهة خطأ القرآن الكريم في تغيير الضمير للشخص الواحد في نفس الجملة والرد عليها.
المطلب الخامس: شبهة عدم وضوح المعنى في قوله تعالى "وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل" والرد عليها.
المطلب السادس: شبهة اختلاط الغموض بالركاكة في قوله تعالى " قل أئنكم لتكفرون.... ذلك تقدير العزيز العليم" والرد عليها.
المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بترجمة القرآن الكريم.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: خطأ ترجمة قوله تعالى"كواعب أترابا بـ " أصحاب رائعين متوافقين" والرد عليه.
المطلب الثاني: خطأ ترجمة قوله تعالى"حجارة من طين" بضربات شديدة كالحجارة" والرد عليه.
المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بمضمون الآيات القرآنية
وفيه ثلاثة مطالب:

والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة عدم ظهور الدعوة إلى الإيمان بنبوة محمد ﷺ إلا في المدينة والرد عليها.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بمعجزات الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الأول: خطأ التشكيك في معجزات عيسى عليه السلام والرد عليه.

المطلب الثاني: خطأ التشكيك في إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار والرد عليه.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بالغيبيات.

المطلب الأول: خطأ تأويل الجنة في قوله تعالى"وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا" بقوى الطبيعة والرد عليه.

المطلب الثاني: خطأ تأويل قصة آدم وإبليس بأنها رمزية وتعبر عن التطورات الاجتماعية للبشرية والرد عليه.

المطلب الثالث: خطأ تأويل التسعة عشر في قوله تعالى "عليها تسعة عشر" بأنها تسعة عشر قوة والرد عليه.

الفصل الرابع:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في الدفاع عن الشريعة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالمرأة.

المطلب الأول: شبهة احتكار الرجال لباب الاجتهاد والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة عدم السماح للمرأة بالعمل خارج البيت والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة قبول شهادة الرجل في اللعان وعدم قبول شهادة المرأة والرد عليها.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالفقه الإسلامي.

المطلب الأول: شبهة تحريم شهادة الزور ضد المسلم فقط والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة رفض الإسلام للفن القصصي لأنه يقوم على الكذب والرد عليها.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالعبادات.

المطلب الأول: شبهة الادعاء بأن صلاة الكسوف والخسوف من موروثات الجاهلية والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة الادعاء بأن فريضة الصيام جزء من خطة محمد لتهيئة المسلمين في المدينة للحرب والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة الادعاء بأن الإنفاق على الحج إهدار للأموال العامة والرد عليها.

المبحث الرابع: الدكتور إبراهيم عوض ما له وما عليه

المطلب الأول: الدكتور إبراهيم عوض ما له

المطلب الثاني: الدكتور إبراهيم عوض ما عليه

ثم تأتي الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات ثم تليها قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الرسالة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

وفيه:

أولا: التعريف بمفردات البحث.

ثانيا: التعريف بالدكتور إبراهيم عوض.

أولا: التعريف بمفردات البحث

١. التعريف بكلمة (جهود):

(جُهْدٌ) الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ مَا يُقَارِبُهُ. يُقَالُ جَهَدْتُ نَفْسِي وَأَجْهَدْتُ وَالْجُهْدُ الطَّاقَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ" [التوبة: ٧٩] (١)

الجهود جمع جُهد، والجَهْدُ والجُهْدُ كما جاء في لسان العرب الطاقة، تقول: اجْهَدْ جَهْدَكَ.

وَجَهَدَ في الأمر جَهْدًا أي جهد وطلب حتى وصل إلى الغاية، وفي القرآن الكريم "وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ" (النحل: ٣٨).

واجتهد: بذل ما في وسعه.

والاجتهاد: بذل غاية ما في الوسع لتحصيل الحكم الشرعي.

والجهد في علم النفس: هو كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسميا، أو عقليا، ويهدف عادة إلى غاية.

وقيل: الجَهْدُ (بالفتح) المشقة والمبالغة والغاية.

والجُهْدُ (بالضم) الطاقة والوسع.

والجهاد: محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل.

والجهد: الشيء القليل الذي يعيش به المقِلُّ على جهد العيش، وفي القرآن الكريم "وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ" (التوبة: ٧٩)(٢).

ومن خلال ما سبق يتبين أن مادة (جهد) يدور معناها حول بذل الطاقة والوسع لتحقيق غايةٍ ما. وعليه فإن المعنى المراد من كلمة جهود في هذا البحث بيان ما بذله الدكتور إبراهيم عوض من طاقة، وما استفرغه من جهد في الرد على بعض الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام حول الإسلام ومصادره وقضاياه.

٢. التعريف بكلمة (الدفاع):

تأتي كلمة الدفاع في اللغة بمعنى إزالة الشيء بقوة.

فقد ورد فى معجم مقاييس اللغة:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)/ ١/ ٤٨٦/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (جهد)، ٣/ ١٣٣ . ١٣٤، طبعة دار صادر، بيروت، ط (١)ـ، وينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (جهد)، ١/ ١٤٢، دار الدعوة، د- ت.

(دَفَعَ) الدَّالُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مَشْهُورٌ، يَدُلُّ عَلَى تَنْحِيَةِ الشَّيْءِ. يُقَالُ دَفَعْتُ الشَّيْءَ أَدْفَعُهُ دَفْعا[١]

كما ورد في تاج العروس أنها تأتى بمعنى المنع:

"دَفَعَهُ ودَفَعَ إِلَيْهِ شَيْئا ودَفَعَ عَنْهُ الأَذَى والشَّرَّ عَلَى المَثَلِ كَمَنَعَ يَدْفَعُ دَفْعا بالفَتْحِ ومَدْفَعا كمَطْلِبٍ: أَزَالَهُ بِقُوَّةٍ ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ" (الحج: ٤٠)، ومِنْ كَلامِهِمْ: ادْفَعِ الشَّرَّ ولَوْ إِصْبعا حَكَاهُ سِيبَوَيْه.

والمُدَافَعَةُ: الدَّفْعُ يُقَالُ: دَافَعَ عَنْهُ ودفَعَ، ودَفَعَ اللهُ عَنْكَ المَكْرُوه دَفْعا ودَافَعَ اللهُ عَنْكَ السُّوءَ دِفَاعا ومِنْهُ قَوْلُه تَعالَى في قِرَاءَة غَيْرِ ابْنِ كَثِيرٍ والبَصْرِيِّين " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" (الحج: ٣٨)[٢]، وقرئ دفع من قوله تعالى:"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ" (البقرة: ٢٥١)في الموضعين «دفاع»، وكسر الدال لنافع وأبي جعفر ويعقوب، وللباقين دفع مع فتح الدال[٣][٤].

ونقل ابن منظور وغيره نفس المعنى"[٥].

من خلال ما سبق يتبين أن مادة "دفع" يدور معناها حول إزالة السوء ومنعه، أو منع الشخص عن الوقوع فيه.

وعليه فإن المعنى المراد من كلمة "دفاع" في هذا البحث بيان الدور الذي قام به الدكتور إبراهيم عوض في الرد على بعض الشبهات التى أثارها أعداؤنا حول الإسلام، وذلك إظهارا للحق من جانب، ودحضا للباطل ومنعا له من الانتشار بين الناس وتأثرهم به من جانب آخر.

٣. التعريف بكلمة (الإسلام):

تأتي كلمة "الإسلام" بمعنى السلامة من الأمراض والعيوب كما تأتى بمعنى الانقياد.

ورد فى معجم مقاييس اللغة:

(سَلِمَ) السين وَاللام وَالميم معظم بابه من الصِحَّةِ وَالعَافِيَةِ ; ويكون فِيهِ مَا يَشِذُّ، وَالشاذ عنه قلِيلٌ، فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسلم الإِنسان مِنَ العَاهة وَالأذى. قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام; لسلامته ممَّا يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء. قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: "وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ" [يونس: ٢٥]، فَالسَّلَامُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَارُهُ الْجَنَّةُ. وَمِنَ الْبَابِ أَيْضا الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ; لِأَنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ الْإِبَاءِ

---

(١)معجم مقاييس اللغة ـ بن فارس ـ مادة "دَفَعَ"/ ١/ ٢٨٨.

(٢) ينظر شرح طيبة النشر في القراءات ـ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)/ ٢٨١/ دار الكتب العلمية– بيروت

الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م.

(٣) المرجع السابق/ ١٩٨.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، ٢٠/ ٥٥٣، فصل الدال مع العين المهملتين مادة (دفع) ـ الناشر دار الهداية.

(٥) لسان العرب، مادة "دفع "، ٨/ ٨٧، مرجع سابق.

وَالِامْتِنَاعِ.
الدخول في الإسلام والانقياد لأمر الله(١).

وتأتي بمعنى المسالمة والدخول في السلم كما ورد في تاج العروس: "السِّلْم (بالكَسْر: المُسالِم) وبه فُسِّر قوله تعالى: "وَرَجُلا سَلَما لِرَجُلٍ" (الزمر: ٢٩)، أي مسالما على قراءة من قرأ بالكسر وتقول أنا سِلْم لمن سالمني.

والسلم مثل (السلام والإسلام) والمراد بالسلام هنا الاستسلام والانقياد ومنه قراءة من قرأ "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنا" (النساء: ٩٤)، فالمراد به الاستسلام وإلقاء المقادة إلى إرادة المسلمين ويجوز أن يكون من التسليم ومن الأخيرة قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة" (البقرة: ٢٠٨)، أي في الاسلام وهو قول أبى عمرو، ومنه قول امرئ القيس بن عابس(٢):

فلست مبدّلا بالله رب ولا مستبدلا بالسلم دينا

والإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للعالمين منذ أن خلق آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والذي جاء به كل الأنبياء والرسل"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران:١٩)

"وهو وضع إلهي يرشد إلى الحق فى الاعتقادات وإلى الخير فى السلوك والمعاملات"(٣)

من خلال ما سبق يتبين أن كلمة "الإسلام" تدور حول الدخول في دين الإسلام وطاعة الله والانقياد لأوامره، كما أنها تأتي بمعنى مسالمة الآخرين، وتأتي بمعنى الدين الذي ارتضاه الله للعالمين.

وعليه فإن المعنى المراد من كلمة "الإسلام" في هذا البحث هو الدين الذى ارتضاه الله للعالمين منذ أن خلق آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والذي جاء به كل الأنبياء والرسل، مع بيان المفهوم الصحيح له، والدعوة إلى الدخول فيه.

ثانيا: التعريف بالدكتور إبراهيم عوض

١. مولده ونشأته:

"ولد الدكتور إبراهيم عوض- حفظه الله- في قرية كُتامَة الغابة مركز بسيون من أعمال محافظة الغربية بمصر في عام ١٩٤٨م في أسرة تشتغل بالتجارة.

نشأ يتيم الأبوين، إذ ماتت أمه في نحو السادسة من عمره، ثم لحق بها أبوه بعد ذلك بثلاثة أعوام، وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفرغه لطلب العلم.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ مادة "سَلِمَ "/ ٣/ ٩٠

(٢) امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر، وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيمن ثبت على الإسلام ولم يرتد، وكان امرؤ القيس بن عابس شاعرا./ أسد الغابة في معرفة الصحابة- ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)- دار الكتب العلمية- ط(١)- ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. هذا البيت عندما ارتد قومه في عهد الصديق رضي الله عنه، رافضا ما فعلوه/ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: ٣٧٠هـ)/ ٩/- دار الجيل، بيروت- ط(١)،١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٣) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ـ د/ محمد عبدالله دراز/ ٣٣/ دار القلم ـ الكويت ـ دون

٢. دراسته وحياته العلمية:

سنة العلماء سلفا وخلفا أن يبذلوا جهدهم فى طلب العلم، وإن شقّ عليهم الطريق، وطال بهم الزمن ولم يتخلف الدكتور إبراهيم عن ركب العلماء في وهب نفسه للعلم، "فبعد أن تعلم في كتّاب القرية، وأتم حفظ القرآن في الثامنة من عمره، التحق في الثانية عشرة تقريبا بالمعهد الأحمدي الأزهري بطنطا، ومنه حصل على الإعدادية عام ١٩٦٣م، وكان ترتيبه الثالث مكررا على طلاب الجمهورية.

ثم انتقل إلى المدرسة الأحمدية الثانوية العامة وحصل على الثانوية عام ١٩٦٦م، وكان ترتيبه الأول على محافظة الغربية والأول على طلاب الجمهورية في مادة اللغة العربية.

وبعدها تحول إلى العاصمة فالتحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة فلم يجد نفسه فيها فتركها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب التي تخرج منها عام ١٩٧٠م، وكان ترتيبه الأول على الدفعة إذ كان الوحيد الذي حصل على تقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف.

وحين أعلنت كلية الآداب بجامعة عين شمس عن حاجتها إلى معيد في قسم اللغة العربية وآدابها تقدم لشغل هذه الوظيفة ضمن المتقدمين، فكانت من نصيبه.

ثم حصل أثناء عمله على درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث عام ١٩٧٤م، وبعدها سافر في بعثة إلى بريطانيا عام ١٩٧٦م لمواصلة دراساته العليا في جامعة أوكسفورد، ثم عاد عام ١٩٨٢م، بعد أن حصل على درجة الدكتوراه في النقد الأدبي.

ولا يزال –حفظه الله– يعمل أستاذا متفرغا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس ويقوم بتدريس الأدب العربي والنقد الأدبي والدراسات الإسلامية، ويشرف على طلاب الماجستير والدكتوراه.

٣. منهجه العلمي:

إن المطالع لقائمة مؤلفات الدكتور إبراهيم عوض يرى بوضوح اتساع الرقعة التي يتناولها بالبحث والدراسة من الأدب العربي، والنقد الأدبي، والفكر الإسلامي، فهو لا يلتزم في دراساته النقدية بمنهج نقدي واحد، بل يعمل على الاستفادة من المناهج كلها حسب طبيعة الدراسة التي يقوم بها، فمثلا يستخدم العديد من المناهج كالتحليلي[١]، والاستدلالي[٢] في العديد من الترجمات القرآنية التي قام بها مستشرقون فرنسيون وإنجليز، ويستخدم المنهج المقارن[٣] في دراسة بعض سور القرآن.

---

(١) وهو (يقوم على دراسة المشكلات العلمية المختلفة تفكيكا "التفسير" أو تركيبا "الاستنباط" و تقويما " النقد" من أجل الوصول إلى حلول علمية وعملية لهذه المشكلات) أ.هـ، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري، ص ٩٦ وما بعدها بتصرف، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط (١)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) هو الذي ينتقل من المبادئ الكلية إلى الجزئية/ البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة – د/ عبدالله على سمك/ ١٠٢/ ط(٣) – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٣) هو الطريقة التي يتبعها الباحث في الموازنة بين الأشياء./ أصول البحث – د/ عبد الهادي الفضلي/ ٦٥/ مؤسسة دار الكتاب الإسلامي –إيران– دون.

وتارة يستخدم المنهج العقلي[١] في الرد على من يرى أنهم يسيئون إلى الإسلام بالإضافة إلى الأسلوب الأدبي الذي لا يخلوا أحيانا من الفكاهة والحدة اللاذعة" [٢]

٤. أثر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى تكوين شخصيته:

لا شك أن الأوضاع التي عاصرها الدكتور إبراهيم عوض كان لها تأثير كبير في حياته؛ لأن أي إنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به وما يدور فيها من أحداث، كما يقول ابن خلدون: "مما لا شك فيه أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة"(٣).

لذا كان من الأهمية بمكان أن يشير الباحث إلى أحوال البلاد في العصر الذي عاش فيه الدكتور إبراهيم عوض . حفظه الله ..

أولا: الحياة السياسية:

إن الوقوف على معرفة الحالة السياسية لأي بلد يوضح مدى الاستقرار والأمن والأمان في هذا البلد كما أنه يفيد في معرفة مدى الحالة الفكرية والاقتصادية التي تسود البلاد، فهي التي توجه الاقتصاد إلى ما هو مفيد ونافع، أو تدفع إلى ما فيه المفاسد والمضار، وهي التي تجعل الفوارق الطبقية يستفحل شأنها أو تحد من هذا الأمر مما يؤثر على الحياة الاجتماعية بشكل واضح، وهي التي تساعد على نشر الأخلاق الفاضلة أو تقضي عليها، وهي التي تفسح المجال لنشر الدين أو تقلص دوره، وهي التي تحرك المجتمع علميا فتعمل على ازدهار التعليم أو تخلفه.

" فبعد قيام ثورة يوليو وإسقاط الملكية تولى الرئيس محمد نجيب(٤) رئاسة الجمهورية كأول رئيس لها"

---

(١) البحوث العقلية/ هي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها، ووسائلها، ومبادئها، ويميز بين وجه الصواب والخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر/ البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة/ د عبدالله سمك/ ١٠٠.، قيل هو طريقة دراسة الأفكار والمبادئ العقلية/ أصول البحث – د/ عبد الهادي الفضلي/ ٥٣.

(٢) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) تاريخ الدخول ٣/ ١٠/ ٢٠١٤. https:ar.wikipedia.org. wiki/ أحالني الدكتور إبراهيم عوض إلى الموسوعة الحرة

(٣) مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون، ص٢٥/ ط دار يعرب . دمشق . ط(١.) ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

(٤) ولد فى الخرطوم عام (١٣١٩هـ . ١٩٠١م) وتخرج بالكلية العسكرية، ثم تدرج بالمناصب حتى وصل إلى رتبة عميد، اتصل به الضباط الأحرار وأدخلوه فى تنظيماتهم، وبعد نجاح الثورة عين رئيسا للجمهورية فى شهر يوليو ١٩٥٣م، ثم نقل من قصر الرئاسة ووضع تحت الإقامة الجبرية حتى وفاة عبدالناصر ١٩٧٠م، توفى (١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م)./ تتمة الأعلام/ الزركلى ـ وفيات (١٣٩٦ ـ ١٤١٥هـ/ ١٩٧٦ ـ ١٩٩٥م) يليه المستدرك الأول والثانى ـ محمد خير رمضان/ ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠بتصرف/ دار ابن حزم ـ ط(٢) ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

وظل محمد نجيب واجهة للحكم حتى تولى جمال عبد الناصر(١)، وفي هذه الظروف مرت البلاد بظروف سيئة وقاسية(٢)، فكثرت الاضطهادات، والمحاكمات، إضافة إلى هزيمة ١٩٥٦م(٣)، وهزيمة ١٩٦٧م(٤).

ومرت الأحداث وتولى السادات[٥] رئاسة الجمهورية، ولم تكن البلاد في حالة استقرار سياسي، فقد كانت أرض سيناء الحبيبة تحت يد الاحتلال الإسرائيلى، وكانت التهيئة لحرب فاصلة لاسترداد سيناء من يد العدو الإسرائيلى، وعلى الرغم من ذلك فقد شهدت فترة حكمه تحسنا نسبيا على المستوى الديمقراطى، فقد افتتح رئاسته بفك الإقامة الجبرية عن الرئيس محمد نجيب، التي وضعه فيها الرئيس عبدالناصر لعدة سنوات.

يقول الدكتور أحمد شلبي[٦]: "ثم جاء عهد السادات وفيه شيء من الديمقراطية، وكان من مظاهر الديمقراطية ظهور بعض الصحف التي كانت لها طابع المعارضة بشكل ما، وظهور بعض الأحزاب، ولم تكن

---

(١) جمال عبد الناصر (١٣٣٦- ١٣٩٠ هـ = ١٩١٨- ١٩٧٠ م) جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل ثائر عسكر حكم مصر ثمانية عشر عاما. ولد بمحافظة أسيوط،وانتقل إلى القاهرة، فعاش مع عم له اسمه خليل، وتخرج بالكلية الحربية عام (١٩٣٨م) ودرَّس بها، وتخرج بكلية أركان الحرب (١٩٤٢م) وشارك في حرب فلسطين (١٩٤٨م).، وخرج مع زملائه ناقمين على من بأيديهم السلطان في مصر، عسكريين ومدنيين وقاموا (١٩٥٢) بالثورة البيضاء على فاروق (آخر ملوك مصر) فنزل عن العرش لطفل له اسمه أحمد فؤاد، لم يلبثوا أن خلعوه وأعلنوا الجمهورية وسموا لرئاستها أحد كبار الضباط (محمد نجيب).تولى جمال رئاسة الوزراء، وانتخب رئيسا للجمهورية (١٩٥٦م)/ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ـ خير الدين الزركلي/ ٢/ ١٣٤/ ط. دار العلم للملايين ـ ط(٥) ـ ١٩٨٠م.

(٢) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي . د/ أحمد شلبي/ ٩/ ٣٦٣ وما بعدها/ ط. مكتبة النهضة المصرية، ط(٤)، ١٩٨٩م.

(٣) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي/ ٩/ ٤٩١ وما بعدها.

(٤) ينظر: المرجع السابق/ ٩/ ٧٤٤.

(٥) محمد أنور السادات رئيس مصر، ولد (١٣٣٧هـ . ١٩١٨م) بميت أبو الكوم . محافظة المنوفية ـ تخرج بالكلية الحربية عام ١٩٣٨م، اشترك فى الحركات الوطنية خلال السنوات السابق للثورة ، أذاع أول بيان للثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م من إذاعة القاهرة، عين نائبا أول لرئيس الجمهورية، ثم تم انتخابه رئيسا للجمهورية فى منتصف أكتوبر ١٩٧٠ـ تتمة الأعلام للزركلى/ ٢/ ١٢٨.

(٦) ولد د/ أحمد شلبى بمحافظة الشرقية عام ١٩١٥م، وتلقى دراساته بالمعاهد الأزهرية، ثم تخرج بكلية دار العلوم (جامعة القاهرة) عام ١٩٤٥م، ودرس بجامعة لندن وكيمبريدج، وأجاد اللغتين الإنجليزية والإندونيسية، قد تدرج فى الوظائف بجامعة القاهرة حتى عين رئيس قسم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، له العديد من المؤلفات من أشهرها (موسوعة التاريخ الإسلامى، موسوعة الحضارة الإسلامية، مقارنة الأديان، كيف تكتب بحثأو رسالة) توفى . رحمه الله . عام ٢٠٠٠م/ غلاف كتاب مقارنة الأديان (اليهودية) ـ د/ أحمد شلبى/ ط٧/ ١٩٨٤، ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) تاريخ الدخول ٥ . ٢. ٢٠١٨.

ديمقراطية كاملة فتزوير الانتخابات والاستفتاءات كان دعامة العصر، ولو قارنا عهد السادات بعهد عبد الناصر لوجدناه أفضل بكثير"(١).

ثم افتتحت فترة حكم الرئيس مبارك(٢)، بحالة من عدم الاستقرار السياسي، وعدم التطور الديمقراطي بسبب اغتيال الرئيس السادات، وإن تحسنت الأمور فيما بعد، فقد كانت " مصر تعيش تجربة ديمقراطية صغيرة العمر والنطاق، قد يكون من الأولى وصفها بحالة اللا ديكتاتورية واللا ديمقراطية، إذ يركز الحكم على مقدار من الحرية المتاح في مصر والذي يتجاوز بكثير ما كان متاحا فيها من قبل، كما يتجاوز ما هو متاح لدى الجيران، بينما تركز القوى المعارضة على جوهر الاحتكار القائم في عملية صنع القرار"(٣).

وفى التسعينيات زادت المطالبة بمزيد من الحرية في إبداء الرأي خاصة في الأمور السياسية، وظهرت العديد من المشكلات الداخلية والخارجية، "فمصر سوف يكون عليها أن تواجه قضية العبور إلى القرن الواحد والعشرين وسط مجموعة من المشكلات الجسيمة في الداخل والخارج، فلم يعد ممكنا تأجيلها أو تفاديها أو الدوران حولها، ومن ثم فإن السياسة العامة في مصر عليها أن تحسم خياراتها التي طالت مناقشتها طوال عقد الثمانينيات دون أن يبدو بصيص أمل، فهي بطريقها إلى إجماع يقود في اتجاه التغيير الشامل، ويبدو ذلك واضحا في قضية الديمقراطية التي طال زمن التحول إليها"(٤).

وبعد عام ٢٠٠٠م احتدم الصراع السياسي، وظهرت العديد من القوى السياسية المعارضة، أبرزها جماعة الإخوان المسلمين التي ظهرت بقوة في انتخابات مجلس الشعب ٢٠٠٥م، وكان الوضع السياسي في مصر ينذر بوقوع صدام محتمل في وقت قريب.

"ولما كانت الصراعات السياسية تجد حلولها في لحظات ذروة حاسمة عبر مسارها التاريخي، فإن مصر تنتظر لحظة قادمة لا ريب فيها، قد تتخذ هذه اللحظة شكل المصادمة التي عرفتها شعوب أزاحت بالقوة عوائق التطور الديمقراطي من طريقها وقد تتخذ شكل المصالحة التي عرفتها شعوب أخرى"(٥).

وازداد الوضع السياسي سوءا بسبب التحكم شبه المطلق للحزب الحاكم في الشئون السياسية

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي. د/ أحمد شلبي. ج١٠. ص ٦١٢. ٦١٥ باختصار شديد.

(٢) ولد فى الرابع من مايو ١٩٢٨م، وتخرج بالكلية الحربية عام ١٩٤٩م وبالكلية الجوية عام ١٩٥٠م، وترقى فى المناصب حتى عين قائدا للقوات الجوية عام ١٩٧٢ونائبا لرئيس الجمهورية فى أبريل عام ١٩٧٥م، ثم انتخب رئيسا للجمهورية عام ١٩٨١م، وبعد قيام ثورة يناير ٢٠١١م تنحى مبارك عن منصب رئيس الجمهورية.- وزارة الإعلام. ص٩-١١ باختصار شديد - مطابع الهيئة العامة للاستعلامات. ١٩٩١م

(٣) مصر وتحديات التسعينيات، أعمال المؤتمر السنوي الثالث للبحوث السياسية، عدد من المؤلفين، بحث د/ أحمد عبدالله. ص١١ بتصرف يسير، مركز البحوث والدراسات السياسية، ط(١) - ١٩٩١م.

(٤) مصر وتحديات التسعينيات، ص٥.

(٥) المرجع نفسه/ ٢٢.

للبلاد، ولم يستطع المسئولون أن يفهموا التغيير الفكري الواضح للعديد من فئات الشعب، وعدم اقتناعهم بالمبررات التي يذكرها المسئولون لأسباب تردى الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد.

وهكذا يبدو عدم استقرار الحياة السياسية في مصر في عصر الدكتور إبراهيم عوض، حيث سقطت الملكية، ثم كان عصر الرئيس عبد الناصر والذي لم تتوفر فيه الفرصة للتعبير عن الرأي خاصة في القضايا السياسية، ولما بدأت الأوضاع السياسية تتحسن شيئا ما في حكم الرئيس السادات تم اغتياله فعانى المصريون بسبب حملات الاعتقالات التي شُنت بحثا عن أي شخص ينتمي لفكر القائمين باغتيال الرئيس السادات.

ثانيا: الحياة الاقتصادية:

الاقتصاد هو العمود الفقري للدولة، إذ به تنطلق الدولة في مجالاتها المختلفة بحرية واستقلالية تامة وفق مصالحها واحتياجاتها، وذلك إنما يكون عند عدم اعتمادها على غيرها، أما إذا كان اعتمادها في تدبير حاجاتها على غيرها من الدول، فلن تجد عندئذ من الدول التي تساعدها إلا التحكم في مصالحها واقتصادها والتدخل في شئونها الداخلية والخارجية.

والدول على وجه الإجمال إما أن تكون متقدمة اقتصاديا أو متخلفة اقتصاديا، والعالم الإسلامي في مجمله من الدول المتأخرة في الحياة الاقتصادية مع امتلاكه للعديد من الموارد الاقتصادية، لكنه لا يتصرف فيها بحرية مطلقة لاعتماده في استخراجها وتصنيعها على الدول الغربية التي تتسم بالقوة الاقتصادية، مما أتاح لتلك الدول أن تقوم بدور الزعامة الاقتصادية في الدول الإسلامية خاصة في فترة احتلالها لها وبعدها.

ولقد عانت مصر كغيرها من الدول العربية والإسلامية من جراء الاحتلال، ولما خرج منها الاحتلال الإنجليزي ترك خلفه من يطبق سياسته الاقتصادية، فلما تولى قيادة الدولة "الحكم الوطني الليبرالي لم يتغير الوضع الاقتصادي كثيرا عما كان عليه من قبل، فقد كان النظام الاقتصادي يستوحى أفكاره ويستقى أنظمته من نفس النظام السائد في العالم الغربي الرأسمالي، والذي وضع الاستعمار أسس بنائه وكان من أبرز معالم هذا النظام ما يأتي:

١. إقرار النظام الربوي الرأسمالي، وإبقاء البنوك المتنوعة في شتى البلاد الإسلامية على هذا الأساس، بل والتوسع في إنشائها.

٢ـ إتاحة الفرص المذهلة للأسر الكبيرة وأصحاب النفوذ والجاه، ممن احتكروا الحكم والسلطان، فاحتكروا من ورائه المغانم والمكاسب، فالاستيراد والتصدير في أيديهم، والمناقصات الكبيرة ترسو عليهم، والمشروعات المربحة من حظهم، هذه الفرص جعلت الفقير يزداد فقرا والغنى يزداد غنى.

يضاف إلى هذا أن الحكم الوطني لم يستطع أن يطور الاقتصاد بالصورة المأمولة، بحيث يتحول

المجتمع إلى مجتمع صناعي قوي، مكتفٍ بذاته، وبقيت الزراعة محور النشاط الاقتصادي للمجتمع، ولم يستطع الحكم الوطني أن يزيد من مساحة الرقعة الزراعية بما يوازى التزايد المستمر في عدد السكان، ولا أن يحسن الانتاج الحيواني، ولا أن يواجه مشكلة البطالة المتزايدة"(١).

بالإضافة إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي "تضافرت على الاقتصاد المصري منذ ١٩٦٥م فحتمت أداء اقتصاديا باهتا، ويكاد أن يكون من غير المتصور أن تقدر أية سياسة اقتصادية مهما كانت براعتها وحكمتها أن تنقذ الاقتصاد المصري من الانحدار ثم الركود طوال العشر سنوات التالية (١٩٦٥. ١٩٧٥م).

ولكن استخدام النكسة لوصف ما حدث للاقتصاد المصري لم يكن بعيدا عن الحقيقة، فقد كان يحمل بالفعل إمكانات الدخول فيما سمي وقتها بحق بـ (بمرحلة الانطلاق)، ثم اندثرت الآمال فجأة، ودخل الاقتصاد المصري بدلا من ذلك في مرحلةٍ من الركود الطويل"(٢).

وازداد الوضع الاقتصادي تعثرا وكثرت الديون الخارجية في فترة حكم الرئيس السادات، واستمر الوضع الاقتصادي إلى أن تولى مبارك حكم مصر، وبعد ربع قرن من توليه " لم تعد مشكلة ملحة، مثلما كانت في بداية عهده، فحجم الدين الخارجي في سنة ٢٠٠٤م لم يكن يمثل أكثر من ٣١,٢ % من الناتج المحلي الإجمالي بالمقارنة بـ ١٤١% في بداية عهده، ولم يمثل عبء خدمة الديون في سنة ٢٠٠٤م أكثر من ١٠% من مجموع قيمة صادرات مصر من السلع والخدمات بالمقارنة بـ ٢٨% عام ١٩٨١م"(٣).

لكن هذا لا يعني أن الحياة الاقتصادية تميزت، بل " لقد ضعفت قدرة مصر الذاتية على استيراد العديد من الآلات اللازمة للتنمية الاقتصادية، من أهمها الديون التي لم تعرفها مصر من عصر الخديوي إسماعيل، بل كانت مصر دائنة لبريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية، ومثل ضعف التجارة الخارجية بسبب نقص الصادرات، ومثل التضخم النقدي وارتفاع الأسعار واضطرار الدولة إلى دعم السلع الضرورية وبخاصة السلع الغذائية بسبب الفجوة بين النمو السريع للسكان وقدرة الشعب على الإنتاج مع زيادة معدلات الاستهلاك"(٤).

ولذلك وقعت مصر في قائمة الدول المنخفضة الدخل، " فطبقا لتصنيف البنك الدولي فإن مصر

---

(١) الحلول المستوردة. د/ يوسف القرضاوي/ ٥٩، ٦٠ بتصرف/ ط. مكتبة وهبة. (ط٥). عام ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
(٢) قصة الاقتصاد المصري في علاقته بالعالم من عهد محمد على إلى عهد مبارك. د/ جلال أمين/ ٥٨، ٥٩ بتصرف يسير. ط. دار الشرق. ط١. ٢٠١٢م.
(٣) المرجع السابق/ ١٠٦.
(٤) إصلاح التعليم (دعوة إلى تجريد التعليم المصري من عثراته)، حليم جريس/ ٤٢،ط. الأنجلو المصرية. د– ت.

تقع وسط مجموعة من الدول متوسطة الدخل المنخفض، وهي مجموعة لا يتلوها من حيث التخلف سوى مجموعة الدول الأقل نموا، ويعلوها الدول متوسطة الدخل"(١).

وبشكل عام " فإن اقتصاد العالم الإسلامي بواقعه الحالي أليم، فالدخل القومي في أكثر البلاد الإسلامية يضع الفرد المسلم في أقل مستوى الآدميين، وتزيد أنظمة البلاد الإسلامية ضيقا وضنكا، تعيشه في الطوابير، التي يقضى فيها نصف يومه بحثا عن حاجياته، وأحيانا ضرورياته، هذا إن وجد في جيبه الثمن"(٢).

ويتضح من هذا أن الدكتور إبراهيم عوض عاش فترة عصيبة من الحياة الاقتصادية في مصر، فلم يكن الرخاء ولا الرفاهية ولا الغنى سبيلا لأي أحد، إنما كان لفئة تؤمن بالرأسمالية منهجا لإدارة الحياة في البلاد.

ثالثا: الحياة الاجتماعية:

لقد خلق الله الإنسان وجعل من أهم ما يحتاج إليه التعارف والتآلف، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمنأى عن إخوانه من بنى جنسه، إذ لا يستطيع أن يوفر لنفسه بمفرده أبسط ما يحتاج إليه، فالمعلم يحتاج إلى الطبيب ليتداوى عنده وإلى المهندس ليبني له بيتا يسكنه وإلى الفلاح ليزرع له ما يقتاته، ولولا المعلم لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه وهكذا.

فالحياة الاجتماعية كالمنزل الكبير الذي يضم الجميع، بل يتسع ليضم كل ما في الكون، "ويقصد بالحياة الاجتماعية في بلد من البلاد، ذكر طبقات المجتمع في هذا البلد من حيث الجنس والدين وعلاقة كل من هذه الطبقات بعضها ببعض، ثم بحث نظام الأسرة وحياة أفرادها، وما يتمتع به كل منهم من الحرية، ثم وصف الأعياد والمواسم والولائم والحفلات وأماكن النزهة، ووصفه المنازل وما فيها من أثاث وطعام وشراب ولباس، وما إلى ذلك من مظاهر المجتمع"(٣).

وإذا لم تحكم هذه الحياة بعض القوانين والأخلاق لتعدى الناس بعضهم على حقوق بعض، وفقد المجتمع أمنه وسلامه والتعاون بين أفراده والمودة التي لا يقوم إلا بها، ولذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وجعل من أهم مهمات الرسل تنظيم شئون الحياة ومعالجة المشكلات التي يقع فيها الإنسان.

إن المتأمل فيما دُوِّن عن الحالة الاجتماعية للمسلمين عامة في القرن الماضي والمصريين خاصة، " يجد أنها قد بلغت درجة من التأخر والانحطاط، حيث سادت الخرافات والأوهام، وركن كثير منهم إلى الكسل

---

(١) مصر وتحديات التسعينيات/ ٣، مرجع سابق.

(٢) حاضر العالم الإسلامي. د/ على جريشة/ ٧٩/ ط. مكتبة وهبة (ط٥)، ١٤٢٠هـ .١٩٩٩م.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن/ ٣٩٥/ ط. النهضة المصرية- ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

وترك العمل، فجمدت عقولهم عن التفكير، وأيديهم عن العمران، فانصرفوا عن تسخير نواميس الكون وأسباب العمران اتكالا على القضاء والقدر، ومن تركهم الأسباب أن أحدهم إذا أصابه مرض لا يلجأ إلى وسائل الطب المعروفة، بل يذهب إلى الدجالين ليداووه بالتعاويذ والأدعية أو يذهب إلى أحد الأضرحة، متوسلا بمن فيها ليشفي مرضه"(١).

أما عن انتشار الفوارق بين الطبقات فقد "كان الفساد في النظام الاجتماعي والاقتصادي مستشريا في مصر خلال العهد الملكي وكان هذا الفساد من ضمن الأسباب التي قامت من أجلها ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م...، فقد فقدت العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب، والذي عمل الاحتلال على إيجادها وتشجيعها، وكان من ضمن الأسباب الاجتماعية أيضا سوء توزيع الأراضي الزراعية، وكان الإصلاح الاجتماعي من ضمن أولويات ثورة يوليو ١٩٥٢م، من أجل ذلك اعتمدت الثورة إنشاء مجتمع مدني جديد وللوصول إلى تحقيق هذه الهدف وضعت مبادئ أساسية سارت عليها لإقامة مجتمع جديد وهي:

١- القضاء على الاستعمار وأعوانه ٢- القضاء على الاقطاع

٣- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم. ٤- إقامة عدالة اجتماعية"(٢).

إن وجود الفوارق بين المجتمع أمر لا بأس به، بل هو "أمر طبيعي وبديهي، لكن العدالة الاجتماعية تقتضي بتقليل تلك الفوارق حتى تتحقق الحياة الكريمة لجميع المواطنين.

ولكن الأمر كان على غير ذلك ـ ومازال ـ حيث انقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات:

الأولى: الطبقة الخاصة: وهي طبقة الأغنياء والكبراء وبعض المثقفين، وكانت موالية للاحتلال، وهي عنوان الخيانة والانحلال في الوطنية والأخلاق.

الثانية: الطبقة المتوسطة: وهي دون مستوى الطبقة الخاصة اجتماعيا وثقافيا.

الثالثة: الطبقة الفقيرة: من الفلاحين والعمال، وهم أغلبية الشعب فقد ساءت حالتهم في عهد الاحتلال"(٣).

وهذا الوضع أنتج اضطرابا بين أصحاب الطبقة الفقيرة، حيث سرت "روح اليأس والسخط والتراخي في نفوس الموظفين عامة، إذ يرون ألَّا عدل ولا مساواة في معاملتهم، فيضعف شعورهم بالواجب، ويقل

---

(١) دراسات في تاريخ مصر المعاصر ـ د/ عبد المنعم رمضان/ ٢٦٧ بتصرف ـ ط. المركز العربي للبحث والنشر ـ ١٩٨١م.

(٢) الدكتور عبد الوهاب المسيري وجهوده في دراسة الفرق والجماعات اليهودية (دراسة تحليلية نقدية)، أحمد قنعان محمد قنديل، رسالة ماجستير ـ كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ ٢٠١٤.

(٣) مصر المجاهدة في العصر الحديث ـ عبد الرحمن الرافعي/ ٥/ ٢٤، ٢٥ بتصرف/ الهيئة العامة لشئون للمطابع الأميرية ـ ١٩٥٩م.

إنتاجهم في العمل"(١)، كما أنه أدى إلى الضعف العام في مستوى التعليم والفكر والثقافة.

ـ مما سبق يتبين عدم وجود عدالة اجتماعية فى مصر فى عصر الدكتور إبراهيم عوض، مما أدى إلى عدم الاهتمام باتقان العمل عند كثير من الموظفين، وسعيهم للبحث عن أعمال أخرى تزيد دخلهم؛ ليستعينوا به على توفير متطلبات الحياة لذويهم.

ولقد تأثر الدكتور إبراهيم عوض بذلك، فهو دائما ما يحث الناس على العمل، والسعي لتوفير متطلبات الحياة، كما أنه يقف دائما مع الفئة الكادحة من الشعب.

رابعا: الحياة الدينية:

إن الحاجة إلى قوة مطلقة يهرع الإنسان إليها في شدته أمر مفطور في النفس البشرية؛ لذلك تجد الإنسان دائما ما يبحث عن تلك القوة ليستند عليها ويلجأ إليها، فيصل إلى المعبود الحق مَن يصل ويضل عنه مَن يضل، فإذا ما عاش الإنسان بدون دين تراه في ضيق وضنك مهما اكتسب من المال أو ارتفع في المكانة الاجتماعية.

إن الحالة الدينية لأي مجتمع من المجتمعات لها أثر كبير عليه، فإذا ارتقى المجتمع دينيا أدى ذلك إلى انتشار الأخلاق الفاضلة فيه، فقلت الجريمة وساهم ذلك في استقرار المجتمع وتنميته، أما إذا التفت المجتمع عن الاهتمام بالدين، فإن ذلك ينعكس على استقراره في شتى المجالات، وقد تبين ذلك بجلاء بعد انهيار النظام الاشتراكي، وفشل النظام الرأسمالي، ووقوع الأزمة الاقتصادية العالمية.

" ومصر لها وزنها في الحياة الدينية للعالم الإسلامي أجمع، فهي المحرك الرئيسي له، فإذا استفاقت تبعها العالم الإسلامي أجمع، وإذا تخاذلت تقهقرت الدول الإسلامية الأخرى فلا يكون لها دور ملحوظ. من أجل هذا عملت الدول الغربية بكل طاقاتها على إضعاف الحياة الدينية في مصر، فعملت على نشر الجماعات الدينية والمجتمعات الإصلاحية، والأفكار الضالة، والعلمانية، والإلحاد، والإباحية، وغيرها من الأفكار المنحرفة"(٢).

يقول الشيخ الغزالي في هذا الشأن: " اختلفت دول الغرب في طرائق إجهازها على الإسلام فمنهم المتعجل الذي يريد ذبحه بالسكين، والقضاء على أهله بالسرعة التي تقرب الغاية المنشودة، ومنهم الذي يقتل من غير أن يسفك الدماء، ويلجأ إلى العنف في الفترات التي تستعصي فيها التضحية ولا يبقي من التكشير عن الناب بد، وكانت سياسة إنجلترا في مصر من الطراز الأخير، ففي نصف المدة التي احتلت فيها مصر، تمكنت من طي رقعة الاسلام عن آفاق واسعة، وخلقت طوائف شتى، بعضها غريب عن

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢م ـ عبد الرحمن الرافعي/ ١٤٤/ دار المعارف ـ ط(٣) ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢)الحياة الدينية الإسلامية في مصر خلال الربع الأخير من القرن العشرين، محمود نور الدين أحمد عبد العال/٣/ رسالة دكتوراه ـكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ ٢٠١٦م.

الإسلام وبعضها عدو له، وبعضها يؤمن بجزء من تعاليمه ويكفر بالجزء الآخر"(١).

وتتضح الصورة أكثر عندما يتبين أنه "لم يسلم العالم الإسلامي من غزو فكرى وتغريبي منظم استخدمت فيه شتى الوسائل، وقد كان لمصر النصيب الأوفر خلال هذا القرن، فقد ظهرت الانحرافات الفكرية تعمل جنبا إلى جنب مع الاحتلال في تغريب الأمة ومسح هويتها، فظهرت الحملات التنصيرية المنظمة التي كانت تعمل علانية دون خفاء ومن ذلك إنشاء الجامعة الأمريكية التي تبنت كل المفاهيم التنصيرية في مصر وأخذت على عاتقها مهمة العمل التنصيري"(٢).

وهذا الانتقال من الغزو الاستعماري إلى الغزو الفكري والثقافي "يعبر عنه بكلمة واحدة هي "التغريب" الذي هدف إلى تغيير هوية الأمة ومسارها، ونقلها من الشرق إلى الغرب، ومن الإسلام إلى المسيحية أو على الصحيح إلى اللادينية.

إن هذا النوع من الاستعمار أشد وأنكى من الاستعمار العسكري، والسياسي، فاحتلال الأرض يُرَى ويُحس ويُقاوم ويُحارب، لكن احتلال العقل قلما يحس به، فيُستسلم له"(٣).

والهدف من التغريب "علمنة الدولة وعلمنة المجتمع بتشريعه، وثقافته، وتعليمه، وإعلامه، وتقاليده، ولقد وقف رجال الإسلام لهذه العلمنة بالمرصاد، ووقف رجال الجامعات الدينية، والجماعات الإسلامية، يعملون ويجاهدون لاستعادة هوية المجتمع، وإفشال دعوة التغريب والعلمانية"(٤).

كما تهدف حملات التبشير، وتضليل المستشرقين، والغزو الثقافي والخلقي، ومؤتمرات الاستعمار إلى إضعاف شوكة المسلمين، وتعمل جميعها في إطار واحد، هو محو الشخصية الإسلامية والمسلمين في المحيط العالمي.

فالغربيون الداعون إلى الدنيوية يودون أن يروهم بعيدين عنه طارحين له في زاوية من حياتهم لا يقربونها وأن يبنوا مجتمعاتهم كما يبنيها المتحررون، ولكن ليس ثمة احتمال لأن يتنازل العالم الإسلامي عن صفته الأساسية، وإلا كان ذلك كارثة له وللدنيا بأسرها(٥).

وقد ظهرت وبشكل خطير ومخيف "مذاهب فكرية تناقض الإسلام تماما كالعلمانية، والوجودية والإباحية، والقومية، وغيرها من المذاهب الضالة الإلحادية كالمذهب الشيوعي الذي ينكر أن يكون هناك

---

(١) كفاح دين، محمد الغزالي/ ١٣٤/ ط مكتبة وهبة - (ط٥)، دون

(٢) الدكتور القرضاوي وجهوده في خدمة السنة النبوية (عرض ونقد)، شعبان محمود عبد القادر/ ٤٧/ رسالة دكتوراه كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة،٢٠١٣.

(٣) أمتنا بين قرنين - د/ يوسف القرضاوي/ ٧٧ بتصرف/ ط. دار الشرق - ط١. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) المرجع السابق/ ٨٩.

(٥) ينظر: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، الشيخ عطية صقر/ ٢٣ بتصرف/ مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثامنة عشرة، الكتاب الخامس، ١٤٠٨. ١٩٨٨م.

خالق، ومع ذلك لقي قبولا بين بعض فئات المثقفين في بعض المجتمعات"(١).

ولقد سخر الله الأزهر ورجاله للتصدي لهذه الحملات التشويهية للإسلام، والأفكار المعارضة له خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، "فعندما أكرم الله الأزهر بالدكتور عبد الحليم محمود وكان الأزهر شعلة من النشاط فاعلا ظاهرا بقوة، وكلمته عالية، وكذلك حيثما مَنَّ الله على الأمة بالقاضي الهمام الشيخ جاد الحق علي جاد الحق عاد النشاط إلى هذا المعهد العظيم"(٢).

ولعل ما يؤكد هذا الدور للأزهر أنه "قد عمل، وكذا المؤسسات الأخرى على إشاعة الأخلاق الحسنة وبينوا مكانتها في دين الله تعالى، كما عمل الأزهر على الحد من المفاسد الأخلاقية، فأسس المعاهد الأزهرية، كما أفسح المجال لكليات جامعة الأزهر في الأقاليم، وقدم علماء الأزهر للتليفزيون خطة عمل تنمي الأخلاق"(٣).

ومع الأزهر الشريف تعاونت الجمعيات الأهلية، وكان لها دور بارز في الحالة الدينية الإسلامية في مصر "فالجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية جمعية دعوية تجاهد بالمال لرفعة شأن الدين، وقد رسمت الجمعية لنفسها منهجا عاما لتؤدي دورها دعويا وخدميا ووضعت لنفسها أطرا منها:

١. الدعوة إلى نظام إسلامي في الاقتصاد والاجتماع.

٢. رفض البدع والخرافات.

٣. استنكار التعصب المذهبي.

٤. إحياء فروض الكفاية نيابة عن الأمة.

٥. الجمعية لا تسعى إلى حكم ولكن تطالب الحكام بالحكم بالإسلام"(٤).

وتعاونت أيضا مع الأزهر الشريف وزارة الأوقاف، حيث " أصدرت القرار الوزاري رقم (١٢) في ٢٢فبراير ١٩٦٦م بأن تنشأ بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنةَ تجليةِ مبادئ الشريعة الإسلامية لكشف حقيقة الدين الإسلامي وتجلية جوهر رسالته، ولكي تكون الشريعة الإسلامية مصدرا أساسيا

---

(١) حاضر العالم الإسلامي. د/ على جريشة/ ص٥٦- ٥٩باختصار.

(٢) الحياة الدينية الإسلامية في مصر خلال الربع الأخير من القرن العشرين، محمود نور الدين أحمد عبد العال/ ٣/ مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق/ ٤٨٠.

(٤) الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية . عقيدة ومنهجا وسلوكا ـ الشيخ محمد على مسعود . منشورات الجمعية الشرعية . القاهرة١٨٨٢م . بدون، مجلة التبيان . ص١ . القاهرة . العدد ١١٤- السنة العاشرة . نوفمبر ٢٠١٣ . المحرم ١٤٣٥هـ باختصار

للتقنين"(١).

تلك هي بشكل عام الحالة الدينية لمصر في حياة الدكتور إبراهيم عوض، مما دفعه لأن يشارك في صد الهجمات الشرسة التي يطلقها بين حين وآخر المستشرقون، ويجاهد من خلال قلمه المشككين في الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق.

خامسا: الحياة العلمية:

يعد التعليم من أهم وأبرز الأمور التي يحتاج إليها الإنسان في الحياة، لأنه المنارة التي يهتدى بها الناس إلى الطريق القويم، وهو المحرك الأساسي في تطور الأمة وبناء الحضارة.

فالدولة التي تهتم بنظامها التعليمي وتحافظ عليه تتفوق في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها.

جاء في كتاب إشكالية التعليم في العالم الإسلامي: "إن أول ما تسعى إليه الدول الناهضة الحديثة، هو توجيه عنايتها لنشر الوعي والتعليم بين مواطنيها، لأنها تدرك ما للتعليم المنظم والتربية المقصودة من قيمة كبرى وأهمية بالغة بالنسبة إلى نمو الفرد والمجتمع على السواء، وتعتبر ما تنفقه على التربية والتعليم نوعا من الاستثمار الاقتصادي الذي لا تقل فائدته عن الاستثمارات الاقتصادية في جوانب الحياة الأخرى"(٢).

وقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماما بالغا، ففضل الله تعالى المسلم المتعلم على غير المتعلم فقال: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (الزمر: ٩)، وقال جل شأنه:"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (المجادلة: ١١)، وحثنا النبى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم على طلب العلم فقال: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"(٣).

والذي ينظر إلى الحالة العلمية التي عاشتها الدول الإسلامية ومنها مصر في القرن العشرين يجد أنها لم تحظ بكثير من الاهتمام خاصة في عهد احتلالها، يقول الأستاذ أنور الجندي: " تميز القرن العشرون بثورة فكرية وثقافية عارمة، وصراع بين الدين القيم من ناحية والأفكار الوافدة والهدامة ناحية أخرى.

وقد مر التعليم في زمن المحتل بأسوأ المراحل، حيث كان المستعمرون في غاية الدهاء عندما بدأوا

(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. نجاة الزنيري/ ٣٢٠ بتصرف. د- ت.

(٢) إشكالية التعليم في العالم الإسلامي. سعيد محمد غانم/ ٦٧/ ط. مركز البحوث والدراسات. قطر (ط١). ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه ـ في بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ. برقم ٢٢٤/ ١/ ١٥١ ـ تعليق الشيخ الأرنؤوط (حسن بشواهده وطرقه). المرجع نفسه والصفحة نفسها، سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة- وماجة اسم أبيه يزيد- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد- محمَّد كامل قره بللي- عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط(١)، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة، وعن طريق برامج التعليم من خلال الإرساليات والسيطرة على أجهزة المعارف، والعمل على التخلص من المناهج التي كانت تدرس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كالأزهر وما يشابهه وإحلال مناهج ومقررات جديدة"(١).

ولما جاء عصر الحكم الجمهوري تراجع التعليم كثيرا وأصبح تعليما علمانيا عمدا لإقصاء الدين والتاريخ الإسلامي، فقد رُفِع في بداية حكمه شعار (التعليم كالماء والهواء، ينبغي إتاحته للجميع) ولكن الحقيقة أنه أراد أن ينشئ أجيالا ذات ولاء لثورته عن طريق التعليم الإلزامي، وفى خط مواز كان لا بد من التخفيف من ثِقَل الأزهر فكان ما عرف بمشروع تطوير الأزهر (عام ١٩٦١م)، وهو ما يعرف في الأوساط الإسلامية بقانون تدمير الأزهر.

وحين جاء السادات أراد البحث عن الذات من جديد فبدت المناهج مترددة بين الإسلام والعروبة، ثم ما لبث أن نحت منحى جديدا رسم لها بعد معاهدة السلام مع الصهاينة، فلم تقنع بمجرد تهميش الإسلام أو تفريغه من محتواه، وإنما عملت على الاستبعاد التام لكل ما هو إسلامي من أجل إعادة ترتيب أوضاع المنطقة، وقد فرغت مناهج التربية والتعليم من المحتوى الإسلامي المؤثر(٢).

وكانت مشكلة عقدي السبعينيات والثمانينيات عند كثير من المراقبين والمحللين هي غموض الخريطة العامة الموجهة للحركة الكلية للجماعة المصرية، بحيث أصبح الأمر أمر اجتهاد خاص يرتبط بشخص المسئول القائم على قطاع ما، لكن هذا المسار كان كفيلا بأن يبدد الطاقات، لأن القائم على قطاع قد لا يكون غدا، وبالتالي مجيء الغد بما يعيد ترتيب الأوراق، ويبدل اتجاه الرياح، لا لنبدأ من حيث انتهى السابق وإنما من حيث بدأ.

ومع التسعينيات، وخاصة بعد حرب الخليج وانهيار منظومة ـ العالم الاشتراكي ـ ظهرت سياسة التحرير فنحن نملك على سبيل المثال مجلسا قوميا للتعليم يضم نخبة كبرى من المفكرين، يضع ويرسم سياسات لقضايا تعليمية متعددة، ميزته الكبرى أنه لا يرتبط بوزارة بذاتها ولا بشخص مسئول بعينه، فضلا عن عمق وإحاطة ما يضعه من سياسات، وبالتالي فهو يمكن أن يضمن للسياسة التعليمية الاستمرارية المنشودة، لكن ثغرة قاتلة تذهب به أدراج الرياح، فهو مجلس استشاري يفكر ويرى، لا يأمر ويلزم"(٣).

لقد عجزت الصيغ المؤسسية التقليدية في التعليم عن مواجهة السيل المتدفق للآمال والتطلعات البشرية شوقا إلى العلم ونهما للمعرفة، فبرز التعليم من بُعد، وبرز الإعلام ليتلاعب بالعقول في الأمم

---

(١) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون . د/ أنور الجندى/ ٧ بتصرف يسير/ دار الاعتصام . القاهرة . بدون

(٢) ينظر: واقع العالم الإسلامى بين تغريب التعليم وكشف تجربة المتآمرين . سعيد عبد الحكيم . ص٧١- ١٠٨ باختصار شديد . ط. مكتبة وهبة . القاهرة . ط١ . ١٤١٨هـ.

(٣) ينظر: سياسة التعليم فى مصر ـ د/ سعيد إسماعيل على/ ٨٩: ٩٢ باختصار./ ط. عالم الكتب . ١٩٩٦م . د-ت.

المستضعفة، فتجئ الحركة ذاتية بعد أن تتبنى دافعية الباغي، وتُنسج على منواله، وتجعله القبلة التي تحكم التوجه.

وتشيع اتجاهات تقلب رأسا على عقب كثيرا من المفاهيم التي شكلت وعى المواطنين في بعض المجتمعات، فإذا بمفهوم العدو يطبق على الصديق، وإذا بمفهوم الصديق يطبق على العدو(١).

لقد افتقدت المدارس الرسمية " معظم المقومات اللازمة لعملية التعليم، وأصبحت أمكنة للإيواء بغير تعليم حقيقي، أو حتى نصف حقيقي، وهنا كان لابد للآباء أن يبحثوا عن سلعة التعليم في السوق الحرة بثمن باهظ، فمن الذي يستطيع المنافسة في الامتحانات إذن؟ طلاب المدارس الخاصة، وطلاب الدروس الخصوصية!

فالتعليم الآن سلعة باهظة التكاليف، وهناك ألوف قادرون عليه عقليا، عاجزون عنه ماليا، بل أصبح بالإمكان الحصول على نتيجة دون حاجة إلى استخدام مهارات واستعدادات التفكير والذكاء، وإنما بالمال وحده في كثير من الأحيان"(٢).

غير أن المناهج المصرية يعاني واقعها من نقاط الضعف والخلل أبرزها:

١ـ أنها تعكس حالة من الاغتراب والاستلاب، وذلك بما فيها من مفارقة ومجاوزة الواقع ومطالبه، والمستقبل وتحدياته، مما يؤدى إلى حالات من الإحباط والفشل، فلا هي تراعى مطالب البعد الوطني بآماله وطموحاته، ولا هي تراعى البعد المحلى في كل بيئة لها خصوصيتها.

٢. أنها بعيدة كل البعد عن حاجيات المتعلمين، وموغلة في أكاديميتها.

٣. أنها تدور في محور تحكمه المادة، وغابت عنها المعاني الإنسانية، حيث كادت المناهج المصرية أن تفرغ من كل ما يمت للحضارة الإسلامية من علوم وآداب وفنون وحل محلها أفكار الغرب وبطولاته.

٤. أنها تفتقد الفرص لتنمية مهارات المتعلم(٣).

ومما لا شك فيه "أن التوجه الذي يسير إليه النظام الاقتصادي في مصر هو إفساح المجال لمزيد من النشاط الخاص وتقليص المجال الذي يعمل فيه القطاع العام، وهو ما يشيع تسميته "بالخصخصة" وقد ظهرت مبشرات هذا التوجه في مصر في أعقاب حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م فيما يسمى بسياسة الانفتاح الاقتصادي، ولأن التعليم إنما هو منظومة فرعية من النظام الاجتماعي الأم كان لابد وأن يبدأ

---

(١) المرجع السابق/ ١٠٣، ١٠٤ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ١٩٦ .

(٣) ينظر: التجربة المصرية في التعليم وتجارب الآخرين. د/ أيمن يَسِنْ محمد محمد عمر/ ١٦٨، ١٦٩ بتصرف/ ط. مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع. بدون.

التحول فيه على نفس الطريق"(١).

ومما سبق يبدو بوضوح أن الحالة التعليمية في مصر لم تكن جيدة واستمرت على هذا المنوال حتى يومنا هذا، مما قد يؤثر سلبا على الأجيال السابقة واللاحقة، ومع ذلك لم تعدم مصر– في ظل تلك الحالة من عدم الرضا– من علماء تمكنوا من امتلاك قدرات ومهارات سادوا بها العالم في مجالات معينة، كما لم تعدم مصر من علماء الدين الذين وهبوا أنفسهم للدفاع عنه، والجهاد في سبيل إعلاء كلمته، وكان من بين هؤلاء ذلك العالم الجليل الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض الذي يعد علامة بارزة في ميدان الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه.

ـ هذه الظروف التى مرت بها مصر فى عصر الدكتور إبراهيم عوض، حيث الاضطرابات السياسية، وضعف الاقتصاد، والعادات الاجتماعية، وقلة الاهتمام بالتعليم، جعلته ينأى بنفسه .كما يتضح من مؤلفاته ـ عن الخوض فى هذه الأمور، وإنما كرَّس حياته كلها للعلم والتعليم، فما أتيحت له فرصة للتعلم إلا واستغلها أحسن استغلال، فلم يكتف بإجادة تخصصه فى النقد الأدبى واللغة العربية، وإنما أجاد كذلك فى الاستشراق ـ كما يبدو من هذا البحث . ومقارنة الأديان، بل أتقن الإنجليزية والفرنسية، وحاول أن يتقن الألمانية كذلك، حتى خرج لنا بثروة هائلة من المؤلفات والكتب المترجمة فى مختلف التخصصات السابقة تجاوزت هذه الثروة المائة مؤلف.

ثم إنه كذلك لم يتوقف نفعه على نفسه بالتعليم والتأليف، وإنما أفاض بعلمه هذا على طلبته فى كلية الآداب جامعة عين شمس، سواء كانوا فى المرحلة الجامعية أو ما بعدها فى مراحل الدراسات العليا والماجستير والدكتوراة، بل إنه يعمل بشتى السبل على تشجيع الطلاب على القراءة والاطلاع، فقد أخبرنى أنه إذا ما وجد طالبا يقرأ فى كتاب كافأه على ذلك ولو مكافأة رمزية، ولقد لمست ذلك بنفسى عندما تقابلت معه– حفظه الله– ، فلما علم أننى باحث أزهرى أهدى إليَّ ماعنده فى بيته من مؤلفاته.

٦ـ أهم المؤلفات:

إن تأليف الكتب، وتدوين العلم من أهم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه ﷻ، بل هو مقدم على التنفل بالصلاة والصوم.

يقول الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى– :

"وأما تعليم الطالبين، وهداية المُريدين، فإنه عبادةُ العالِم، وإن مِن تغفيلِ بعض العلماء إيثارُه للتَّنفُّل بالصلاةِ والصَّوم عن تصنيف الكتاب، أو تعليمِ علمٍ يَنفع؛ لأنَّ ذلك بَذْرٌ يَكثُرُ رَيْعُهُ، ويمتدُّ زمانُ نَفعِه.

ورأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عددا

---

(١) سياسة التعليم في مصر . د/ سعيد إسماعيل/ ٢٦.

من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقا لا تحصى ما خلقوا بعد" (١).

وقد كثرت مؤلفات الدكتور إبراهيم عوض وتنوعت بين ميادين الأدب العربي والنقد الأدبي والرد على الشبهات التى أثارها أعداء الإسلام حول القرآن الكريم واللغة العربية والسيرة النبوية والصحابة الكرام –رضي الله عنهم – وغير ذلك.

١. النزعة النصرانية في قاموس المنجد / دار الفاروق ـ الطائف ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

وفي هذا الكتاب بين الدكتور إبراهيم النزعة النصرانية التي تنتشر في معظم صفحات هذا القاموس وبيان معاني الكلمات الواردة فيه، حيث قام بإعداده عدد من النصارى ومن ذلك أن البسملة لم تذكر في بداية القاموس، وتقديم (بسم الأب والابن والروح القدس) عليهاعند ذكر مادتها، وكعدم الصلاة على النبي ﷺ وعدم وصف القرآن بالكريم، وعدم الإشارة إلى السيرة النبوية، وعدم نسبة الآيات إلى الله تعالى، وعدم الاستشهاد بالأحاديث النبوية، والاعتماد على الكتاب المقدس بشكل كبير.

٢ ـ سورة طه (دراسة لغوية وأسلوبية مقارنة)ـ الطائف ـ ١٩٩٣م.دون دار.

وفى هذا الكتاب قام الدكتور إبراهيم عوض بدراسة السورة الكريمة من عدة نواح: من ناحية النحو واللغة والأسلوب، ومن ناحية موضوعاتها وبنائها وما تتفرد به من ألفاظ وتعبيرات وتراكيب، ومن ناحية توقيت نزولها وما هو مكى ومدنى منها، ومن ناحية المقارنة بين قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وقومه وقصة آدم عليه السلام وحواء مع إبليس ونفس القصتين فى العهد القديم، ثم ختم . فضيلته . الدراسة بالإشارة إلى وجوه التشابه بين السورة الكريمة وسورة الأعلى فى المفردات والعبارات والأفكار.

٣ـ افتراءات الكاتبة البنجلاديشية (تسليمة نسرين) على الإسلام والمسلمين (دراسة نقدية) لرواية (العار) ـ مكتبة زهراء الشرق ـ ١٩٩٦م.

وفي هذا الكتاب بين الدكتور تحامل الكاتبة على الإسلام والمسلمين، واتهامهم بقتل وتعذيب الهندوس، وهتك أعراض نسائهم، ورد عليها ردا علميا بين فيه حسن معاملة المسلمين لغيرهم على مر التاريخ، وفضح كذبها وتدليسها في تلك الرواية.

٤ـ دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل/ ط. مكتبة البلد الأمين . القاهرة . ط(١) ١٩٩٨م/ تناول الدكتور إبراهيم عوض فى هذا الكتاب الرد على كتاب(shorter islam ensyclopeadia of) وهو عبارة عن مختصر لـ (دائرة المعارف الإسلامية) التى ألفها عدد من المستشرقين، وقد بين فضيلته مايسود هذا الكتاب من انحراف عن المنهج العلمى، وعداوة

---

(١) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، صـ٥٦،٢٤١، دار القلم – دمشق، ط(١)، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

بارزة للإسلام ورسوله، وكتابه، وعقائده، وشرائعه.

٥ـ إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية (خطاب مفتوح إلى الدكتور على مراد في الدفاع عن سيرة ابن اسحاق/ط مكتبة زهراء الشرق ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

وقد جاء هذا الكتاب ردا على رسالة علمية كتبت باللغة الفرنسية قدمها الدكتور محمود على مراد إلى جامعة السوربون الجديدة (باريس ٣) وحصل بها على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام ١٩٩٧م وكان موضوعها "سيرة الرسول لابن اسحاق وابن هشام. الفترة المكية تحليل نقدي للنص"

وتتناول الرسالة في مجملها إنكار العديد من أحداث السيرة النبوية الواقعة في مكة أو تغيير مفهومها الصحيح، كهجرة المسلمين إلى الحبشة، وبيعتي العقبة، ورحلة النبي ﷺ إلى الطائف.

٦ـ مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى/ مكتبة زهراء الشرق ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م

وقد قام الدكتور إبراهيم عوض في هذه الدراسة بعرض شبهات النصارى التي أوردها الجاحظ في رسالته وناقشها بالتفصيل وتوسع في الرد عليها واعتمد قبل كل شئ على مقالات اليهود والنصارى أنفسهم.

٧ـ القرآن والحديث (مقارنة أسلوبية)/ ط مكتبة زهراء الشرق ـ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

كتب الدكتور إبراهيم عوض هذا البحث الرائع، الذي قارن فيه بين أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأثبت من خلال هذا البحث الرائع الذي تقارب صفحاته الستمائة أن أسلوب القرآن يختلف تماما عن أسلوب الحديث، من حيث مفرداته، وتراكيبه، وأساليبه، وقصصه، وغير ذلك، وقد أشار في مقدمته إلى أن السابقين له كانوا يقررون التباين بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث ويضربون على ذلك بعض الأمثلة دون أن يفردوا ذلك ببحث موسع.

٨ـ السجع في القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)/ مكتبة زهراء الشرق ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م

وفي هذا الكتاب تحدث الدكتور إبراهيم عوض حول ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم وما فيها من محاسن ومآخذ مقارنة بغيرها من الترجمات الفرنسية المشابهة كترجمة سافاري ومونتيه وبلاشير ومحمد حميد الله.

٩ـ اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الإسلام والرسول والصحابة/ ط.مكتبة زهراء الشرق– ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م. بدون رقم طبعة.

ناقش الدكتور إبراهيم عوض في هذا الكتاب العديد من أفكار اليساريين عامة والمحامي خليل عبد

الكريم(١)خاصة، معتمدا على الكتاب والسنة والسيرة النبوية الصحيحة، والمنطق الصارم، والصدق في إيراد الروايات، وبيان التناقضات والتدليسات والأخطاء التاريخية والعلمية واللغوية التي وقع فيها خليل عبد الكريم كما رد ردودا ـ منها ما هو وافٍ في معظمه ومنها ما يحتاج إلى تدعيم ـ على تطاولات خليل عبد الكريم على سيد المرسلين وأصحابه الطاهرين.

١٠ ـ سورة المائدة (دراسة أسلوبية فقهية مقارنة)/ط ـ مكتبة زهراء الشرق ـ ٢٠٠٠م.

ويشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول: ففى الأول: درس الدكتور إبراهيم السورة من الناحية الأسلوبية، وما تميزت به عن سور القرآن، وفى الثانى: قارن الدكتور/ بين الموضوعات التى تناولتها السورة الكريمة، وفى الثالث: تناول فضيلته المسائل التشريعية التى وردت بالسورة بشئ من التفصيل، مع عرض آراء بعض المستشرقين حول هذه الموضوعات والرد عليها، وفى الرابع: تحدث ـ فضيلته عن بعض القضايا العقدية واللغوية فى السورة الكريمة.

١١ـ لكن محمدا لا بواكي له (الرسول يهان في مصر ونحن نائمون) هتك الأستار عن كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الأمين /ط. دار الفكر العربي ـ ط(٢) ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

وقد رد الدكتور إبراهيم عوض في هذا الكتاب على كتاب (فترة التكوين في حياة الصادق الأمين) للمحامي خليل عبد الكريم، الذي يتحدث في مجمله عن تكوين شخصية النبي ﷺ على يدي ورقة بن نوفل والسيدة خديجة – رضي الله عنها– وتهيئته) لادعاء النبوة كما يدعي خليل عبد الكريم.

١٢ـ المستشرقون والقرآن (دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآراؤهم فيه)ـ ط.مكتبة زهراء الشرق ـ ط(١) ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

قسم الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ هذا الكتاب إلى بابين، في كل باب أربعة فصول، يضم الباب الأول أربع دراسات تحليلية لأربع ترجمات فرنسية للقرآن الكريم، الثلاث الأولى لثلاثة من مشاهير المستشرقين هم سافاري، ومونتيه، وبلاشير، والترجمة الرابعة للشيخ أبو بكر حمزة، وهو عربي مسلم يعيش في فرنسا ولكن يبدو أنه تأثر ببعض آراء المستشرقين الخطيرة.

أما الباب الثاني فإنه يضم فصولا أربعة عن القرآن الكريم، ترجمها الدكتور إبراهيم عوض عن أربعة مستشرقين مختلفين، هم بارتلمي سانت هيلير، إدوارد مونتيه، وكليمن هيوار، وبلاشير، وفي هذه الفصول

---

(١)كاتب مصري ليبرالي يساري (١٩٣٠ـ ٢٠٠٢)، ألف كتبا كثيرة حول تاريخ الإسلام، ولد وتوفي في محافظة أسوان أنهى در استه في الفقه والشريعة في الأزهر مطلع الخمسينيات، درس القانون في جامعة فؤاد، كان محاميا مشهودا له بالكفاءة، وكان عضوا ناشطا في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي اليساري، وعضوا بجماعة الإخوان المسلمين، من أهم مؤلفاته (لتطبيق الشريعة لا للحكم ـ الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية ـ مجتمع يثرب ـ فترة التكوين في حياة الصادق الأمين وغيرها) ـ ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) ٢٠/ ٩/ ٢٠١٧.

تحدث فضيلته عن معظم الشبهات التي يرددها المستشرقون عن القرآن ومصدره، وتاريخه، وجمعه، وعلاقته بالكتب السابقة، ثم عقّب بتعليقات رائعة يفند فيها تلك الآراء.

١٣ـ عصمة القرآن وجهالات المبشرين / ط. مكتبة زهراء الشرق . ٢٠٠٤م . دون رقم طبعة.

وفي هذا الكتاب يرد الدكتور إبراهيم عوض على مجموعة من الشبهات التي أثيرت حول بعض الأخطاء المتعلقة بلغة القرآن الكريم، والبعض الآخر المتعلق بمضمون الآيات القرآنية التي أثيرت في كتاب "هل القرآن معصوم لـ "عبدالله عبد الفادى" الذى تم نشره فى النمسا عام ١٩٩٤م.

١٤ـ فكر محمد أسد (ليو بولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون/ ط. دار الثقافة . قطر . ط١ . ٢٠٠٥م.

وفي هذا الكتاب القيم قام الدكتور إبراهيم عوض بدراسة عن ترجمة محمد أسد للقرآن الكريم، وقد أشار الدكتور إبراهيم في مقدمة الكتاب إلى أنه لم يسبقه أحد لدراسة تلك الترجمة.

وقد تحدث في تلك الدراسة عن بعض الأخطاء الواردة لترجمة العديد من ألفاظ القرآن، وبعض الأخطاء التي تتعلق بعصمة الأنبياء، وإنكار الأستاذ أسد لمعظم المعجزات الحسية للأنبياء، ومقارنة محمد أسد بين القرآن والكتاب المقدس.

١٥ـ كتابات استشراقية عن الإسلام والمسلمين (الإسلام في خمس موسوعات إنجليزية. نصوص ودراسات)/ط. دار المنار للطباعة والنشر ـ ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م . بدون رقم طبعة.

وقد نقل الدكتور إبراهيم عوض في هذا الكتاب بعض المقالات باللغة الإنجليزية الواردة عن الإسلام في خمس موسوعات إنجليزية، هي (الموسوعة البريطانية، موسوعة إنكارتا، موسوعة الويكيبيديا والموسوعة اليهودية، والموسوعة الكاثوليكية) ثم قام بالتعقيب على ما ورد فيها من أفكار خاطئة عن الإسلام، وتناول الدكتور في هذه الدراسة كثيرا من الشبهات العقدية، كإيمان المسلمين بكل ما ورد في العهدين القديم والجديد، والتشريعية، كعدم قبول شهادة المرأة في اللعان وقبول شهادة الرجل، وعدم وجود عقوبات في الإسلام إلا للكافر والمرتد فقط، وغير ذلك.

١٦ـ الرد على ضلالات زكريا بطرس (حقائق الإسلام الدامغة وشبهات خصومه الفارغة)/مكتبة جزيرة الورد ط(١) ــ ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م

وفي هذا الكتاب جمع الدكتور إبراهيم عوض الرد على عدد من الأبحاث المنشورة فى بعض المواقع التنصيرية على سبيل التحدى للمسلمين، من أهمها تلك الشبهات التى أثارها المدعو زكريا بطرس، وبحث ينفى وجود الإعجار العلمى فى القرآن، وبحث يتهم النبى بأخذ القرآن عن أمية بن أبى الصلت،.....إلخ.

١٧. أفكار مارقة (قراءة في كتابات بعض العلمانيين العرب)/مكتبة جزيرة الورد ـ ط(١) ـ ٢٠١١م.

وفي هذا الكتاب جمع الدكتور إبراهيم عوض ثمانية عشر بحثا مصغرا قام بها من قبل، وجعل كل بحث فى فصل مستقل.

وهذه الأبحاث تدور حول عرض آراء بعض العلمانيين العرب فى بعض الأمور المتعلقة بالإسلام مع الرد على هذه الآراء، وبيان المغالطات التى وقع فيها هؤلاء العلمانيين، وسطحية كتاباتهم وخروجها عن الحق، وفقدها فى كثير من الأحيان إلى التماسك والالتزام بالمنطق.

١٨ـ النساء في الإسلام (نسخ التفسير البطرياركي للقرآن– النص الإنجليزي مع دراسة موازية) ٢٠١١م ـ دون ناشر.

وفي هذا الكتاب ترجم فيه الدكتور إبراهيم عوض كتابا بنفس العنوان للكاتبة أسما بارلس، الذى تبنت فيه الكاتبة وجهة نظر جديدة وغريبة فى تفسير القرآن، إذ ترى أن التفاسير القرآنية منذ نشأتها إلى الآن تعكس فكر الرجال، ولاتهتم بالنساء ولا بحقوقهن، مما جعلها تنسب للإسلام بعض الأشياء التى فيها ظلم للمرأة.

ولقد قام ـ فضيلته ـ بمناقشة هذه الآراء مناقشة علمية هادئة أحيانا، وشديدة أحيانا أخرى حسب ما يتطلب الأمر، وأظهر تهافت هذه الآراء وافتقادها إلى الأدلة.

١٩ـ من الطبري إلى سيد قطب (دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه)/ط. دار الفردوس ٢٠١٢م.

وقد قسم الدكتور / إبراهيم عوض هذا الكتاب إلى ثمانية فصول، كل فصل منها يعد دراسة لواحد من أشهر كتب التفسير القرآنى، وهى (جامع البيان فى تفسير القرآن" للطبرى، "الكشاف" للزمخشرى "و"لطائف الإشارات " للقشيرى، و"مجمع البيان للطبرسى "، و"فتح القدير" للشوكانى، و"فى ظلال القرآن" لسيد قطب، و"تفسير القرآن بالإنجليزية" لملك غلام فريد (الأحمدى)، و"مختار تفسير الطبرى" لتوفيق الحكيم.

وقد أنزل ـ فضيلته ـ كل واحد من هؤلاء منزلته، ثم قام بانتقاد ما يراه محلا للنقد معتمدا على ثقافته اللغوية والنقدية والدينية.

وتناول– فضيلته– فى أثناء دراسته للتفاسير القديمة أهم قضايا علم الكلام الإسلامى معتمدا على النصوص القرآنية والنبوية بالإضا فة إلى الاسترشاد بروح الإسلام واتجاهه العام.

٢٠. القرآن والمرأة لأمينة ودود مع ست دراسات عن النسوية الإسلامية. / ط. دار الفردوس ـ ٢٠١٣م.

وهذا الكتاب تعرض فيه الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ لترجمة كتاب القرآن والمرأة لأمينة ودود بالإضافة إلى ست دراسات أخرى عن المراة فى الإسلام، منها ما هو مترجم، ومنها كتب بالفصحى ككتاب (المرأة والدين والأخلاق بين نوال السعداوى وهبة رءوف)، ومن أهم القضايا التى تناولها الدكتور/ إبراهيم فى هذا الكتاب قضية ذكورية اللغة العربية، وهيمنة الرجل على المرأة فى كل شئ، ونظرة الأديان جميعا إلى الإله على أنه ذكر، ومعاقبة المرأة على الزنا وعدم معاقبة الرجل، واحتقار الثقافة العربية للمرأة.

٢١. على هامش كتاب جوزيف هِل (الحضارة العربية)/ مكتبة جزيرة الورد ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

وقد عكف الدكتور إبراهيم عوض في هذا الكتاب على ترجمتين لكتاب الحضارة العربية لجوزيف هِل ترجمة عربية (بقلم دكتور إبراهيم أحمد العدوي) وأخري إنجليزية (بقلم الأستاذ خدابخش)، وتناول بعض القضايا الهامة التي عالجها المؤلف من زواية عربية إسلامية تختلف عن الزاوية الغربية الاستشراقية أو القضايا التي لم يعالجها المؤلف أصلا، وسجل رأيه فيها ونشرها مع نص الترجمة الإنجليزية.

٢٢. مصدر القرآن لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي ـ دون تاريخ أو دار.

وفي هذا البحث قام الدكتور إبراهيم عوض بدراسة قيمة لشخصية النبي محمد ﷺ، ودراسة لمحتوى القرآن وروحه، فتعرض للشبهات التي يفسر من خلالها المستشرقون ومن تبعهم المصدر الذى جاء منه القرآن، كشبهة كذب النبي ﷺ وخداعه، وشبهة إصابته بالصرع، ورتب هذه الشبهات ترتيبا منطقيا وأثبت أنها لا تقوم على أساس تاريخي أوعلمي، كما تعرض للمقارنة بين القرآن والأديان الأخرى وأبرز بعض مميزات القرآن الكريم.

٢٣ـ الحضارة الإسلامية (نصوص من القرآن والحديث ولمحات من التاريخ). بدون دار ولا تاريخ.

وفي هذا الكتاب أبرز الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ دور العقيدة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، واهتمام الإسلام بالعلم والعمل والذوق فى بناء الحضارة، ثم ختم هذا بأهم منجزات الحضارة الإسلامية على أرض الواقع، وأهم أسباب ضعف الحضارة الإسلامية فى العصر الحاضر.

٢٤ـ الكتاب الفضيحة (مقدمة في فقه اللغة العربية) أم في الجهل والحقد والبهلوانية ـ دون تعرض لنقد الأفكار الخاطئة الواردة في كتاب (مقدمة في فقه اللغة العربية) د. لويس عوض، وبين أنه غير مؤهل تماما للكتابة في هذا الموضوع، حيث ذكر لويس عوض أن العرب أمة حديثة عهد بالتاريخ، ولم يكن لهم وجود في تلك المنطقة، وأنهم مجرد قبائل انتقلت من بلاد القوقاز إلى الجزيرة العربية، وأن لغتهم لا شخصية لها، وأن العامية المصرية لغة مستقلة ولا تربطها صلة بالعربية، والاستهانة ببعض أسماء الصحابيات كأسماء وعائشة رضي الله عنهما.

٢٥ـ سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم (دراسة تحليلية أسلوبية) – مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ دون.

وفي هذا الكتاب حلل الدكتور إبراهيم عوض الأسلوب الذي كتبت به كل آية من آيات السورة – التي يدعي بعض الشيعة أنها حذفت من القرآن الكريم – وأتبع كل آية بالملاحظات اللفظية والمعنوية، وأكد على ركاكة أسلوبها وأن أسلوبها لا يمت إلى أسلوب القرآن الكريم بصلة، والتناقضات التي اشتملت عليها، وسخف معانيها.

ومن المؤلفات الخاصة باللغة والأدب

١. الدفاع عن النحو والفصحى (الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد).

٢. معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين.

٣. في الشعر الجاهلي (تحليل وتذوق).

٤. في الشعر الإسلامي والأموي (تحليل وتذوق).

٥. في الشعر العباسي (تحليل وتذوق).

٦. في الشعر العربي الحديث (تحليل وتذوق).

٧. أصول الشعر العربي (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة.

٨ـ نقد القصة في مصر من بدايته حتى ١٩٨٠م.

٩. فصول من النقد القصصي.

١٠. مناهج النقد العربي الحديث.

١١. التذوق الأدبي.

١٢. في الأدب المقارن (مباحث واجتهادات)

١٣. من قضايا الدراسة الأدبية المقارنة.

١٤. محاضرات في الأدب المقارن.

١٥. فنون الأدب في لغة العرب.

١٦. تاريخ الأدب العربي للدكتور خورشيد أحمد فاروق (عرض وتحليل ومناقشة مع النص الإنجليزي).

١٧. الأدب العربي (نظرة عامة لبيير كاكيا (عرض ومناقشة مع النص الإنجليزي).

١٨. دراسات في النثر العربي الحديث.

١٩ـ المتنبي (دراسة جديدة لحياته وشخصيته).

٢٠. عنترة بن شداد (قضايا إنسانية وفنية).

٢١. النابغة الجعدي وشعره.

٢٢. القصاص محمود طاهر لاشين (حياته وفنه).

٢٣.كاتب من جيل العمالقة (محمد لطفي جمعة . قراءة في فكره الإسلامي).

بعض الرسائل العلمية التي أشرف عليها:

١ـ التقوى في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)– محمد مصطفى عبد السلام–(ماجستير)– ٢٠٠٢م.

٢ـ شواهد لسان العرب في مواد الهمزة والباء والتاء نموذجا(دراسة لغوية تحليلية في ضوء الدرس الدلالي

الحديث)– أحمد سليمان سعيد– (دكتوراة)– ٢٠٠٧م.

٣ـ الأمثال القرآنية (دراسة لغوية نصية)– فتحي محمد أبو اليزيد– (دكتوراة)– ٢٠٠٨م.

٤ـ القصة القصيرة عند عبد الرحمن فهمي – أحمد شعبان عبد البصير – (ماجستير)– ٢٠٠٩م.

٥ـ أسلوب الحوار في الحديث النبوي (دراسة بلاغية)– خليل محمد أيوب– (دكتوراة)– ٢٠١٠م.

٦ـ الجهود النقدية لرواية الشعر الجديد (دراسة في إشكالية الفن والنقد)– عبد الكريم أمين محمد– (دكتوراة)– ٢٠١١م.

٧ـ تجربة المنفى في الرواية العربية المعاصرة(دراسة فنية وموضوعية)– تامر سعد محمود الحيت– (دكتوراة)– ٢٠١٢م.

٨ـ شعر يوسف بن هارون الرمادي (دراسة أسلوبية)– رياض حسين خليل– (ماجستير)– ٢٠١٤م.

٩ـ مشكلات ترجمة سعديا الفيومي لسفر الأمثال(دراسة تحليلية نقدية)– عبد السلام محمود سقار– (ماجستير)– ٢٠١٤م.

١٠ـ جماليات النص القصصي (دراسة لقصص الأطفال)– شيرين عبد الحميد أحمد– (دكتوراة)– ٢٠١٥م.

١١ـ بناء الجملة في شعر الشريف العقيلي – يسرى عبد الفتاح حسن –(دكتوراة) – ٢٠١٦م.

١٢ـ الموروث الثقافي في الشعر الجاهلي –علي عبد العزيز علي– (دكتوراة) – ٢٠١٧م.

١٣ـ الأنساق الثقافية في شعر المتنبي– أبو القاسم سعد حسين– (ماجستير)– ٢٠١٨م.

١٤ـ أسماء الشخصيات الرئيسية في الرواية المصرية – عبد المنعم عبدالله عبد المنعم– (ماجستير)– ٢٠١٨م.

الفصل الأول
جهود الدكتور إبراهيم عوض
في الدفاع عن القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بلغة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بترجمة القرآن الكريم.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بمضمون الآيات القرآنية.

توطئة

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، وهو المصدر الأول للتشريع عند المسلمين، والدستور الذي يقود الأمة في جميع مجالات الحياة العامة والخاصة.

وقد ضمن الله تعالى حفظ كتابه وصيانتَه جملة وتفصيلا من عبث العابثين، وتحريف المحرفين، يقول تعالى:"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر: ٩)،، هذا الحفظ الإلهي للقرآن الكريم بقي معجزة خالدة، يشهد على ربانية هذا الكتاب المجيد.

من هنا كان القرآن الكريم "دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض أنهى إليه مُنزله كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة، وهو حجة الرسول ﷺ وآيتُه الكبرى، وملاذ الدين الأعلى، يستند الإسلام عليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه.

لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعا إلى يوم الناس هذا.

وقد اتخذت هذه العناية الإلهية أشكالا مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه، وخامسة إلى الدفاع عنه ضد المستشرقين وأذنابهم"(١).

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ص١٢/ ط. دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

ولما كان للقرآن الكريم هذه المنزلة عند المسلمين عمل أعداء الإسلام في كل زمان ومكان على التشكيك فيه وإثارة الشبهات حول صحته، معتقدين بذلك أنهم يفسدون على المسلمين دينهم، ويصرفونهم عن دستورهم.

ولقد هب نفر من المسلمين يدفعون عن كتاب ربهم تلك الشبهات، ويبصرون الناس بدينهم، ويحذرونهم مما ينسبه الأعداء إليه من التهم الباطلة.

وممن أدلى بدلوه في هذا المجال في السنوات الماضية فضلية الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض. – حفظه الله– ، وهذا ما سيتضح بمشيئة الله فى المباحث التالية .

المبحث الأول

جهود الدكتور إبراهيم عوض في ردّ الشبهات المتعلقة بلغة القرآن الكريم

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: شبهة خطأ القرآن الكريم في نصب المعطوف على المرفوع والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة خطأ القرآن الكريم في جمع علم حيث يجب إفراده والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة خطأ القرآن الكريم في استخدام صيغة المضارع بدل الماضي والرد عليها.

المطلب الرابع: شبهة خطأ القرآن الكريم في تغيير الضمير للشخص الواحد في نفس الجملة والرد عليها.

المطلب الخامس: شبهة عدم وضوح المعنى في قوله تعالى "وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل" والرد عليها.

المطلب السادس: شبهة اختلاط الغموض بالركاكة في قوله تعالى "قل أئنكم لتكفرون... ذلك تقدير العزيز العليم" والرد عليها.

المطلب الأول

شبهة خطأ القرآن الكريم في عطف المنصوب على المرفوع والرد عليها:

إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، يخاطب الفصحاء والبلغاء والشعراء، بل يتحدى أن يعارضه أفصح العرب وأبلغهم، ولو مجتمعين، على أن يأتوا بأقصر سورة منه "قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" (الإسراء: ٨٨)، ومع هذا التحدي الواضح الصريح عجز جهابذة البلاغة والفصاحة عن الإتيان بآية من مثله، كما أنهم عجزوا عن أن يجدوا في نصوصه ما يمكّنهم من الطعن فيه.

وبالرغم من ذلك راح مَنْ هو في اللغة أجهل، وفي البلاغة ألْكن، وفي البيان أعجم، يتعقّب

ويستدرك على القرآن الكريم، يعتقد أنَّه قد وجد جديدا ينشره بين الناس.

ودفاعا عن النصّ الشريف، والوحي العظيم، استطاع الدكتور إبراهيم عوض أن يفند تلك الشبهات ويرد عليها بردود علمية موضوعية، وتنظيما للعرض وترتيبا للبحث، فإن الباحث سيعرض الشبهة بكاملها عرضا لا يخل ببيان المراد منها، ثم يتبعها بالرد، معتمدا على ما اختاره الدكتور إبراهيم عوض.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن عبدالله عبدالفادي(١)يدعي بأن القرآن قد أخطأ عندما نصب كلمة "المقيمين" في قوله تعالى:"لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرا عَظِيما" (النساء: ١٦٢)، وكان يجب أن تُرفع.

يقول عبد الله عبد الفادي: "كان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع: "والمقيمون الصلاة"(٢) ثم إنه كرر نفس الشبهة في قوله تعالى:"وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ" (البقرة:١٧٧)

ومفاد الشبهة أن القرآن أخطأ حين عطف المنصوب (المقيمين، الصابرين) على المرفوع (المؤمنون، الموفون) في الآيتين الكريمتين وكان يجب أن ترفع.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على تلك الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية.

(ب) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين.

---

(١) سعودي متنصر نشأ نشأة دينية، تخرج بكلية الهندسة، وطلب منه والده أن يتم تعليمه في أمريكا، وهناك تأثر بأخلاقيات أعجبته لإحدى العائلات الأمريكية، حيث كان يقيم معهم، ثم تركهم إلى بلدة أخرى وبعد اثنتي عشرة سنة تعرف على شاب أمريكي مسيحي يتمتع بنفس الأخلاق للأسرة التي كان يقيم معها، وتحادثا عن الديانات حتى أقنعه بالمسيحية، من أشهر مؤلفاته هل القرآن معصوم. ويبدو أنه من تأليف مجموعة من المستشرقين لكنه منسوب إليه، كما أن اسم عبد الفادي نصر اني لا وجود له في الإسلام (حلقات مسجلة للشخص نفسه) برنامج المتنصرين . حلقة ٨، ٩يوتيوب . ١٥- ١٠ . ٢٠١٧.

(٢) عصمة القرآن وجهالات المبشرين ـ د/ إبراهيم عوض ـ ص٤٢، ٤٣/ ط. مكتبة زهراء الشرق . ٢٠٠٤م، وأصل الشبهة في كتاب

" هل القرآن معصوم" ـ عبدالله عبدالفادي الترقيم الآلي ص٦٨.. دون.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية:

إن الصنعة اللغوية للدكتور إبراهيم عوض، مكّنته من سهولة الرد على تلك الشبهة بما لا يخرج عن إطار اللغة العربية وقواعدها، ولبيان أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام.

يقول – حفظه الله– "لقد نصب الله المقيمين لتخصيصهم بالذكر على سبيل المدح لبيان أهمية الصلاة في الدين، إذ هي الرباط الذي يصل المؤمن بربه ويجعله دائما على ذكر منه وليس المقصود مجرد المصلين، بل المقيمين الصلاة أي الذين يؤدونها على وجهها وتظهر في قلوبهم وأعمالهم ثمرتها، فهؤلاء هم الجديرون بالمدح، لا الذين يأتون الصلاة وهم كسالى مراءاة للناس أو لمجرد التخلص من عبئها.

والمعنى على ذلك (لكن الراسخون في العلم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك (وخاصة المقيمين الصلاة) أو ما أشبه وهذا من الإيجاز القرآني البليغ(١).

ثم يوضح ـ فضيلته ـ أن مثل هذا ورد في كلام العرب وفي الشعر العربي، فيقول:" وهذا من وظائف الإعراب في الأسلوب العربي الأصيل، إذ بإبدال حركة بحركة أو حرف بحرف يستغني المتكلم عن لفظة أو جملة بأكملها، ومنه قول الخِرْنِق بنت هفَّان(٢):

إلى الملك القرم وابن الهما م وليث الكتيبة في المزدحم

وذا الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللحم(٢)

وترى ما هو قائل إذا ذكرنا له أن كلمة(الكريم) في قولنا مثلا (ذهبت مع محمد الكريم) يجوز فيها إلى جانب الخفض الرفع على تقدير (ذهبت مع محمد الذي هو الكريم) والنصب على تقدير (ذهبت مع محمد أعني الكريم لا غيره)

أو إذا قلنا له إن كلمة (خرب) في العبارة المشهورة (هذا جحر ضب خرب) يجوز رفعها

---

(١) عصمة القرآن وجهالات المبشرين د/ إبراهيم عوض. ص٤١.

(٢) هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة, البكرية العدنانية، من الشاعرات الشهيرات في الجاهلية وهي أخت الشاعر طرفة بن العبد لأمه.

تزوجها بشر بن عمرو بن مرثد من بني أسد وقتله قومه يوم قلاب فجاء أكثر شعرها في رثائه, ورثاء أخيها طرفة.توفيت نحو عام ٥٠ قبل الهجرة حوالي ٥٧٤ ميلادية, وقيل: ٥٧٠ م./ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ــ بشير يموت ـ ص٧٩ ـ المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٥٢ هـ– ١٩٣٤ م، الأعلام ـ الزركلي/ ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤.

نعتا لـ (جحر) وهو الأصل، ويجوز خفضها لمجاورتها كلمة (ضب) المجرورة، صحيح أننا نميل الآن إلى إجراء إعراب واحد في كثير من هذه الحالات، لكن الأسلوب القديم الأصيل يتمتع بمرونة تفتقدها أساليبنا الحديثة التي تراعَي فيها القواعد العامة عادة. أيا ما يكن الأمر فلا ينبغي لقليلي العلم أن يستطيلوا على القرآن الكريم"(١).

وعندما يرجع الباحث إلى كتب اللغة يجد أن معظمها يؤيد الرأي القائل بأنها منصوبة على المدح، ومن أمثلة ذلك ما يذكره سيبويه(٢) فى باب "ما ينتصب على التعظيم والمدح" فيقول: " إن شئت جعلته صفة فجرى على الأول، وإن شئت قطعتَه فابتدأتَه. وذلك قولك: الحمد لله الحميد هو، والحمد لله أهلَ الحمد، والمُلك لله أهلَ المُلك. ولو ابتدأته فرفعتَه كان حسنا، كما قال الأخطل(٣):

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا ... أبْدَى النواجذَ يومٌ باسلٌ ذكرُ

الخائضُ الغمرَ والميمونُ طائرُه ... خليفةُ الله يُستسقى به المطرُ(٢)

وأما الصفة فإن كثيرا من العرب يجعلونه صفة، فيُتبعونه الأولَ، فيقولون: أهلِ الحمد والحميد هو، وكذلك الحمد لله أهلِه: إن شئت جررت، وإن شئت نصبت. وإن شئت ابتدأت كما

---

(١) المرجع السابق. ص٤٢، ٤٣

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مالك بن أُدد، ولد سيبويه بقرية من قرى شيراز، يقال لها: "البيضاء" من عَمَل فارِس، ثم قدم البصرة ليكتب الحديث، فلزم حلقة حماد بن سلمة، فبينا هو يستملي على حماد قول النبي- صلى الله عليه وسلم- : "ليس مِن أصحابي إلَّا مَن لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء". فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء". فقال حماد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما "ليس" هاهنا استثناء. فقال: سأطلب علما لا تلحنني فيه. فلزم الخليل فبرع، ثم أصبح إمام النحويين كان فيما يقال حسنَ الوجه.وتوفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، سنة ثمانين ومئة/ طبقات النحويين واللغويين - محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)/ ١/ ٦٦-٧٠ بتصرف/ دار المعارف/ ط(٢).

(٣) غياث بن غوث بن الصلت بن طارق بن عمرو بن سيحان بن فدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب الأخطل الشاعر النصراني مشهور، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم،وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق،والأخطل،له " ديوان شعر "/ تاريخ دمشق - ابن عساكر/ ٤٨/ ١٠٥/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م، الأعلام - الزركلي/ ٥/ ١٢٣.

قال مُهلهِل(١):

ولقد خبطت بيوتَ يشكُرَ خبطة أخوالنا وهمُ بنو الأعمامِ(١)

وسمعنا بعض العرب يقول: " الحمد لله ربَّ العالمين "، فسألت عنها فقيل: إنها عربية.

ومثل ذلك قول الله عز وجل: "لكِنِ الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلكَ والمقيمينَ الصلاةَ والمؤتون الزكاة". فلو كان كله رفعا كان جيدا. فأما المؤمنون فمحمولٌ على الابتداء.

وقال جل ثناؤه: " وَلَكِنَّ البرَّ مَن آمَنَ بِاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المالَ عَلَى حُبه ذَوِى القُربى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينَ وابنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقامَ الصَّلاَةَ وَآتى الزكاةَ والموفونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عاَهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى البأساءِوَالضّرَّاءِ وَحِينَ البأسِ". ولو رفع الصابرين على أول الكلام كان جيدا. ولو ابتدأتَه فرفعته على الابتداء كان جيدا كما ابتدأتَ في قوله: " والْمُؤْتُونَ الزكاةَ "

ونظير هذا النصب من الشعر قول الخِرنِق:

لا يهلكـــن قـــومي الـــذي همُـــوو ســـمُّ العُـــداة وآفـــةُ الجُـــزْرِ

النــــــازلون بكــــــل مُعتــــــرَكٍ والطَّيِّـــــين معاقـــــدَ الأَزْرِ(١)

فرفعُ الطيبين كرفع المؤتين.

ومثل هذا في هذا الابتداء قول ابن خياط العُكلي(٢):

وكـلُّ قـــومٍ أطـــاعـــوا أمر مرشدهم إلا نُمَيـــــرا أمـــــــرَ غـــاوِيهــــــــاَ

الظّـــاعنينَ ولمّـــا يُظعنـــوا أَحَـــدا والقــــــائلونَ لمــــــنْ دارٌ نُخلّيهـــــا

ومن العرب من يقول: "النازلون بكل معترك والطيبين" فهذا مثل "والصابرين". ومن العرب

---

(١) هو عديّ بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني بجشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية. من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. ولد (٠٠٠- نحو ١٠٠ ق هـ = ٠٠٠- نحو ٥٢٥ م) وقيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه. كان من أصبح الناس وجها، ومن أفصحهم لسانا. عكف في صباه على اللهو والتشبيب بالنساء، فسماه أخوه أليب " زير النساء " أي جليسهن، ولما قتل جساس بن مرة أخاه كليبا ثار المهلهل، فانقطع عن الشراب واللهو، آلى أن يثأر لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب، التي دامت أربعين سنة./ الأعلام/ ٤/ ٢٢٠.

(٢)مالك بن خياط بن مالك بن أقيش العكلي جاهلي. هو الذي عقد حلف الرباب/ . معجم الشعراء ـ للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ) ـ ٣٥٩ ـ مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م

من يقول: الظاعنون والقائلين، فنصبُه كنصب الطيبين إلا أن هذا شتمٌ لهم وذمٌّ كما أن الطيبين مدحٌ لهم وتعظيم. وإن شئت أجريتَ هذا كله على الاسم الأول، وإن شئت ابتدأتَه جميعا فكان مرفوعا على الابتداء. كل هذا جائز في ذين البيتين وما أشبههما، كلٌّ ذلك واسع.(١)

ففي تلك الأبيات عُطف المرفوع "القائلون"، "الطيبون" على المنصوب "الظاعنين" "النازلين".

ومحيي الدين درويش(٢) في معرض بيانه للنكتة البلاغية في النصب على المدح حيث يقول: "والنصب على المدح أو العناية لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة، والنكتة هنا هي ما ذكرنا آنفا من مزية الصلاة، على أن تغيير الإعراب في كلمة بين أمثالها ينبِّه الذهن إلى وجوب التأمل فيها، ويهدي التفكير لاستخراج مزيتها وهو من أركان البلاغة"(٣).

من خلال ما سبق يتبين أن كلمة "المقيمين" منصوبة لتخصيص الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها كاملة الشروط والأركان بالمدح والثناء، وأن هذا جائز في اللغة العربية، وواقع في الشعر العربي، وهو ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض.

(ب) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

إذا ما طالع الباحث أقوال المفسرين فى الآية الكريمة وردهم على المشككين فى صحة إعراب كلمة "المقيمين"، اتضح له المعنى الصحيح والنكتة البلاغية لنصب هذه الكلمة، وسيكتفي الباحث بما ورد في بعض كتب التفسير.

يبين الإمام الزمخشري(٤) أن الملتفتين إلى قول القائلين بأن هذا من خطأ الكتاب لا

---

(١) الكتاب ـ سيبويه ـ ٢/ ٦٢ـ ٦٥/ مكتبة الخانجي، القاهرة،ط(٣)، ١٤٠٨ هـ– ١٩٨٨م.

(٢) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (١٣٢٦– ١٤٠٣هـ)= (١٩٠٨– ١٩٨٢م) ولد في مدينة حمص، عاش في سورية، وفيها توفي، تلقى علومه في مدارس حمص، حيث كانت في ذلك الوقت عبارة عن كتاتيب يتلقى فيها طلاب العلم القرآن الكريم عمل مدرسا للأدب العربي في مدارس حمص التجهيزية بعد أن اختارته وزارة المعارف لهذا العمل في عام ١٩٣٢م، من أهم أعماله: كتاب إعراب القرآن وبيانه. ويكيبيديا الموسوعة الحرة ـ تاريخ الدخول ـ ٨/ ١١/ ٢٠١٧.

(٣) إعراب القرآن وبيانه/ محي الدين درويش ج٢ ص٣٧٧ ـ ط. دار الإرشاد للشئون الجامعية ـ حمص ـ سورية، (دار اليمامة دمشق ـ بيروت)، (دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت) الطبعة الرابعة،١٤١٥هـ.

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأداب (٤٦٧– ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥– ١١٤٤ م) ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها.

يعرفون مذاهب العرب في النصب على الاختصاص من الافتتان فيقول: "والْمُقِيمِينَ" نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وخفي عليه أنَّ السابقين الأوّلين الذين مَثلهم في التوراة ومَثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذَبِّ المطاعن عنه، من أن يتركوا في كتاب اللَّه ثلمة ليسدّها مَنْ بَعْدَهُم وخرقا يرفوه من يلحق بهم.

وقيل: هو عطف على: (بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ) أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء"(١).

أمّا الإمام القرطبي(٢)– فيؤكد على أن أصح الأقوال أنه منصوب على المدح للتعظيم، كما قال سيبويه فيقول: "واختلف في نصبه على أقوال ستة أصحها قول سيبويه بأنه نصب على المدح أي وأعني المقيمين (٣).

ويبين الإمام ابن كثير(٤)– رحمه الله– أنها بالياء في جميع مصاحف الأئمة وأن أصح

من أشهر كتبه (الكشاف في تفسير القرآن)، و (أساس البلاغة) و (المفصل) ومن كتبه (المقامات) وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة/ الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ج٧ ـ ص١٧٨ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة: الخامسة عشر– أيار/ مايو ٢٠٠٢م.

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٤٦٧-٥٣٨هـ)/ ١/ ٣١٣/ ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ.

(٢) محمد القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، القرطبي، المالكي (أبو عبد الله) مفسر. ـ توفي بمنية بني خصيب بمصر في شوال. من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان في ١٥ مجلدا، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى في مجلدين، قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكف والشفاعة، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة."/ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ـ عمر رضا كحالة ـ ج٨ ـ ص٢٣٩، ٢٤٠ الناشر مكتبة المثنى– بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت بدون طبعة.

(٣) تفسير القرطبي ـ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ/ م٣/ ٢٠٠٩، ٢٠١٠ـ دار الريان للتراث ـ بدون.

(٤) الإمام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي: ولد سنة سبعمائة، وبرع في التفسير والتاريخ، من تصانيفه:(تفسير القرآن العظيم،، البداية والنهاية في التاريخ، الفصول في سيرة الرسول، مات في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة/ تذكرة الحفاظ/ محمد بن أحمد بن عثمان

الآراء فيها أنها منصوبة على المدح فيقول: "وقوله: {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ} هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة"(١).

ويختم الباحث هذه الشبهة بما ذكره العلماء من فوائد الالتفات ومنها يلي:

الفائدة الأولى: فنيِّيّةُ التَّنْوِيعِ في العبارة، المثيرِ لانتباه المتلَقِّي، والباعثِ لنشاطه في استقبالِ ما يوجَّه له من كلام، والإِصغاءِ إليه، والتفكير فيه.

الفائدة الثانية: الاقتصادُ والإِيجازُ في التعبير.

الفائدة الثالثة: الإِعراض عن المخاطبين، لأنهم عن البيانات معرضون أو مُدْبرون وغير مكترثين.

الفائدة الرابعة: إفادة معنى تتضمَّنُه العبارة الّتي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفادُ إذا جرَى القول وفق مقتضى الظاهر.

الفائدة الخامسة: ما يُسْتفاد من معنى بالالتفات إنّما يستفاد إلماحا بطريقٍ غير مباشر، ومعلُومٌ أنّ الطُّرُقَ غير المباشرة تكون أكثر تأثيرا من الطرق المباشرة حينما تقتضي أحوال المتلقّين ذلك.

الفائدة السادسة: إشعارُ مختلِف زُمر المقصودين بالكلام بأنّهم محلُّ اهتمام المتكلّم، ولو لم يكونوا من الزُّمْرَة المتحدّث عنها أوّلا، ويظهر هذا في النصوص الدينيّة الموجَّهة لجميع الناس، وفي خُطَب الملوك والرؤساء والوّعاظ وأشباههم." (٢).

ـ مما سبق يتبين أن معظم المفسرين يؤيدون القول بأن "المقيمين" منصوبة على المدح ويؤكدون أن من يخطئ هذا لم يعرف مذاهب العرب ولم يقف على أساليبهم البلاغية، وأنه لوكان هناك أي خطأ لما سكت عليه السابقون لا سيما وأنهم أكثر همة وأغير على كتاب الله من اللاحقين، بل يضيفون كذلك بعض الأوجه البلاغية التي يحمل عليها هذا الالتفات من الرفع إلى النصب كإثارة انتباه السامع

الذهبي/ ١/ ٣٨/ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت/ ط(١) ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م/ ،معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة/ ٢/ ٢٨٣/ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(١) تفسير القرآن العظيم ـ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي/ ١/ ٧٧٠/ ط. دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ ط(١).

(٢) البلاغة العربية ـ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ـ ١/ ٤٨٣/ دار القلم، دمشق،ط(١)، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م

(٢) هل القرآن معصوم الترقيم الآلي/ ص ٦٩.

الخلاصة

بالتأمل فيما سبق يتبين أن معظم المفسرين يتفقون مع الرأي القائل بأن كلمة "المقيمين" نصبت لتخصيص أهل الصلاة بالمدح، والتقدير أخص أو أمدح المقيمين، وذلك لبيان مكانة الصلاة في الدين، وهذا ما أكده الدكتور إبراهيم عوض في رده على هذه الشبهة، كما أكده أكثر المفسرين واللغويين، وقد تأثر –فضيلته بالسابقين في الاعتماد على بعض الشواهد الشعرية التي استدلوا بها على جواز الالتفات وأهميته في اللغة العربية، وتميز في رده –حفظه الله– عن غير بتنوعِ استشهاداته، فجمع بين الشعر وغيره مما يسهل على القارئ فهم المراد.

وبهذا يتبين وهن هذه الشبهة وتهافتها، كما يتبين مدى جهل قائلها باللغة العربية وقواعدها.

ويتبين ـ أيضا ـ أن مثل هذه الشبهات تتنافى مع الحفظ الإلهي للقرآن الكريم، كما تتعارض مع ما كان عليه الصحابة الكرام من تثبت في حفظ القرآن في الصدور وتدوينه في السطور.

المطلب الثاني:

شبهة خطأ القرآن في جمع علم حيث يجب إفراده والرد عليها:

من الشبهات التي أُثيرت حول اشتمال القرآن الكريم على أخطاء لغوية، تلك الشبهة التي تحمل في أسلوب عرضها الجهل بقواعد اللغة وأسرار البيان.

أولا: عرض الشبهة:

يؤكد عبد الله عبد الفادي في كتابه "هل القرآن معصوم" على عـــدم عصمة القرآن من الأخطاء اللغوية، فيذكر من ذلك، تغيير اسم إلياس ﷺ لإلياسين فى قوله تعالى: "سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِين"(الصافات: ١٣٠) حبا في السجع حيث يقول: " من الخطأ لغويا تغيير اسم العَلَم حبا في السجع المتكلف"(١).

مما سبق يتبين أن الشبهة تتلخص فيما يلي:

١. أن الآية السابقة جمعت اسم العلم والأعلام لا تجمع.

٢. أن الغرض من جمع هذا العلم تحصيل السجع وفيه تكلف وهو معيب.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على تلك الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية.

(ب) الرد على الشبهة من خلال أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس.

وفيما يلى بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية:

في الرد على تلك الشبهة يبين الدكتور إبراهيم – حفظه الله– أن الأعلام حين تنتقل من لغة إلى لغة يدخلها بعض التغييرات في حروفها وضبطها، ثم ضرب بعض الأمثلة على ذلك فقال: "والواقع أن الأمر أبسط من هذا كله، إذ المعروف أن الأعلام حين تنتقل من لغة إلى لغة أخرى تعروها عادة تحويرات في حروفها وضبطها ونبرها كما في" يوحنا" مثلا الذي حوره اللسان العربي فصار يحي.

وقد يغدو للعَلَم أكثر من نطق في اللغة التي انتقل إليها كما هو الحال عندنا بالنسبة ل(أرسطو)(١)، و"أرسطوطاليس"، و"أرسطاليس"، و"أهلوارد"، و"الوارد"، و"ألفرت"(٢)، وهو اسم مستشرق ألماني معروف، و"جبريل" و"جبرائيل" و"جبرئيل"، و"جبرين"، و"عبرائيل".

والشيء ذاته يقال في اسم النبي الكريم الذي نحن بصدده، إذ يقول العرب "إلياس" و"إيليس"، و"إلياسين"(٣).

وبعد أن بين –فضيلته– أن انتقال الأعلام من لغة إلى لغة يطرأ عليها التحوير والتغيير يوضح أن القرآن اختار في هذا المقام ما يناسب السياق، وضرب مثلا على التحويرات التي ورد بها اسم حمي موسى عليه السلام في الترجمات العربية للكتاب المقدس فيقول: "وقد اختار القرآن الكريم في

---

(١) أرسطو بن ينقوماخوش، وهو أرسطاطاليس الحكيم– وقيل فيه أرسطوطاليس– بن الحكيم الفيثاغوري، وكان تلميذ أفلاطون الحكيم، وبه ختمت حكمة اليونانيين، وكان قد صحب الإسكندر، وقدم حلب فلما رأى صحة هوائها وتربتها استأذن الإسكندر في الإقامة بها لمداواة مرض كان به، فأذن له في ذلك، فأقام بها الى أن زال ذلك المرض./ بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم، ٣/ ١٣٤٢/ دار الفكر، دون.

(٢) فلهلم آلفرت: Wihelm Ahlwardt(١٢٤٣– ١٣٢٧ هـ = ١٨٢٨– ١٩٠٩ م) مستشرق ألماني. كان يسمي نفسه بالعربية "وليم بن الورد البروسي" مولده ووفاته في جريفسفالت Greifswald بألمانيا. قام برحلات متعددة، وقضى حياته في درس "الشرقيّات" ولا سيما العربية. أعظم آثاره " فهرس مخطوطات المكتبة الملكية في برلين"، "العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين" و"ديوان أبي نواس"/ الأعلام/ الزركلي/ ٥/ ١٥٦.

(٣) عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين– د/ إبراهيم عوض/ ٤٨،٤٩ بتصرف، مرجع سابق

هذا الموضع ما يناسب السياق محافظة منه على الإيقاع الموسيقي أما في غير ذلك فقد استخدم الصيغة الأشيع "إلياس" وليس في الأمر جمع ولا تكلف سجع ولا غيره.

ومثل "إلياس" في ذلك اسم حمي موسى الذي ورد في بعض الترجمات العربية للكتاب المقدس "يثرو"، وفي بعضها الآخر "يثرون"، فهل نقول مثلما قال عبدالله عبد الفادى إن يثرون جمع مذكر سالم لـ"يثرو"؟ إننا أعقل من ذلك"[١].

(ب) الرد على الشبهة من خلال أقوال بعض علماء القراءات والمفسرين في الآية الكريمة:

بالإضافة إلى ما سبق بيانه من ردود الدكتور إبراهيم على تلك الشبهة المتهافتة، ولأن الكلمة قرآنية محكمة، فإنه من الممكن للباحث يعرض ما ورد في بعض كتب القراءات للوقوف على مدى صحة ما أثاره مثير الشبهة وما رد به الدكتور إبراهيم عوض- حفظه الله- ، والمقارنة بين ما ذكره السابقون وما ذكره فضيلته فيقول وبالله التوفيق.

إن ابن الجزري[٢] يؤكد على صحة قراءة الآية الكريمة، وأنها لم تخالف ما عليه العرب فيقول":

" إلياس: اسم سرياني تكلمت به العرب على وجوه كما فعلوه في جبرائيل وميكائيل، ووصل همزته هشام بخلاف عنه، وابن ذكوان بغير خلاف، وقطعها الباقون. قوله: (الله ربكم ورب آبائكم) بنصب الأسماء الثلاثة مدلول صحب [٣] ويعقوب جعلوا ذلك بدلا من «أحسن الخالقين» أو عطف بيان، والباقون برفعها جعلوا مبتدأ وخبره قوله: (غير صحب) أي قرأ بالرفع غير المذكورين، والله أعلم.

وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب «سلام على آل ياسين» كما رسمت مكان قراءة غيرهم إلياسين "[٤]

وأيده غيره كذلك الإمام النويري[١] فقال:

---

(١) المرجع السابق/ ٥٠.

(٢)(٧٥١- ٨٣٣ هـ = ١٣٥٠- ١٤٢٩ م)محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقيّ ثم الشيرازي الشافعيّ، الشهير بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن) ورحل إلى مصر مرارا، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولي قضاءها. ومات فيها. من كتبه (النشر في القرآت العشر- ط) جزان، و (غاية النهاية في طبقات القراء- ط) مجلدان، اختصره من كتاب آخر له اسمه (نهاية الدرايات في أسماء رجال القرآت)(طيبة النشر في القرآت العشر- ط)./ الأعلام/ الزركلي/ ٧/ ٤٥.

(٣) (مدلول صحب) اختصار لحمزة والكسائي وخلف وحفص/ شرح طيبة النشر في القراءات شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)/ ٢١/ دار الكتب العلمية – بيروت/ الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.

(٤) شرح طيبة النشر في القراءات /ابن الجزري/ ٣٠٣/

"وآل ياسين بإلياسين (ك) م... (أ) تى (ظ) ما وصل اصطفى (ج) د خلف (ث) م" قرأ يعقوب على آل ياسين [الصافات: ١٣٠] بفتح الهمزة وكسر اللام وألف بينهما، والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام بلا ألف.

فوجه الثانى: جعله اسم النبى المذكور، وهى لغة كطور سينآء [المؤمنون: ٢٠] وسينين [التين: ٢]، وإدريس [مريم: ٥٦] وفروعه، وعليه فهى كلمة واحدة، لا وقف إلا على النون، وكتبت مفصولة ؛ بناء على أنها أداة التعريف، وكسرت على الأصل المرفوض، وهذا واضح على وجه وصل الهمزة فيها، فالسلام على النبى نفسه.

ووجه الأولى: جعل آل كلمة بمعنى: أهل، مضاف إلى نبيهم، ف آل ياسين كآل محمد صلّى الله عليه وسلّم فهما كلمتان؛ ولذلك رسمت منفصلة.

ويجوز الوقف على آل، ويتم على آل ياسين، فالسلام على آل ياسين ذريته وأتباعه ؛ إكراما له كقوله عليه السلام: «اللهمّ صلّ على [آل] أبى أوفى» أو ياسين أبو إلياسين، فالسلام عليه؛ لأنه من ذريته" (٢)

ويؤكد الإمام ابن كثير على أن إلياسين لغة في إلياس فيقول:
" {سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} كما يقال في إسماعيل: إسماعين، وهي لغة بني أسد، وأنشد بعض بني نمير في ضَبٍّ صَادَه، يَقُولُ رَبّ السوق لما جينا... هذا وربِّ البيت إسْرَائينا، ويقال: ميكال، وميكائيل، وميكائين، وإبراهيم وإبراهام، وإسرائيل وإسرائين، وطور سيناء، وطور سينين. وهو موضع واحد، وكل هذا سائغ"(٣).

---

(١)هو محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النويري: فقيه مالكي عالم بالقرآت. ولد في الميمون (من قرى الصعيد بمصر) تعلم بالقاهرة، وأقام بغزة والقدس ودمشق وغيرها وتوفي بمكة. وكان يتكسب بالتجارة، مستغنيا عن وظائف الفقهاء.عرض عليه القضاء فامتنع، له تصانيف، منها (شرح المقدمات الكافية في النحو والصرف والعروض والقافية) و(شرح طيبة النشر في القرآت العشر) وهي لشيخه ابن الجزري، و (القول الجاذّ لمن قرأ بالشاذ)/ الأعلام/ الزركلي/ ٧/ ٤٧ .

(٢) شرح طيبة النشر في القراءات العشر ـ محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (المتوفى: ٨٥٧هـ) ٢/ ٥٣٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم. ٤/ ٢٥/ مرجع سابق.

ويلخص الإمام الآلوسي(١) الآراء المذكورة في "إلياسين"، ويزيد أن وجوب التعريف بالألف واللام عند التثنية أو الجمع غير متفق علية بين علماء اللغة فيقول:

" وضَعُف ما ذكره النحاة من أن العَلَمَ إذا جُمع أو ثُنِّي وجب تعريفه باللام جبرا لما فاته من العلمية، ولا فرق فيه بين ما فيه تغليب وبين غيره، لكن هذا غير متفق عليه، حيث يجوز استعماله نكرة بعد التثنية والجمع نحو زيدان كريمان وزيدون كريمون، ثم إن هذا البحث إنما يتأتى مع من لم يجعل لام إلياس للتعريف، أما من جعلها له فلا يتأتى البحث معه، وقيل: هو جمع إلياسي بياء النسبة فخفف لاجتماع الياءات في الجر والنصب كما قيل أعجمين في أعجميين وأشعرين في أشعريين، والمراد بإلياسين قوم إلياس المخلصون فإنهم الأحقاء بأن ينسبوا إليه.

وقيل: ياسين فيها اسم لمحمد ﷺ فآل ياسين آلُهُ.

فعن ابن عباس ﷺ أنه قال في «سلام على آل ياسين» نحن آل محمد آل ياسين، وهو ظاهر في جعل ياسين اسما له ﷺ، وقيل: هو اسم للسورة المعروفة، وقيل: اسم للقرآن فآل ياسين هذه الأمة المحمدية أو خواصها.

وقيل: اسم لغير القرآن من الكتب، ولا يخفى عليك أن السياق والسباق يأبيان أكثر هذه الأقوال، وقرأ أبو رجاء والحسن «على الياسين» بوصل الهمزة وتخريجها يعلم مما مر، وقرأ ابن مسعود ومن قرأ معه فيما سبق إدريس «سلام على إدراسين»، وعن قتادة «وإن إدريس» وقرأ «على إدريسين»، وقرأ أبي «على إيليس» كما قرأ «وإنّ إيليس لمن المرسلين»"(٢).

ـ من خلال ما سبق يتبين أن "إلياسين" لغة في "إلياس" كما أكد علماء القراءات والتفسير.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس:

وإن لم يقتنع الخصم بهذا الذي مر بيانه من قواعد العربية، فليلجأ إذن الدكتور إبراهيم ليرد على شبهته من نصوص الكتاب المقدس، حيث يوضح أن التناقض الحقيقي هو ما يوجد في اسم حمي موسى عليه السلام وغيره من أسماء الأعلام في الكتاب المقدس، فقد ورد بأسماء مختلفة لا علاقة بينها.

---

(١) الآلوسي الكبير (١٢١٧- ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢- ١٨٥٤ م) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم، ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد، من كتبه (روح المعاني في التفسير، ونشوة المدام في العود إلى دار السلام، وأبحاثا ومناظرات، ودقائق التفسير). الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) /. ٧/ ١٧٦.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الآلوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ/ م١٢/ ج٢٣/. ١٤٢، ١٤١، بتصرف/ ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت. دون.

يقول –حفظه الله– "لكن الأدهى من ذلك أن يتكرر في الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى ذكر الشخص الواحد بعدة أسماء مختلفة كتسمية حمي موسى هذا: "رعوئيل" مرة، و"يثرون" مرة أخرى، و"حوباب بن رعوئيل" مرة ثالثة.

وفي سفر" أخبار الأيام الأول" أسماء أعلام تخالف لفظ الأسماء المذكورة في غيره من أسفار الكتاب المقدس.

وقد حاول شُرَّاح ذلك الكتاب بطريقتهم البهلوانية تفسير هذه الظاهرة المضحكة بأن اللفظ قد تغير على مر السنين، أو أنه كان للشخص الواحد عدة أسماء، أو أن الأمر مجرد ألفاظ مترادفة، فهذه هي المصيبة حقا، أما الوقوف عند "إلياس وإلياسين" فهو تنطع فارغ"(١).

وفي نفس السياق ذكر –فضيلته– أن هذا التناقض لا يقتصر على العهد القديم، بل يشمل العهد الجديد أيضا حتى في أشهر أعلامه نبى الله عيسى ﷺ، فيقول: "وفي نهاية المطاف ألفت نظره إلى التناقض الرهيب في اسم نبي الله عيسى ﷺ بين سفر "نبوءة أشعيا وبين إنجيلي "متى" و"لوقا".

إذ جاء في "أشعيا أن العذراء ستلد ابنا وتدعو اسمه "عمانوئيل"، "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ"(٢)، بينما في متّى أنها ستلد ابنا وتدعو اسمه "يسوع" "فَسَتَلِدُ ابْنا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ"(٣)، وهو نفسه ما جاء على لسان جبريل ﷺ حسب رواية "لوقا" "وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ"(٤).

وبطبيعة الحال لم يسم المسيح ﷺ يوما "عمانوئيل"(٥).

وبالتأمل في رد الدكتور إبراهيم نجد أنه دخل في الرد مباشرة دون أية مقدمات، وأكد على ما ذهب إليه ببعض الأمثلة المترجمة من لغات أخرى لأعلام مشهورة، ثم اتخذ أسلوب مهاجمة الخصم ببيان التناقض الموجود في ترجمة بعض الأعلام في الكتاب المقدس الذي يؤمن به الخصم.

---

(١)عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين– د/ إبراهيم عوض/ ٥١، ٥٠ بتصرف الحواشي الملحقة بآخر"العهد العتيق" في ترجمة الكتاب المقدس الكاثوليكية (دار المشرق/ بيروت/ ١٩٨ أ ٦ ص١٢/ نهر٢) التعليق على الفقرة الثالثة من الفصل الأول من "سفر أخبار الأيام الأول".

(٢) سفر إشعياء/ الإصحاح ٧/ فقرة ١٤، الإصحاح٩/ فقرة ٧.٦.

(٣) إنجيل متى/ الإصحاح ١/ فقرة ٢١.

(٤) إنجيل لوقا/ الإصحاح ١/ فقرة ٣١.

(٥) عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين/ ٥١.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين ما يلي:

ـ أن الدكتور إبراهيم بين أن الأعلام حين تنقل من لغة إلى لغة يدخلها بعض التغييرات، وأن القرآن اختار في "إلياسين" ما يناسب السياق.

ـ وافق الدكتور إبراهيم معظم المفسرين في أن "إلياسين" لغة في "إلياس" كإسماعين في إسماعيل،وسينين في سيناء.

ـ جواز أن تكون كلمة" إلياسين" جمعا لإلياس للدلالة عليه وعلى قومه كالمهلبين وذلك لعدم الاتفاق بين علماء اللغة على وجوب التعريف بالألف واللام عند الجمع كما ذكر الإمام الآلوسي.

ـ أضاف الدكتور إبراهيم عوض على ما ذكره السابقون الاستشهاد بما ورد في الكتاب المقدس من تغيير أسماء الأعلام عند الترجمة.

وكان من الممكن أن يضيف– فضيلته– الاستشهاد بعلماء القراءات والتفسير في الرد على تلك الشبهة

و بهذا يسقط القول بأن كلمة "إلياسين" هذه جمع لأجل السجع المتكلف فقط كما يدعي مثير الشبهة.

المطلب الثالث:

شبهة خطأ القرآن في وضع الفعل المضارع بدل الماضي والرد عليها:

ومن الشبهات التي أثارها المغرضون أيضا حول لغة القرآن الكريم، أنهم اتخذوا من تنوع صيغ الخطاب القرآني في السياق الواحد ضربا من الخطأ، إذ لا يستشعرون أن القرآن يخاطب العالمين من الجن والإنس على مر السنين، فيأتي السياق بما يتناسب مع كل فئة في كل زمان ومكان، كما أن اشتمال اللغة على أساليب ذات معان متعددة يجعل من اختيار الأنسب في موضع من المواضع ما يحسبه الجاهل عدولا عن الأفضل، ومن نماذج تلك الشبهات الشبهة التالية:

أولا: عرض الشبهة:

يرى مثير الشبهة أن القرآن قد أخطأ في قول الحق ﷻ: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران: ٥٩)، لأنه استخدم صيغة المضارع بدلا من الماضي، فيقول: "كان يجب أن يعتبر المقام الذي يقتضي صيغة الماضي لا المضارع فيقول: قال له" كن فكان"(١)

ـ مما سبق يتبين أن مثير الشبهة يدعي أن الفعل الذي عبر عنه بصيغة المضارع(فيكون) الصحيح أن يعبر عنه بصيغة الماضي (فكان).

---

(١) هل القرآن معصوم ـ عبدالله عبدالفادي الترقيم الآلي/ ص ٧١، مرجع سابق.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على تلك الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان الأساليب الأدبية والبلاغية في الآية الكريمة.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض بعض أقوال المفسرين.

وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان الأساليب الأدبية والبلاغية في الآية الكريمة:

يؤكد الدكتور إبراهيم عوض على جهل مثير الشبهة، وعجزه عن القدرة على تذوق الأساليب الأدبية فيقول: " وواضح أنه لجهله وحرمانه من المقدرة على تذوق الأساليب الأدبية الرائعة، وما تتميز به من مفاجأة القارئ أو السامع في كثير من الأحيان بما يهزه ويوقظه ويخرجه من النزعة الآلية التي تستولي علينا من كثرة ما نرى من الأمور التي تجري على وتيرتها المعهودة، يظن أنه لا توجد إلا طريقة واحدة في التعبير عن كل معنى وهذه طفولية لغوية وأدبية"(١).

وبعد أن بين قلة معرفة الخصم بأساليب اللغة العربية بصفة عامة، بدأ – حفظه الله– في توضيح بعض النِكَات البلاغية التي تحتملها تلك الآية من أن التعبير بالمضارع هنا مبدأ عام لا يتقيد بزمن فيقول: "وإلا فكيف فاته أن عبارة "كن فيكون" وإن استعملت هنا في الكلام عن خلق آدم في الماضي، فإنها تمثل مبدأ عاما لا يتقيد بزمن، فأبقيت من ثم على حالها التي وردت بها في المواضع الأخرى من القرآن الكريم، وكلها تقريبا مما لا يتقيد بزمن دون زمن وهذه المواضع هي: قوله تعالى:" بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (البقرة: ١١٧) "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران:٤٧)، إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (النحل:٤٠)، "مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (مريم:٣٥)،"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"(يس:٨٢)، "هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (غافر:٦٨)، فهذه نكتة بلاغية رهيفة لا يقدر على التقاطها بلداء الذهن والذوق"(٢).

هذا، ومن النكات البلاغية أيضا "أن الحديث في الآية وإن كان عن آدم عليه السلام أبي البشر فإنه يصدق كذلك على أبناء آدم في المستقبل، فاستخدم القرآن الكريم لهذا السبب صيغة

---

(١) عصمة القرآن وجهالات المبشرين/ ص ٥٦.

(٢) المرجع السابق/ ٥٦.

المضارعة التي تدل على الاستمرار والديمومة"(١).

ثم يبين الدكتور إبراهيم أن مثل تلك الأساليب لم ينفرد القرآن الكريم باستخدامها، وإنما وُجد في الشعر العربي والكتاب المقدس الذي يؤمن به مثير الشبهة، ما يشابه تلك الأساليب في القرآن الكريم، فيقول: "ومن أمثلة عطف المضارع على الماضي في الشعر الجاهلي، قول (تأبط شرا) (٢) يصف عراكه مع الغول:

بأني قد لقيت الغول تسعى ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران(٣)(٤)

وبالتأمل فيما سبق، يتبين أن مثير الشبهة جاهل بأساليب اللغة العربية، ونكاتها البلاغية، وأن الالتفات في الكلام من التكلم إلى الغيبة أو الخطاب أو غير ذلك، معروف في اللغة العربية، وواقع في الشعر العربي.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس:

وفي إطار الرد على هذه الشبهة أيضا يعرض الدكتور إبراهيم عوض شاهدا متشابها من الكتاب المقدس.

فقد جاء في سفر "نبوءة أشعيا" عن رب العزة فَقَالَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِهذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعا وَلاَ تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارا وَلاَ تَعْرِفُوا. غَلِّظْ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ أُذُنَيْهِ وَاطْمُسْ عَيْنَيْهِ لِئَلاَّ يُبْصِرَ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَيَفْهَمَ بِقَلْبِهِ، وَيَرْجعَ فَيُشْفَى"(٣).

ويرى شرّاح الكتاب المقدس أن في الكلام هنا مجازا حيث تكرر استخدام صيغة الأمر في الكلام، على حين أن المقصود هو المضارع الدال على المستقبل، بمعنى أن بني إسرائيل سيسمعون ولكن لن يفهموا، وسينظرون ولكن لن يروا.

وقد حول أشعيا الزمن في هذه الأفعال إلى الماضي وجعل الفاعل هو الله تعالى: "لأن أشعيا قال أيضا: أعمى (الله)عيونهم وقسى قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ولا يفهموا بقلوبهم".

وعلى أية حال فإنه يتبين مما سبق، وقوع التغيير في استخدام صيغة الأمر بدل المضارع في الكتاب المقدس، فلا غرابة أن يكون في القرآن من الأساليب المستعملة عند أهل اللغة، بالإضافة إلى وجود ما يشابهها في الكتاب المقدس.

---

(١) المرجع السابق/ ٥٦،٥٧.

(٢) ثابت بن جابر بن سفيان، (٠٠٠- نحو ٨٠ ق هـ = ٠٠٠- نحو ٥٤٠ م)، أبو زهير، الفهميّ، من مضر: شاعر عدّاء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، مطلعها: (يا عيد مالك من شوق وإيراق) قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له (رخمان) فوجدت جثته فيه بعد مقتله./ الأعلام/ الزركلي/ ٢/ ٩٧.

(٣) سفر أشعيا الإصحاح ٦/ فقرة ٩-١٠.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

ومما يزيد يقين الموقن، أن يطّلع على أقوال المفسرين في مثل تلك الإشكالات الموهمة، إذ هم أهلٌ لتوضيح المشكل، ودفع المتوهم، وشيخ المفسرين الإمام الطبري(١) يرى أنه تعالى عبر بصيغة المضارع لأنه بمعنى الإعلام للنبي ﷺ أن تكوين الأشياء يكون بقوله "كن" فيكون تنفيذا لأمر الله وأن الحديث عن آدم عليه السلام انتهى عند قوله "كن".

يقول –رحمه الله– :

" وأما قوله: "ثم قال له كن فيكون"، فإنما قال: "فيكون" وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم عليه السلام، وذلك خبر عن أمر قد تقضَّى، وقد أخرجَ الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضَى فقال جل ثناؤه: "خلقه من تراب ثم قال له كن"، لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيَّه ﷺ أن تكوينه الأشياء بقوله: "كن"، ثم قال: "فيكون"، خبرا لمبتدأ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عليه السلام عند قوله: "كنْ".

فتأويل الكلام إذا: "إن مثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن"، واعلم، يا محمد ﷺ، أن ما قال له ربك "كن"، فهو كائن.

فلما كان في قوله: "كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن"، دلالةٌ على أن الكلام يرادُ به إعلام نبي الله وسائر خلقه أنه كائن ما كوّنه ابتداء من غير أصل ولا أوّل ولا عُنصر، استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: "فيكون"، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى.

وقد قال بعض أهل العربية: "فيكون"، رفع على الابتداء، ومعناه: كن فكان، فكأنه قال: فإذا هو كائن(٢).

وذكر القرطبي في تفسيره أنه من الجائز في اللغة التعبير بالمضارع عن الماضي إذا عرف المعنى فقال: "ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أي فكان والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى"(٣).

---

(١) الحبر البحر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة،كان مجتهدا لا يقلد أحدا قال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، ومولده بآمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفي ليومين بقيا من شوال سنة عشرة وثلاث مائة .كان ذا زهد وقناعه وتوفي ببغداد./ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ لعبد الحي =بن أحمد العكري الدمشقي(١٠٣٢ـ ١٠٨٩) ./ ٢/ ٢٥٧/ دار الكتب العلمية . بدون، كتاب الوفيات ـ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (٧٤٠هـ/ ٨٠٩هـ)ـ/ ١/ ٢٠٣/ دار الإقامة الجديدة ـ بيروت، ١٩٧٨م.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة(٣١٠هـ)/ م٢/ ٢٩٦، ٢٩٧/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ ط(٣) ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(٣) تفسير القرطبي/ ج٣/ ص ١٣٤. مرجع سابق

ويؤكد الإمام الآلوسي(١) أنه تعالى عبر بالمضارع واستخدم ثم التي تدل على التراخي لبيان امتداد الزمان من بداية إنشائه إلى تصييره بشرا فقال: ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أي صر بشرا فصار، فالتراخي على هذا زماني، إذ بَيْنَ إنشائه مما ذكر وإيجاد الروح فيه وتصييره لحما ودما زمان طويل، فقد رُوي أنه بعد أن خلق قالبه بقي ملقى على باب الجنة أربعين سنة لم تنفخ فيه الروح، والتعبير بالمضارع مع أن المقام مقام المضي لتصوير ذلك الأمر الكامل بصورة المشاهد الذي يقع الآن إيذانا بأنه من الأمور المستغربة العجيبة الشأن، وجوز أن يكون التعبير بذلك لما أن الكون مستقبل بالنظر إلى ما قبله(٢).

وأضاف صاحب زهرة التفاسير(٣) أن التعبير بالمضارع فيه إحضار للصورة الواقعة كما وقعت فقال: "وقال تعالى بالنسبة لخلق آدم ﷺ: (كُن فَيَكُونُ) ولم يقل كن فكان، وهو المناسب للماضي، وذلك لأن التعبير بالمضارع دائما فيه تصوير وإحضار للصورة الواقعة كما وقعت، ومن جهة أخرى فصيغة المضارع في هذا المقام تنبئ عما كان، وتومئ إلى ما يكون بالنسبة لخلق الله تعالى المستمر في المستقبل كما كان في الماضي"(٤).

---

(١) الآلوسي الكبير (١٢١٧- ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢- ١٨٥٤ م) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الافتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم، ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد، من كتبه (روح المعاني في التفسير، ونشوة المدام في العود إلى دار السلام، وأبحاثا ومناظرات، و (دقائق التفسير). الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)/ ٧/ ١٧٦/ ط./ دار العلم للملايين ـ ط١٥، مايو ٢٠٠٢.

(٢) روح المعاني ـ للعلامة الآلوسي ـ/ م٢/ ج٣/ ١٨٦، ١٨٧.

(٣) هو الإمام محمد أبو زهرة، ونسبه محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، ولد في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في (٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـ=٢٩ من مارس ١٨٩٨م)، وانتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٣٣٥هـ=١٩١٦م،ثم تخرج بها سنة ١٣٤٣هـ=١٩٢٤م، واختارته كلية الحقوق المصرية لتدريس مادة الخطابة بها، ثم اختير سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م للتدريس في كلية أصول الدين مادة الشريعة الإسلامية، وقد تدرج أبو زهرة في كلية الحقوق حتى ترأس قسم الشريعة، وشغل منصب الوكالة فيها، وأحيل إلى التقاعد سنة ١٣٧٨هـ=١٩٥٨، ثم اختير الشيخ أبو زهرة عضوا في مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٨٢هـ=١٩٦٢م، من مؤلفاته (تاريخ المذاهب الإسلامية.- محاضرات في النصرانية.- زهرة التفاسير، وقد نشر بعد وفاته.- مقارنات الأديان)، وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال وبكل ما يحمد عليه توفي الشيخ سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م "/ من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة/ المستشار عبد الله العقيل/ .١/ ٧٧١/ ط. دار البشير ـ ط٧ (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

(٤) زهرة التفاسير ـ للإمام الجليل محمد أبو زهرة/ ٣/ ١٢٥٠/ ط دار الفكر العربي. مصر ـ دون.

ومثل الآية السابقة قوله تعالى: "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابا فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ" (فاطر: ٩)

يقول الإمام الزمخشري:

" وقرئ: أرسل الريح. فإن قلت: لم جاء فَتُثِيرُ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أوتهمّ المخاطب، أو غير ذلك" (١).

وبعد عرض أقوال المفسرين في الآية تكتمل الصورة وتزداد وضوحا، حيث إنهم ذكروا العديد من المعاني الرائعة التي يمكن أن تفسر بها الآية الكريمة، والتي تؤكد أن كلام الله ﷻ وصل إلى أعلى درجات البلاغة التي لا يمكن أن يصل إليها البشر.

ومن ذلك

ـ أن دلالة الماضي الأصل فيها الانقطاع عن الوجود المستمر؛ ولذا يعبر به للدلالة على حدث وقع، بخلاف (فيكون) فإنه يدل على استمرار وجوده كما ذكر الإمام الطبري.

ـ التعبير بكن فيكون يؤذن بتقدير مسند إليه، أي فهو يكون، ففيه تكرار إسناد الكينونة لآدم عليه السلام، وتكرار الإسناد من أقوى أساليب التوكيد.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين ما يلى:

بين الدكتور إبراهيم عوض – حفظه الله– عدم قدرة مثير الشبهة على تذوق الأساليب الأدبية الرائعة في الآية الكريمة.

أوضح الدكتور إبراهيم عوض – حفظه الله– أن التعبير عن الماضي بالمضارع متوفر في اللغة العربية والشعر العربي، وأنه يدل على الاستمرارية والديمومة.

– أن المفسرين قد بينوا بعض الأوجه البلاغية والأدبية التي يمكن أن تحمل عليها الآية الكريمة: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران: ٥٩)، أن الدكتور إبراهيم –حفظه الله– لم يخرج عما ذهب إليه جمهور المفسرين.

أضاف الدكتور لردود السابقين الاستشهاد على جواز التعبير بالمضارع بدل الماضي من الكتاب المقدس.

(١) الكشاف /٣/٦٠١.

فالتعبير عن الماضي بالمضارع جائز في اللغة، والسياق يمكن أن يحمل على أن كل ما قال له الله كن يكون كما ذكر الإمام الطبري، ولا مانع من أن يدل السياق على الامتداد الزماني من بداية الإنشاء إلى تصييره بشرا كما ذكر الإمام الآلوسي، وفيه إحضار للصورة الواقعة كما وقعت كما ذكر الإمام أبو زهرة، وبهذا تسقط الشبهة، وتدل حقيقة إما على جهل مثيرها أو على سوء نيته.

المطلب الرابع

شبهة خطأ القرآن في الالتفات من المخاطب إلى الغائب قبل تمام المعنى والرد عليها:

إن الخطاب القرآني خطاب متنوع، لا يسير على نمط واحد في الأداء، بل يتنقل بين الأساليب بالالتفات(١) من أمر إلى مضارع أو ماض، ومن تكلم إلى خطاب أو غيبة، يحسبه الجاهل عدولا عن استخدام الصيغة المناسبة لما قبلها أو بعدها، فراح يعرض من الأمثلة ما يدلل به على جهله.

أولا: عرض الشبهة:

الشبهة كما عرضها عباس عبد النور(٢)

ـ نظرته للقرآن: يبدو أن عباس عبد النور لا ينظر للقرآن الكريم نظرة تقديس وإجلال، بل حتى تعبيره عن الله سبحانه بأنه يعيش معه محنة كما يبدو من عنوان الكتاب (محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن) يدل على حقد شديد على القرآن الكريم؛ لذا زعم مثير هذه الشبهة أن باب الالتفات قد اخترع لتغطية عيب متكرر في القرآن الكريم، وهو تغيير الضمير للشخص الواحد في نفس الجملة ويضرب مثالا على ذلك بالآية الثانية والعشرين من سورة "يونس" فيقول: "قال تعالى في بيان فضله على الناس وجحود الناس لهذا الفضل "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"

---

(١) هو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم– والخطاب– والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلا دون التحوّل عنها/ البلاغة العربية– عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)/ ١/ ٤٧٩.

(٢) من مواليد دمنهور ١٩٢٧، التحق بكلية أصول الدين واستمر فيها ثلاث سنوات، وعزم على إتمام الرابعة في جامعة فؤاد الأول كلية الآداب قسم الفلسفة، حيث درس على مفكرين عمالقة أمثال عبدالرحمن بدوي، وزكي نجيب محمود ويوسف مراد، ولكن خاب أمله في الجامعتين كما يدعي، فانتقل إلى معهد التربية العالي، ثم منح مساعدة من دائرة الأوقاف الإسلامية فانتقل إلى جامعة السوربون بباريس، وحضر دكتوراه في الفلسفة، ولما عاد إلى بلدته عمل إماما وخطيبا، وعكف على تأليف الكتب، وكان من أشهرها "محنتي مع القرآن" (ويبدوا أنه أغرق فى الثقافة الغربية، وما يتداول فيها حول الإسلام) لأن ما يذكره فى هذا الكتاب لايقول به من عنده أبسط مبادئ العقيدة الإسلامية/ محنتي مع القرآن، ومع الله في القرآن ـ الصفحة الأولى ـ التقديم.

(يونس: ٢٢).

ـ ركاكة أسلوبه: يبدو إن نقطة الضعف، بل والركاكة في الآية السابقة، هي سوء استعمال الضمائر إساءة من شأنها إحداث اختلال في السياق، إن سوء استعمال الضمائر إذا صدر عني أو عنك نسبونا إلى الجهل واتهمونا بنقص معلوماتنا اللغوية، ونصحونا بدراسة علم النحو والصرف من جديد، وأما إذا صدر ذلك عن القرآن فهو من البلاغة، بل أفردوا له بابا من أبواب البلاغة ويهمنا من هذه الأبواب هنا باب الالتفات! ودونكم الآية السابقة مرة أخرى لتروا موضع الخلل فيها هذا ما لم تكونوا قد تنبهتم له من تلقائكم، لأنه اختلال صارخ لا يمكن أن يمر عليه السامع من غير أن يحس بنشاز في أذنيه، "وهو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بدلا من وجرين بكم وفرحوا بدلا من وفرحتم (وهكذا ذكرنا والمفترض وفرحوا بدلا من وفرحتم)، صدقوا أو لا تصدقوا هذا النشاز من بلاغة القرآن الكريم...، إنه ليس نشازا إلا في عقولنا المعوجة، وإنما هو التفات، والالتفات باب من أبواب البلاغة اخترع ليكون مخرجا لهذه الآية وأمثالها"[١].

ـ الدافع النفسي: إذا كان عبد النور صادقا في تعبيره عن الشعور بالمحنة لعدم فهمه القرآن الكريم، وفهمه مراد الله عز وجل في كثير من آيات القرآن الكريم، فإن هذا قد ولد عنده دافعا نفسيا سلبيا تجاه القرآن الكريم، فحول عدم استيعابه لآيات القرآن الكريم إلى هجوم عليه، وكان الواجب عليه أن يسأل أهل العلم فيما لا يعلم، وإن كان كاذبا في هذا التعبير والادعاء، فإنه عداء واضح تجاه القرآن الكريم، وتجاه الإسلام والمسلمين.

الشبهة كما عرضها الدكتور إبراهيم عوض بأسلوبه:

ينقل الدكتور إبراهيم عوض هذا الكلام مختصرا فيقول: "وفي ص ١٥٢ من كتاب "محنتي مع القرآن" يستمر عباس عبدالنور في تخطئة أسلوب القرآن الكريم فيزعم أن باب الالتفات في القرآن الكريم (أي تغيير الضمير للشخص الواحد في نفس الجملة من الخطاب للغيبة مثلا أو من الغيبة للتكلم....إلخ) قد اخترع لتغطية العيب الموجود في آية (يونس) وأمثالها، إذ تستعمل تلك الآية أولا ضمير المخاطبين في خطابه تعالى إلى البشر (يسيركم) (كنتم)، ثم يتغير الضمير من الخطاب إلى الغيبة فيقول تعالى(بهم، وفرحوا، جاءهم، دعوا)"(٢).

ومفاد الشبهة أن في الآية الكريمة خللا يرجع إلى الصياغة بالأساس، فإن الآية انتقلت عن طريق الالتفات من حالة الخطاب إلى حالة الغيبة قبل أن يتم المعنى المقصود، وكان الأوفق أن يستمر في حالة الخطاب إلى تمام المعنى.

(١) محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن ـ عباس عبدالنور/ ١٥٢/ طبعة تجريبية ـ ٢٠٠٤م.

(٢) أفكار مارقة (قراءة في كتابات بعض العلمانيين العرب) د/ إبراهيم عوض/ ٥٣٤/ ط. مكتبة جزيرة الورد ـ ط١/ ٢٠١١م.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الافتراضات العقلية والنتائج المترتبة عليها.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين.

وفيما يلى بيان ذلك:

(أ) الرد على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية:

يوضح الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله– أنه لا يحق لعباس أن يتهم الآية بالضعف والركاكة، أو أن يقول بوجود عيب فيها لأن هذا التركيب ورد في الشعر الجاهلي وفي اللغات الأخرى فيقول: "إن عباس يعيب على الآية الكريمة ويتهمها بالركاكة والضعف والخطأ لاستعمالها هذا التركيب، مع أنه موجود في الشعر الجاهلي من قبل القرآن وكذلك في اللغات الأخرى"(١).

أما عن استخدام هذه التراكيب في اللغة، فيستشهد– فضيلته– بكلام الإمام القزويني(٢) بأنه يجوز الانتقال بين التكلم والخطاب والغيبة مطلقا حيث يقول: وفي الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: "التكلم والخطاب والغيبة مطلقا ينقل كل واحد منها إلي الآخر، ويسمي هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني، كقول ربيعة بن مقروم(٣):

بانت سعاد فأمسي القلب معمودا   وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا(٤)

فالتفت حيث لم يقل: "وأخلفتني".

ومثال الالتفات من التكلم إلي الخطاب قوله تعالي:" وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ

---

(١) أفكار مارقة – د.إبراهيم عوض/ ٥٣٤.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني، قدم دمشق من بلاده هو وأخوه قاضي القضاة إمام الدين وأعاد بالمدرسة البادرائية، ثم ناب في القضاء بدمشق عن أخيه،ثم عن قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى، ثم ولي خطابة دمشق ثم قاضى القضاة بها، ثم انتقل إلى قضاء القضاة بالديار المصرية، فأقام بها مدة ثم صرف عنها وأعيد إلى قضاء الشام، وكان يذكر أنه من نسل أبي دلف العجلي، وهو مصنف (كتاب التلخيص في المعاني والبيان، وكتاب الإيضاح)./ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ٩/ ١٥٨،/ ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٣)ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة الضبي، كان أحد شعراء مضر في الجاهليّة، ثم أسلم فحسن إسلامه، وشهد القادسيّة وغيرها من الفتوح، وعاش مائة سنة/ الإصابة في تمييز الصحا بة ـ ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ٢/ ٤٢٦/ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(١)– ١٤١٥ هـ.

تُرْجَعُونَ" (يس: ٢٢)، ومن الخطاب إلي التكلم قول علقمة بن عبدة(١):

طحا بك قلب في الحساب طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلي وقد شط وليها   وعادت عواد بيننا وخطوب(٢)

ومن الخطاب إلي الغيبة قوله تعالي " وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ" (فاطر: ٩)، ومن الغيبة إلي الخطاب قوله تعالي: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة: ٤ – ٥)

وأما قول امرئ القيس(٢):

تطاول ليلك بالإثمد   ونام الخلي ولم ترقدِ

وبات وباتت له ليلة   كليلة ذي العاثر الأرمدِ

وذلك من نبأ جاءني   وخُبِّرْتُه عن أبي الأسود(٣)

فقال الزمخشري: فيه ثلاث التفاتات،... وعلى المشهور فلا التفات في البيت الأول، وفي الثاني التفاته واحدة فيتعين أن يكون في الثالث التفاتتان فقيل هما في قول جاءني إحداهما باعتبار الانتقال من الخطاب في البيت الأول والأخرى باعتبار الانتقال من الغيبة في الثاني.

وقيل إحداهما في قوله وذلك لأنه التفات من الغيبة إلى الخطاب والثانية في قوله جاءني لأنه التفات من الخطاب إلى التكلم وهذا أقرب...، واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه، على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه علي أسلوب واحد"(٣).

ثم أردف الدكتور إبراهيم ذلك بأمثلة من العبارات المتداولة في الواقع المعاصر وعدم إنكار أحد على قائلها فقال: "وكثيرا ما يستعمل المتكلم لنفسه ضمير الغائب فتقول مثلا: "العبد لله هو صاحب هذا الإنجاز ولا فخر"، و"كاتب هذه السطور" ويقابلها في الإنجليزية: **the present**

---

(١) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم الشاعر المشهور أحد شعراء الجاهلية وقيل له الفحل من أجل رجل آخر يقال له علقمة الخصي ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: ٣٧٠هـ)/ ١٩٨/ دار الجيل، بيروت ـ ط(١)، ١٤١١ هـ– ١٩٩١ م.

(٢) (١٣٠– ٨٠ ق هـ) امرؤ القيس بن جُحر بن الحارث الكندي، مات بأنقرة من بلاد الروم،أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عديّ. وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام/ تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر – ٩/ ٢٢٢، الأعلام/ الزركلي/ ٢/ ١١.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ـ جلال الدين القزويني ا المتوفي سنة (٧٣٩هـ)/ ١/ ٧٢ـ ٧٤ بتصرف/ ط. دار إحياء التراث ـ ط٤ـ ١٩٩٨م.

"writer يعتقد أن الصواب كذا وكذا.

وقد انتشر في هذه الأيام في رسائل الماجستير والدكتوراه قول الطالب عن نفسه: "ويري الباحث..." مستعملا ضمير الغائب رغم أنه يتحدث عن نفسه فكان المتوقع أن يستخدم ضمير المتكلم"(١).

ثم استدل ـ فضيلته ـ على ما ذهب إليه بتوجيه الإمام السيوطي(٢) للآية الكريمة، حيث بيَّن الحكمة من العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم فقال: "وجه السيوطي الآية على النحو التالي إذ قال عن باب الالتفات في كتاب الله المجيد "ومثاله من الخطاب إلي الغيبة "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم"، والأصل "بكم" ونكتة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم، إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.

وقيل لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل "هو الذي يسيركم في البر والبحر"، فلو كان وجرين بكم للزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية عدولا من الخطاب العام إلى الخاص.

قلت: ورأيت عن بعض السلف في توجيهه عكس ذلك، وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام، فأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه قال في قوله "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم" قال: ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم ولم يقل "وجرين بكم" لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم، وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق.

هذه عبارته فلله در السلف ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخرون فيها زمانا طويلا ويفنون فيها أعمارهم ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمي"(٣).

ومن هنا يتبين لذوي الألباب أن قواعد اللغة العربية، والقواعد البلاغية، تتخذ من أسلوب الالتفات فوائد تستقطب به السامع، وتنبهه إلى فائدة أو حالة أو قول أو فعل، لا يريد التصريح به رعاية لمشاعره، وصونا لوجدانه.

---

(١) أفكار مارقة/ ٥٣٦. مرجع سابق.

(٢)هو الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد السيوطي المعروف بابن الأسيوطي. ولد بالقاهرة ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وكانت أمه أَمة تركية وأصل أبيه من العجم. كان عدد شيوخه إجازة وقراءة وسماعا نحو مائة وخمسين شيخا، وانصرف إلى الجمع والتأليف وهو صغير،وتعددت مؤلفاته منها: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، ومنها "الإتقان في علوم القرآن"،ولقدكانت وفاته في سحر ليلة الجمعة ١٩ من جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ/ ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ـ جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ./ ٢٢٣/ دار الكتب العلمية.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ـ عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي/ ٣/ ٢٩١،٢٩٠/ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٤ م.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الافتراضات العقلية والنتائج المترتبة عليها:

ومن لم تقنعه قواعد اللغة العربية والبلاغية، فلعله أن يقتنع بالافتراضات العقلية وما يترتب عليها من النتائج لدحض شبهته، ودفع ارتيابه، وإزالة اختلاطه، ولذلك انتقل الدكتور- حفظه الله - إلى سَوْقِ بعض الافتراضات التي تبين سعة اطلاعه وحضور ذهنه فيقول:

– هل كان كفار العرب ومنافقوهم ويهودهم ونصاراهم يسكتون فلا يشنعوا على القرآن لو كان هذا خطأ في الأسلوب؟

– وإذا كان النبي ﷺ هو مؤلف القرآن كما يريد أن يقول عباس فهل يمكن أن يقع الإنسان في لغته في خطأ من هذا النوع ويتكرر منه كثيرا؟

– وعلم البلاغة والالتفات موجود في كل اللغات ومنها اليونانية القديمة والسنسكريتية(١) مثلا، وقد بين ذلك الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" عند شرحه لمعني البلاغة عند عدد من الأمم المختلفة.

– وهل من العيب أن يكون القرآن أول من ابتدع أسلوب الالتفات على فرض ذلك، فإن هناك كتبا همُّها رصد الأوائل في هذا المجال أو ذاك ك"كتاب الأوائل" لأبي هلال العسكري"، وكتاب الأوائل للطبراني وغيرهما فذلك مما يجلب المجد والشرف لصاحبه"(٢).

وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم، يجد أنه قد وضح أن تغيير الضمير في الجملة الواحدة ليس عيبا، وإنما هو وارد ومعلوم في الشعر الجاهلي، ثم أكد - حفظه الله - على أن لتغيير الضمير في الجملة الواحدة فوائد بلاغية عديدة كالعدول عن العام إلى الخاص أو العكس كما ذكر السيوطي، أو تنشيط السامع وإيقاظ إصغائه كما ذكر الزمخشري، وهذا ما ذكره السابقون.

وقد أضاف الدكتور/ عوض أن تغيير الضمير في الجملة الواحدة واقع كذلك في اللغات الأخرى كاليونانية القديمة والسنسكريتية، كما أنه استدل بالعديد من الأدلة العقلية وعضد كلامه ببعض الأمثلة.

ويرى الباحث أن الدكتور إبراهيم كان موفقا إلى حد كبير في هذا الرد، وهناك من أقوال بعض المفسرين ما يؤيده فيما ذهب إليه. وهذا ما سيتضح فى السطور التالية.

---

(١) لغة هندية قديمة/ اللغة– جوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: ١٣٨٠هـ)– عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص/ ١/ ٣٤٦/ مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.

(٢) أفكار مارقة/ ٥٣٧،٥٣٨. مرجع سابق.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

جمع الإمام الرازي(١) بعضا من الآراء التي وجه بها العلماء الآية الكريمة فقال:

"السؤال الثالث: ما الفائدة في صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة؟ الجواب فيه وجوه:

الأول: قال صاحب «الكشاف»: المقصود هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجيبهم منها، ويستدعى منهم مزيد الإنكار والتقبيح.

الثاني: قال أبو علي الجبائي: إن مخاطبته تعالى لعباده، هي على لسان الرسول، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب، وكل من أقام الغائب مقام المخاطب، حسن منه أن يرده مرة أخرى إلى الغائب.

الثالث: أن الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة إلى لفظ الحضور فإنه يدل على مزيد التقرب والإكرام، وأما ضده وهو الانتقال من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة، يدل على المقت والتبعيد.

أما الأول: فكما في سورة الفاتحة، فإن قوله:" الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" (الفاتحة: ٢ – ٣) كله مقام الغيبة، ثم انتقل منها إلى قوله: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" (الفاتحة: ٥) وهذا يدل على أن العبد كأنه انتقل من مقام الغيبة إلى مقام الحضور، وهو يوجب علو الدرجة، وكمال القرب من خدمة رب العالمين.

وأما الثاني: فكما في هذه الآية، لأن قوله: "حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ" خطاب الحضور، وقوله: "وَجَرَيْنَ بِهِمْ" مقام الغيبة، فهاهنا انتقل من مقام الحضور إلى مقام الغيبة، وذلك يدل على المقت والتبعيد والطرد، وهو اللائق بحال هؤلاء، لأن من كان صفته أنه يقابل إحسان الله تعالى إليه بالكفران، كان اللائق به ما ذكرناه"(٢).

وأكد الإمام القرطبي على وجود أسلوب الالتفات في القرآن الكريم والشعر العربي فقال: "وَقَوْلُهُ: "وَجَرَيْنَ بِهِمْ" خُرُوجٌ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، قَالَ

---

(١) الفخر الرازي (٥٤٤– ٦٠٦ هـ = ١١٥٠– ١٢١٠ م) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله إذا ركب مشى معه نحو الثلثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطب وغير ذلك، توفي بهراة يوم عيد الفطر، ومن تصانيفه (مفاتيح الغيب، وكتاب المحصول، والمنتخب)/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي(١٠٣٢ـ ١٠٨٩)/ ٥/ ٢٠/ ط. دار الكتب العلمية، وفيات الأعيان وأنباء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان/ ٧/ ٣٢ ـ ط. دار صادر – بيروت، دون/ الزركلي/ ٦/ ٣١٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ الإمام محمد الرازي (٥٤٤ـ ٦٠٤)/ م٩/ ج١٧/ ٧٣،٧٢/ ط. دار الفكر ـ ط١ (١٤٠١هـ. ١٩٨١م).

النَّابِغَةُ(١):

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَت وطال عليها سالف الأمدِ(٣)

قال ابن الأنباري(٢): وَجَائِزٌ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُرْجَعَ مِنْ خِطَابِ الْغَيْبَةِ إِلَى لَفْظِ الْمُوَاجَهَةِ بِالْخِطَابِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابا طَهُورا إِنَّ هَذا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورا" (الإنسان: ٢١ – ٢٢) فَأَبْدَلَ الْكَافَ مِنَ الْهَاءِ."(٣).

- ويبين ابن عاشور أن في الآية الكريمة التفات بالتخصيص بعد التعميم عن طريق القرينة، وأن هذا الالتفات من مبتكرات القرآن الكريم فيقول:

" ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: وجرين بهم على طريقة الالتفات، أي وجرين بكم، وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال: فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة لأن الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين، وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز. وقد عدت هذه الآية من أمثلة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في ضمائر الغيبة كلها تبعا «للكشاف» بناء على جعل ضمائر الخطاب للمشركين وجعل ضمائر الغيبة لهم أيضا، وما نحوته أنا أليق. " (٤)

وبعد الرجوع إلى أقوال المفسرين يتبين أن التحول من الخطاب إلى الغيبة إنما يقع ليدل على المقت والطرد، أو المبالغة في ذكر الحال للغير ليزداد إنكارهم عليهم، بل قد تحمل الآية

---

(١)زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع أبو أمامة المعروف بالنابغة الذبياني، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم المذكورين/ تاريخ دمشق – ابن عساكر/ ١٩/ ٢٢١.

(٢)هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري. قال أبو علي: وكان يحفظ– فيما ذُكِر– ثلاثمئة ألف بيت شاهد في القرآن، وكان ثقة دَيِّنا صدوقا، وكان أحفظَ مَن تقدَّم من الكوفيين. وتوفي في سنة سبع وعشرين وثلاثمئة. وفي بعض النسخ: توفي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة يوم الأضحى./ طبقات النحويين واللغويين– محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)/ ١/ ١٥٣/ دار المعارف– الطبعة: الثانية.

(٣)تفسير القرطبي/ ٥/ ٣١٦٣،٣١٦٤.

(٤)التحرير التنوير– ابن عاشور/ ١١/ ١٣٥.

الكريمة على الالتفات بالتخصيص بقرينة بعد التعميم كما ذهب ابن عاشور، وهذا من مبتكرات القرآن الكريم.

الخلاصة:

ومن خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

- اتفق الدكتور إبراهيم مع السابقين في أن باب الالتفات له وجود في اللغة العربية والشعر الجاهلي قبل نزول القرآن الكريم.
- أن الآية الكريمة يمكن أن توجه عدة توجيهات عدة وكل وجه منها يكشف عن نكتة بلاغية جميلة.
- أضاف الدكتور إبراهيم بعض الاستدلالات المنطقية، كعدم اعتراض العرب بما فيهم من المشركين واليهود والنصارى على أسلوب الآية الكريمة عند نزولها على الرغم من عداوتهم للنبي، مع توفر الداعي لذلك، والقدرة على استخراج العيب إن وجد.
- كما أضاف فضيلته أن أسلوب الالتفات معروف كذلك في بعض اللغات الأخرى.
- أن في الآية الكريمة التفات بالتخصيص بقرينة بعد التعميم كما ذهب ابن عاشور، وهذا من مبتكرات القرآن الكريم.
- أن من فهم لغة العرب ليس له أن يدعي أن أسلوب الخطاب خطأ، أو أن أسلوب الغيبة غير واف؛ لأنه بعد ذكر النعم جاءت الآية الكريمة بأسلوب الخطاب حتى تعم جميع المخاطبين، ثم خصصت الكافرين بأسلوب الغيبة.
- أن الدكتور إبراهيم عوض قد استوفى الشبهة من جوانبها اللغوية والعقلية، وبهذا تسقط الشبهة، ويتضح أن باب الالتفات لم يكن اختراعا لتغطية العيوب الواردة في القرآن الكريم كما يدعي عباس عبدالنور زورا وبهتانا، وإنما لأهداف سامية وحكم عالية لا يدركها إلا من أوتي عقلا وعلما وبصيرة.

المطلب الخامس

شبهة عدم وضوح المعنى في قوله تعالى "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" والرد عليها:

لما أن يعجز المغرضون عن الطعن في نص القرآن المقدس، يتحولون إلى ادعاء وقوع النسخ في بعضه تارة، أوالطعن في نَقَلَةِ النص وحفاظه ومفسريه تارة أخرى، والشبهة التي نحن بصددها فى هذا المطلب هي من قبيل هذا النوع.

أولا: عرض الشبهة:

يزعم عباس عبد النور في شبهته هذه أن معنى هذه الآية "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء: ٢٢) غير واضح، ولم يكتف بذلك، بل وصفها بالضعف والركاكة، وأضاف

إليها ما ييسر على القارئ فهمها كما يَدَّعي، وزاد على ذلك ادعاء تحريف الشطر الثاني منها أو نسخ بعضها فقال: "وهاكم آية أخرى تشبه الآية السابقة(١) في الضعف والركاكة لم أفهم منها شيئا...

اقرأوها ثم أعيدوا قراءتها مثنى وثلاث ورباع وعشار وزيدوا في القراءة ما تشاؤون، وقولوا لي بصدق وإخلاص: "أفهمتم شيئا؟"، وأنا لكم من الشاكرين: أنا لم أفهم كيف يكون التعبيد (أي الاستعباد كما يقول المفسرون) نعمة يمن بها فرعون على موسى؟

إذا أريد لهذه الآية أن يكون لها معني فلا بد من قراءتها على الشكل التالي: " وتلك نعمة يمنها الله على" أي أكون من المرسلين نعمة يمنها الله علي أما بقية الآية: "أن عبدت بني إسرائيل فهي محرفة لا معنى لها، وهي بقية آية منسوخة أو شيء من هذا القبيل وقد تلقاها النساخ والقراء والمقرئون على الوجه الذي ورد في القرآن كما يتلقى الصم والبكم والعمي ما يلقى إليهم بلا اعتراض ولا معارضة، بل يقولون: "كل من عند ربنا".

وجاء المفسرون من بعدهم فلم يجرؤوا على إحداث أي تغيير فيها، وتفننوا في اختلاق شتى المعاني لها، ولم يقل أي منهم لا ترهقوا أنفسكم فالآية على هذا الحال لا معني لها!"(٢).

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) الرد على الشبهة من خلال أمانة المسلمين في نقل نصوصهم المقدسة.

(ب) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال المفسرين في الآية الكريمة.

(ج) الرد على الشبهة من خلال بيان عدم وقوع النسخ في الأمور التاريخية.

وفيما يلى بيان ذلك:

(أ) الرد على الشبهة من خلال أمانة المسلمين في نقل نصوصهم المقدسة:

تميزت الأمة الإسلامية باتصال الإسناد فيها، حيث اهتم أهل العلم من لدن الصحابة إلى يوم الناس هذا بالإسناد، اهتماما كان مثار اندهاش بعض علماء الغرب، وبلا شك كان مثار غيرة الآخرين منهم، مما دفعهم إلى توجيه سهامهم نحو الطعن في صدق نقلة النص الشريف، واتهامهم بالخيانة والتحريف والتبديل والتصحيف.

---

(١) يقصد قوله تعالى " وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّا مُتَرَاكِبا" (سورة الأنعام: آية:٩٩)

(٢) محنتي مع القرآن/ ١٥٧،١٥٨. مرجع سابق.

ولم يفكر المسلمون في المس بالمصحف لأسباب من أهمها ما يلي:

– أن الله تكفل بحفظه:

لقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم فقال:"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر: ٩)

– وثاقة النقل واتصال السند:

"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا" (الحجرات: ٦)

عن عبد الله بن المبارك(١) أنه قال: "بيننا وبين القوم القوائم" يعني الإسناد"(٢).

ويوضح الإمام السيوطي أن أهل الكتاب لا يمكن أن يصلوا بسندهم إلى أنبيائهم، فيقول: "وأما أقوال الصحابة والتابعين، فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلا، ولا إلى تابع له، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولس." (٣)

ويؤكد الإمام ابن حزم أن أمر الإسناد اختصت به هذه الأمة فيقول: "وَهَذَا نقل خص الله تَعَالَى بِهِ المسلمين دون سَائِر أهل الْملَل كلهَا" (٤)

– حفظه وتدوينه على يد الرسول:ﷺ

كان النبي ﷺ يأمر عددا من أصحابه بكتابة الوحي عند نزوله فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةَ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا"(٥)

كما كان يحرص على تعليم كل من هاجرإليه القرآن بنفسه أو بواسطة أحد من أصحابه عند انشغاله. فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُشْغَلُ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي، ولد ابن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة من أئمة المسلمين قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس رضى الله عنهما، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديدة التورع، وكذلك كان أبوه قدم دمشق وسمع من الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، وقدم مصر وكتب بها وكُتب عنه، سمع منه عبد الله بن وهب، وكانت وفاته بهيت في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة/ تاريخ دمشق– ابن عساكر – ٣٢/ ٣٩٦. ٣٩٩ بتصرف، وفيات الأعيان/ ٣/ ٣٢.

(٢) مقدمة صحيح مسلم/ ١/ ١٥.

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي– السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)/ ٢/ ٦٠٥– دار طيبة– دون.

(٤)الفصل في الملل والأهواء والنحل– أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)/ ٢/ ٦٨– مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٥)أخرجه الإمام الترمذي في سننه (أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ ﷺ) باب (ومن سورة التوبة) برقم (٣٠٨٦)/ ٥/ ٢٧٢.– حسن المرجع نفسه والصفحة نفسها.

اللهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ"(١)

ومن هنا اهتم العلماء ببيان مدى أمانة المسلمين في نقل النصوص المقدسة، وكان للدكتور إبراهيم عوض جهد بارز في هذا المجال، حيث بدأ كلامه في الرد على هذه الشبهة ببيان أمانة المسلمين في نقلهم لنصوص القرآن الكريم، بخلاف غيرهم ممن امتدت أيديهم إلى العبث بكتبهم المقدسة، واستدل على ذلك بكلام مثير الشبهة نفسه فقال: " وأول شيء أود أن أعقب به على هذا هو إقرار مدعى الشبهة أن المسلمين لم يفكروا في المس بالنص القرآني رغم كل شيء، فما دلالة هذا لدن العقلاء المحترمين؟ أليس أن المسلمين لا يعرفون تحريف النصوص المقدسة؟ أو لا يعني هذا أنهم... أهل للثقة أحرياء أن يطمئن إليهم الآخرون؟

أما هو وخلافه من قوم ضربت أيديهم (تأكلهم أيديهم) على التحريف نراهم يدْعُون إلى العبث بالنص وتغييره! فلعنة الله على المحرفين العابثين"(٢).

ويستفاد من ذلك أن الدكتور إبراهيم عوض رد على مثير الشبهة بما خطه بنانه، وهو أسلوب إلزام الخصم من أقرب الطرق، فنقل إليه كلامه عن استحالة تحريف المسلمين لنصوص كتابهم الكريم، أى أنه رد عليه ادعاءه، وأقام عليه الحجة بكلامه هو من حيث لا يشعر.

(ب) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة:

ومن خلال أقوال المفسرين يرد الدكتور إبراهيم على الخصم، إذ ينقل له المعني الصحيح للآية الكريمة التي عجز عن فهمها، ويبين بأن هذا من قبيل الاستفهام الإنكاري فيقول: "وثاني شيء هو ما قررناه من أن الكلام استفهام إنكاري... ولقد طرحت هذا التفسير بمجرد أن قرأت الاعتراض وقبل أن أقرأ أي كتاب من كتب تفسير القرآن ثم عدت إلى بعض هذه الكتب لأنظر فيما قالته.

ففي فتح القدير للشوكاني(٣) مثلا: "وقيل هو من موسي علي جهة الإنكار أي: أتمن علي بأن ربيتني وليدا، وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي.

قال الزجاج: المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار بأن يكون ما ذكر فرعون نعمة علي

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده في باب(حديث عبادة ابن الصامت) برقم(٢٢٨١٨)/ ٥/ ٣٢٤. إسناده حسن – المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) أفكار مارقة/ ٥٤١.

(٣) الإمام الشوكاني (١١٧٣– ١٢٥٠ هـ/ ١٧٦٠– ١٨٣٤ م) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء البحث من أهل صنعاء ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكما بها. له ١١٤مؤلفا منها (نيل الأوطار من أسرار منتقي الأخيار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، فتح القدير في التفسير)/ الزركلي/ ٦/ ٢٩٨.

موسي، فاللفظ لفظ خبر وفيه تبكيت للمخاطب على معني أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم، فكأنك تمن على ما كان بلاؤك سببا له، وقيل إن في الكلام تقدير الاستفهام أو تلك نعمة؟

قال الفراء: ومن قال إن الكلام إنكار قال معناه "أو تلك نعمة؟، ومعني أن عبدت بني إسرائيل أن اتخذتهم عبيدا"(١).

واختار الشيخ دروزة(٢) في التفسير الحديث أن الآية من باب الاستفهام الإنكاري فقال: "وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل: أوّل بعض المفسرين الآية بأنها تعني قول موسي: هل هذه نعمة تمنها علي مع أنك استعبدت قومي بني اسرائيل؟

وأوّلها بعضهم بأنها تعني قول موسي إن استعبادك لبني إسرائيل كان نعمة علي لأنه جعلني أفر، فرعاني الله وجعلني من المرسلين. ونحن نختار الأول"(٣).

ثم يعقب الدكتور إبراهيم بعد نقله لأقوال المفسرين بقوله: "والمسألة كما يري القارئ لا تستدعي كل هذا اللغط الذي أراد صاحبنا إحداثه، ظنا منه أنه سوف يبذر بذور التشكيك في النص القرآني، ولكن هيهات ثم هيهات!"(٤).

(ج) الرد على الشبهة من خلال بيان عدم وقوع النسخ في الأمور التاريخية:

مما أثاره الخصم في تلك الشبهة، أنه ادعى أن الآية الكريمة منسوخة، جهلا منه بقواعد النسخ وأسسه وضوابطه، فجاء رد الدكتور إبراهيم مبينا حقيقة هذا المدعي، حيث يقول:

" ويتبقى تفسيره للأمر بأنه من المحتمل أن يكون الكلام بقية آية منسوخة، وهو تفسير يدل على

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي الشوكاني/ ٤/ ٩٦/ دار الفكر ـ بيروت ـ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) محمد عزة دروزة (١٣٠٥– ١٤٠٤ هـ) (١٨٨٧– ١٩٨٤ م)الباحث، المؤرِّخ، الموسوعي. ولد في مدينة نابلس وألَّف كتبا مدرسية عن تاريخ العرب والإسلام.وتابع التأليف في تاريخ العرب والمسلمين وفي القضية الفلسطينية، حتى بلغت عدة كتبه المطبوعة تسعة وثلاثين كتابا، ولعل من أبرز مؤلفاته كتابه "حول الحركة العربية الحديثة"،"التفسير الحديث، "تاريخ الجنس العربي"/ تَكملَة مُعجم المُؤلفين وَفيات (١٣٩٧– ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧– ١٩٩٥ م) ـ محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف/ ١/ ٥٢٣/ . ط.. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧ م .

(٣) التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول ـ محمد عزة دروزة المتوفى ١٩٨٤/ ٣/ ٢٤٦ـ/ ط. دار الغرب الإسلامي ـ ط٢ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٤) أفكار مارقة/ ٥٤٢.

أنه جاهل بالثلث، إذ النسخ لا يقع إلافي الأمور التشريعية.

أما هنا فنحن إزاء وقائع تاريخية لا تقبل النسخ، لأن التاريخ قد مضي وانقضي فلا رجعة فيه ومن ثَمّ فلا نسخ"(١).

وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم يجد أنه:

قد برع أولا: عندما حول مسار الشبهة إلى مثيرها فاستدل من كلامه على أمانة المسلمين وعدم مساسهم بنصوصهم المقدسة بخلاف غيرهم ممن حرفوا نصوصهم المقدسة.

وأحسن ثانيا: عندما بيَّن أن ما ورد في الآية من قبيل الاستفهام الإنكاري مؤيِّدا كلامه بأقوال بعض المفسرين، ليجمع بذلك بين ما قاله السابقون، وما قاله هو كعالم وباحث معاصر.

ثم أجاد ثالثا: عندما بين أن الوقائع التاريخية لا يقع فيها نسخ.

ولم يبق للباحث إلا أن يؤكد على رده ـ حفظه الله ـ مستندا إلى بعض أقوال أهل التفسير.

فقد بين الإمام الرازي بعض الأوجه التي يمكن أن تحمل عليها الآية مع استقامة معناها، وأن جميعها من باب الاستفهام الإنكاري فقال:

"فأما قوله: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" فهو جواب قوله: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ" (الشعراء: ١٨) يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبدا، فإن قيل كيف يكون ذلك جوابه ولا تعلق بين الأمرين؟ قلنا بيان التعلق من وجوه:

أحدها: أنه إنما وقع في يده وفي تربيته لأنه قصد تعبيد بني إسرائيل وذبح أبنائهم، فكأنه عليه السلام قال له كنت مستغنيا عن تربيتك لو لم يكن منك ذلك الظلم المتقدم علينا وعلى أسلافنا.

وثانيها: أن هذا الإنعام المتأخر صار معارضا بذلك الظلم العظيم على أسلافنا وإذا تعارضا تساقطا.

وثالثها: ما قاله الحسن: إنك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفقت على فلا نعمة لك بالتربية.

ورابعها: المراد أن الذي تولى تربيتي هم الذين قد استعبدتهم فلا نعمة لك علي، لأن التربية كانت من قبل أمي وسائر من هو من قومي ليس لك إلا أنك ما قتلتني، ومثل هذا لا يعد إنعاما.

وخامسها: أنك كنت تدعي أن بني إسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد في أن يطعمه ويعطيه ما يحتاج إليه"(٢).

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) مفاتيح الغيب/ ١٢/ ٢٤/ ١٢٦- مرجع سابق.

ويؤكد الإمام الأكبر د/محمد سيد طنطاوي(١) الرأي القائل بأن الآية من قبيل التهكم والاستفهام الإنكاري، ويرى أنه الأقرب للصواب فيقول: "ويبدو لنا أن هذا الرأي أقرب إلى الصواب، لأنه هو المناسب لسياق القصة؛ ولذا قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الآية: «ثم كر موسى على امتنان فرعون عليه بالتربية فأبطله من أصله، واستأصله من سنخه– أى: من أساسه– ، وأبى أن يسمى نعمته إلا نقمة، حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل، لأن تعبيدهم وقصدهم بالذبح لأبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه، وتذليلهم واتخاذهم عبيدا.

وبهذا الجواب التوبيخي أفحم موسى عليه السلام فرعون، وجعله يحول الحديث عن هذه المسألة التي تتعلق بتربيته لموسى إلى الحديث عن شيء آخر"(٢).

الخلاصة:

وبعد هذا العرض السابق، يتبين للباحث ما يلي:

ـ استحالة تحريف القرآن الكريم، لأن الله تكفل بحفظه، ولأنه متصل السند منقول بالتواتر عن النبيﷺ بخلاف غيره من كتب أهل الكتاب لأنها غير متصلة السند، لأنه كتب بأمر من النبيﷺ وأمامه.

ـ أن معظم المفسرين حملوا الآية على الاستفهام الإنكاري، وأن الدكتور إبراهيم لم يخرج عما قالوه.

ـ أن الدكتور إبراهيم قد أحسن عندما بدأ رده على مثير الشبهة بما كتبه مثير الشبهة نفسه، فأثبت استحالة تحريف المسلمين لنصوص كتابهم الكريم.

ـ أن الدكتور إبراهيم أضاف إلي ردود السابقين على الآية الكريمة أن الوقائع التاريخية لا يقع فيها نسخ.

---

(١) الدكتور محمد سيد طنطاوي/ ولد بقرية سليم الشرقية (محافظة سوهاج) عام ١٩٢٨م، تخرج بكلية أصول الدين عام ١٩٥٨، عين مدرسا بكلية أصول الدين عام ١٩٦٨، ترقى في المناصب حتى عين شيخا للأزهر الشريف عام ١٩٩٦م حتى وفاته ١٠ مارس ٢٠١٠ من مؤلفاته (التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ بنو إسرائيل في القرآن الكريم ـ السرايا لحربية في العهد النبوي)/ الشيخ محمد سيد طنطاوي وجهوده في الدعوة إلى الله ـ تامر عبد الباقي عمارة ـ صفحات متفرقة (٧٢، ٨١، ١٩٤، ٢٨٣)رسالة ماجستير ـ كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ـ ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

(٢) التفسير الوسيط ـ د/ محمد سيد طنطاوي/ م١٠/ ج١٩/ ص١٩/ مطبعة السعادة ـ ط٣ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٨٣م.

وبهذا، يبدو جهل المخالف، ويتضح المعنى، وتسقط الشبهة، وتذوب الشكوك التي يمكن أن يثيرها أعداء الإسلام حول هذه الآية الكريمة.

المطلب السادس

شبهة اختلاط الغموض بالركاكة في قوله تعالى: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ... ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" والرد عليها:

القرآن الكريم منهج حياة للناس على مر العصور والأزمان، وقد اشتملت آياته على حقائق علمية وأسرار كونية لا يمكن غض الطرف عنها فى مجال العلم والبحث، وستظل تلك الحقائق والأسرار تمثل إعجازا كبيرا، يشهد للقرآن بأنه كلام الله ﷻ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا ومن بين ما عرض له القرآن الكريم في نصه المقدس بداية خلق الكون، حيث أشار إلى خلق السماوات والأرض والجبال في غير موضع من آيات القرآن الحكيم، لكن قوما لُبِّس عليهم أن يفهموا مراد الله من النص الشريف، فاتهموه بالضعف والنقص والتعارض، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

أولا: عرض الشبهة:

يؤكد مثير الشبهة أن هذه الآيات "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ... ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (فصلت: ٩.١٢) فيها غموض وضعف في الأسلوب، وأن الآيات الأربع تجمع بين أطراف متباعدة...

ويَدَّعِي أن هذه الآيات تتعارض مع الآيات الأخرى التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض، حيث إنها جميعا تجعل عدد أيام الخلق ستة ماعدا هذه الآية.

ويزعم أن المفسرين قد حاروا في التوفيق بين هذه الآية والآيات الأخرى التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض.

كما يدعي أن الآيات بدأت بداية غريبة غير مفهومة "قل أئنكم" ثم يطرح أسئلة عديدة على سبيل التهكم من عدم وضوح معناها، أهي سؤال أم إنكار أم تقرير لواقع أم ماذا؟

يقول عباس عبدالنور: "هذه الآيات يختلط فيها الغموض بالركاكة، وبتعبير أدق إن غموضها من ركاكتها ومن تعارضها مع آيات أخرى في القرآن الكريم... لقد فقد النص اتساقه، فكل شيء بعد الآن فيه متوقع منه، فلا ترى إلا فقرات تقطع حركة السياق وتوقف اندفاعه نحو بلوغ أغراضه...

إن كل ما جاء في القرآن بخصوص عدد الأيام التي خلق الله فيها العالم يحصر هذا العدد

في ستة أيام إلا الآية الأخيرة، كما أن جميع الآيات المتعلقة بعدد أيام الخلق في القرآن تدخل إلى الموضوع مباشرة... إلاهانا... فقد بدأت بداية غريبة "قل أئنكم"، فهل هذا سؤال أم إنكار أم تقرير لواقع أم ماذا؟ أفتوني في أمري وأنا لكم من الشاكرين!

كذلك فإن هذه الآيات الأربع نشاز تجمع بين أطراف متباعدة:

التعريض بالمشركين الذين يكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين...

ثم يأتي بعد ذلك بيان أن الذي خلق كل هذا هو رب العالمين، ثم أتبع ذلك بتقوية الأرض بالجبال وتقدير أقواتها في أربعة أيام.

وهكذا تكون الأرض وحدها قد تطلبت منه سبحانه ستة أيام عمل مستمر...

صدق أو لا تصدق أن خلق السماوات بما فيها من شمس وقمر ونجوم لم يستغرق سوي يومين ما لم تكن سماوات من كارتون، بل من ورق ضعيف القوام...، فالملائكة لها أقدام أثيرية لطيفة جدا لا تستخدمها في المشي. وهذا يذكرني بقول أحد الشعراء الفرنسيين في وصف حبيبته هذه ترجمته:

لله ما ألطفُ أقدامِها تمشي على العشب فلا يشعرَ

لقد حار المفسرون في فهم هذه الآيات التي تتوسع في عدد أيام الخلق فتجعلها ثمانية، وفي التوفيق بينها وبين جميع الآيات الأخرى التي تكتفي بستة أيام فقط فقالوا: إن الأيام الأربعة التي أتم الله فيها خلق الأرض يدخل فيها اليومان اللذان خلق الله فيهما الأرض، مخرج لطيف لا بأس به، لكنه إن صح فإنه يدل على ركاكة القرآن الكريم، الذي كان في مقدوره أن يستعمل ألفاظا أكثر وضوحا وبيانا، فعدل عنه إلي الركيك الغامض، لاسيما وأن الإبانة صفة ملازمة للقرآن الكريم تتكرر في كل صفحة تقريبا: "بلسان عربي مبين"(١).

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان المعنى الصحيح للآية الكريمة.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين.

(د) الرد على الشبهة من خلال العلوم التجريبية:

---

(١) محنتي مع القرآن ـ عباس عبدالنور/ ١٦٢ ـ ١٦٤.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) الرد على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية:

إن الجهل بقواعد اللغة العربية يغتفر لمن لم يَدرُس أو يتصدر للناس بالقلم أو اللسان، أما أن يتصدر وهو جاهل بأبسط قواعد العربية، ويثير الشكوك، ويرمي بالتهم، فإن هذا لا يغتفر بحال من الأحوال، وهذا ما فعله عباس عبد النور مع تلك الآية الكريمة.

ولذلك بدأ معه الدكتور إبراهيم في رد شبهته، ببيان قدره العلمي في اللغة وغيرها فيقول: "هذا ما قاله الأستاذ عباس! وإني لأعجب من أين له تلك كل الجرأة، وهو لا يستطيع أن يفرق بين "ما أفعلَ" التعجبية "وما أفعلُ" الاستفهامية، فيستعمل هذه مكانة تلك كما هو واضح لتشكيله لعبارة "ما ألطفُ أقدامِها" في البيت الذي أورده للتهكم على القرآن وأسلوبه؟

. إن معني العبارة على هذا الوضع هو "أي شيء في أقدامها ألطف من سواه؟"، وهو إنما يريد التعجب من لطف قدميها، فكان ينبغي أن يقول: "ما ألطفَ أقدامَها!

ليس ذلك فحسب، بل زاد على ذلك، فنصب الفعل "يشعرَ" رغم أن حقه الرفع، فكان ينبغي أن توضع على رائه ضمة لا فتحة.

وليس ذلك فحسب، بل كان عليه أن يقول في الجملة التي وطَّأ بها لتلك العبارة "وهذا يذكرني بقول لأحد الشعراء الفرنسيين في وصف حبيبته هذه ترجمته..."بإدخال اللام" على أحد حتى تظل كلمة "قول منكرة فيصح نعتها بجملة" هذه ترجمته" ولكن متى كان كل أحد يفهم قواعد اللغة العربية"(١).

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان المعنى الصحيح للآية الكريمة:

بين الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في معرض رده على هذه الشبهة أن هذه الآية تختلف تماما عن الآيات الأخرى التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأنها تتحدث عن خلق الأرض في يومين فقط فقال: "أما قوله "لقد حار المفسرون في فهم هذه الآيات......إلخ"

فالرد عليه: هو أن الآية تختلف تماما عن الآيات التي تتناول خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ذلك أن آياتنا هذه لا تتناول من ذلك الموضوع إلا خلق الأرض في يومين، ثم تدخل عقب ذلك في موضوع آخر هو إنشاء الرواسي من فوقها ومباركتها وتقدير الأقوات فيها في أربعة

---

(١) أفكار مارقة –د/ إبراهيم عوض/ ٥٤٩، ٥٥٠. مرجع سابق.

أيام، ثم جعل السماء سبع سماوات في يومين بعدما تم خلقها قبلا.

وهكذا يتبين للقارئ أنَّ الأيام الستة الأخيرة لا علاقة لها بخلق الكون من عدمه، بل بتشكيل الجبال وتدبير الأقوات وما إلى ذلك، ومن ثم لا تضاد بين عدد الأيام في الآية، ذلك الذي يجعلونه ثمانية بإضافة يومي خلق الأرض إلى الستة المذكورة آنفا وبين عدد أيام الخلق في الآيات الأخرى التي تتعرض لإيجاد الأرض والسماء من عدمه.

وبطبيعة الحال فهذه الأيام أحقاب تاريخية متطاولة، وليست أياما من ذوات الأربع وعشرين ساعة "وَإِنَّ يَوْما عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" (الحج: ٤٧)، "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" (المعارج: ٤).

وأكد على أن خطأ بعض المفسرين في خلط الآيات بعضها ببعض، أو عدم فهم الآية فهما صحيحا يحسب عليه لا على القرآن الكريم فقال:

"أما إذا أخطأ بعض المفسرين وخلط بين هذه الآية والآيات التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام فهي جريرتهم لا جريرة القرآن ولا مسئوليته"(١).

وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم على الشبهة يجد مايلي:

- أن الدكتور –حفظه الله– قد أبدع عندما لفت نظر القارئ أولا إلى الضعف اللغوي الذي يتسم به مثير الشبهة وهذا يسقط قدر شبهته ابتداء في أعين القارئين.

- أن فضيلته قد اختصر بعد ذلك الرد على كل اتهامات مثير الشبهة للآية، والتي تدور في مجملها حول الفهم الخاطئ للآية ببيان التفسير الصحيح لها.

- أنه أردف ذلك ببيان احتمال وقوع بعض المفسرين في الحيرة وربما التفسير الخاطئ ولكن هذا يؤخذ على المفسر لا على أسلوب القرآن.

غير أن الشبهة لها جوانب أخرى الدكتور إبراهيم اكتفى بما رد به على تلك الشبهة، ولم يبين هل بالفعل قد وقع المفسرون في هذا الخلط الذي ادعاه مثير الشبهة أم لا، وما أقوالهم في تلك الآيات الكريمة، ولذلك فإن الباحث سيعرض في السطور التالية بعض أقوال المفسرين في الآية الكريمة.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال المفسرين:

إن الذي ينظر في كتب التفسير يجد أنها تؤكد أن الآية من قبيل الاستفهام الإنكاري، وأنها

---

(١)أفكار مارقة –د/ إبراهيم عوض/ ٥٥٠.

لا تعارض الآيات الأخرى التي تتحدث عن عدد أيام خلق السماوات والأرض.

فقد ذكر الإمام الرازي أن هذا من باب الاستفهام الإنكاري، ثم فصل القول في المُنَّكر فقال: "قوله تعالى: {أَئِنَّكُمْ} استفهام بمعنى الإنكار، وقد ذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما: الكفر بالله، وهو قوله: "لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ" وثانيهما: إثبات الشركاء والأنداد له، ويجب أن يكون الكفر المذكور أولا مغايرا لإثبات الأنداد له، ضرورة أن عطف أحدهما على الآخر يوجب التغاير، والأظهر أن المراد من كفرهم وجوه:

الأول: قولهم إن الله تعالى لا يقدر على حشر الموتى، فلما نازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله.

الثاني: أنهم كانوا ينازعون في صحة التكليف، وفي بعثة الأنبياء، وكل ذلك قدح في الصفات المعتبرة في الإلهية، وهو كفر بالله.

الثالث: أنهم كانوا يضيفون إليه الأولاد، وذلك أيضا قدح في الإلهية وهو يوجب الكفر بالله، فالحاصل أنهم كفروا بالله لأجل قولهم بهذه الأشياء، وأثبتوا الأنداد أيضا لله لأجل قولهم بإلهية تلك الأصنام، واحتج تعالى على فساد قولهم بالتأثير فقال كيف يجوز الكفر بالله، وكيف يجوز جعل هذه الأصنام الخسيسة أندادا لله تعالى، مع أنه تعالى هو الذي خلق الأرض في يومين، وتمم بقية مصالحها في يومين آخرين وخلق السماوات بأسرها في يومين آخرين؟ فمن قدر على خلق هذه الأشياء العظيمة، كيف يعقل الكفر به وإنكار قدرته على الحشر والنشر، وكيف يعقل إنكار قدرته على التكليف وعلى بعثة الأنبياء، وكيف يعقل جعل هذه الأصنام الخسيسة أندادا له في المعبودية والإلهية.

ثم بين أن هذه الآية لا تعارض الآيات الأخرى في مدة خلق السماوات والأرض، لأن المراد من قوله تعالى: "وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ " (فصلت: ١٠) أي مع اليومين الأولين فقال:

السؤال الأول: أنه تعالى ذكر أنه خلق الأرض في يومين، وذكر أنه أصلح هذه الأنواع الثلاثة في أربعة أيام أُخر، وذكر أنه خلق السموات في يومين، فيكون المجموع ثمانية أيام، لكنه ذكر في سائر الآيات أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام فلَزَم التناقض، واعلم أن العلماء أجابوا عنه بأن قالوا المراد من قوله {وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} مع اليومين الأولين، وهذا كقول القائل سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وسرت إلى الكوفة في خمسة عشر يوما يريد كلا المسافتين، ويقول الرجل للرجل أعطيتك ألفا في شهر وألوفا في شهرين فيدخل الألف في الألوف والشهر في الشهرين.

السؤال الثاني: أنه لما ذكر أنه خلق الأرض في يومين، فلو ذكر أنه خلق هذه الأنواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعد عن الشبهة وأبعد عن الغلط، فَلِم ترك هذا التصريح، وذكر ذلك الكلام المجمل؟ والجواب: أن قوله {فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ} فيه فائدة على ما إذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين، وذلك لأنه لو قال خلقت هذه الأشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون هذين اليومين مستغرقين بتلك الأعمال لأنه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل، أما لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشياء، ثم قال بعده: {فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ} دل ذلك على أن هذه الأيام الأربعة صارت مستغرقة في تلك الأعمال من غير زيادة ولا نقصان"(١).

وواضح من كلام الإمام الرازي أنه تدرج في بيان المراد من الآية الكريمة، حيث بين أولا أن الاستفهام إنكاري، فالله تعالي ينكر عليهم كفرهم به تعالى، ثم أضاف أن الآية الكريمة لا تَعَارض بينها وبين الآيات الأخرى في مدة خلق السماوات والأرض على ما مر بيانه.

أما الإمام الآلوسي فيؤكد على أن افتتاح الآية هكذا من باب الاستفهام الإنكاري، ثم بين الظاهر من ذكر اليومين، وأنهما ظرفان لخلق الأرض مطلقا فقال: "هذا إنكار وتشنيع لكفرهم، وإن اللام إما لتأكيد الإنكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لإنكار التأكيد، وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد،... واليوم في المشهور عبارة عن زمان كون الشمس فوق الأفق وأريد منه هاهنا الوقت مطلقا لأنه لا يتصور ذلك قبل خلق السماء والكواكب والأرض نفسها، ثم إن ذلك الوقت يحتمل أن يكون بمقدار اليوم المعروف ويحتمل أن يكون أقل منه أو أكثر والأقل أنسب بالمقام، وأيا ما كان فالظاهر أن اليومين ظرفان لخلق الأرض مطلقا من غير توزيع.

وقال بعض العلماء: إنه تعالى خلق أصلها ومادتها في يوم وصورها وطبقاتها في آخر.

وقال الإمام أبو السعود(٢): المراد بخلق الأرض تقدير وجودها أي حكم بأنها ستوجد في

---

(١) مفاتيح الغيب ـ الرازي ـ/ م١٤/ ج٢٧/ ١٠٣،١٠٤ بتصرف . مرجع سابق.

(٢)محمد بن محمد المولى أبو السعود العمادي الحنفي، لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة أخذ عن علماء عصره، وترقى في التداريس، والمناصب حتى ولي الإفتاء الأعظم، وألف المؤلفات الحافلة منها التفسير المشهور المسمى بالإرشاد جمع فيه ما في تفسير البيضاوي، زاد فيه زيادات حسنة من تفسير القرطبي، والثعلبي والواحدي، والبغوي، وغيرها، توفي بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة./ الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ـ نجم الدين

يومين مثله في قوله تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران: ٥٩). (١)

وقال البعض: إن في النظم الجليل دلالة أي مع الاختصار على أن اليومين الأخيرين متصلان باليومين الأولين لتبادره من جعلهما جملة واحدة واتصالهما في الذكر، وقوله تعالى: لِلسَّائِلِينَ متعلق بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف أي هذا الحصر في أربعة كائن للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها، ولا ضير في توالي حذف مبتدأين بناء على ما آثره الزمخشري في الجار والمجرور قبل، وقيل هو متعلق- بقدر- السابق أي وقدر فيها أقواتها"(٢).

ويتضح من قول الإمام الآلوسي أن الاستفهام في الآية استفهام إنكاري، وأن المراد من اليومين أنهما ظرفان لخلق الأرض مطلقا من غير توزيع.

وأكّد الإمام ابن كثير أنه لا تعارض مطلقا بين هذه الآية والآيات الأخرى التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض، حيث إن الآية تذكر أن الله خلق الأرض في يومين، وما عليها في يومين، والسماء في يومين فيكون المجموع ستة أيام فيقول: "وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء، فسواهن في يومين آخرين، ثم دَحَى الأرض، ودَحْيُها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: { دَحَاهَا } وقوله {خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} فَخُلِقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين"(٣).

وجمع الدكتور/ طنطاوي في تفسيره بين كل ما سبق ثم زاد حكمة لطيفة في سبب زيادة مدة الأرض على مدة خلق السماء فقال: "والمعنى: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء المشركين على سبيل الإنكار لأفعالهم: أإنكم لتكفرون بالله تعالى الذي خلق الأرض في يومين.

قال سعيد بن جبير ﷺ إن الله تعالى قادر على أن يخلق هذا الكون كله في لحظة، ولكنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ليعلم خلقه التثبت والتأني في الأمور(٤).

محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)/ ٣/ ٣١- ٣٣/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ ط(١)، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)/ ٨/ ٤/ دار إحياء التراث العربي – بيروت- دون.

(٢) روح المعاني ـ للآلوسي/ م١٢/ ج٢٤/ ٩٩،١٠١. مرجع سابق.

(٣) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير ./ ٤/ ١١١، ١١٢.

(٤) التفسير الوسيط ـ للدكتور محمد سيد طنطاوي/ ١٢/ ٢٤/ ١٩١- ١٩٤بتصرف.

وقال الجمل في حاشيته: فإن قيل لم جعلت مدة خلق الأرض بما فيها، ضعف مدة خلق السماوات، مع كون السماء أكبر من الأرض وأكثر مخلوقات وعجائب؟

قلت: للتنبيه على أن الأرض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين ومن كثرة المنافع، فزادت مدتها ليكون ذلك أدخل في المنة على ساكنيها، وللاعتناء بشأنهم وشأنها– أيضا– زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات والمعالجات"(١).

وعلى أية حال فإنه يتبين مما سبق أن المفسرين قد اتفقوا على أن الآية من باب الاستفهام الإنكاري، وأن المعنى واضح تماما وليس فيه غموض كما ادَّعى مثير الشبهة.

(د) الرد على الشبهة من خلال العلوم التجريبية:

عندما يطالع الباحث كتب الإعجاز العلمي، يرى أن معظمها يؤكد على أن الستة أيام، هي ستة مراحل لخلق السماوات والأرض، ويشير إلى هذا الدكتور زغلول النجار فيقول: " يرى أهل العلوم المكتسبة مراحل خلق الكون الست حسب الترتيب التالي، والله ـ تعالى أعلم بخلقه.

(١) مرحلة الرتق : وهي مرحلة الجرم الأولي الذي بدأ منه خلق السماوات والأرض.

(٢) مرحلة الفتق: وهي مرحلة انفجار الجرم الأولي، وتحوله إلى سحابة من الدخان .

(٣) مرحلة تخلق العناصر في السماء الدخانية عبر تكون نويات غازي الأيدروجين والهيليوم وبعض نويات الليثيوم.

(٤) تخلق كلٍ من الأرض وباقي أجرام السماء بانفصال دوامات من السحابة الدخانية الأولى، وتكثفها على ذاتها بفعل الجاذبية, وإنزال الحديد عليها .

(٥) مرحلة دحو الأرض وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية, وتصدع الغلاف الصخري للأرض, وبدء تحرك الواحة, وتكون كلٍ من القارات وقيعان المحيطات, والجبال, وبدء دورات كلٍ من الماء, والصخور, وتبادل القارات والمحيطات, وشق الأودية والفجاج والسبل, والتعرية, وتسوية سطح الأرض, وتكون التربة, وخزن المياه تحت السطحية.

(٦) مرحلة خلق الحياة من أبسط صورها إلى خلق الانسان.

فسبحان الذي خلق الأكوان, ومنها الأرض, وهيأها لاستقبال هذا المخلوق المكرم بهذه المراحل المتطاولة، وهو القادر على أن يقول للشيء كن فيكون. وسبحان الذي بارك الأرض, وقدر

---

(١)الفتوحات الإلاهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمل على تفسير الجلالين) سليمان الجمل/ ج٤/ ٣٥/ دار أكمل المطابع– دلهى – ١٢٨٥هـ.

فيها أقواتها في أربع مراحل متتالية: هي الرتق, الفتق, الدحو, وإرساء الجبال"(١)

ويشير عبد الدائم الكحيل إلى أن الآيات الكريمات تتحدث عن خلق الأرض فقط، وأن السماء كانت مخلوقة قبل ذلك فيقول:

ولكن لنتأمل بدقة هذا النص الكريم في ضوء الحقائق العلمية اليوم:

١- خلق الله تعالى الأرض في يومين (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) أي أن الأرض لم تكن موجودة فأوجدها الله في يومين ولكنها غير صالحة للحياة. فقدّر فيها أقواتها وخلق عليها الجبال وغير ذلك بشكل يجعلها صالحة للحياة، وذلك في أربعة أيام (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) فيكون المجموع ستة أيام.

٢- في هذه الأيام الستة كانت السماء موجودة وممتلئة بالدخان، والدليل على أنها موجودة قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) أي أن الاستواء كان بعد خلق السماء وبعد خلق الأرض، أي أنه بعد ستة أيام تمَّ خلق السماء والأرض. إذا لم يقل رب العالمين (ثم خلق السماء) بل قال (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) فالسماء إذا مخلوقة وموجودة مع الأرض، وهذا ما يقرره العلم الحديث.

فالعلماء يؤكدون أن خلق الأرض حدث والسماء موجودة وهي تتسع وتتشكل النجوم وتستمر حركة المجرات وانفجار النجوم وخلق نجوم جديدة... وهكذا

ثم بعد ذلك جعل هذه السماء الواحدة سبع طبقات بعضها فوق بعض، وهذه العملية لا علاقة لها بخلق السموات، بل هي عملية منفصلة ومتممة وتمت بعد خلق السموات وسماها القرآن بعملية التسوية، لأن الله قال: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) لم يقل (فخلقهنَّ)، وهذا دليل على أن السماء موجودة أصلا ومنذ البداية، وخلقت مع الأرض ولكنها لم تأخذ شكلها النهائي لأنها كانت دخانا وهذا ما يؤكده العلماء اليوم! إذا أكَّد القرآن أن الأرض والسماء كانتا مخلوقتين ثم سوَّى الله السماء وجعلها سبع سموات، ولذلك قال في آية أخرى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٩] تأملوا ودققوا معي كلمة (فَسَوَّاهُنَّ) لم يقل (فخلقهُنَّ) والخلق يختلف عن التسوية، لأن التسوية تكون لشيء مخلوق مسبقا. وإنني أتساءل: ما هي المشكلة بالنسبة للذين يشككون في هذه الآيات ويقولون إن القرآن يحوي خطأ حسابيا واضحا؟

---

(١) موقع الدكتور زغلول النجار ـ مقال بعنوان (الإعجاز في القرآن الكريم) تاريخ الدخول ٥/ ٤/ ٢٠١٩.

إذا الله تعالى يتحدث عن خلق السماء والأرض في ستة أيام، ويتحدث عن تسوية السماء وفصلها إلى سبع سموات في يومين، إذن أيام الخلق ستة، واليومين الأخيرين لا علاقة لهما بخلق السماء. فلا يكون هناك أي تناقض في القرآن.

والدليل على صدق هذا التفسير أن القرآن لم يذكر أبدا أن خلق السماء استغرق يومين، بل عملية تسوية السماء إلى سبع سموات هي التي استغرقت يومين وهذين اليومين لا علاقة لهما بالأيام الستة عندما قال: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرا) [الفرقان: ٥٩]. وهنا تأكيد على أن الاستواء يأتي بعد الخلق ولا علاقة له بعدد أيام الخلق." (١)

مما سبق يتبين أن العلوم التجريبية أثبتت أيضا خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأن تسوية السماء في يومين المذكورة في الآية الكريمة كانت بعد انتهاء الخلق ولا علاقة لها بأيام الخلق.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

– أن مثير الشبة لا يعرف الكثير عن أبسط قواعد اللغة العربية، وهذا ما أكده الدكتور إبراهيم عوض.

– بين الدكتور إبراهيم أنه عند وقوع بعض المفسرين في تفسير خاطئ لهذه الآية الكريمة أو لغيرها من الآ يات الكريمات – إن وجد – ، لا يعيب القرآن الكريم، وإنا يؤخذ على المفسر نفسه،.

– أن الدكتور إبراهيم قد بين المعنى الصحيح للآية وإن كان لم يستشهد على ما ذهب إليه بقول أحد من المفسرين.

– أن معظم المفسرين بينوا أن الآية الكريمة من باب الاستفهام الإنكاري، وقد وافقهم على هذا الدكتور إبراهيم–حفظه الله– ، وبالتالي لم تبدأ الآية الكريمة بداية غريبة كما ادعي مثير الشبهة.

– أنه لا تعارض بين هذه الآية الكريمة وبين الآيات الأخرى التي تتحدث عن مدة خلق السماوات والأرض، إذ إن هذه الآيات تتحدث عن خلق الأرض في يومين فقط، والستة أيام المذكورة بعد

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي د/ عبد الدائم الكحيل/ ١١/ ١٦ ـ ٢٠ بتصرف، موقع الدكتور عبد الدايم الكحيل– بحث بعنوان (خلق السماوات والأرض حقائق تثبت أن القرآن لا يناقض العلم)/ تاريخ النشر ١٩/ ١/ ٢٠١٣.

.

ذلك لا علاقة لها بخلق الكون.

-أن الآيات لا تجمع بين أطراف متباعدة كما قال مثير الشبهة، فالآيات تنكر على المشركين كفرهم بالله، وإشراكهم معه غيره في العبادة، وتؤكد لهم على أنه خالق الكون بأرضه وما عليها وسمائه وما فيها، وأن الكون كله مطيع له، وكل ذلك مما يتعلق بتوحيد الله وعبادته، حيث إنه يدفع العقول والقلوب إلى الإيمان به سبحانه وتعالى.

– أن العلوم التجريبية تثبت أن السماوات الأرض مرت بست مراحل في خلقها، وأن السماء خلقت قبل الأرض، وأن وقت الاستواء في يومين يختلف عن وقت الخلق في ستة أيام. وبذلك تسقط الشبهة.

المبحث الثاني

جهود الدكتور إبراهيم عوض في ردّ الأخطاء المتعلقة بترجمة معاني القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطأ ترجمة معنى (كواعب أترابا) بـ (أصحاب رائعين متوافقين) والرد عليه.

المطلب الثاني: خطأ ترجمة معنى (حجارة من طين) بـ (ضربات شديدة كالحجارة) والرد عليه.

المطلب الأول:

خطأ ترجمة معنى قوله تعالى: "وَكَوَاعِبَ أَتْرَابا" بالأصحاب الرائعين المتوافقين والرد عليه

لقد عاب الله تعالى على قوم أن ءامنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه الآخر، فالدخول في الإسلام يستلزم الإيمان بكل ما جاء عن الله تعالى وما ثبت نقله بالسند الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّة" (البقرة: ٢٠٨).

لكن قوما أسلموا وتصدوا لترجمة القرآن دون أن يتعمقوا، فلم يؤمنوا إلا بما يتوافق مع عقولهم، فوقعوا في بعض الأخطاء أثناء ترجمتهم، فما كان من العلماء المخلصين إلا أن ردوا تلك الشبهات بالبيان والبرهان، ومن الأخطاء التي وردت في ضوء هذا الخطأ التالي:

أولا: عرض الخطأ:

يؤكد الأستاذ (أسد) على أن معنى قوله تعالى:"وَكَوَاعِبَ أَتْرَابا" (١)أصحاب متوافقون، مخالفا بذلك كل المفسرين الذين يعتد بكلامهم؛ حيث إنه لا يعترف أصلا بالمتع المادية في الجنة.

---

(١) سورة النبأ: آية ٣٣.

يقول الدكتور إبراهيم عوض "وهذه النزعة إلى الانفراد بالآراء الغريبة لدى محمد أسد هي المسؤولة أيضا عن تنكبه لترجمة الكواعب الأتراب... بالناهدات الصدور المناظرات لأزواجهن في السن كما تقول كتب التفسير وكما يقول الأسلوب العربي، وترجمتها بدلا من ذلك "أصحابا رائعين متوافقين.

وهو يوضح السر في هذه الترجمة العجيبة قائلا: إن متع الجنة التي يمثل الكواعب الأتراب لونا من ألوانها ليست حقيقية، إذ لا نساء في الفردوس ومن ثم فـ "الكواعب" هنا هم الأقران البارزون (لأن الفعل كَعَبَ يدل على البروز بإطلاق لا بروز النهدين فحسب)، والأتراب هم الذين يكون بينهم وبين أصحابهم توافق وانسجام"(١).

بهذا يتبين أن اهذا الخطأ يتلخص في تأويل المتع الحسية في الجنة من خلال تأويل الـ " كواعب الأتراب" بالأصحاب المتوافقين.

ثانيا: الرد على هذا الخطأ في تأويل الآية الكريمة:

ويتلخص الرد على هذا الخطأ في النقاط التالية:

(أ) الرد على هذا الخطأ من خلال بيان مخالفة قائله للمنهج العلمي.

(ب) الرد على هذا الخطأ من خلال قواعد اللغة ومقارنة الآية بمثيلاتها في القرآن الكريم.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) الرد على هذا الخطأ من خلال بيان مخالفة قائله للمنهج العلمي:

استطاع الدكتور إبراهيم أن يلزم الخصم من كلامه، فبين أولا: أنه لم يلتزم بالمنهج العلمي الموضوعي، بل خالفه مخالفة صريحة، ثم بين ثانيا: أنه خالف نفسه في منهجه، حيث استبدل برأيه في الآية الترجمة المعروفة عند المفسرين، فيقول: " ورأيي أن هذه كلها حجج داحضة، فأولا: لو افترضنا أنه ليس هناك نساء في الفردوس فعلا كما يقول المترجم، فإن هذا لا يسوغ ترجمة الآية بالطريقة التي فسرها بها، بل كان ينبغي أن يترجمها كما جاءت، وليقل في الهامش إن هذا مجاز وإن المقصود بالإشارة إلى الآية كذا وكذا، فإن نساء الجنة في هذه النقطة لا يختلفن في شيء عن لبنها وعسلها وخمرها وشجرها...الخ

وسواء قلنا إن في الجنة لبنا وعسلا مثلا كلَبَنِنَا وعسلنا أو لبنا وعسلا من نوع آخر يليق

---

(١) فكر محمد أسد/ ١٧/ ترجمة لما ورد في ترجمة أسد للقرآن/ ص٩٢٤.

بالآخرة وخلودها أو قلنا إنهما رمزان لمتع أخرى لا يمكن التعبير عن حقيقتها بلغتنا البشرية فالواجب في كل هذه الحالات الإبقاء على ذكر اللبن والعسل، ثم إن في الهامش مندوحة نستغلها في توضيح رأينا كما نشاء، وقد فعل الكاتب نفسه ذلك عندما تعرض لترجمة "الحدائق الأعناب والكأس الدهاق" في السورة نفسها، فلِمَ لم يتبع هذه الخطة مع "الكواعب الأتراب؟"(١).

إن هاتين المخالفتين للمنهجية العلمية يدلان بوضوح على أن مثير الشبهة لا يتورع عن إثارة الغرائب حول معاني القرآن الكريم، إذ لم يقتنع بما لدى المفسرين من قول حول الآية الكريمة، ثم إنه خالف نفسه في المنهج الذي يتبعه في إثارة الشبهات، فوقع في الخطأ البين الواضح.

(ب) الرد على هذا الخطأ من خلال قواعد اللغة ومقارنة الآية بمثيلاتها في القرآن الكريم:

ويتابع الدكتور إبراهيم الرد على هذا الخطأ في التأويل من خلال قواعد اللغة العربية، ومن خلال مقارنتها بما يماثلها من كلمات القرآن الكريم، فيبين أن هذه الترجمة لا تتفق مع ترجمة الموضعين الآخرين اللذين وردا في القرآن لنفس الكلمة "أتراب"، فقد جاءتا وصفا لنساء الجنة فقال– حفظه الله– : "وثانيا فكلمة "أتراب "في كل من المرتين الأخريين اللتين وردتا في القرآن كانت وصفا لنساء الجنة، فلِمَ تشذ عن ذلك هاهنا؟ وهاتان هما الآيتان المذكورتان: "وعندهم (أي عند المؤمنين في الجنة) قاصرات الطرف أتراب" (ص: ٥٢) "فَجَعَلْنَاهُنَّ (أي نساء أهل الجنة)أَبْكَارا عُرُبا أَتْرَابا لِأَصْحَابِ الْيَمين" (الواقعة: ٣٦– ٣٨).

يبدو والله أعلم أن صيغة جمع المؤنث السالم في النص الأول، وضمير جماعة النسوة في النص الثاني هما اللذان منعاه من التمحل كما فعل مع "الكواعب الأتراب".

هذا من حيث مقارنتها بما يماثلها في القرآن الكريم.

أما من حيث قواعد اللغة العربية، فيؤكد الدكتور إبراهيم على أن كلمة أتراب لا تصلح إلا أن تكون للنساء، وبالتالي لا تستقيم تلك الترجمة التي ترجمها الأستاذ أسد، وأنه خالف قواعد اللغة في ترجمته، وأن الترب هو الموافق في السن لا المنسجم مع أصحابه كما يقول الأستاذ أسد، فيقول: "فما رأيه إذا قلنا إن كلمة كواعب من حيث صيغتها

لا تحتمل أيضا إلا أن تكون للنساء، ومن ثم لا تصلح أن يكون معناها الأصحاب أو الأقران كما يريد منا الأستاذ أسد أن نفهمها، ذلك أن صيغة جمع التكسير "فواعل" لا تستعمل للعقلاء الذكور إلا في (فوارس،وسوابق اللتين شذتا عن القاعدة) ثم إن "التِّرْبَ" هو المساوي في

---

(١) فكر محمد أسد ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٧، ١٨.

السن لا المتوافق المنسجم مع رفيقه كما جاء في ترجمة أسد"(١).

وبالتأمل في رد الدكتور إبراهيم عوض يتضح أنه قد بين:

أولا: السبب الذي جعل (أسد) يفسر ذلك التفسير، وهو أنه لا يعترف أصلا بوجود نساء في الجنة حقيقة.

ثانيا: عدم اتباع الأستاذ (أسد) للمنهج العلمي، وهو أن يذكر الترجمة كما هي ثم يذكر رأيه في الهامش، مع أنه فعل ذلك مع" الحدائق والأعناب"" والكأس الدهاق" فلم يسر على منهج واحد.

ثالثا: أن كلمة أتراب لم ترد في القرآن إلا وصفا لنساء أهل الجنة وهذا مما يؤيد رأي الدكتور إبراهيم.

رابعا: أن كلمة كواعب من حيث صيغتها لا تحتمل إلا أن تكون للنساء، ومن ثم لا يصلح تفسير الأستاذ (أسد) لها بالأصحاب أو الأقران، لأن صيغة "فواعل" لا تكون إلا للنساء سوى "فوارس، وسوابق".

وقد أجاد الدكتور إبراهيم عوض في هذا الرد، ولكن من الممكن أن يدعمه الباحث بأمثلة من كتب التفسير واللغة؛ ولذلك يعرض الباحث بعضا منها، ليتأكد بذلك الرد على الشبهة من كل جانب.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

بالرجوع إلى أقوال المفسرين يتبين هل الترجمة التي نقلها مثير الشبهة تمثل رأيا – ولو ضعيفا– عند العلماء؟ أم أنه اعتمد في ترجمتها على هواه، أو ما يوافق إيمانه ومعتقده من عدم الاعتراف بوجود نساء في الجنة.

لقد بين الإمام الرازي في تفسيره أن الكواعب هن النساء اللاتي برز ثديهن واستدار كالكعب فقال: "كَوَاعِبُ جَمْعُ كَاعِبٍ وَهِيَ النَّوَاهِدُ الَّتِي تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ وَتَفَلَّكَتْ أَيْ يَكُونُ الثَّدْيُ فِي النُّتُوءِ كَالْكَعْبِ وَالْفَلْكَةِ"(٢).

أما الإمام القرطبي فيرى أن معنى الأتراب الأقران في السن فقال: " وكواعب أترابا} كواعب: جمع كاعب وهي الناهد يقال: كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت تكعب تكعيبا ونهدت

---

(١)فكر محمد أسد ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٨.

(٢) مفاتيح الغيب ـ الرازي/ م١٦/ ج٣١/ ص٢١.

تنهد نهودا، وقال الضحاك: ككواعب العذارى ومنه قول قيس بن عاصم(١):

وكم من حَصَانٍ قد حوينا كريمةٍ ومن كاعبٍ لم تدر ما البؤس مُعْصِرِ

والأتراب: الأقران في السن"(٢).

أما الإمام الآلوسي فيبين أعمار نساء الجنة ورجالها بعد بيان معنى الكواعب الأتراب فيقول: " وَكَواعِبَ جمع كاعب وهي المرأة التي تكعّب ثدياها واستدار مع ارتفاع يسير ويكون ذلك في سن البلوغ وأحسن التسوية أَتْرابا أي لِدَّات(٣) ينشأن معا تشبيها في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر أو لوقوعهن معا على التراب أي الأرض وفي بعض التفاسير نساء الجنة كلهن بنات ست عشرة سنة ورجالهن أبناء ثلاث وثلاثين"(٤).

وبين الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسيره الوسيط أن سبب وصفهن بالأتراب التشبيه بضلوع الصدر في التساوي فقال: "كَواعِبَ أَتْرابا أي: فتيات في ريعان الشباب، قد تقاربت أعمارهن، وتساوين في الجمال والنضارة وحسن الهيئة.

فالكواعب، جمع كاعب، وهي الفتاة التي وصلت إلى سن البلوغ، وسميت بذلك لأنها في تلك السن يتكعب ثدياها، أي: يستديران مع ارتفاع... والأتراب، جمع تِرْب- بكسر التاء وسكون الراء- وهو المساوي لغيره في السن، وأكثر ما يطلق هذا اللفظ على الإناث. قيل: سمى من تقاربن في السن بذلك، على سبيل التشبيه بالترائب، أي: بالضلوع التي في الصدر في التساوي"(٥).

ومما سبق يتبين أن المفسرين أجمعوا على أن كلمة "أتراب" تعني الفتيات المستويات في

---

(١)قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان قيس قد حرم الخمر في الجاهلية، وذلك أنه شرب فسكر فعبث بذي محرم منه , فهربت منه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه ووجهه، وقال: اللهم بارك عليه وعلى أصحابه/ الجزء المتمم لطبقات ابن سعد (الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك- ابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)/ ٥١٧/ مكتبة الصديق- الطائف، المملكة العربية السعودية- عام النشر: ١٤١٦ هـ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي/ ١٠/ ٦٩٧٤.

(٣) (واللِّدَةُ)، بالكسرِ (التِّرْبُ)، وَهُوَ الَّذِي يُولَد مَعَك فِي وَقْتٍ واحِد، (ج {لِدَاتٌ)/ تاج العروس/ ٩/ ٣٢٦.

(٤) روح المعاني ـ الآلوسي/ م١٥/ ٣٠/ ١٨.

(٥) التفسير الوسيط ـ للدكتور محمد سيد طنطاوي/ ١٥/ ٣٠/ ٣٦٢.

السن اللاتي استدار ثديهن، ويكون هذا بعد وصولهن سن البلوغ، ولم ينقل أحدهم أن كلمة أتراب تعني الأصحاب الرائعين المتوافين التي ذهب إليها مثير الشبهة.

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث ما يلي:

- بين الدكتور إبراهيم عوض عدم اتباع الأستاذ(أسد) للمنهج العلمي في تأويل الآية الكريمة حيث إنه وضع رأيه في الترجمة دون أن يشير إلى ذلك، وكان ينبغي عليه أن يذكر رأيه فى الهامش.
- أوضح الدكتور إبراهيم عوض أن الأستاذ (أسد) لا يعترف بالمتع المادية في الجنة، ويقوم بتأويلها.
- قارن فضيلته بين الآيات التى ذكر فيها كلمة (أتراب)،وأوضح أنها لم تأت إلا وصفا لنساء أهل الجنة.
- أكد الدكتور عوض أن كلمة (كواعب) من حيث الصيغة لا تحتمل إلا أن تكون للنساء، فلا يصح تفسيرها بالأصحاب أو الأقران كما فعل الأستاذ (أسد)
- أجاد الدكتور إبراهيم عوض في الرد على هذا التأويل الخاطئ، وإن كان لم يدعم ما ذهب إليه ببيان آراء بعض المفسرين في الآية الكريمة.
- أن الشبهة ليس لها ما يؤيدها من آراء المفسرين، حيث إن المفسرين اتفقوا على أن معنى كواعب أترابا فتيات في سن البلوغ قد برز ثديهن واستدار.

وبهذا يسقط هذا التأويل ويتبين أنه لا يقوم على أى دليل معتبر.

المطلب الثاني

خطأ ترجمة معنى (حِجَارَة مِنْ طِينٍ) بضربات شديدة كالحجارة والرد عليه:

في نفس السياق الذي سبق الحديث عنه في المطلب السابق، يأتي هذا الخطأ، الذي يتأول فيه الأستاذ (أسد) القرآن الكريم في غير مواضع التأويل.

أولا: عرض الخطأ في التأويل:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن الأستاذ (أسد) يترجم في تفسيره "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَة مِنْ طِين" (الذاريات: ٣٣) بضربات عقاب شديدة كالحجارة فيقول: "وفي قوله تعالى عن قوم لوط:) "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَة مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَة عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ" (الذاريات: ٣٣ – ٣٤) يترجم كاتبنا

عبارة "حجارة من طين" إلى ما معناه "ضربات عقاب شديدة كالحجارة"(١).

وتتلخص هذا الخطأ في تأويل قوله تعالى " حِجَارَة مِنْ طِينٍ" بضربات عقاب شديدة كالحجارة.

ثانيا: الرد على هذا الخطأ في التأويل ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) الرد على هذا الخطأ من خلال بيان عدم جواز التأويل في الآية الكريمة.

(ب) الرد على الخطأ من خلال عرض أقوال المفسرين.

وفيما يلى بيان ذلك:

(أ) الرد على الخطأ من خلال بيان عدم جواز التأويل في الآية الكريمة:

ينطلق الدكتور إبراهيم عوض في الرد على هذا الخطأ من منحيين:

المنحى الأول: أن الأستاذ أسد دائما ما يُؤول عذاب الآخرة ونعيمها، مع أن العذاب المذكور في الآية دنيوي لا يحتمل التأويل فيقول: "ولست أستطيع أن أجد مسوغا للذي فعله الأستاذ أسد! لقد لاحظت...أنه دائما ما يُؤول عذاب الآخرة ونعيمها، وهذا أمر قد يحتمل الخلاف، أما تأويل مثل هذا العذاب الدنيوي فما وجهه؟

إن حجة القائلين بتأويل الأخرويات هي أنها بنص القرآن والحديث شيء مختلف عما نعرفه في الدنيا، لكن ماذا عن الأحداث الدنيوية؟ إنها وقائع تاريخية لا تقبل التأويل، ومثل هذا التصرف من شأنه أن يزعزع النص القرآني، فالمرجو أن نحترمه، وفي الهوامش متسع لما نريد أن نقول، وذلك بدلا من تثبيت النص المقدس إلى الأبد على فهمنا الذي من المحتمل جدا أن يكون خاطئا، بل هو هنا خطأ بيقين.

المنحى الثاني: بين فيه أن معنى الآية واضح لا يحتاج الى تأويل، وأن تأويلها كما يقول الأستاذ أسد يجعل المعنى غامضا، وأنه لا داعي مطلقا هنا لترك المعنى الواضح واللجوء إلى التأويل المبهم، وأنه ذكر أن هذه الحجارة ناتجة عن انفجار بركاني، لكنه ترك ذلك وجرى خلف الربط بين المعنى اللغوي لكلمة "سجيل" فقال: "ثم فلنفترض أن ترجمة الأستاذ أسد صحيحة، فأي عقاب يا ترى الذي يشبه في شدته الحجارة والذي أرسله الله على قوم لوط؟ ترى أيصح أن نترك مثل هذا التعبير القرآني المشمس ونذهب فنضرب في ظلمات الأوهام الغامضة؟

لقد ذكر الأستاذ أسد في موضع آخر من ترجمته أن هذه الحجارة الطينية تشير إلى وقوع

---

(١) فكر محمد أسد- د/ إبراهيم عوض/ ١٥. مرجع سابق.

انفجار بركاني، لكنه للأسف ترك هذا التفسير وجرى وراء الربط بين كلمة "سجيل" (في قوله تعالى عن نفس الواقعة: "حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ"(هود: آية ٨٢) وكلمة "سجيل" وانتهى إلى تلك الترجمة الغريبة هنا وفي الآية (٨٢) من سورة هود "فهو عقاب، لكنه ليس عقابا بالحجارة، بل عقاب في شدة الحجارة.

أما من سجيل فمعناها "مسجلة في لوح القدر "**preordained**" وتبقى كلمة "منضود" التي جعلها صفة لضربات العقاب، ولا أدري كيف فهي مذكر والضربات...مؤنثة وهذه هي عبارته في نصها الإنجليزي " **and rained down upon them ston hard blows of chastisment preordained, one upon another**". وهكذا تمزقت أوصال الآية بلا رحمة أو داع"(١).

وبالتأمل في التأويل يجد الباحث أن تفسير الأستاذ أسد للآية يخالف تفسير جمهور المفسرين دون أن يأتي بأي دليل على ذلك التفسير، فما الذي يجعلنا نقبله أو حتى نلتفت إليه؟

أما الدكتور إبراهيم، فقد وضح أنه لا مسوغ مطلقا لهذا التأويل، لأن الآية تتحدث عن واقع تاريخي دنيوي لا يتناسب ذلك التأويل معه.

كما أنه لا يجوز أن نثبت النص المقدس للأبد على فهمنا المحتمل للخطأ، بل هو هنا خطأ بيقين ولو افترضنا أن ترجمته صحيحة فأي عقاب هذا الذي يشبه الحجارة في شدته والذي أرسله الله ﷻعلى قوم لوط؟

وما الذي يجعلنا نترك التعبير القرآني الواضح ونضرب في ظلمات الأوهام الغامضة؟

ويرى الباحث أن رد الدكتور إبراهيم قد اقتصر على الجانب العقلي دون أن يبين لنا المعنى الصحيح للآية ولذلك من الأهمية بمكان أن يعرض الباحث هنا أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة.

(ب) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

مما يدعم الرد على هذا الخطأ أن نرجع إلى أقوال المفسرين، لندرك من خلالها المعنى الصحيح للآية الكريمة، ولنقف على مدى صحة تلك الترجمة التي نقلها الأستاذ أسد.

بين الإمام الزمخشري أن المراد بالطين في الآية الكريمة، أنها طين مطبوخ صار في صلابة الحجارة، وأن على كل واحد منها اسم من يهلك به فقال: " حِجارَةً مِنْ طِينٍ يريد: السجيل، وهو

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٥، ١٦.

طين طبخ كما يطبخ الآجر، حتى صار في صلابة الحجارة مُسَوَّمَة معلمة، من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به، وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب، وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا"(١).

وأضاف الإمام الآلوسي أنها ليست من البرَد حيث قال: "وفي تقييد كونها من طين رفع توهم كونها بَرَدا فإن بعض الناس يسمي البرد حجارة، مسومة مرسلة من أسمت الإبل في المرعى، ومنه قوله تعالى:[ومنه شجرٌ فيه تُسِيمُون] (النحل: ١٠)"(٢).

كما أضاف صاحب صفوة التفاسير(٣) زيادة على ما سبق أن قري لوط ﷺ كان فيها ستمائة ألف فقال: "قال الصاوي: كان في قرى لوط ستمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلع قراهم، ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها، ثم أرسل الحجارة على من كان خارجا عنها"(٤).

وبعد هذا العرض المختصر لأقوال المفسرين، يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن المراد الحجارة الحقيقية وليس ضربات عقاب كالحجارة كما ادَّعى الأستاذ (أسد).

الخلاصة:

- ومن خلال عرض ما سبق يتبين للباحث ما يلي:
- أن المفسرين القدامى والمحدثين، قالوا بأن المراد بالآية الطين المطبوخ الذي صار في صلابة الحجارة، ولم يقل أحد منهم بما قاله الأستاذ أسد.

---

(١) تفسير الكشاف/ ٤/ ٣٠. مرجع سابق.

(٢)تفسير الآلوسي/ م١٤/ ج٢٧/ ص ١٣، ١٤.

(٣) محمَّد علي الصَّابُونيّ، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، ومن المتخصصين في علم تفسير القرآن، وهو مؤلف كتاب" صفوة التفاسير" وُلد الصَّابوني في مدينة حلب السورية عام ١٩٣٠م، بعثته وزارة الأوقاف السورية إلى الأزهر الشريف بالقاهرة على نفقتها للدراسة، فحصل على شهادة كلية الشريعة منها عام ١٩٥٢، ثم أتمّ دراسة التخصص بحصوله على شهادة العالمية في القضاء الشرعي عام ١٩٥٤. تم تعيينه باحثا علميا في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ثم عمل كمستشار في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من أهم مؤلفاته/ (صفوة التفاسير ـ المواريث في الشريعة الإسلامية ـ من كنوز السنة)، توفي ١٥/ ٢/ ٢٠١٥/ ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) تاريخ الدخول ١١/ ١٠/ ٢٠١٧.

(٤) صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني ـ م٣ ص ٢٥٤ ـ دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط١. بدون تاريخ.

- أن الاستاذ أسد لم يأت بدليل على ما يقول.
- أنه لا مسوغ مطلقا لذلك التأويل الذي قال به الأستاذ أسد لأننا أمام أحداث تاريخية لا تقبل التأويل كما أكد الدكتور إبراهيم عوض.
- أنه لا يجوز لنا أن نفسر النص المقدس الخالد بناء على فهمنا المحتمل للخطأ والصواب.

وهكذا يسقط هذا التأويل ويتبين أن الأستاذ (أسد) يعتمد على رأيه، ويحاول أن يترجم المعاني بما يتلاءم مع معتقده في تفسير الآية.

المبحث الثالث

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بمضمون الآيات القرآنية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبهة خطأ القرآن في نقل اعتراف امرأة العزيز بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه أمام النسوة وتقطيع أيديهن والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة خطأ القران في قوله تعالى (تغرب في عين حمئة) والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة عدم إعجاز القرآن في قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) والرد عليها.

المطلب الأول

شبهة خطأ القرآن في نقل اعتراف امرأة العزيز بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه أمام النسوة وتقطيع أيديهن والرد عليها:

لون آخر من ألوان التشكيك في القرآن الكريم، وهو التشكيك حول إمكانية اعتراف أحد بخطئه على ملأ من الناس، أو إمكانية تأثر بعض النساء بوسامة وجمال بعض الرجال مما يجعلهن ينصرفن عن التركيز فيما يقمن به، فيترتب على ذلك ما لا يمكن حدوثه فى الأحوال العادية.

أولا: عرض الشبهة:

يشكك عبد الله عبد الفادي في مضمون الآية الحادية والثلاثين من سورة "يوسف" التي تبين أن امرأة العزيز أرسلت إلى النسوة لما سمعت بلومهن لها على ما أشيع من حبها ليوسف عليه السلام وأخرجت يوسف عليه السلام عليهن فقطعن أيديهن بالسكاكين، فيقول: "هل يعقل أن زوجة ضابط كبير تهيئ وليمة خصيصا وتدعو سيدات أشراف المدينة لتعلن أمامهن غرامها بعبدها وتكشف عن وجهها برقع الحياء دون أن تخشى فضيحة؟ وكيف يعقل أن النسوة ينشغلن بجمال يوسف عليه السلام

حتى ليقطعن أيديهن بالسكاكين من غير إحساس من شدة الذهول؟"(١).

ومفاد الشبهة

ـ استبعاد وقوع مثل هذا الموقف من زوجة ضابط كبير، فضلا عن أن يقع من امرأة ملك مصر.

ـ استبعاد انشغال النسوة بجمال يوسف عليه السلام حتى يحدث ما حدث، فهذا خيال.

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان إمكانية الوقوع.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عصمة الأنبياء عليهم السلام. وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان إمكانية الوقوع:

ينطلق الدكتور إبراهيم في الرد على تلك الشبهة من محورين:

المحور الأول: إمكانية وقوع مثل هذا الاعتراف:

حيث يؤكد أنه من الممكن جدا أن تعرض امرأة ذات منصب وجمال نفسها على رجل خاصة إذا كان يعيش معها في بيت واحد، ويزيد الأمر إذا كان زوجها خصيا كما جاء في الكتاب المقدس، وليس من المستغرب أن تدعو النسوة اللاتي ينشرن أمرها ويكثرن من الحديث عنها فتحاول إسكاتهن عن طريق الافتتان بجمال يوسف عليه السلام كما افتتنت به.

يقول الدكتور إبراهيم عوض: "إن الترف الإجرامي ليؤدي إلى هذا وإلى ما هو أشنع من هذا كما يعرف كل الناس، وماذا ينتظر من امرأة كانت تطارد ابنها بالتبني على هذا النحو وتقول له بصريح العبارة كما جاء في كتابكم المقدس:(ضاجعني) ثم إن زوجها كما جاء في كتابكم (كان خصيا) أي أنها كانت تعاني من الحرمان الجنسي المطلق.

(لست أصدق أن زوجها كان خصيا؛ لأن الخصيان لا يتزوجون، ولأنها هي نفسها ما كانت لتقبل الزواج منه لو افترضنا أنه فقد عقله وأقدم على هذه الخطوة).

كما أن أولئك النسوة فضحنها في كل مكان بالمدينة فلم يعد هناك سبيل لاحتفاظها ببرقع الحياء، إذا وقعت الواقعة وانتهى ألم الأمر"(٢).

المحور الثاني: أمثلة من الواقع تثبت وقوع مثل ذلك:

---

(١) هل القرآن معصوم ـ عبدالله عبدالفادي/ ٤١، مرجع سابق.

(٢) عصمة القرآن وجهالات المبشرين/ ١٢٠ وهامشها بتصرف. مرجع سابق.

يضرب الدكتور إبراهيم عوض أمثلة من الواقع على مثل هذا التصرف من شخصيات مشهورة فيقول: "ولقد تابع العالم منذ سنوات غير بعيدة الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا وزوجته الأميرة ديانا، وكلاهما يعترف في المرناء (التلفاز) أمام مئات الملايين باللقاءات الجنسية التي مارسها في الحرام من وراء رفيقه.

وقبل ذلك بسنوات كان التلفاز البريطاني مشغولا في نشراته لفترة طويلة بعشق الأميرة آن (أخت تشالز) للضابط مارك فيلبس وبعشق خالته الأميرة مرجريت لأحد المصورين.

كذلك فعبدالله عبد الفادى يعرف جيدا ما كان يفعله بعض بابوات روما في العصور الوسطى، إذ يصطحب الواحد منهم عشيقته معه وهو يدور على رعاياه في جولاته المقدسة.

كما يضرب أمثلة من الواقع كذلك على إمكان جرح النسوة لأيديهن بمجرد رؤية يوسف عليه السلام فيقول: " أما مسألة تقطيع النسوة أيديهن، فما الغريب في أن تجرح نفسها بسكين حاد في يدها تقطع به الفاكهة، امرأة طائشة عندما يخرج عليها فجأة شاب باهر الوسامة قد أصبح حديث المدينة بسبب وله امرأة العزيز به؟ وفى الأحداث الواقعية من صنوف هذا الوَلَهِ المجنون مالا يعد الذى فعلته صواحب يوسف بجانبه شيئا يستحق الذكر.

وقد فعلت الفتيات في مصر ما هو أبشع من هذا عندما مات أحد المطربين العاطفيين منذ ربع قرن ولم يكن يتمتع بشيء من جمال يوسف الذي ضربت به الأمثال، ومع ذلك انتحر بعضهن من شدة غرامهن به.

إن الحياة مملوءة بالغرائب وإن النفس البشرية تفاجئنا كل يوم بما لا يخطر على البال، فلماذا الاعتراض على القرآن الكريم في تجريح النسوة المشنعات على امرأة العزيز أيديهن بالسكاكين انبهارا بجمال يوسف(١).

وها نحن نطالع صفحات الجرائد تمتلئ يوما بعد يوم بانتحار الكثير من الفتيات من أجل رفض أهليهن زواجهن ممن أحببن، وليس من أحببن فيه شيء من الجمال الذي يقارن بجمال يوسف عليه السلام، فما وجه إنكار ما حدث مع النسوة من جرح أيديهن لذهولهن من جمال يوسف عليه السلام!

ففي جريدة اليوم السابع بتاريخ ٢٠١٦/٢/٢٣ وردت قصة انتحار فتاة من الدور السابع لرفض أهلها زواجها ممن أحبت، وقبلها بعشرة أيام تقريبا ورد في نفس الجريدة انتحار أخرى من

---

(١) عصمة القرآن وجهالات المبشرين ـ د/ إبراهيم عوض/ ص ١٢٢

الطابق الثاني عشر لاكتشافها بُخْل خطيبها الذي أحبته، حيث إنه تهرب من دفع أجر العشاء الذي تناولاه مع والدتها في أحد المولات الشهيرة.

وأما بالنسبة لاعتراف امرأة العزيز أنها راودت يوسف عليه السلام عن نفسه أمام النسوة فها نحن نسمع في وسائل الإعلام على مرأى ومسمع من العالم كله بعض الفنانات أو المشاهير يعترفن بممارسة الرذيلة مع رجال أجانب ولا يرين في ذلك حرجا.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس:

يبين الدكتور إبراهيم أن الكتاب المقدس الذي يؤمن به مثير الشبهة اشتمل على مثل ما اعترض عليه في الشبهة التى أثارها وزيادة فيقول: " وفى الكتاب المقدس نجد مثلا أن ابنتي لوط تتفقان دون خجل أو حياء على أن تسقيا أباهما خمرا حتى يفقد الوعي ثم تضاجعاه لتحبلا منه.

"وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرا اللَّيْلَةَ أَيْضا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا،فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا"(١).

، وكذلك زنا داود بامرأة أوريا، فهو لم يستح من أن يرسل إليها ويعلن أمام حاشيته على الأقل عشقه لها ثم إنها لما حملت منه أرسلت إليه من يخبره فلم تستح هي أيضا أن تعلن أمام من أرسلتهم إليه أنها زنت معه وحملت منه...كما يقول الكتاب المقدس"(٢).

وهذا هو نص الكتاب المقدس: "فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى»"(٣)

---

(١) سفر التكوين/ ١٩/ ٣١ ـ ٣٦.

(٢)عصمة القرآن وجهالات المبشرين ـ د/ إبراهيم عوض/ ص ١٢٠، ١٢١

(٣) سفر صموئيل الثاني/ ١١/ ٣ ـ ٥.

وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم يجد أنه رد على الشبهة من خلال ثلاثة محاور:
الأول: بين فيه إمكانية وقوع مثل هذا الاعتراف الذي حدث من امرأة العزيز أمام نساء المدينة،
والثاني: جاء بالأمثلة التي تثبت إمكانية وقوع مثل ذلك، بل هي أمثلة من الواقع المعاصر.
والثالث: أتى ببعض ما جاء في الكتاب المقدس من روايات تدل على اشتماله على افتراءات مقززة يخجل مَن لديه ذرة من عقل أو إحساس مجرد قراءتها لاسيما وأن الكتاب المقدس ينسبها لبعض الأنبياء والرسل.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عصمة الأنبياء عليهم السلام:

اصطفى الله سبحانه وتعالى من الناس أفضلهم خلقا، وأشرفهم نسبا، وأكملهم وصفا، لتحمل الرسالات السماوية وهم الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام؛ فهم مبلغون عن رب العزة سبحانه وتعالى، ومن البديهي ألا يتصفوا بما يعيبهم أو يقلل من شأنهم؛ لذا عصمهم الله عز وجل من ارتكاب الكبائر أو الإصرار على الصغائر.

والعصمة في اللغة: المنع(١).

وفي الاصطلاح: عرفها العلماء عدة تعريفات من أهمها ما يلي:

يقول الإمام الجرجاني(٢): " العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها"(٣)

ويعرفها الإمام ابن حجر(٤) فيقول:" عصمة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام

---

(١)(عَصَمَ) الْعَيْنُ وَالصَّادُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِمْسَاكٍ وَمَنْعٍ وَمُلَازَمَةٍ. الْعِصْمَةُ: أَنْ يَعْصِمَ اللَّهُ- تَعَالَى- عَبْدَهُ مِنْ سُوءٍ يَقَعُ فِيهِ/ مقاييس اللغة/ ٤/ ٣٣١.

(٢) هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. (٧٤٠- ٨١٦ هـ = ١٣٤٠- ١٤١٣ م)، ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرَّ الجرجاني إلسمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها " التعريفات- ط " و" شرح مواقف الإيجي- " و" تحقيق الكليات/ الاعلام/ ٥/ ٦، ٧.

(٣)كتاب التعريفات- الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)/ ١/ ١٥٠/ دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- ط(١) ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م

(٤)(٧٧٣- ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢- ١٤٤٩ م)أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، وله مصنفات عديدة، من أهمها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، و لسان الميزان، فتح الباري بشرح صحيح البخاري). الأعلام- ١/ ١٧٨

حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة" (١)

ويبين الشيخ رشيد رضا الفرق بين عصمة الأنبياء وعصمة غيرهم فيقول: "إن المعصوم من الشئ يجد في نفسه قدرة عليه، ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه.

فالعصمة وازع نفسي راسخ في النفس، وهي في الأنبياء فطرية، وقد تكون لغيرهم – بحسن التربية – من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن موافقة الفجور والدنايا، ويسمي علماؤنا هذا حفظا للتفرقة(٢)"(٣)

إذن فالعصمة بالنسبة للأنبياء عليهم السلام وازع داخلي يحفظهم من ارتكاب الدنايا.

بعض أقوال العلماء في عصمة الأنبياء:

ـ يذكر الإمام الرازي أن العصمة واجبة للأنبياء، مستدلا ببعض الاستدلالات المنطقية، فيقول:

" المسألة الخامسة في إثبات وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام في وقت الرسالة ويدل عليه وجوه:

أحدها: أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش ونعمة الله تعالى على الأنبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة وأن يستحقوا من الزجر

والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع عصاة الأمة وهذا باطل فذاك باطل

الثاني: أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادته لقوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا"(الحجرات:٥) وإذا لم تقبل شهادته في هذه الأشياء الحقيرة فبأن لا تقبل في إثبات الأديان الباقية إلى يوم القيامة كان أولى وهذا باطل فذاك باطل

الثالث: أنه تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوه لعلكم تفلحون وقال تعالى {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} فلو أني بالمعصية لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعته في فعل ذلك الذنب وهذا باطل فذاك باطل وأما جميع الآيات الواردة في هذا الباب فإما

---

(١) فتح الباري – ابن حجر/ ١١/ ٥٠١، ٥٠٢.

(٢) للتفرقة بين عصمة الأنبياء عليهم السلام وعصمة غيرهم.

(٣)مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدا)– مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة/ ٥/ ١٨.

أن تحمل على ترك الأفضل أو إن ثبت كونه معصية لا محالة فذلك إنما وقع قبل النبوة" (١)

وقال السعد التفتازاني(٢): "وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل، وهو أنهم معصومون عن الكفر، قبل الوحي وبعده بالإجماع، وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور... وأما سهوا فجوز الأكثرون، قال: وأما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي وأتباعه، وتجوز سهوا بالاتفاق إلا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة، لكن المحققين شرطوا أن ينهوا عنه فينتهوا منه "(٣)

ـ وقد نقل الإجماع على عصمة الأنبياء عدد من الأئمة في عدد من المصادر والمراجع منها ما نقله القاضي عياض في الشفا، حيث قال:

" أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، قال: وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا"(٤).

ـ وما نقل في (الأنوار البهية):

"الأنبياء الكرام والرسل العظام، ((سلم)) وتنزه، ((من كل ما)) زائدة لإقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه ونزهوا عنه، ((نقص)) يؤدي إلى إزالة الحشمة وإسقاط المروءة، وألحقت بفاعلها الإزراء والخسة كسرقة لقمة وتطفيف بحبة، لقيام الإجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي إلى الإزراء والدناءة.... إن كل واحد منهم ((من كفر)) بجميع أنواعه ((عصم)) قبل النبوة

---

(١)معالم أصول الدين– فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)/ ١/ ١٠٨، ١٠٩/ دار الكتاب العربي – لبنان.

(٢)هو مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني الإمام العلامة. عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، شافعي. ولد سنة ثنتي عشرة وسبعمائة، وأخذ عن القطب والعضد، وتقدم في الفنون، واشتهر ذكره، وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه، ومن أهمها (شرح العضد، التلويح على التنقيح في أصول الفقه، شرح العقائد، المقاصد في الكلام) وغير ذلك.وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق.مات بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة– السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)/ ٢/ ٢٨٥– المكتبة العصرية– لبنان/ صيدا.

(٣) شرح العقيدة النسفية – سعد الدين التفتازاني (٧٩٢)/ ١٠٨/ دار الهدى – الجزائر.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى– عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)/ ٢/ ٣٢٩/ دار الفيحاء – عمان– ط(٢)– ١٤٠٧ هـ.

وبعدها"(١)

ـ من خلال ما سبق يتبين الإجماع على عصمة الأنبياء من ارتكاب الكبائر، أو الإصرار على الصغائر، بل جزم بعض الأئمة بعصمتهم من الصغائر كذلك.

لذا فإن يوسف عليه السلام ما كان ليقع في ارتكاب الفاحشة لأنها من الكبائر وقد عصمه الله عز وجل من ارتكابها، كما أن تصوير القرآن الكريم للقصة يؤكد تلك العصمة، فيوسف عليه السلام يلجأ لربه سبحانه وتعالى في كل موقف يتعرض له.

الخلاصة:

وبعد عرض الشبهة ورد الدكتور إبراهيم عوض عليها يتبين للباحث ما يلي:

ـ اتفق الدكتور إبراهيم مع السابقين في أن المقصود بتقطيع الأيدي جرحها وليس قطعها قطعا كاملا، وهذا ما تحتمله اللغة والعادة.

ـ أضاف الدكتور إبراهيم عوض اشتمال الكتاب المقدس على نماذج وأمثلة تخدش حياء ذوي الطبع السوي.

ـ وبين الدكتور إبراهيم عوض أن اعتراف امرأة العزيز بمراودة يوسف ﷺ عن نفسه أمام النسوة أمر يؤكده الواقع في نماذج واقعية كثيرة في دنيا الناس، ولا تأباه الطبائع المنحرفة.

كان من الممكن أن يضاف في الرد على الشبهة كون الأنبياء معصومين من ارتكاب مثل هذه الأعمال الشائنة.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لاتقوم على دليل معتبر.

المطلب الثاني

شبهة خطأ القرآن الكريم في قوله تعالى:(تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) والرد عليها:

في نفس السياق التي أثيرت فيه الشبهة السابقة، تأتي تلك الشبهة لتضيف بعدا آخر عند مثيري الشبهات، وهو الجهل بأبسط قواعد اللغة العربية, والإفلاس من الدراية بالأساليب البلاغية.

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية– شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)/ ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤/ مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق– ط(٢)– ١٤٠٢ هـ– ١٩٨٢م.

أولا: عرض الشبهة:

ينقل الدكتور إبراهيم عوض رسالة وصلته من أحد النصارى عن طريق شبكة المعلومات فيقول: " بعث لي أحد نصارى المهجر برسالة مشباكية(على شبكة المعلومات "الإنترنت") مكتوبة بلغة إنجليزية لا بأس بها...، فتحدى المسلمين أن يستطيعوا الرد على ما يواجه القرآن من انتقادات علمية، منها ما يتعلق مثلا بما جاء في قوله تعالى: "تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ" (الكهف:٨٦)عن ذي القرنين ومشاهدته الشمس وهي تغرب في عين ماء مما يخالف علوم الفلك كما قال"(١).

اعتراض:

كما نقل ـ فضيلته ـ اعتراضا على الآية، وجده على شبكة المعلومات (الإنترنت) والتي يعبر عنها بالمشباك، جاء فيه "قد عثرت أثناء تقليبي في المشباك بمن يقول معترضا على الآية: إن مثل هذا التوجه كان يمكن أن يكون مقبولا لو أن الآية قالت إن ذا القرنين رأى أو شاهد الشمس تغرب في العين، أما الآية فتقول إنه "وجدها تغرب في عين حمئة" فمعنى هذا أن المقصود هو أنها كانت تغرب في العين فعلا.

ويقول (jochen katz وsam shamoun): إن مُؤَلِّف القرآن – يقصدان بالطبع الرسول الكريم ﷺ– ذكر أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة ولم يقل أنها كانت تبدو له كذلك... ثم يمضي العالمان النحريران فيقولان إن القرآن يؤكد أن ذا القرنين بلغ فعلا، إلا أن مؤلف القرآن قد ارتكب خطأ علميا فاحشا بظنه أن القصة الخرافية التي وصلت إلى سمعه هي حقيقة تاريخية"(٢)، وقالا أيضا: " إن كلمة مغرب الشمس لا تعني إلا مكان غروب الشمس"(٣).

فالشبهة إذن تتلخص فيما يلى:

ـ غروب الشمس داخل العين حقيقة

ـ مخالفة الآية الكريمة لعلوم الفلك

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) الرد على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية.

---

(١) الرد على ضلالات زكريا بطرس(حقائق الاسلام الدامغة وشبهات خصومه الفارغة)/ ص٦٩٣/ ط. مكتبة جزيرة الورد ـ القاهرة ـ ط(١). ٢٠١٠م.

(٢) المرجع السابق/ ٧٠١، ٧١٢ بتصرف.

(٣) المرجع السابق/ ٧١٣.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين.

وفيما يلي بيان ذلك:

الرد على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية:

لما افتتح الدكتور إبراهيم رده على الشبهة بالتأكيد على أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، كان من الواجب على الباحث أن يشير إلى آراء النحاة في تلك المسألة لأن فيها خلافا مشهورا بين الكوفيين والبصريين

"فمذهب الكوفيين، ومن وافقهم، أن حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض. ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول، إما بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر، يتعدى بذلك الحرف"(١)

ولما كان الجميع يقر بأن الكوفيين يجيزون إنابة حروف الجر بعضها عن بعض، فسوف يكتفي الباحث بالرد على عدم جواز ذلك عند البصريين.

فسيبويه وهو شيخ البصريين يذكر دلالة أصلية لكل حرف، لكنه يرى أنه قد يتسع فيدل على معنى آخر فيقول:

"وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيدٍ، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله." (٢)

ويقول –أيضا– :

"وأما إلي فمنتهي لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا. وكذلك حتى، وقد بين أمرها في بابها، ولها في الفعل نحوٌ ليس لإلي. ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي إنما أنت غايتي، ولا تكون حتى ههنا: فهذا أمر إلي وأصله وإن اتسعت"(٣)

بل إنه يذكر عندما يتعرض للحديث عن من أنها تكون لابتداء الغاية، كما أنها تكون للتبعيض، فيقول:"وأما من فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وذلك قولك: من مكان كذا وكذا إلى

---

(١)الجنى الداني في حروف المعاني– أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ/ ١/ ٤٦ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ– ١٩٩٢ م

(٢) الكتاب – سيبويه– / ٤/ ٢١٧.

(٣) المرجع السابق/ ٤/ ٢٣١.

مكان كذا وكذا. وتقول إذا كتبت كتابا: من فلان إلى فلان. فهذه الأسماء سوى الأماكن بمنزلتها. وتكون أيضا للتبعيض تقول: هذا من الثوب، وهذا منهم، كأنك قلت: بعضه. (١)

بل إن ابن السراج(٢) يتوسع في الأمر، فيجيز إنابة بعضها مكان بعض بشرط تقارب المعاني، فيقول:

"واعلم أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني فمن ذلك: الباء تقول: فلان بمكة وفي مكة, وإنما جازا معا لأنك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا. فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع, وإذا قلت: في موضع كذا فقد خبرت "بفي" عن احتوائه إياه وإحاطته به, فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة, وإذا تباين معناهما لم يجز, ألا ترى أن رجلا لو قال: مررت في زيد أو: كتبت إلى القلم, لم يكن هذا يلتبس به, فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض, فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز(٣)

من خلال ما سبق يتبين إجازة البصريين لإنابة حروف الجر بعضها عن بعض بضوابط وهذا ما اعتمد عليه الدكتور إبراهيم عوض.

وقد قسم الدكتور إبراهيم عوض رده على تلك الشبهة إلى عدة أمور.

فبدأ أولا: بالتأكيد على أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وأن ذلك من باب المجاز فقال: "من المعروف في كتب اللغة أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، بمعنى أن هناك توسعا في استعمالها، بل إن في اللغة توسعات كثيرة في غير حروف الجر –أيضا– ، وإن لم تكن هذه التوسعات دون ضوابط حتى لو لم نستطع في بعض الأحيان أن ننتبه لها، أو على الأقل حتى لو لم نتفق عليها، وقد تسمى هذه التوسعات بالمجاز، وهو ما يعنى أن الكلام لا ينبغي أن يؤخذ على

---

(١) الكتاب/ ٤/ ٢٢٥

(٢)أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)،كان أحدث أصحاب أبي العباس المبرد، مع ذكاء وفطنة، قرأ عليه كتاب سيبويه، ونظر في دقائقه وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة، ويقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله. وكان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين، وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد. هـ من المصنفات: كتاب الأصول، وشرح كتاب سيبويه./ معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب– ياقوت الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)/ ٦/ ٢٥٣٥ ـ ٢٥٣٧ بتصرف/ دار الغرب الإسلامي، بيروت– ط(١)، ١٤١٤ هـ– ١٩٩٣ م.

(٣)الأصول في النحو– أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)/ ١/ ٤١٤، ٤١٥/ مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت.

ظاهره أو حرفيته.

مثال: ولنأخذ حرف الجر (في) الموجود في الآية لنرى ماذا يقول النحاة في استعمالاته فهم يقولون إنه يستخدم في عشرة معان منها ما يلى:

الأول: الظرفية زمانا أو مكانا حقيقة أو مجازا، حضرت إلى الاجتماع في العاشرة مساء، سكنت في البيت أعواما طوالا.

الثاني: المصاحبة: نحو قوله تعالى: "قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ" (سورة الأعراف: آية: ٣٨) أي بمصاحبتهما.

الثالث: التعليل: نحو قوله تعالى:"فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ" (سورة يوسف: آية: ٣٢) أي بسببه.

الرابع: الاستعلاء: نحو قوله تعالى:"وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ"(سورة طه: ٧١).

الخامس: مرادفه الباء (فلان بصير في الموضع الفلاني) أي بصير به...الخ.

وفى القرآن الكريم "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَة "(سورة البقرة: ٣٠) وطبعا لم يجعل المولى الإنسان خليفة في الأرض أي في باطنها، بل على سطحها.

وقوله تعالى:"وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" (سورة البقرة:آية ٩٣)، وليس المقصود العجل نفسه بل عبادته.

وقوله تعالى "قدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ" أي صوب نواحي السماء...إلخ(١).

ثم بين ثانيا: أن كلمة العين لها أكثر من معنى في اللغة العربية(٢) فقال:

"من معاني العين في العربية حسبما جاء في لسان العرب "عين الماء" والعين: التي يخرج منه الماء، والعين: ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري.

وروي فى الحديث "خير المال عين ساهرة لعين نائمة"(٣) أراد عين الماء التي تجرى ولا

---

(١) الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ص ٦٩٤، ٦٩٥ بتصرف.

(٢) وهذا ما يسمى بالمشترك اللفظي، وهو/ ما وضع لمعنيين فأكثر كالقرء للطهر والحيض/ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة

زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)/ ١/ ٨٠/ دار الفكر المعاصر– بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

(٣) غريب الحديث ـ ابن قتيبة/ ٣/ ٧٥٤/ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ط(١) ـ ١٣٩٧هـ، أدب الدنيا والدين ـ الماوردي/ ١/ ٢١١/ دار مكتبة الحياة ـ ١٩٨٦م. اطلع الباحث على عدد كبير من المراجع، فيكتب جميعهم لم أقف على حكمه، أو لم أجد له حكما.

تنقطع ليلا أو نهارا، وعين صاحبها نائم فجعل السهر مثلا لجريه، والعين من السحاب: ما أقبل من ناحية القبلة وعن يمينها... والعين: مطر لا يقلع... والعين: الناحية.

وبذلك يتبين أن المسألة أوسع من ذلك بكثير بحيث تصدق كلمة العين على البحر، والسحاب، والمطر أيضا.

ولذلك وجدنا من المترجمين من يترجمها بمعنى (بحر) أو (بحيرة)، فضلا عن أنه من غير المستبعد أن يكون المعنى في الآية هو ذلك النوع المذكور من السحاب أو المطر"(١).

ثم وضح ثالثا: المراد بكلمة مغرب:

فأشار إلى أن قول القائل (بأن كلمة مغرب لا تعني إلا مكان غروب الشمس)، غير مراد وغير صحيح، فيقول: " وأما قولهما إن كلمة مغرب الشمس لا تعني إلا مكان غروب الشمس فلننظر إذن في هذا الكلام لنرى مبلغه من العلم أو الجهل، فأما غروب الشمس لا تعنى هنا إلا المكان الذي تغرب منه الشمس فهو كلام لايتفق مع قواعد اللغة العربية، إذ إن صيغة "مفعل" "التي جاءت عليها كلمة مغرب قد تعنى المكان أو الزمان(٢)، بل قد تعنى المصدرية فقط... أي أن الآية قد تكون معناها إن ذا القرنين قد بلغ مكان مغرب الشمس أو أن يكون قد بلغ زمان غروبها.

جاء في مادة بلغ من تاج العروس بلغ المكان بلوغا: أي وصل إليه وانتهى ومنه قوله تعالى: "لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ (النحل: ٧)، أو بلغه: شارف عليه زمنه في قوله تعالى: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ"(الطلاق: ٢)، وقال أبو القاسم في المفردات البلوغ والإبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى زمانا كان أو مكانا "حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة" فإذا كان بلوغ الزمان (أو حتى بلوغ الحدث، أي المصدر نحو المقصود في الآية فلا مشكلة، إذ سيقال حينئذ إن ذا القرنين حين أتى عليه وقت المغرب وجد كذا وكذا.

ولكن ماذا لو كان مكان غروب الشمس هو المراد؟

والجواب هو: أن الكاتبين أنفسهما قد ذكرا ما معناه أنه لا غضاضة في أن يقول المتكلم حتى في عصرنا هذا إن الشمس قد غربت في البحر، أو السهل، أو فيما وراء الجبل... وعليه فيجوز أن يقال إن فلانا بلغ مغرب الشمس.

والعجب أنهما يوردان بعد ذلك عددا من النصوص القرآنية المجيدة التي تتحدث عن لزوم

---

(١) الرد على ضلالات زكريا بطرس - د إبراهيم عوض/ ٧٠٧.

(٢) "الليل: من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق أو الشمس" القاموس المحيط الفيروز آبادي/ ١/ ١٠٥٥/ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط(٨)، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

الشمس والقمر مسارا سماويا دائما لا يخرجان عنه وهو يعضد ما قلناه من أن الأمر في قصة ذي القرنين إنما هو استعمال مجازى أو وصفى لما كان يظنه الرجل في نفسه بخصوص غروب الشمس لا لما وقع فعلا خارج ذاته، لأن القرآن يؤكد وجود مسارات سماوية دائمة لهذيـــن الجرمين"(١).

وبالتأمل فيما سبق من نصوص يتبن أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وأن كلمة العين ترد في اللغة على أكثر من معنى، وأن كلمة مغرب تأتي للزمان كما تأتي للمكان.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس:

يؤكد الدكتور إبراهيم عوض ورود مثل ما ينتقده مثير الشبهة في الكتاب المقدس فيقول: "وفى الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أمثلة كثيرة على ما نقول منها "وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ"(٢)، "فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْدًا "(٣)، " فَذَهَبَ وَالْتَقَاهُ فِي جَبَلِ اللهِ وَقَبَّلَهُ"(٤)، "وَلِكَيْ تُخْبِرَ فِي مَسَامِعِ ابْنِكَ وَابْنِ ابْنِكَ بِمَا فَعَلْتُهُ فِي مِصْرَ"(٥).

بل وفى الكتاب المقدس عبارات كثيرة من نوع الآية القرآنية المذكورة ويقرؤها هؤلاء كما تفعل الببغاوات الغبية دون فهم وتمييز.

"هكذا قال الرب هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هذِهِ الشَّمْسِ"(٦)، "وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ"(٧)، "ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَأَيْتُ كُلَّ الْمَظَالِمِ الَّتِي تُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ"(٨).

تلك هي نصوص الكتاب المقدس، ويتبين بوضوح اشتمالها على تعبيرات مجازية عديدة كالتي وردت في الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، ومع ذلك لم يشر إليها مثير الشبهة ولم يعترض عليها، أم أن التعبيرات المجازية لا حرج فيها عند ورودها في الكتاب المقدس؟

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور إبراهيم عوض بعد أن رد على الشبهة بما ينقضها، أراد ألا يترك في ذهن القارئ بعض التساؤلات التي قد ينشغل بها فيعود مرة أخرى إلى إثارة الشبهة أو

---

(١) الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ٧١٤.
(٢) سفر التكوين/ إصحاح ٦/ فقرة ٨.
(٣) سفر التكوين/ الإصحاح ٢٥/ فقرة ٢٨.
(٤) سفر الخروج/ إصحاح ٤/ فقرة ٢٧.
(٥) سفر الخروج/ إصحاح ١٠/ فقرة ٢.
(٦) سفر صموئيل الثاني/ إصحاح ١٢/ فقرة ١١.
(٧) سفر إشعياء/ إصحاح ٢٤/ فقرة ٢٣.
(٨) سفر الجامعة/ إصحاح ٤/ فقرة ١ .

الوقوع في مواطن الشك والريبة، فنبه إلى بعض الأمور التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند قراءة هذه الآية الكريمة، منها:

أولا: أن من طبيعة اللغة استخدام بعض التعبيرات المجازية كما ورد في هذه النصوص وفي الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، وفى هذا يقول –حفظه الله– : "وقبل كل ذلك فإن الكلام هنا ليس كلاما في علم الطبيعة أو الجغرافيا أو الجيولوجيا، بل هو كلام أدبي يقوم في جانب منه على التعبيرات المجازية التجسيدية والتشخيصية، وما إلى ذلك باختصار هذه طبيعة اللغة.

فالحرف (في) في الآية الكريمة لا يعنى أن الشمس داخل العين الحمئة لأن الآيات القرآنية التي تذكر الشمس تتحدث عنها على أنها جرم موجود في الفضاء لا يغادره أبدا، بل يعنى أنه قد تصادف وقوع غروب الشمس حين كان ذو القرنين في ذلك المكان عند العين الحمئة، وإن كان ما شاهده بعينه يوحى أنها قد غربت في تلك العين...، وحتى لو قيل إنها لم تغرب في العين، بل وراء العين أو عند العين أو ما إلى ذلك، فإن هذا كله لا يصح من الناحية العلمية، فالشمس لا تبتعد ولا تختفي، بل الأرض هي التي تتحرك حولها فتبدو الشمس كأنها هي التي تغيب"(١).

ثانيا: من الواضح أن هذا كله على خلاف الواقع، وينبغي ألا يأخذه القارئ مأخذا حرفيا، وإلا لم يكن للكلام معنى: فمثلا ليس هناك للشمس تحت ولا فوق وإنما هو تعبير بشرى فنحن أينما كنا على الأرض نتصور أن الشمس فوقنا ونحن تحتها، على حين أنه لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي إذن أن نكون فوق الشمسبعد ستة أشهر من ذلك حين تدور الأرض نصف دورتها السنوية، وهذا لا يصير، كذلك فليس للشمس عين ولا أذن ولا أنف"(٢).

ثالثا: إن الواقع قد يختلف عما يعتقده الشخص في نفسه "فيمكن أن يقول الواحد منا (صادقا فيما يظن) إنه وجد فلانا يضرب ابنه عند البيت، بينما الحقيقة أنه كان يداعبه أو كان يضرب ابن الجيران.

أما المتنبي في قوله:

ومن يك ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ　　　يجدْ مُرًّا به الماءَ الزلالا(١)

فقد كفانا مؤنة التوضيح بأن وجداننا الشي على وضع لا يعنى بالضرورة أنه على هذا الوضع في الحقيقة.

---

(١) المرجع السابق/ ٧٠٠، ٧٠١.

(٢) الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ٦٩٩. ٧٠١ بتصرف .

وفى القرآن مثلا: "فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه" وليس هناك في أي مكان في الدنيا جدار عنده إرادة لا للانقضاض ولا للبقاء"(١).

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

بعد أن استدل الدكتور إبراهيم على قبول اللغة لأن يكون المعنى وراءها أو عندها، وبين ورود مثل ذلك في الكتاب المقدس أكد على ذلك بأقوال المفسرين فقال- حفظه الله- : "والطريف أن بعض المفسرين الذين رجعت إليهم بعد ذلك قد وجدتُهم يقولون إنه لو كانت الآية قالت إن الشمس كانت تغرب في العين فعلا لكان ثَمَّ سبيل لانتقادها، أما قوله إن ذا القرنين "وجدها تغرب" في العين فمعناه أن ذلك هو إدراكه للأمر لا حقيقته الخارجية ومن هؤلاء البيضاوي(٢) وهذه عبارته:

"ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك، إذ لم يكن يلمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب "ولم يقل كانت تغرب" وهذا الذى قاله أولئك المفسرون هو الصواب(٣).

وعند القرطبي: "قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى على الشمس مغربا ومشرقا ووصل إلى جرمها ومسها لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في رأى العين تغرب في عين حمئة، كما أننا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ومن العلماء من قال بجواز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه"(٤).

ووقف فضيلته مع قول الإمام الرازي في هذه الآية فقال: " أما الرازي فإني أود أن أقف معه قليلا، إذ إن مفسرنا العظيم قد أشبع القول في هذا الموضوع بما يكفي لقطع لسان كل زنديق

---

(١)الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ٧٠١.

(٢) البيضاوي (٠٠٠- ٦٨٥ هـ = ٠٠٠- ١٢٨٦ م) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة.،ولد في المدينة البيضاء (بفارس قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها، من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " يعرف بتفسير البيضاوي، و " طوالع الأنوار " في التوحيد، و " منهاج الوصول إلى علم الأصول " و" لب اللباب في علم الإعراب " و" نظام التواريخ "/ الأعلام/ الزركلي./ ٤/ ١١٠.

(٣) تفسير البيضاوي/ ٣/ ٢٩١.

(٤) تفسير القرطبي/ ٦/ ٤٠٨٨، ٤٠٨٩، بتصرف.

كذاب أما قوله: "وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ" ففيه مباحث:

الأول: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم في عين حامية بالألف من غير همزة أي حارة، وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر، والباقون "حمئة" وهى قراءة ابن عامر... واعلم أنه لا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا.

الثاني: أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضا قال ووجد عندها قوما، ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض؟ إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله "تغرب في عين حمئة" من وجوه:

١. أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهى مظلمة، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر.

٢ـ أن للجانب الغربي من الأرض مساكن محيط بها البحر فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار، ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية، وهى أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء فنقول: "تغرب في عين حمئة إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة...الخ"(١).

ثم بين الدكتور إبراهيم مخالفة ما يقوله المعترضان للواقع فقال: "أما قولهما بأنه قال "وجدها" ولم يقل أنها كانت تبدو له كذلك، على الرغم من قولهما إننا لا نزال حتى الآن، ورغم كل التقدم العلمي الفلكي والجغرافي نقول: إن الشمس تشرق وتغرب، ولم يقولا إن على الواحد منا أن يوضح أن الأمر إنما يبدو فقط كذلك، فلماذا الكيل بمكيالين هنا؟"(٢).

ثم رد على الجزء الثاني من الاعتراض وهو القائل بأن كلمة مغرب لا تعني إلا غروب الشمس وبين خطأه فقال: "وفى النهاية أحب أن أقول للقارئ إن هناك وجها آخر في تفسير الآية الكريمة يجنبها كل هذا اللغط، رأيت ابن حزم في كتابه العظيم "الفصل في الملل والنحل" يقول به ويرفض كل ما سواه، وهو أن الذي كان في "عين الحمئة" ليس هو الشمس، بل ذو القرنين نفسه.

والمعنى حينئذ هو أن الرجل قد أدركه المغرب "أو أدرك هو المغرب" وهو في العين

---

(١) مفاتيح الغيب/ م١١/ ج٢١/ ص١٦٧، ١٦٨، بتصرف.

(٢) الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ص ٧١٧.

الحمئة وتركيب الجملة يسمح بهذا بشيء غير قليل من الوجاهة، وإن لم يكن هو المعنى الذى يتبادر للذهن للوهلة الأولى.

وشبه جملة في عين حمئة في هذه الحالة سيكون ظرفا متعلقا بفاعل "وجدها" وليس بالمفعول، أي أنه يصور حال ذي القرنين لا الشمس... وسأضرب لهذا التركيب مثلا أبسط المعنى.

فمثلا لو قلنا "ضرب سعيد رشادا واقفا" لجاز أن يكون المعنى هذا أن سعيدا ضرب رشادا، وسعيد واقف، أو أن يكون المعنى هذا أن سعيدا ضرب رشادا، ورشاد واقف"(١).

الخلاصة:

وعند التأمل في رد الدكتور إبراهيم يتبين للباحث أنه– حفظه الله– قد رد على الشبهة بما يلى:

أولا: بين جواز استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض، وأن هذا من باب المجاز وهو معروف في اللغة وأن المعنى هنا يمكن أن يكون عند الشمس أو وراءها وأكد على كلامه بضرب الأمثلة على ذلك من القرآن والكتاب المقدس الذي يؤمن به مثير الشبهة.

ثم أورد ثانيا أن الاعتراض القائل بأن هذا التفسير يكون محتملا لو قال بأنه رأي أو شاهد الشمس تغرب في العين الحمئة لكن قوله وجدها تغرب في عين يدل على أنها كانت تغرب في العين فعلا، ورد على هذا الاعتراض بأن الواقع ربما يختلف عما في الحسبان، للعين في اللغة معان عديدة منها البحر، والسحاب، والمطر، والناحية، ودلل على كلامه بالقرآن واللغة والشعر والعادة وتفسير الإمام البيضاوي.

ثم أوضح ثالثا أن كلمة "مغرب" لا يتوقف معناها على مكان غروب الشمس فقط، بل قد تدل على الزمان أيضا،لأن المعاني التي تحتملها صيغة "مفعل" تدل على الزمان والمكان والمصدرية، وأن اللغة تقبل المعاني الثلاثة، ومن ثم يمكن توجيه الآية على أي منها.

ثم أورد في النهاية تفسيرا للإمام ابن حزم تحتمله الآية يجنبها كل هذه الاعتراضات، وهو أن ذا القرنين هو الذي كان في العين الحمئة وليست الشمس ودلل على كلامه بأمثلة من اللغة العربية.

ـ أن ذلك لايخالف بحال من الأحوال علم الفلك، وبذلك تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل صحيح.

---

(١) المرجع السابق/ ص ٧١٧

المطلب الثالث

شبهة عدم إعجاز القرآن الكريم في قوله تعالى:"مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ" والرد عليها:

لكل نبي من الأنبياء معجزة تؤيد بعثته ورسالته، والمعجزات –حسية أو معنوية– خارقة للعادة يعجز عن الإتيان بمثلها الإنس والجن ولو مجتمعين، والقرآن الكريم معجزة نبينا ﷺ " لم تكن مادة تقرع، ولا أمرا حسيا ترى العيون إعجازه رأي العيان، بل كانت أمرا معنويا تتأمله العقول والأفهام، وتتعرفه المدارك البشرية في كل الأزمان، ولم يفقد حجيته، ولم يزل إعجازه كر الغداة ومر العشى"(١).

تحدى الله تعالى به البلغاء والفصحاء فعجزوا عن الإتيان بمثله، وتعدى إعجازه حد اللفظ والمعنى إلى الإعجاز العلمي في النفس والآفاق، إذ إن كثيرا مما يثبته العلم الحديث من حقائق يجد المنصفون من أهل العلم أن القرآن الكريم قد أشار إليه تصريحا أو تلميحا، لكن الأعمى والأصم يأبى أن يرى أو يسمع من تلك الدلائل الواضحات والبراهين الساطعات، فيدعي أن اللفظ القرآني غير معجز، أو أن الآيات الكونية لم تأت بجديد، ومن هذا القبيل ترد الشبهة التالية.

أولا: عرض الشبهة:

يدعي مثير الشبهة "yohanfrais" أن القرآن الكريم لم يأت بجديد في الآيات التي تتحدث عن وجود برزخ يفصل بين مياه الأنهار والبحار عند التقائهما، ثم يدعي أن هناك فريقا من المسلمين يقول بوجود بحار عذبة صالحة للشرب، ويقول بأن من يشرب من المياه المالحة مصدقا لهذا الكلام يصاب بالجنون فيقول: " يتحدث القرآن في ثلاث مواضع منه عن حاجز يفصل بين بحرين عذب وملح يلتقيان دون أن يمتزج أحدهما بالآخر، وهذه هي النصوص المذكورة:

١- "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ" (الرحمن: ١٩،٢٠) وجدير بالذكر أن كلمة "برزخ" المترجمة هنا تعني:"فاصلا، حاجزا، خندقا، مانعا، عائقا.

٢- "وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخا وَحِجْرا مَحْجُورا" (الفرقان: ٥٣).

٣- "وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْما طَرِيّا

(١) شريعة القرآن من دلائل إعجازه، الإمام محمد أبو زهرة/ صـ ٧/ ط. دار العروبة – القاهرة، ١٣٨١ هـ– ١٩٦١م.

وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "(فاطر: ١٢)

وحسبما يقول بعض المفسرين فإن هذه الآيات تكشف عن وجود مانع يحول دون اختلاط مياه الأنهار عند مصابها بمياه البحار، لأن هذا الاختلاط لا يتم إلا في حالات معينة في عُرض البحر بعيدا عن الشاطئ.

ومن الممكن أن يكون هذا صحيحا، لكن ألسنا هنا بإزاء ملاحظة بسيطة لظاهرة طبيعية يعرفها كل أحد ألا وهي عدم اختلاط مياه دجلة والفرات بمياه البحر عند مصبها في الخليج الفارسي؟

ومن الممكن أن نلاحظ عند مدينة البصرة بالعراق كيف أن مياه دجلة العذبة تصب في المحيط الهادي وفي حالات المد العالي نشاهد طبقة مائية مالحة ذات لون أخضر تلامس طبقة من ماء عذب ضاربا إلى حمرة دون أن يكون بينهما أدنى امتزاج.

والآن علينا أن ننظر فيما تقوله الحكاية الأسطورية البابلية التالية التي يرجع تاريخها لما قبل القرآن بثلاثة آلاف من الأعوام: "في البدء لم يكن إلا "نامو" التي كانت تأخذ صورة البحر الأصلي، أو فلنقل: المحيط الكوني وقد أنجبت "نامو" هذه "أنْ" (السماء)، "كي" (الأرض)... وأخيرا "أونكي" الإله الخاص بالماء العذب الذي كان يناوئ الماء الملح في "نامو"(البحر الأصلي)، فكان لا بد أن يُنقل إلى السماء على هيئة مطر.

ومن هذه الحكاية يتبين أن القرآن لم يكشف لنا شيئا في الواقع!

وإذا كان بعض المسلمين يزعمون أن هذه الآيات القرآنية تكشف عن إحدى الحقائق العلمية، فينبغي حينئذ أن نتخذ نفس الموقف إزاء الأساطير البابلية، وأن نستخلص أن ثمة وحيا كان ينزل على البابليين الوثنيين أيضا.

إنني لا أتصور أنه ينبغي الوصول في تفكيرنا إلى هذا المدى، بل كل ما علينا هو أن نكون شرفاء وأن نُصِر على القول بأن هذه الآيات لم تنبع إلا من ملاحظة بسيطة لظاهرة من الظواهر الطبيعية تحدث عنها ناس آخرون ينتمون لحضارات سابقة على محمد بآلاف السنين.

كذلك لا بد من التنبيه على أن هناك مفسرين آخرين قد ذهبوا أبعد من هذا، وادعوا أن القرآن يكشف لنا هنا عن وجود طبقات مائية يختلف بعضها عن بعض في درجة حرارتها، وفي ملوحتها، وفي الكائنات الحية، وفي مدى ذوبان الأكسجين فيها.

والآن لنفحص ما قاله القرآن: إنه يتحدث هنا عن عدم اختلاط الماء الحلو (العذب

الفرات السائغ شرابه) بالماء الملح (الأجاج)، بيد أنه لا يقول شيئا عن اختلاف درجات الحرارة أو الكائنات الحية أو ذوبان الأكسجين.

إن القرآن إنما يتحدث عن ماء عذب سائغ شرابه، لكن هذا القول شئ، والقول بوجود بحار عذبة شئ آخر!

ذلك أنه من الخطورة بمكان على البشر أن يعتقدوا في مثل هذه الأشياء، فشرب الماء المالح في الواقع من شأنه أن يجعل الشخص عرضة للجنون... وهكذا نجد أنفسنا قد وصلنا إلى نفس النتيجة، ألا وهي أن الآيات القرآنية لا تقدم لنا شيئا آخر غير الملاحظة البسيطة لإحدى الظواهر الطبيعية.

وفي الختام نحب أن نؤكد أنه خلافا لما يؤكده بعض المفسرين المسلمين فإن قراءة تلك الآيات يترتب عليها جهل وتخليط من شأنه، إذا نظرنا إليه على أنه معجزة علمية، الإضرار حتى بحياة الإنسان"(١).

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) الرد على الشبهة من خلال بيان الأخطاء المنهجية التي وقع فيها قائل الشبهة.

(ب) الرد على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية.

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال المفسرين.

(د) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في كتب الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) الرد على الشبهة من خلال بيان الأخطاء المنهجية التي وقع فيها قائل الشبهة:

ـ بدأ رد الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ ببيان الأخطاء المنهجية التي وقع فيها مثير الشبهة، فبين أنه استدل بآية لا تصلح للاستدلال، وأنه عقد مقارنة بين قصة خرافية لا يصدقها صبي مميز وبين نص القرآن، وليس هناك وجه مقارنة، وأكد على أن فهمه للآيات خاطئ.

يقول الدكتور إبراهيم عوض: "وأول شيء نفعله بعد أن ترجمنا ما قاله الكاتب، هو أن نبين الأخطاء المعرفية والمنهجية التي وقع فيها:

الأول: قوله إن في كتاب الله ثلاثة مواضع تتحدث عن حاجز يفصل بين بحرين عذب وملح

---

(١) الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ص٦٦٢ ـ ترجمة لما ورد في معجم فرنسي عنوانه: “Dictionnaire des religions et des mouvements philosophiques associés”.

يلتقيان دون أن يقع بينهما أي تمازج، وهي: سورة الفرقان/٥٣، وفاطر/١٢، والرحمن/ ١٩- ٢١.

"وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخا وَحِجْرا مَحْجُورا" (الفرقان:٥٣)

"وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْما طَرِيّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَة تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (فاطر:١٢)

"مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ" (الرحمن: ١٩، ٢٠) وجدير بالذكر أن كلمة "برزخ" المترجمة هنا تعني:"فاصلا،حاجزا،خندقا،مانعا،عائقا"

ونظرة سريعة إلى الآيات التي استشهد بها تدلنا على أنه لا توجد في سورة "فاطر" أية إشارة إلى الحاجز المذكور، إذ الكلام فيها مقصور على الاختلاف الملاحظ بين ماء البحر وماء النهر، ومع ذلك فهناك فعلا نص ثالث في القرآن الكريم يشير إلى وجود مثل هذا الحاجز لم يذكره الكاتب ألا وهو قوله تعالى " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزا " (النمل: ٦١)

الخطأ الثاني: مقارنة الكاتب بين ما جاء في الأسطورة البابلية وما ذكرته النصوص القرآنية، والواقع أنه لا وجه للمقارنة بين النصين، فالحكاية الخرافية تتحدث عن خلاف بين الماء المالح والماء العذب استتبع رفع الماء العذب إلى طبقات الجو العليا وتحويله إلى أمطار.

فأين في القرآن ما يمكن أن نقارن به هذا الكلام؟ إن القرآن يتحدث عن إجرائه تعالى البحر والنهر بما يؤدي إلى التقائهما، ولكن دون أن يطغى أحدهما على الآخر.

وهذا شيء مغاير تماما لما جاء في الخرافة البابلية، وهو من الوضوح بمكان، ثم هل الماء العذب مقصور على طبقات الجو العليا؟ فماذا نقول في الأنهار والجداول والآبار والعيون إذن؟

الخطأ الثالث: وهو ما فهمه الكاتب من أن الآيات القرآنية تتحدث عن التقاء بين النهر والبحر دون أن يتم بينهما امتزاج، وهذا الزعم أيضا لا وجود له في القرآن، فالقرآن يقول إنه قد جعل بين البحرين (أي البحر والنهر) حاجزا أو برزخا يمنعهما من طغيان أي منهما على الآخر، لكنه لم يقل إنه لا يحدث بينهما امتزاج عند اللقاء.

الخطأ الرابع: وهو محاسبة النص القرآني على أساس من فهم بعض المفسرين المسلمين كما قال ولعله يقصد د/موريس بوكاي الطبيب الفرنسي المسلم الذي فسر الآيات المذكورة على أساس أن المقصود بالبحرين هما دجلة والفرات من جهة، والخليج العربي من جهة أخرى...وليس في

النصوص القرآنية ما يفهم منه أن ذلك هو معني البحرين الواردين فيها، ومن ثَمَّ فليس للكاتب أي عذر في التهكم الذي وجهه للقرآن حين أكد أن ما يقوله الكتاب الكريم في هذا الشأن لا يزيد عن ملاحظة بسيطة جدا لظاهرة طبيعية يمكن كل من يقف عند مصب هذين النهرين أن يلاحظها.

الخطأ الخامس: وهو أن كاتبه يشير الى مسألة وجود طبقتين من الماء في حالات المد العالي إحداهما طبقة مالحة خضراء اللون تلامس طبقة عذبة مائلة للحمرة دون أن تمتزج بها بوصفها أمرا يستطيع الرجل العادي أن يلاحظها بسهولة وهو ما لا أظنه أبدا صحيحا، وإلا لذكره كل إنسان..."(١).

ومن الأخطاء المنهجية والمعرفية التي وقع فيها مثير الشبهة قوله: إن اختلاف طبقات الماء أمر يلاحظه الرجل العادي بسهولة...الخ، ويبين الدكتور إبراهيم بشاعة هذا الخطأ بقوله: "والحقيقة أن هذا الملاحظة لم ينتبه لها إلا العلماء في العصر الحديث بعد رحلات وأبحاث ودراسات مضنية استعانوا فيها بآلات التصوير الحراري التي لم يكن لها أي وجود قبل القرن العشرين.

أما بالنسبة للقدماء فلم تكن لتلفت أنظارهم، لأنها ليست مما يدرك بالعين المجردة على خلاف ما يحاول الكاتب أن يوهم قراءه، وحتى لو غلطنا أنفسنا كما يريد منا وقلنا إنها قد لفتت منهم الأنظار، فكيف يا ترى كان لهم أن يعرفوا أن اللونين المختلفين يمثلان طبقتين من الماء إحداهما حلوة والأخرى مالحة؟

وعلى أية حال فلم يكن الرسول ﷺ من سكان مدينة (البصرة)، حيث كان من الممكن أن يشاهد هذه الظاهرة لو كانت مشاهدتها ممكنة بالنسبة للرجل العادي كما يزعم الكاتب، ومن ثم فلا يمكن أن يقال إنه في هذه النصوص القرآنية قد تكلم عن ملاحظة بسيطة لظاهرة طبيعية يعرفها كل أحد!"(٢).

وأضاف الدكتور إبراهيم أنه بحث في كتب التاريخ والبلدان التي لم تترك حتى الأمور الصغيرة، ليجد ذكرا لتلك الظاهرة، فلم يجد شيئا فقال: "والواقع أنني لم أكتف بهذا، بل ذهبت فقلبت كل ما أتيح لي من معاجم البلدان وقرأت ما كتب فيها عن (البصرة) ونهريها لعلي أعثر على ما يمكن أن يفهم منه، ولو على سبيل التأويل والتمحل البعيد، أن أجدادنا قد لاحظوا هذه الظاهرة التي يصر الكاتب في جرأة عجيبة على أنها مما تراه العين العادية للرجل العادي، فلم أجد شيئا

---

(١)الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ٦٦٢ . ٦٦٤.

(٢)الرد على ضلالات زكريا بطرس – دإبراهيم عوض/ ٦٦٥.

بالمرة...، بل لقد تحدث القزويني عن ملوحة ماء البصرة قائلا: وماء دجلة والفرات إذا انتهى إلى البصرة خالطه ماء البحر فيصبح ملحا"(١).

فعدم ذكر تلك الظاهرة في كتب التاريخ والبلدان، على الرغم من اهتمام العلماء بتسجيل كل شاردة وواردة فيها، إنما يؤكد عدم ملاحظة أحد لتلك الظاهرة فى العصور القديمة.

ومما سبق يتضح أن الدكتور إبراهيم عوض لم يترك لمثير الشبهة قولا إلا وبين وجه الخطأ فيه، ثم أرشده إلى الصواب والصحيح، والحق أن مثير الشبهة لم يقف على معلومات صحيحة دقيقة تؤيد قوله أو تثبت حجته، بل اعتمد على الخرافات والأساطير، ولم يستند إلى دليل من عقل أو نقل.

(ب) الرد على الشبهة من خلال قواعد اللغة العربية:

لقد أكد الدكتور إبراهيم عوض على عدم وجود أي دليل يدل على أن من المسلمين مَن قال بوجود بحار ذات ماء عذب صالح للشرب، وأن شرب الماء المالح يؤدي للجنون.

يقول الدكتور إبراهيم عوض: "ثم يضيف الكاتب أن من المسلمين من يقول بوجود بحار ذات ماء عذب صالح للشرب، قائلا إن الاعتقاد بهذا والشرب بناء عليه من ماء البحر المالح يؤدي إلى الجنون.

ولست أدري من أين أتى الكاتب بهذا الكلام الذي ينسبه لبعض المفسرين المسلمين؟!

لقد كان ينبغي أن يذكر لنا أسماء مَن قالوا بذلك ويحدد السياق الذي ورد كلامهم فيه، وعلى أي أساس قالوه؟

إذ لا يعقل أن يكون بين المفسرين المسلمين في العصر الحديث ولا في أي عصر آخر من يُقْدِم على كتابة هذا الكلام المضحك مهما تبلغ قلة بضاعته من المعرفة.

بل الذي قالوه، وهو صحيح مائة في المائة على ما سنوضح لاحقا، وهو أن كلمة "البحر" قد تُطْلَق في لسان العرب على ما نسميه عادة: "النهر"(٢).

وقد استخدم القرآن كلمة "البحرين" للدلالة على ما نعرفه الآن بـ "النهر والبحر"، إذ "البحر" في اللغة العربية هو الماء الكثير، مِلحا كان أو عَذبا، وهو خلافُ البَرِّ، أو هو المِلحُ فقط، وقد غلب عليه حتي قَلَّ في العذب حسبما نقرأ في "لسان العرب" و "تاج العروس" وغيرهما من

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢)الرد على ضلالات زكريا بطرس – دإبراهيم عوض/ ٦٦٧، ٦٦٨.

المعاجم.

ويوجد في (القاهرة) شارع اسمه "البحر الأعظم"، كما يوجد في (طنطا) شارع يسمَّى: "شارع البحر" إشارة إلى ما كان يوجد في كل من المكانين من مجرى للنيل.

ومن الشواهد التي تجرى هذا المجرى قوله تعالى: "أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُما وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (المائدة: ٩٦)"(١).

ثم يذكر رأيه في توجيه الآية الكريمة، فيبين أن المراد بالبرزخ القوانين التي بقي بسببها الماء المالح والعذب كل هذه الدهور لا تتغير نسبته على الأرض، وذلك عن طريق عملية البخر للماء المالح ونزوله عذبا على هيئة أمطار بالقدر الذي يبقي نسبة العذب كما هي فيقول: "يبدو لي والله أعلم، أن البرزخ المذكور في الآية الكريمة هو القوانين التي بمقتضاها بَقِيَ كل من الماء العذب والماء الملح كلَّ هذه الدهور المتطاولة التي لا يعلم مداها إلا الله، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما هو لا يتغير.

فالأنهار تصب في البحار والمحيطات، وكان المفروض، لو أن الأمر انتهى عند هذا الحد أن يختلط الماءان اختلاطا دائما فلا ينفصلان بعد ذلك أبدا، ويصبح كل الماء الموجود على سطح الأرض من ثَمَّ ماء ملحا.

بَيْدَ أن التقدير الإلهي قد شاء أن يقوم البَخْر بحمل ماء البحار والمحيطات فتسوقه الرياح ليسقط على الجبال وينحدر إلى الأنهار ماء عذبا كما كان... وهكذا دواليك. وهكذا أيضا يبقي الماء العذب والماء الملح كما هما، ويتعايش البحران دون أن يبغي أحدهما على الآخر ويقضي عليه.

فهذا هو البرزخ، وهذا هو الحِجر المحجور فيما أفهم، والله أعلم، وهو، كما نرى، برزخُ وحِجْرُ غير مادي"(٢).

- ويدلل –فضيلته– على إطلاق كلمة "البحر" على النهر بأن الحلي يستخرج من البحر والنهر فيقول: "وقد رجعت إلى ترجمة عبد الله يوسف علي للقرآن إلى الإنجليزية، فألفيته في تعليقه على هذه الآية الكريمة في الهامش، يذكر من أنواع الحلي النهري العقيق وبرادة الذهب وغيرهما،

---

(١) الرد على ضلالات زكريا بطرس/ ٦٦٨ - ٦٧٠ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ٦٧٤.

ثم رجعت بعد ذلك إلى "**Encyclopaedia Britannica**" الطبعة الرابعة عشرة فقرأت في مادة "درر: **Pearls**" أن اللؤلؤ يوجد أيضا في المياه العذبة.

وبعد هذا وقع في يدي "المنتخَب في تفسير القرآن الكريم"، الذي أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، فقرأت في التعليق العلمي الموجود بأسفل الصفحة على الآية المذكورة الكلام التالي الذي يبدو وكأنه كُتِب خصيصا لي: "قد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدرا للحليّ، ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك(١):... ويرى القارئ من هذه الآية كيف أن القرآن قبل أربعة عشر قرنا قد أشار إلى حقيقة علمية يستبعدها ناس يعيشون في هذا العصر الذي بلغ فيه التقدم العلمي والتقني آمادا مذهلة، فكيف عرفها الرسول الكريم إذن وأدّاها بهذه البساطة لو كان هو مؤلف القرآن، وبخاصة أن الأنهار التي ذُكر أن اللؤلؤ وغيره من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة تُسْتَخْرَج منها تقع في بلاد سحيقة بالنسبة للجزيرة العربية، بل إن بعضها كالبرازيل مثلا لم يُكْتَشَف إلا في العصور الحديثة؟"(٢).

(ج) الرد على الشبهة من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

وبعد أن عرض الدكتور إبراهيم رده على تلك الشبهة، أيد ما ذهب إليه بأقوال بعض المفسرين، حيث ذكر العديدُ منهم بأن هناك حاجزا بين البحرين من قدرة الله، ومنهم من قال بحر في السماء وبحر في الأرض.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: "قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ" عاد الكلام إلى ذكر النعم و (مرج) خلى وخلط وأرسل، قال مجاهد: أرسلهما وأفاض أحدها في الآخر، ومرج الدين والأمر اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى: "فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ "(ق: ٥)، ومنه قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: [إِذَا رَأَيْت النَّاسَ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْت إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَك، قَالَ: فَقَالَ لِي: الْزَمْ بَيْتَكَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَذَرْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْك بِخَاصَّةِ نَفْسِك، وَذَرْ

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة/ ٦٤٥ ـ هامش(٢)/ دار الثقافة ـ دون. المرجع السابق ص ٦٨٢، ٦٨٤، بتصرف.

(٢)الرد على ضلالات زكريا بطرس – د. إبراهيم عوض/ ٦٨٢، ٦٨٤، بتصرف.

عَنْك أَمْرَ الْعَامَّةِ"(١).

{هذا عذب فرات} أي حلو شديد العذوبة {وهذا ملح أجاج} أي فيه ملوحة ومرارة، {وجعل بينهما برزخا} أي حاجزا من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه كما قال في سورة الرحمن: "بينهما برزخ لا يبغيان" {وحجرا محجورا} أي سترا مستورا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ الحاجز والحجر المانع، وقال الحسن: يعني بحر فارس وبحر الروم، وقال ابن عباس وابن جبير: يعني بحر السماء وبحر الأرض قال ابن عباس: يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ قضاء من قضائه {وحجرا محجورا} حراما محرما أن يعْذُب هذا الملح بالعذب أو يملح هذا العذب بالملح"(٢).

وأيد ذلك الإمام البيضاوي في تفسيره، وذكر أنه قد يكون المراد ما يفصل بينهما من الأرض فقال: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان.

(وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا) حاجزا من قدرته، (وَحِجْرا مَحْجُورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ منه، وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها، وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل، وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية".(٣)

وهناك فريق آخر من المفسرين يقول باختلاط ماء البحر وماء النهر حقيقة دون أن يمتزجا.

فقد أورد صاحب البحر المحيط قول الزجاج باختلاط البحرين حقيقة دون أن يمتزجا فقال: "ومرج خلط بينهما أو أفاض أحدهما في الآخر أو أجراهما أقوال، والظاهر أنه يراد بالبحرين الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح، وقيل: بحران معينان.

قال الزجاج: فهما مختلطان في مرائي العين منفصلان بقدرة الله، وسواد البصرة ينحدر الماء العذب منه في دجلة نحو البحر، ويأتي المد من البحر فيلتقيان من غير اختلاط فماء البحر

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى/ فى كتاب (عمل اليوم والليلة) باب (التفدية) - برقم ١٠٠٣٣/ ٦/ ٥٩،/ دارالكتب العلمية - بيروت - ط(١) - ١٤١١هـ - ١٩٩١م. صحيح - السلسلة الصحيحة - رقم ٢٠٥/ ١/ ٢٠٤.

(٢) تفسير القرطبي/ ٧/ ٤٧٧٤، ٤٧٧٥، بتصرف.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي المتوفى (٧٩١ هـ)/ م٢/ ١٤٨/. مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر - ط(٢) - ١٣٨٨هـ. ١٩٦٨م.

إلى الخضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحمرة، فالمستقي يعرف من ماء دجلة عندنا لا يخالطه شيء ونيل مصر في فيضه يشق البحر المالح شقا بحيث يبقي نهرا جاريا أحمر في وسط المالح ليسقي الناس منه، وترى المياه قطعا في وسط البحر المالح فيقولون: هذا ماء ثلج فيسقون منه من وسط البحر...

وقال الزمخشري: فإن قلت: حجرا محجورا ما معناه؟ قلت: هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز، كان كل واحد من البحرين متعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال (لا يبغيان) أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة، فانتفاء البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة انتهى"(١).

وهذا ما أيده كذلك الأستاذ المراغي(٢) في تفسيره حيث قال: "والخلاصة أنه تعالى جعل البحرين مختلطين في مرأى العين، منفصلين في التحقيق بقدرته تعالى بحيث لا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح، ولا يتغير طعم أحدهما بالأخر ولا يفسده"(٣).

ومما سبق يتبين من أقوال المفسرين أنها أخذت اتجاهين:

الأول: منهم من حمل الآية على غير حقيقتها بأن رأى أن المراد بعدم الاختلاط بقاء نسبة الماء المالح والماء العذب على الأرض كما هى منذ أن خلق الله الكون من خلال تعويض المفقود بالأمطار، كما نسب ذلك القرطبي لابن عباس وابن جبير.

الثاني: منهم من حمل المعنى على حقيقته، وهو امتزاج الماءين حقيقة مع احتفاظ كل منهما بخواصه.

(د) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في كتب الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم:

---

(١) البحر المحيط لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الحياني الغرناطي/ ٦/ ٥٠٦، ٥٠٧ بتصرف.

(٢) هو الشيخ العلامة أحمد مصطفى المراغي، عالم مصري مفسر، تخرج بدار العلوم ١٩٠٩، ثم أصبح مدرس الشريعة الإسلامية بها، من أهم مؤلفاته (تفسير المراغي ـ الوجيز في أصول الفقه ـ الحسبة في الإسلام) ، توفي عام ١٩٥٢/ موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي من (١٣٠١ـ ١٤١٧هـ) ـ إبراهيم بن عبد الله الحازمي/ ٢/ ٧٣/ ط.دار الشريف ـ ط(١) ـ ١٤١٩هـ .

(٣) تفسير المراغي ـ الاستاذ أحمد مصطفي المراغي/ ١٩/ ٢٦/ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . ١٣٩٤هـ. ١٤٧٤م.

وبالإضافة إلى كل ما سبق فإن الكتب المعنية بالإعجاز العلمي في القرآن قد تناولت هذه الآية الكريمة "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ"، وبينتْ أن ذلك البرزخ لا يكون بين البحار والأنهار فحسب بل حتى بين البحار المالحة أنفسها؛ لذا ينقل الباحث بعض ما قيل على النحو التالي:

أكد بعض العلماء أن العلم الحديث أثبت وجود حد فاصل بين كل بحرين عند مصباتهما يحافظ على خصائص كل منهما فلا يختلطان، فتتبقى في كل منهما كائناته الحية ونسبة ملوحته، وهذا ما توصل إليه علماء البحار، فقد اكتشفوا حاجزا بين البحرين وقرروا أن "هناك برزخا بين البحرين يتحرك بينهما، يسميه علماء البحار الجبهة، تشبيها له بالجبهة التي تفصل بين الجبهتين، وبهذا يُحافظ كل بحر على خصائصه التي قدَّرها الله له، ويكون مناسبا لما فيه من كائنات حية، تعيش في تلك البيئة، وهناك اختلاط بين البحرين رغم وجود هذا البرزخ، لكنه اختلاط بطيء يجعل القدر الذي يعبر من بحر إلى بحر آخر، يتحول إلى خصائص البحر الذي ينتقل إليه، دون أن يؤثر على تلك الخصائص.

واكتشف علماء البحار سر اختلاف تركيب البحار الملحة، على يد البعثة العلمية البحرية الإنجليزية في رحلة (تشال تشالنجر)، فعرف الإنسان أن المياه في البحار، تختلف في تركيبها عن بعضها، من حيث درجة الملوحة ودرجة الحرارة، ومقادير الكثافة، وأنواع الأحياء المائية، ولقد كانت هذه الأسرار ثمرة رحلة علمية، استمرت ثلاثة أعوام، وهي تجوب في جميع بحار العالم.

ولأول مرة يظهر الجواب على عدم اختلاط الماءين بعضهما ببعض على صفحات الكتب العلمية عام١٩٤٢م، فقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن وجود خواص مائية تفصل بين البحار الملتقية، وتُحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة والملوحة والأحياء المائية والحرارة، وقابلية ذوبان الأكسجين في الماء، ويكون الاختلاط بين ماء البحار عبر هذه الحواجز بطريقة بطيئة، يتحوَّل معها الماء الذي يعبر الحاجز، إلى خصائص البحر الذي دخل فيه.

وهكذا يحدث الاختلاط بين البحار الملحة، مع محافظة كل بحر على خصائصه وحدوده المحددة، لوجود تلك الحواجز المائية بين البحرين.

وأخيرا تمكن الإنسان من تصوير هذه الحواجز المتحركة المتعرجة بين البحار عن طريق

تقنية خاصة بالتصوير الحراري بواسطة الأقمار الصناعية"(١).

ومن العلماء من أكد على وجود ذلك الفاصل بين البحار والأنهار فقال:

"إن الذي يزور منطقة المصب هذه أو التي يسميها القرآن بمنطقة الحاجز أو البرزخ يلاحظ الاختلافات الكبيرة في هذه البيئة والفروقات في كثافة المياه ودرجة ملوحتها ودرجة حرارتها من لحظة لأخرى ومن فصل لآخر، أي أن هنالك عملية مزج وخلط وتداخل مستمر للماء العذب والماء المالح.

وربما نعجب إذا علمنا أن كلمة (مَرَجَ) الواردة في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) تعبر تعبيرا دقيقا عن العمليات التي تتم في هذه المنطقة والتي رصدها العلماء حديثا.

ففي القاموس المحيط نجد معنى كلمة (مَرَجَ): خَلَطَ، وأمر مَرِيج: مختلط، والمَرجُ: الاختلاط والاضطراب(٢). وفي تفسير ابن كثير: "المريج: المختلف المضطرب الملتبس المنكر خلاله، كقوله تعالى: "إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ" [الذاريات: ٨]". (٣)

والعجيب جدا أن ما يحدث فعلا في منطقة المصب يشمل جميع هذه المعاني، أي أن الكلمة القرآنية تعبّر تعبيرا دقيقا عن حقيقة ما يحدث، كيف لا تعبر عن الحقيقة وهي منزّلة من خالق هذا المصب سبحانه وتعالى؟

أقسام منطقة المصب

يقسّم العلماء اليوم منطقة المصب إلى ثلاثة أقسام:

١- منطقة الماء العذب من جهة النهر.

٢- منطقة الماء المالح من جهة البحر.

٣- منطقة الحاجز بين النهر والبحر، وهي ما يسميه القرآن بالبرزخ.

ويمكن أن يمتد تأثير المياه العذبة على المياه المالحة لمئات الكيلو مترات في البحر. وبالرغم من وجود الكثير من مصبات الأنهار في العالم، إلا أنه لا يوجد برزخ يشبه الآخر! فكل برزخ يتميز بخصائص محددة عن غيره تتبع الاختلاف في درجة الملوحة، والاختلاف في درجة الحرارة، وهذا يتبع درجة ملوحة ماء البحر، وطول النهر، وغير ذلك من العوامل مثل درجة

---

(١)الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ ١/ ٣٣١، ٣٣٢/ مناهج جامعة المدينة العالمية/ الناشر جامعة المدينة العالمية ـ ماليزيا.

(٢) القاموس المحيط/ ١/ ٢٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير، ٤/ ٢٦٧

الحموضة PH وكمية العوائق في ماء النهر وسرعة تدفق ماء النهر.

(وحجرا محجورا) أي أن هناك مانعا أشبه بالجدار الذي يحجز ماء النهر عن ماء البحر"(١)

ومن الدراسات التي أكدت وجود ذلك الفاصل بين البحار المالحة مع بعضها وبين البحار والأنهار. ما ذكره الدكتور زغلول النجار، حيث قال:

" مرج البحرين يلتقيان" واطلاق لفظة البحرين هنا دون تقييد يدل علي أنهما البحران المالحان، وليس النهر والبحر كما ذهب إليه غالبية المفسرين قدامي ومعاصرين...

إن أوضح نموذج لكتل الماء العميق في البحار والمحيطات يقع في الجزء الشمالي الغربي من المحيط الأطلسي، وينتج هذا الماء من اختلاط الماء شديد الملوحه المندفع بواسطة تيار الخليج الذي يضرب شواطيء فلوريدا والماء السطحي القادم من المنطقه شبه المتجمدة الشمالية، وفي فصل الشتاء يبرد هذا الخليط من الماء فيهبط إلي قاع البحر حتي يصل إلي ما دون كتل الماء المتوسطه العمق، وعندما يتحرك هذا الخليط من الماء جنوبا فإنه يرتفع فوق ماء القطب الجنوبي العميق لقله كثافته عن كثافه الماء القطبي، وعلي ذلك فإن كتلة ماء شمال الأطلسي العميقة تغطي قاع ذلك المحيط إلي خط عرض ٣٠ شمالا، ولكنها تتطابق بين كتل الماء العميق والمتوسط العمق كلما اتجهنا إلي الجنوب من هذا الخط من خطوط العرض، وتبقي كل كتله منها محتفظه بصفاتها الطبيعية والكيميائية وسط حواف من الماء المختلط وتبلغ درجه حراره كتل الماء العميق في البحار والمحيطات حوالي٣ درجات مئوية، ويصل متوسط نسبة الأملاح فيها إلي٣٤.٩% ولا توجد كتل عميقه من الماء في كل من المحيطين الهندي والهادي باستثناء بعض الجيوب الصغيره" (٢)

وورد في كتاب القرآن وإعجازه العلمي "وقوله تعالى في سورة الرحمن "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ".

وتدل المشاهدة على أن مياه نهر الأمازون الذي يصب في المحيط الأطلسي تندفع مسافة ٢٠٠ ميل في المحيط حافظة عذوبتها طول هذه المسافة، وفي الخليج العربي نجد عيونا من الماء العذب تفيض داخل ماء الخليج الملح بماء عذب"(٣).

ومما يدعم ما سبق ما ورد فى كتاب"لفتات علمية" أن "بعثة السير (جون أفري) مع بعثة

---

(١) موقع الدكتور عبد الدايم الكحيل www.kaheel7.com /ar/

(٢)تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم– زغلول النجار/ ٣/ ٩٨./ مكتبة الشروق الدولية.

(٣) القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إسماعيل إبراهيم (مصري ـ الزمالك)/ ١/ ٦٣ ـ دون.

الجامعة المصرية وخفر السواحل لدرس أعماق البحر الأحمر، والمحيط الهندي في جنوب عدن، نشرت بعض الملاحظات منها:

أ- أن البعثة وجدت المياه في خليج العقبة تختلف في خواصها وتركيبتها الطبيعية والكيميائية عن المياه في البحر الأحمر، وحققت البعثة (بواسطة قياس الأعماق) وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرين يبلغ ارتفاعه أكثر من ألف متر.

ب ـ وكذلك تبين وجود حاجز مغمور بين المحيط الهندي والبحر الأحمر، ومرجع ذلك إلى وجود هذا الحاجز مغمور عند ملتقى كل بحرين.

٥ـ وقال بعضهم: إن هنالك حاجزا من نوع آخر أيضا وفي داخل المحيطات إذ ثبت أن أعظم الأنهار على الإطلاق موجودة داخل البحار، "وتوجد أعظم أنهار الدنيا في البحر، ويبدو نهر المسيسبي أو حتى نهر النيل أو نهر الأمازون بجانبيها وكأنه غدير، يبدو غريبا أن تستطيع تيارات المياه أن تتحرك لمثل هذا البعد خلال مياه أخرى دون أن تختلط بها ولكن أي مجرى من الماء أدفأ أو أبرد من الماء المحيط من كل الجهات يستمر في جريانه بمفرده لزمن طويل، وفي بعض الأحيان تتميز ضفتاه بوضوح يشبه تقريبا وضوحهما لو كان المجرى على الأرض اليابسة، وقد يختلف أيضا تيار الماء المتحرك في لونه عن ماء البحر المحيط به"(١).

ـ من خلال ما سبق يتبين أن علماء العلوم التجريبية أثبتوا وجود فاصل بين البحار عندما يلتقي بعضها ببعض، وبين البحار والأنهار أيضا، حتى أن الأنهار تمتد داخل البحار والمحيطات لمئات الكيلو مترات محافظة على خصائصها.

الخلاصة:

- بين الدكتور إبراهيم عوض الأخطاء المنهجية التي وقع فيها مثير الشبهة، ومنها عدم إشارة سورة فاطر إلى الحاجز الذي بين البحرين، ومحاسبة النص على فهم بعض المسلمين، وأن اختلاف طبقات الماء يراها الرجل العادي بسهولة.
- أوضح فضيلته أن كلمة البحر تطلق على النهر -أيضا- .
- ذكر رأيه في تفسير الآية الكريمة بأنها المراد بالحاجز هو القوانين التي بموجبها تبقى نسبة الماء العذب والمالح كما هي على الأرض، ولقد نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما
- كان من الممكن أن يضيف الدكتور إلى ما سبق أقوال بعض المفسرين، ورأي علماء العلوم

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن ـ د/ مصطفى مسلم/ ١/ ١٩٢/ دار القلم ـ دمشق ـ ط(٣) ـ ٢٠٠٥ م.

التجريبية في الآية الكريمة، لا سيما وأنها تثبت وجود ذلك الحاجز بين البحرين حقيقة.

والذي يطمئن إليه قلب الباحث بعد ما اطلع عليه وما تم عرضه مايلى:

– أن القول باختلاط البحرين حقيقة مع احتفاظ كل منهما بخصائصه ودرجة حرارته، وكائناته الحية، وأن البرزخ المراد يكون عند التقائهما ولو لمسافة معينة هو الأرجح، وذلك لإثباته علميا، ولأنه أقوى في الإعجاز، ولأن القرآن نزل ليخاطب جميع الناس في كل زمان ومكان، ولأن جمهور المقتنعين بإعجازه يزيد على من يرى خلاف ذلك، سواء من قال بأن البرزخ من القوانين الطبيعية، أو من قال بأن الحاجز من اليابسة.

وإن كان هذا لا يمنع من وجود الإعجاز في كون البرزخ ما يفصل بينهما من اليابسة، لأن الله جعل منسوب الأنهار أعلى من منسوب البحار حتى لا تطغي على البحار، أو كون البرزخ القوانين الطبيعية التي بسببها تبقي نسبة كل من الماء المالح والعذب كما هي على مدار الدهور، ولأنها لو لم توجد لما بقي للماء العذب وجود على كوكب الأرض، ولهلكت الكائنات الحية.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أن الآية الكريمة تحدثت عن معجزة كبرى، وليست ظاهرة عادية يعرفها كل أحد كما يدعي مثير الشبهة.

الفصل الثاني
جهود الدكتور إبراهيم عوض
في الدفاع عن النبي ﷺ وأصحابه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بشخص الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالمصدر الذي استقى منه الرسول ﷺ رسالته.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بأصحاب الرسول ﷺ.

المبحث الأول

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بشخص الرسول ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبهة صناعة ورقة وخديجة رضي الله عنهما للنبي ﷺ والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة سيطرة النبي ﷺ على أموال خديجة رضي الله عنها والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة عداوة النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه وشتمه له والرد عليها.

توطئة

علم الله تعالى منذ الأزل أن صلاح الخلق يكون بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فأرسل الرسل تباعا، وأنزل معهم الكتب ليبصروا الناس بدينهم، ويربطونهم بربهم، ويحكموا بينهم بالعدل، ويقيموا الحجة عليهم

قال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" (الحديد: ٢٥)

ولما أراد الله ﷻ أن يختم الرسل والرسالات اختار لذلك أفضلهم محمدا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وفي ذلك يقول): " فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدا وَطَهُورا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّة،

وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ"(١).

ولقد شهد له ﷺ الكثيرُ من الأعداء قبل الأصدقاء بالصدق، والأمانة، والعظمة، والعدل، ولما كانت سنة الله في الكون ألا يؤمن جميع الناس، آمن برسالته ﷺ البعض وكفر بها البعض.

ولأن الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف إلى قيام الساعة، وُجِد في كل عصر طائفة ممن عميت أبصارهم وطبع الله تعالى على قلوبهم يسعون للتشكيك في النبي ﷺ وفي رسالته.

وقد قيض الله تبارك وتعالى فى كل عصر من يرد عن النبى ﷺ كيد الكائدين، وجهل الجاهلين، وممن ساهم في الدفاع عن النبى ﷺ فى هذا العصر فضيلة الدكتور إبراهيم عوض، وسوف نتناول في هذا الفصل بعض الشبهات التي ساهم فضيلته في الرد عليها.

المطلب الأول

شبهة صناعة ورقة(٢) وخديجة رضي الله عنهما للنبي ﷺ والرد عليها

اقتضت حكمة الله تعالى أن يصطفى الأنبياء من جنس البشر، فلا هم من الملائكة، ولا من الجن، ولا من جنس آخر، بل هم بشر بعثوا من بين أقوامهم، والنبي ﷺ بعثه الله بشرا كغيره، وتلك البشرية تميزت عن غيرها بالكمال الخِلْقي والخُلُقي.

غير أن الله ﷻ قد اختص نبيه محمدا ﷺ بالأمية فقال تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" (الأعراف: ١٥٧)، تلك الصفة التي من خلالها طعن المستشرقون في نبوة النبي ﷺ، غير أن هناك من طعن في نبوة النبيﷺ من جهة أخرى، حيث قال بصِياغة شخصيته ﷺ على يد ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد، ولندع المجال للمدعى يعرض شبهته.

أولا: عرض الشبهة:

يعرض المحامي خليل عبد الكريم(٣) شبهته من خلال محورين:

الأول: أن السيدة خديجة– رضى الله عنها – ظلت تبحث في شباب مكة حتى اهتدت إلى

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ـ فى كتاب(المساجد ومواضع الصلاة)ـ باب (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) برقم٥٢٣/ ٥/ ١٨٣.

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ، ذكره الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم في الصحابة، كان تنصر في الجاهلية، أقر بنبوة النبى ﷺ،ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام فيكون مثل بحيرا وفي إثبات الصحبة له نظر/ . انظر الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ ٦/ ٦٠٧/ ط. دار الجيل – بيروت ـ الط(١)، ١٤١٢.

(٣) سبق التعريف به.

الشخص الذي يصلح لادعاء النبوة فيقول: "فالطاهرة لم تنتظر القادم الجديد فحسب، بل فتشت مجتمع مكة وخاصة شبابه ودققت النظر في قوادمه... وصبرت سنوات قاربت الربع قرن حتى اهتدت إليه، إلى القادم الجديد وبمعنى أدق إلى من يصلح لذلك، وهنا ضربت عرض الحائط بالتقاليد الرواسخ رسوخ الجبال، بل وحطمتها فقدمت نفسها إليه... ولم تعبأ بفارق السن والمال، حتى إذا تحقق الحلم على الأرض وتحول إلى واقع انتقلت من مرحلة الفرز والتجنب والاختبار إلى مرحلة الإعداد والشحن والإمداد والتعبئة والتهيئة، واستغرقت تلك المرحلة من عمرها المبارك خمس عشرة سنة، قدمت فيها تضحيات جسيمة من المال والنفس والبدن حتى أثمرت الشجرة وطرحت أكلها الحلو وآن للطاهرة أن تعلن لأهل مكة هاكم القادم الجديد الذي طال انتظاركم له"(١).

الثاني: أن ورقة بن نوفل ﷺ ساعدها في إعداد محمد لهذه المهمة من خلال تعليمه وتثقيفه فيقول: "أما ورقة فلم يكن دوره هامشيا...، فقد كان واحدا من أهم شخصيات تيار الحنيفية الذين رفضوا التعددية الإلهية... وآمنوا بوحدانية الله بيد أنه اختار النصرانية وقرأ التوراة والإنجيل وتبحر في علوم الكتاب، ولم يكتف بذلك، بل خطا خطوة فاذة وهي تعلم اللغة العبرية... مما أتاح له نقل أجزاء عديدة من التوراة والإنجيل الأمر الذي أتاح لمن يقرؤون ويكتبون قراءتها واستظهارها...، وخديجة هي ابنة عم ورقة وعلى صلة وثقى به وهناك اختلاط وزيارات متبادلة وكانت تقرأ وتكتب فهي من باب اليقين قد استوعبت تلك الأسفار التي نقلها القس من العبرانية إلى العربية من التوراة والإنجيل وحفظتها واختزنتها في ذاكرتها، تلك كانت واحدة.

أما الأخرى، ففي ليالي مكة الطويلة، فإن عقد جلسات ممتدة يشكل ورقةُ أحدَ أطرافِها أمرٌ محتوم وفيها كان يطرح ما ورد بالتوراة من أخبار وقصص ونوازل بداية الخلق والتكوين... وما جاء بالإنجيل عن عيسى وولادته الفريدة ومعجزاته المدهشة، ونحن نرجح أن تلك الجلسات الطوال كانت من أهم مكونات فترة التأسيس"(٢).

ويضيف أنه ساعدها كذلك في أمر زواجها بمحمدﷺ، وأنه أتاح لها الاطلاع على ما ترجمه من أسفار فيقول: " فما أن عزمت خديجة على الزواج بمحمد حتى بارك هذا الاختيار وتحمس له... بعد ذلك ثابر القس في مد يد العون الذي لا يقدر لسيدة نساء قريش في اجتياز مراحل

---

(١) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ـ خليل عبد الكريم/ ٣٠٩/ ط.دار مصر المحروسة . ط(٢) ـ ٢٠٠٤م

(٢) فترة التكوين/ ١١، ١٢ بتصرف.

الإعداد والتهيئة والحشد بكافة ضروبها من الإتاحة لها بالاطلاع على الأسفار المترجمة إلى اللسان العربي، ولا نستبعد السماح لها بأخذها إلى دارها إلى جلسات المذاكرة والمدارسة والمحاضرة والنقاش والحوار"(١).

وعند التأمل يمكن تلخيص الشبهة في النقاط التالية:

– مساهمة السيدة خديجة رضي الله عنها في إعداد النبي ﷺ لادعاء النبوة من خلال ما يلي:

– البحث الحثيث ربع قرن عن الشخص الذي يصلح لادعاء النبوة.

– نقل المادة العلمية من ورقة وتلقينها للنبي ﷺ.

– الدعم المادي المستمر والتضحية بكل شيء لتنفيذ فكرة ادعاء النبوة على أرض الواقع.

– مساهمة ورقة بن نوفل في إعداد النبي ﷺ لادعاء النبوة من خلال ما يلي:

– إمداد السيدة خديجة بالمادة العلمية اللازمة لذلك الإعداد.

– تلقين النبي ﷺ بعض ما يحتاج إليه للنجاح في ادعاء النبوة من خلال الجلسات التي كانت تعقد في ليالي مكة الطويلة، والتي كان محمد أحد الحاضرين فيها.

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

وردت الشبهة في نقاط متعددة، والرد عليها يقتضي أن يكون في نقاط متعددة –أيضا–وهو عين ما قام به الدكتور إبراهيم عوض، فقد رد على الشبهة من خلال ما يلي:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الأدلة العقلية والتناقض الذي وقع فيه مثير الشبهة.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في كتب التاريخ والسيرة النبوية.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الأدلة العقلية والتناقض الذي وقع فيه مثير الشبهة:

يبين الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ بعض وجوه التناقض التي وقع فيها مثير الشبهة من خلال ما يلي:

ـ العداوة السابقة بين ورقة وخديجة: إذ كيف يقول مثير الشبهة بأن " ورقة وخديجة قد تعاونا إلى

---

(١) المرجع السابق/ ١٤.

أقصى مدى بهدف تثقيف محمد أو(قلوظته(١)وصنفرته(٢) وتلميعه(٣)) هكذا بلغة المساطيل التي يعج بها الكتاب، وهو نفسه قد قال إن ورقة أراد قبلا أن يتزوج خديجة لكنه لم يوفق إلى ذلك وأن أخته قتيلة الكاهنة قد حاولت أن يعاشرها عبد الله (والد الرسول عليه السلام) كيما ينتقل إليها النور القدسي الذي كان في وجهه فصدَّها وذهب إلى آمنة زوجته فعاشرها، فحملت منه بالقـــادم المنتظر(٤)، فكيف يمكن أن ينسى ورقة هذا كله ويمد يد التعاون إلى خديجة ليصنع من محمد نبيا رغم أنه نال هو وأخته على يده ويد أبيــه القهــر والهزيمة المذلة مادامت المسألة كلها تدبيرا بشريا لا دخل فيه للسماء ولا للخوف من الله أو الرجاء في ثوابه؟"(٥).

التعارض في أمر زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها: يعرض الدكتور إبراهيم عوض موقفا آخر من مواقف تناقض مثير الشبهة، والذي يدور حول سعي كل من النبي ﷺ و خديجة رضي الله عنها للزواج من الآخر، وأفضلية كل منهما على الآخر فيقول: "وقد مر بنا فيما سلف من صفحات ما قاله المؤلف في موضع من كتابه أن خديجة قد جف ريقها وحفيت قدماها حتى وافق إمام الأولين والآخرين على خطبتها فنكاحها، وساقت إلى محمـــد المراسيل من ذكور وإناث وأحرار وعبيد وموالي وأقارب وأباعد، وظلت تحاصره إلى أن سلم لها ورفع الراية البيضاء بعد "عصلجة"(٦)منه شديدة ورضي أن يتزوجها.

ولكننا نسمعه في موضع آخر من الكتاب يعد الفوارق التي تميز خديجة على محمد في الحسب والمال والخبرة والثقافة، ثم يختم قائلا إن محمدا لم يكن يصدق أن خديجة ترضى

---

(١) (قلاووظ)مِسْمَار قلاووظ ذُو سنّ ملولبة يثبت بالتدوير لَا بالدق (ج) واشتق مِنْهُ "قلوظ" صنعه على هَذَا الْوَضع/ المعجم الوسيط/ ٢/ ٧٥٥.

(٢) صنفرَ يصنفر، صنفرة، فهو مُصنفِر، والمفعول مُصنفَر، وصَنفر الخشبَ: حكَّه بالصَّنْفرة/ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،/ ٢/ ١٣٢٥ مادة "صنفر"/ عالم الكتب،ط(١)، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م

(٣) واللمع: تلميع يكون في الحجر والثوب أو الشيء يتلون ألوانا شتى، (التلميع) فِي الْخَيل أَن يكون فِي الْجَسَد بقع تخَالف سَائِر لَوْنهَا، لسان العرب ـ مادة "لَمَعَ"/ ٨/ ٣٢٥، المعجم الوسيط مادة "لمع"/ ٢/ ٨٣٩.

(٤) ذكر خليل عبد الكريم ذلك في كتابه فترة التكوين/ ٣٦(القادم المنتظر) يقصد النبي ﷺ.

(٥) لكن محمدا لا بواكي له (هتك الأستار عن كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الأمين)/ د. إبراهيم عوض/ ٦١، ٦٢/ ط.دار الفكر العربي/ ط(٢)/ ١٤٢٢هـ ت ٢٠٠١م.

(٦) (العَصَلَّجُ، كعَمَلّسٍ): الرَّجُلُ (المُعْوَجُّ السّاقِ)، (عصلج) الشَّيْء تعسر وَاشْتَدَّ (محدثة)/ تاج العروس/ ٦/ ١٠٤، المعجم الوسيط/ ٢/ ٦٠٥.

بالزواج منه، فبأي الكلامين نأخذ؟ حسبنا الله ونعم الوكيل!"(١).

ويبدو للباحث من خلال ما عرضه الدكتور إبراهيم عوض أن مثير الشبهة ليست عنده أسس واضحة يسير عليها في شبهته، لدرجة أن كلامه يناقض بعضه بعضا في مواضع عديدة.

المدة التي بحثت فيها خديجة رضي الله عنها عن الشخص المناسب: يضاف إلى التناقضات التي ذكرها الدكتور إبراهيم عوض ما ذكره مثير الشبهة، حيث قال: إن السيدة خديجة ظلت ربع قرن تبحث عن الشخص القادر على ادعاء النبوة حتى اهتدت إليه.

فمتى بدأت تلك المدة ومتى انتهت؟، هل انتهت بزواجها بالنبي ﷺ، فتكون قد بدأت وهي في الخامسة عشرة من عمرها؟، وهل كانت وهي في مثل هذا السن يمكن أن تفكر في هذا الأمر؟، ولماذا أقبلت على الزواج قبله مرتين مادامت لم تجد مَن تريد؟، وهل كانت تضمن أن تترمل مرتين حتى تكون قادرة على الزواج بالشخص المطلوب وقت ظهوره؟، أم أن هذه المدة بدأت بعد وفاة زوجها الثاني؟ ولو كان الأمر كذلك فليس بين وفاة زوجها الثاني وزواجها بالنبي ﷺ تلك المدة!!

أم أن تلك المدة انتهت بادعاء النبي للنبوة ـ حسب تعبير مثير الشبهة ـ،أوبعثته ﷺ حسبما نعتقد، فتكون قد بدأت قبل ذلك بخمسة وعشرين عاما، ولوكان الأمر كذلك فالكلام متناقض لأن السيدة خديجة رضي الله عنها اهتدت إلى النبي ﷺ قبل البعثة.

وما الذي يدفع السيدة خديجة رضي الله عنها إلى كل هذه التضحيات التي قدمتها، وقد نشأت في بيت ثراء ورغد من العيش، ولو أشارت بأصبعها إلى أغنى أغنياء قريش لتتزوج منه لنالت ما تريد.

كل هذه التساؤلات لها إجابة واحدة، وهي أن نبوة محمد ﷺ اصطفاءٌ من الله، وليست إعدادا من البشر.

الرد على الشبهة من خلال ما ورد في كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

إن ما ورد في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي حول ما جاء في الشبهة من لقاء النبي ﷺ بورقة بن نوفل، وزواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها يمكن أن أعرضه في عنصرين:

١ـ لقاءات النبي ﷺ بورقة بن نوفل.

عندما يحاول الباحث أن يحصر الروايات التي تحدثت عن لقاءات النبى ﷺ بورقة بن

---

(١) المرجع السابق/ ٦٣، ٦٤.

نوفل، يجد أن كتب التاريخ والسيرة النبوية لم تذكر سوى ثلاث روايات تقريبا، وسواء كانت كل رواية خاصة بلقاء معين، أو أنها روايات متعددة تتعلق بلقاء واحد أو لقاءين فلا يعقل أن يكون النبي ﷺ على أي حال قد أخذ شريعته كاملة فيها، كما لا يعقل كذلك أن يتم بناء شخصيته ﷺ في هذه اللقاءات.

فالرواية الأولى والتي تتحدث عن لقاء ورقة بالنبي ﷺ عند الكعبة، وسؤاله عما رأى، وتصديقه، ووعده بنصرة دين الله وكان ذلك عند بدء نزول الوحي على النبي ﷺ.

يقول ابن كثير: "فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذَّبَنَّه ولتُؤذَيَّنه ولتخرجَنَّه ولتقاتَلنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه"(١).

والرواية الثانية تشير إلى أن ورقة لقي النبي ﷺ في بعض طرق مكة، وسأله عن علامة نبوته، فدعا النبي ﷺ شجرة فأقبلت، يقول ابن طاهر المقدسي(٢): "ودعا رسول الله ﷺ الخلق إلى ﷻ، وتلقاه ورقة بن نوفل في بعض طرق مكة، فقال: يا محمد إنه لم يبعث نبي قط إلا كانت له علامة، فما علامة نبوّتك فقال: لشجرة يا شجرة تعالَى فأقبلت تخذى(٣) في الوادي خذيانا حتى وقفت بين يديه فقال ورقة إنَّك لرسول الله"(٤).

مما سبق يتبين ندرة لقاء بين النبي ﷺ بورقة بن نوفل، مما لا يتوفر معه احتمالية تدخل ورقة في إعداد النبي ﷺ.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير/ ٣/ ١٩/ ط ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط(١) ـ ١٤٠٨ هـ. ـ ١٩٨٨ م.

(٢) المقدسي (بعد ٣٥٥ هـ- بعد ٩٦٦ م) مطهر بن طاهر المقدسي: مؤرخ، نسبته إلى بيت المقدس. دل تحقيق المستشرق (كليمان هوار) على أنه مصنف كتاب (البدء والتاريخ) ستة أجزاء، مع ترجمتها إلى الفرنسية، وقال هوار: كان مطهر في (بست) = من بلاد (سجستان).، وزاد (بروكلمان) أنه توفى فيها.قلت: ولم أظفر بترجمة له/ الأعلام للزركلي/ ٧/ ٢٥٣

(٣) (خذأ) خذاء وخذوءا خضع وانقاد(خذىء) له خذأ وخذوءا وخذاءه خذأ فهو خذى ـ المعجم الوسيط . باب "الخاء" ـ مادة "خذأ"/ ١/ ٢٢٢.

(٤) البدء والتاريخ ـ المطهر بن طاهر المقدسي/ ٥/ ٣٤/ ط ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط(١) ـ ١٤٠٨، هـ- ١٩٨٨ م.

٢ـ الأسباب التي دفعت خديجة رضي الله عنها إلى الزواج من النبي ﷺ.

إن المتأمل في كتب السيرة يجد أنها تشير إلى أن السيدة خديجة رضي الله عنها ما طلبت النبي ﷺ للزواج بها إلا لأنها وجدت البركة في مالها عندما تاجر فيه النبي ﷺ، كما وجدت فيه من الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة ما لم تجده في غيره من شباب مكة ورجالها، كما أن هذه الكتب تشير إلى سماع خديجة رضي الله عنها عن نبوة النبي ﷺ قبل أن تطلبه لنفسها من خلال ما أخبر به الراهب غلامها ميسرة، يقول ابن إسحاق: "وكانت خديجة ابنة خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بَلَغَها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب على ميسرة، فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي...

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له – فيما يزعمون– : يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وسطتك فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها"(١).

وهكذا يتبين مما سبق يتبين للباحث أن اللقاءات التي دارت بين ورقة بن نوفل والنبي ﷺ لا تكفي لتعليمه ولا لادعائه النبوة، كما يتبين أن الأسباب التي دعت السيدة خديجة إلى الزواج بالنبي ﷺ كانت تتعلق بحسن خلقه وجميل صفاته ﷺ، بالإضافة إلى أنها رضي الله عنها قد سمعت عن نبوته) من غلامها ميسرة، فهو مبشر بالنبوة قبل أن يتزوجها.

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه حول شبهة (صناعة ورقة وخديجة رضي الله عنهما للنبي ﷺ) يتبين للباحث ما يلي:

ـ أن الدكتور إبراهيم عوض بين التناقض الواضح عند مثير الشبهة في مواقف متعددة، وأن هذه

---

(١) السيرة النبوية ـ محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني المتوفى (١٥١هـ)/ ١/ ١٢٨،١٢٩بتصرف/ ط.دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط(١)،٢٠٠٤ م.

الشبهة لا تقوم على دليل معتبر، وإنما مجرد افتراضات وتخمينات.

-ـ أشار الدكتور إبراهيم عوض إلى أن العداوة السابقة بين ورقة وخديجة رضي الله عنهما ـ كما يدعي مثير االشبهة ـ لا تسمح بمساعدته لها في أمر كادعاء النبوة.

ـ أن السيدة خديجة رضي الله عنها طلبت النبي ﷺ لنفسها لما توفر فيه من صفات وأخلاق كريمة.

-أنها سمعت بنبوته قبل أن تطلبه لنفسها كما ورد في كتب السيرة.

ـ أنه لم يرد في أيٍ من كتب السيرة أنه دار بينهما أي نقاش حول ادعائه النبوة قبل بعثته ﷺ.

ـ أن عدد المرات التي التقى فيها النبي) بورقة لا تتيح له أن يتلقى منه كثيرا من التعاليم فضلا عن أن يتلقى منه رسالة كاملة.

ـ أن ورقة رضي الله عنه مات في بداية البعثة، ومع ذلك أتم النبي ﷺ رسالته مع أن معظمها يتعلق بأحداث لم تقع إلا بعد وفاة ورقة بكثير، وهذا يؤكد عدم وجود دور لورقة في رسالة النبي ﷺ.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل معتبر، وإنما على مجرد افتراءات وتخمينات لاترتقى إلى التصديق العقلي فضلا عن الصدق النقلي.

المطلب الثاني

شبهة سيطرة النبي ﷺ على أموال خديجة رضي الله عنها والرد عليها

عُرف النبي ﷺ بين قومه بالصدق والأمانة، فلم يتهم قبل بعثته بشئ من النقائص، وهنا لم يجد المشركون ما يمكن أن يتهموا به النبي ﷺ فذهبوا بعيدا عن تلك السجايا له ﷺ فاتهموه بالسحر أو الكهانة أو غير ذلك مما بينه القرآن الكريم.

غير أنه قد وُجد في زماننا من يفوق المشركين في شدة عداوتهم للنبي ﷺ، حين يتهم النبي ﷺ بما لم يجرؤ عليه المشركون، بل بما شهدوا – هم أنفسهم– به للنبي ﷺ، ولندع المجال لمثير الشبهة ليعرض شبهته.

أولا: عرض الشبهة:

يزعم خليل عبد الكريم أن حرمان النبي ﷺ وفقره جعله لا يستريح ولا يهدأ له بال إلا إذا أخذ مال خديجة رضي الله عنها كله فيقول: " قد ذاق محمد الحرمان، وكابد المسغبة وكواه الفقر، فلا يُسكِّنُ روعَه، ولا يُهدِئ بالَه ويُطمئن نفسه ويريح خاطره سوى أن يُوضَع المال كله بين يديه (أي

تضع خديجة مالها كله تحت تصرفه)"(١).

يريد مثير الشبهة أن يرسخ في ذهن القارئ أن محمدا ﷺ كان يهدف من وراء دعوته الحصول على المال، ولم يكن نبيا مرسلا من عند الله ﷻ.

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أحداث السيرة النبوية.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان منهج الإسلام في كيفية جمع المال.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الأدلة العقلية.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية:

يبين الدكتور إبراهيم عوض أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يدلان دلالة واضحة على أن النبي ﷺ لم يكن هدفه المال مطلقا فيقول: "وفي القرآن الكريم نصوص متعددة تحذر من فتنة المال، وتتوعد بالعذاب الأليم المكتنزين الذين يحبسون المال ولا يخرجون حقوق المحتاجين فيه، وليس هذا موقف من يشغله المال يقول تعالى: "إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ(التغابن: ١٥)، "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (التوبة: ٣٤).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَا تُوكِي(٢) فَيُوكَى عَلَيْكِ، أَنْفِقِي يُنْفَقْ عَلَيْكِ»(٣).

وعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ" حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَبْدَةَ، وَقَالَ: «لاَ تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ"(٤).

---

(١) فترة التكوين/ ٣٠٩. مرجع سابق.

(٢) أي لا تدخرى وتشدي ما عندك وتمنعي ما في يدك فتنقطع مادة الرزق عنك ـ لسان العرب/ باب الواو/ مادة "وكى "/ ١٥/ ٤٠٥

(٣) أخرجه الإمام أبو نعيم في الحلية ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ـ باب سفيان الثوري/ ٧/ ١٣٩/ ط. دار السعادة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م ـ علق عليه أبو نعيم بأنه حديث غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ/ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه . ك " الزكاة" ـ باب " التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالشَّفَاعَةِ فِيهَا"/ برقم ١٤٣٣/ ٢/ ١١٣/ صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ـ/ ط. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) . ط(١)، ١٤٢٢هـ.

وعَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ قَالَ: "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ"(١)"(٢)

ولقد كان النبي ﷺ يمر به الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيته نار، فعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: "الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ(٣)، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا"(٤).

يقول الإمام بدر الدين العيني (٥) معلقا على هذا الحديث: " وَفِي الحَدِيث زهد النَّبِي ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالصَّبْر على التقلل وَأخذ الْبلْغَة من الْعَيْش وإيثار الْآخِرَة على الدُّنْيَا، وَفِيه حجَّة لمن آثر الفقر على الغِنى، وَفِيه أَن السّنة مُشَارِكَة الْوَاجِد المعدم"(٦).

حتى عندما تحدث القرآن الكريم عن حب الإنسان للمال، وأنه من زينة الدنيا بين أن ما يدخره الإنسان لنفسه في الآخرة خير له مما يكنزه في الدنيا " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ـ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ـ باب (حديث مطرف بن عبدالله عن أبيه)/ ٤/ ٢٤ـ برقم١٦٣٤٨ـ تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها/ مؤسسة قرطبة – القاهرة.

(٢) على هامش كتاب جوزيف هل الحضارة العربيةـ د/ إبراهيم عوض/ ص٢٤ـ/ ط. مكتبة جزيرة الورد ـ ٢٠١٤م

(٣) (مَنَحَ) الْمِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى عَطِيَّةٍ./ مقاييس اللغة ـ مادة (منح)/ ٥/ ٢٧٨.

(٤)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ ك " الرقاق " باب" كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم من الدنيا"/ برقم ٢٥٦٧/ ٨/ ٩٧.

(٥) "بدر الدين العيني"، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن محمود العينتابي الحنفي قاضي القضاة بدر الدين العيني. ولد في رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة. بعينتاب. وتفقه بها ثم قدم حلب، وأخذ بها عن الجمال يوسف الملطي. ثم قدم القاهرة فأخذ عن مشايخها وبرع في الفنون.، وولي حسبة القاهرة، ونظر الأحباس، وقضاء الحنفية، من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري)، و (العلم الهيب في شرح الكلم الطيب)، و (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)، مات في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة/ نظم العقيان في أعيان الأعيان ـ جلال الدين السيوطي/ ١/ ١٧٤/ ط. دار المكتبة العلمية – بيروت، الأعلام/ للزركلي/ ٧/ ١٦٣

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ ١٣/ ١٢٧/ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)/ ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت. دون.

وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابا وَخَيْرٌ أَمَلا" (الكهف: ٤٦).

ولقد كان النبي ﷺ أكثر الناس تمسكا بنصوص القرآن الكريم، ولذلك لما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ" أما تقرأ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ (القلم: ٤).

وبهذا يتضح أن النبي ﷺ لم يكن الهدف من رسالته جمع المال أو حتى الالتفات

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أحداث السيرة النبوية:

يبين الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن أحداث السيرة النبوية لا تُبدي أي مظهر من مظاهر تعلق النبي ﷺ بالمال، وبيان ذلك من خلال ما يلي:

لم يظهر عليه ﷺ قبل البعثة أو بعدها انشغاله بالمال: يقول الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله– : "متى ظهر في شخصية النبيﷺ، قبل أو بعد البعثة ما يدل على انشغاله بالمال إلى هذا الحد؟ لقد كان يشتغل راعيا، ثم تاجرا بعد ذلك، ولم يبد في سلوكه أو تطلعاته أو كلامه ما يدل على أن المال هو شغله الشاغل. بل إنه، بعدما تزوج خديجة التي كان يعمل عندها في تجارتها، سرعان ما ترك التجارة وانصرف إلى التأمل والتحنث في الغار، فهل هذا تصرف رجل مهموم بالمال لنفسه أو لأمته؟

ولماذا لم يبد عليه الاهتمام بالمال بعد أن صار نبيا وقائدا عسكريا فيحتجن(١) لنفسه بعضا من المال الذي يصيبه المسلمون في حروبهم؟" (٢).

رسائل النبي ﷺ وسلوكه مع الأمراء والملوك لا تدل على حاجته للمال: يستدل –فضيلته– على ما ذهب إليه بقوله:

"ثم لو كان الاقتصاد هو الدافع وراء انطلاق الإسلام من أرض العرب، فأنى يمكننا أن نضع رسائل النبي ﷺ إلى ملوك العرب والعجم من حوله؟، إن كل ما اشتملت عليه تلك الرسائل، هو دعوة أولئك العواهل إلى الدخول في الدين الجديد، وهذا كل ما هنالك، ولو كان الاقتصاد هو المسئول عن ذلك الانطلاق، لكان الرسول ﷺ قد تقرب إليهم بغية الحصول منهم على بعض المساعدات المالية"(٣).

---

(١) (حَجَنَ) الْحَاءُ وَالْجِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَيَلٍ، (احتجن) عَلَيْهِ حجر وَالشَّيْء حجنه وضمه إِلَيْهِ واختص نَفسه بِهِ وَالْمَال جمعه وَمَال غَيره اقتطعه وَسَرَقَهُ/ مقاييس اللغة/ ٢/ ١٤١، المعجم الوسيط/ مادة "حَجَنَ"/ ١/ ١٥٨.

(٢) على هامش كتاب جوزيف هل الحضارة العربية/ ٢٣ . مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص٢٦

ويمكن أن يؤكد الباحث على ما سبق ببعض أحداث السيرة النبوية، ومنها ما ذكره ابن هشام (١): "أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. قال فقال رسول الله ﷺ يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، قال ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي، قال فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا"(٢).

ومنها قصة تأثير الحصير في جنب النبي ﷺ، وتفضيله الآخرة على الدنيا، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: " دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير قال: فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ (ورق السلم يدبغ به) في ناحية من الغرفة، وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناى فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزانتك! قال: يا ابن الخطاب! أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟"(٣).

ومنها ما رواه الإمام الدارمي(٤) – أنه ﷺ أُعطى خزائن الدنيا، وأن يخلد فيها، ولكنه اختار

---

(١) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري؛ مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة. وتوفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين، رحمه الله تعالى.، أخذ" المغازي والسير " لابن إسحاق وهذبها ولخصها، وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ـ/ ٢/ ١٧٧/ دار صادر – بيروت ـ دون.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام/ ١/ ٢٦٦/ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ– ١٩٥٥ م.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الطلاق) في باب (فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ) برقم (١٤٧٩).

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي السمرقندي، كنيته أبو محمد يروى عن يزيد بن هارون، روى عنه أهل بلده، مات يوم التروية بعد العصر، ودفن يوم عرفة سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدث وأظهر السنة في بلده ودعا الناس إليها وذب

الموت والجنة فقال: "عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ، فَانْطَلِقْ مَعِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالَ: السَّلَام عَلَيْكُم يَا أهل الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِئَ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ، أَقْبَلَتْ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنْ الْأُولَى، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةُ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ. قَالَ: فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدْ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ، ثُمَّ استغفر لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرف، فَبدئ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ"(١).

ـ وغير ذلك من المواقف والمشاهد التي امتلأت بها كتب السيرة والسنة المطهرة من بدايتها إلى نهايتها منذ بعث حتى مات وليس في بيته ﷺ من شئ من عرض الدنيا ولو أراد لملك الدنيا بما فيها، وهو لا يتنافى مع الزهد لكن النبيﷺ خلع قلبه من التعلق بأسباب الدنيا وزخارفها

وبهذا يتبين أن النبي لم يكن يهتم بمتع الدنيا الزائلة، وأن الهدف الأسمى له لقاءُ ربه ودخول الجنة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان منهج الإسلام في كيفية جمع المال:

ينطلق الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في الاستدلال على عدم سعي النبي ﷺ لجمع المال واستيلائه على أموال السيدة خديجة رضي الله عنها من خلال بيان منهج الإسلام في جمع المال فيقول: "ألح الإسلام على أهمية العمل والإنتاج بوصفهما السبيل الأصيل للحصول على المال ودعم الاقتصاد، وحارب الربا والمراهنة والشحاذة والسرقة والاغتصاب والخداع والتدليس ولو كان الإسلام غايته الاستيلاء على أموال الأمم الأخرى... لما ألح على أهمية العمل"(٢).

وهناك نصوص عديدة تدلل على هذا المعنى، منها ما روي عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﷺ قال:

عن حريمها وقمع من خالفها/ الثقات ـ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ./ باب "العين"/ ٨/ ٣٦٤/ ط. دار الفكر ـ ط(١)، ١٣٩٥ – ١٩٧٥.

(١)أخرجه الإمام الدارمي في سننه ـ عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي/ باب "في وفاة النبي ﷺ/ برقم٧٨/ ١/ ٥٠ـ دار الكتاب العربي – بيروت . ط(١)، ١٤٠٧هـ ـ. إسناده جيد ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها/ تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه، مسند الإمام أحمد/ برقم ١٦٠٤٠/ ٣/ ٤٨٩.

(٢) الحضارة العربية/ ٢٥.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمْرُو نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَقَالَ: "لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟" قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَدَحٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ، قَالَ: "ائْتِنِي بِهِمَا" قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: "مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ " مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ، فَأَعْطَاهُمَا إياه، وأخذ الدرهمين فَأَعْطَاهُمَا للأَنْصَارِي، وَقَالَ: "اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَاما فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُوما فَأْتِنِي بِهِ" فَفَعَلَ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَشَدَّ فِيهِ عُودا بِيَدِهِ، وَقَالَ: "اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ، وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْما" فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ: اشْتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَاما وَبِبَعْضِهَا ثَوْبا ثُمَّ قَالَ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ(٢) فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِذِى فَقْرٍ مُدْقِعٍ(٣) أَوْ لِذِى غُرْمٍ مُفْظِعٍ(٤) أَوْ لِذِى دَمٍ مُوجِعٍ(٥)»(٦).

وعن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فأعطاني، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فأعطاني، ثُمَّ قَالَ لِي:

---

(١) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان . ـ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ـ ك "الزكاة". باب "ذكرالإباحة للرجل الذي يجمع المال من حله إذا قام بحقوقه فيه"/ ٨/ ٦/ برقم ٣٢١٠/ ط. مؤسسة الرسالة – بيروت ـ ط(٢)ـ ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ـ المرجع نفسه، هامش الصفحة نفسها.

(٢) (نَكَتَ) النُّونُ وَالْكَافُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَأْثِيرٍ يَسِيرٍ فِي الشَّيْءِ كَالنُّكْتَةِ وَنَحْوِهَا/ معجم مقاييس اللغة/ مادة "نكت"/ ٥/ ٤٧٥.

(٣) المدقع: فقر مدقع شديد مذل/ المعجم الوسيط/ باب الدال/ مادة "دقع"/ ١/ ٢٩٠

(٤) فَظُعَ الأَمْرُ، بِالضَّمِّ، يَفْظُعُ فَظاعة، وأَفْظَعَ الأَمْرُ: اشتَدَّ وشَنُعَ وَجَاوَزَ المِقدارَ وبَرَّحَ، فَهُوَ مُفْظِعٌ وَفِي الْحَدِيثِ: لَا تَحِلُّ المسأَلة إِلَّا لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَي ذِي حَاجَةٍ لَازِمَةٍ مِنْ غَرامة مُثْقِلة/ لسان العرب/ مادة "فَظُعَ"/ ٨/ ٢٥٤،١٢/ ٢٣٦.

(٥) دَمٍ مُوجِعٍ، هُوَ أَنْ يَتَحَمَّلَ دِية فَيَسْعَى بِهَا حَتَّى يُؤَدِّيَها إِلى أَولياءِ الْمَقْتُولِ، فإِن لَمْ يؤدِّها قُتِل المُتَحَمَّلُ عَنْهُ فَيُوجِعُه قَتْلُه./ لسان العرب ـ مادة "وَجَعَ"/ ٨/ ٣٨٠

(٦)أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ـ أبواب التجارات ـ باب بيع المزايدة ـ برقم ٢١٩٨/ ٣/ ٣١٦/ مرجع سابق.

تعليق الشيخ الأرنؤوط:المرفوع دون القصة صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف،حسَّنه الترمذي، وصحَّحه الضياء المقدسي في "المختارة".المرجع نفسه والصفحة نفسها

(يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ(١) نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كالذي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَرْزَأُ(٢) أَحَدا بَعْدَكَ شَيْئا، حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ، يَدْعُو حَكِيما، لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّى أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِى قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدا مِنَ النَّاسِ شَيْئا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ"(٣).

مما سبق يتبين أن الإسلام حرص حرصا شديدا على أهمية العمل، وجعله السبيل المشروع الراقي لجمع المال، ونهى عن جمعه بطرق محرمة أو عن طريق سؤال الناس أموالهم، فكيف بعد كل هذه النصوص يسيطر النبي على مال خديجة رضي الله عنها بدون وجه حق؟!!

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الأدلة العقلية:

من الردود النافعة التي لجأ إليها الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في رد تلك الشبهة، أنه استخدم الأدلة العقلية التي لا يمكن أن يعارضها إلا ذو عقل مريض، حيث إن المنهج الذي سلكه النبي ﷺ بمعارضته لدين قومه، والنصوص التي كان يذكرها لا يتناسبان مع رجل يريد أن يحصل على المال، فيقول: "ترى لو كان الدافع الاقتصادي هو السبب الرئيس في ذلك (يقصد دعوته)، فلِمَ انتهج الرسول ﷺ في هذا الصدد كل هذا العناء الدعوي الذي من شأنه المباعدة بينه وبين هدفه الاقتصادي؟... فيخترع دينا جديدا يربك الأوضاع السائدة في بلاد العرب، ويهيج الجميع ضده بدلا من أن يدخل في قضيته مباشرة، فيصارحهم بأنه إنما يريد لهم الخير، والانعتاق من الفقر الذي تعيش فيه جموعهم والعذاب الذي يصطلونه انتجاعا للكلأ وبحثا عن آبار المياه...، ثم كيف لم يخطئ مرة،فيشير في القرآن...، أو في أحاديثه الشريفة، إلى أنه إنما يريد أن يعيش العرب في سعادة ورخاء بدلا من هذا التقشف القبيح الذي ينغمس فيه غالبيتهم، لقد كانت دعوته ﷺ على العكس من ذلك، أن يعطي المؤمن أخاه المؤمن لا أن ينتهب المؤمنون جميعا أراضي الأمم الأخرى

---

(١) (شَرَفَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ.، وَالشَّرِيفُ: الرَّجُلُ الْعَالِي/ معجم مقاييس اللغة، مادة "شَرَفَ"/ ٣/ ٢٦٣.

(٢) (رَزَأَ) الرَّاءُ وَالزَّاءُ [وَالْهَمْزَةُ] أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِصَابَةِ الشَّيْءِ وَالذَّهَابِ بِهِ، وَيُقَالُ: مَا رَزَأَ فُلَانا شَيْئا أَي مَا أَصابَ مِنْ مالِه شَيْئا وَلَا نَقَصَ مِنْهُ/ معجم مقاييس اللغة مادة "رزأ" ./ ٢/ ٣٩٠، لسان العرب،/ ١/ ٨٥.

(٣) أخرجه الإمام البخارى في صحيحه ـ في كتاب (الجهاد) ـ باب (ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم)/ برقم ٣١٤٣/ ٤/ ٩٢.

ويصادروها لأنفسهم، وعندما تكلم عن نشر دينه لم يتطرق قط إلى الحديث عن العامل الاقتصادي بل كان كلامه كله عن القيم العقيدية والفكرية والشعورية والأخلاقية العليا، وهي قيم لا صلة بينها وبين التهافت على إحراز الأموال(١).

بالإضافة إلى أمر آخر يشير إليه –فضيلته– بقوله: "بل تعالوا بنا إلى العرب أنفسهم قبل البعثة، فهل فلم يصدر عن معظمهم ما يدل على أنهم كانوا يتأففون من شظف عيشهم أو يتطلعون إلى الهجرة من بلادهم هروبا من الفقر والمسغبة(٢)؟ (إنما كانوا يقومون برحلتي الشتاء والصيف للتجارة لا للهروب من بلادهم) هذه هي أشعارهم وأمثالهم وخطبهم بين أيدينا، فهل يجد أحد فيها ما يشير إلى شئ من ذلك؟.. لقد كانوا راضين تمام الرضا عن أوضاعهم المعيشية لم يفكروا في تغييرها...، ويَمْتدِحون بالشجاعة والإقدام واللامبالاة بالحياة في سبيل المجد الشخصي وسمعة القبيلة، ويتفاخرون بالكرم، ولا توجد قصيدة أو مقطوعة واحدة تومئ مجرد إيماء إلى أنهم سئموا تلك الأوضاع ويريدون الانعتاق منها والخروج إلى سعة الدنيا"(٣).

وإذا ما طالع الباحث العديد من مواقف النبي ﷺ وأسلوبه في الحياة لتيقن من استحالة وجود دافع مادي له في هذه الحياة، فمثلا لو كان الدافع المادي هو السبب في دعوته فلماذا لم يطلب لنفسه، أو لابنته فاطمة خادما يخفف عنها أو عنه عناء العمل خاصة وأنها طلبت منه ذلك(٤)، بل إنَّ كُلَّ مَنْ خَدَمَه ﷺ كان متطوعا وأشهرهم أنس ابن مالك ﷺ.

ولوكان الدافع المادي هو السبب في دعوته فلماذا لم يجمع لنفسه ولأهل بيته المال حتى يجدوا شيئا يعتمدون عليه في حياتهم بعد وفاته؟، ولماذا لم يسر على منهج الزواج من الأرامل الغارقات في النعيم؟، ولكن زوجاته غير السيدة خديجة ـ رضي الله عن الجميع ـ لم يكن كذلك وإنما تزوج معظمهن ليعولهنَّ بعد فقدان أزوجهنَّ.

مما سبق يتبين مخالفة احتمال وجود الدافع المادي للنبي ﷺ من وراء دعوته التي كُلِّف بتبليغها.

---

(١) الحضارة العربية – د/ إبراهيم عوض/ ٢٢، ٢٣بتصرف

(٢) السَّغْبَةُ: الجُوعُ و لَا يَكُونُ ذلِك لا مَعَ تَعَب،(وسَغِبٌ) كَكَتِفٍ أَي جَوعَانُ أَو عَطْشَان./ تاج العروس ـ مادة (سغب)/ ٣/ ٦١.

(٣) الحضارة العربية/ ٢٥بتصرف

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ في كتاب (الدعوات) باب (التكبير التسبيح عند المنام) برقم (٦٣١٨)/ ٨/ ٧٠.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين جليا ما يلي:

١- أوضح الدكتور إبراهيم عوض أن نصوص القرآن والسنة، وأحداث السيرة النبوية توضح زهد النبي ﷺ في حياته.

٢- أكد الدكتور إبراهيم عوض أن المنهج الذي اتخذه النبي ﷺ في دعوته، ومنهج الإسلام في جمع المال، كل هذا لا يتناسب مطلقا مع شخص عنده شره في جمع المال، كما يريد مثير الشبهة أن يرسخ في أذهان القارئين

٣- استخدم الدكتور إبراهيم عوض العقل والمنطق في الرد على الشبهة، فبين وجود طرق كثيرة كان من الممكن أن يصل بها النبي ﷺ إلى المال ـ لو كان يريده ـ أيسر من العمل على تغيير عقيدة قومه ومعارضتهم والتعرض للأذى هو وأصحابه، كما بين حب العرب لطريقة حياتهم وبيئتهم، وعدم نفورهم منها أو الرغبة في تغييرها، وبهذا يتبين أن الشبهة واهية ولا تقوم على أي دليل.

المطلب الثالث

شبهة عداوة النبي ﷺ لمعاوية(١)رضي الله عنه وشتمه له:

من المحاولات التي حاولها أعداء الإسلام للطعن على النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، استغلال بعض المواقف والأحداث التي يُفهم منها الإساءة إلى أحد من صحابة النبي رضوان الله عليهم، أو التنقص من قدره، مع أن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ لهم، ولم يكن من مطعن لأحد منهم على الآخر في دينه أو دنياه، فكيف أن يطعن النبي ﷺ في أحد منهم، أو أن يعادي أحدهم؟

لكن العداء للإسلام ولحملته قد وصل بالأبعد ليخالف المنقول والمعقول، ويزعم أن النبي ﷺ كان يعادي معاوية رضي الله عنه، ولندعه يلقي ما عنده.

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين رضي الله عنه، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر، وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح، فإنه كان في عمرة القضاء مسلما، صحب النبي ﷺ وكتب له، وولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان وأقره عثمان، ثم استمر فلم يبايع عليا، واستقل بالشام ثم أضاف إليها مصر، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين ثم استقل لما صالح الحسن، ومات معاوية رضي الله عنه في رجب سنة ستين على الصحيح/ الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ ٦/ ١٥١ . ١٥٤بتصرف.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن خليل عبد الكريم(١) يَدَّعِي انتقاص النبي ﷺ من معاوية بن أبي سفيان ﷺ فيقول: "ومما افتراه تفسيره النصيحة التي نصح بها النبي ﷺ فاطمة بنت قيس عندما أتته تستطلع رأيه في خاطبين تقدما لها، هما أبو جهم ومعاوية رضي الله عنهما فقال لها: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه(٢)، أما معاوية فصعلوك لا مال له"(٣).

ويؤكد أن دافعه في ذلك هو الانتقاص من رتبة ابن أبي سفيان لأنه طالما حاربه واشترك في المعارك وعاون والده أبا سفيان في محاولات استئصال شأفته"(٤).

وهكذا يتبين أن مثير الشبهة يدعي أن النبي ﷺ كان يكره معاوية ﷺ، لأنه كان يحاربه مع أبيه قبل الإسلام.

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في معاجم اللغة العربية.

(ج) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في السيرة النبوية.

(ج) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في السنة النبوية.

(د) الرد على الشبهة من خلال تعامل الخلفاء الراشدين مع معاوية رضي الله عنهم أجمعين.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في معاجم اللغة العربية:

ينطلق الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في رد تلك الشبهة من خلال الفهم العميق للغة العربية ويتلخص رده في النقاط التالية:

١ـ مجرد نصيحة للسائل: يبين الدكتور إبراهيم أن النبي ﷺ كان يقدم نصيحة طلبتها منه فاطمة بنت قيس فيقول: "لقد غطى خليل عبد الكريم عينيه بيديه حتى لا يرى أن كلام النبي في معاوية ليس

---

(١) سبق التعريف به في المطلب الأول من هذا المبحث.

(٢) كثير الضرب للنساء، وفى رواية أخرى لمسلم "وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء" مسلم، كتاب (الطلاق) ـ باب (المطلقة ثلاثا) برقم (١٤٨٠).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ ك (الطلاق) ـ باب (المطلقة البائن لا نفقة لها)/ برقم ١٤٨٠/ ١٠/ ٧٥.

(٤) اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة ـ دإبراهيم عوض/ ٢٤٧/ مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، وأصل النص في كتاب "شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة" خليل عبد الكريم./ ص١١٥، ١١٦/ ط. دار سينا للنشر (القاهرة)، الانتشار العربي (بيروت) ط١٩٩٧.

انتقاصا بل هو مجرد نصيحة خالصة مخلصة لامرأة طلبتها منه"(١).

٢ـ اللفظ لا يدل على الانتقاص: كما يبين – فضيلته– أن لفظ الحديث لا يدل أبدا على الانتقاص من قدر معاوية ﷺ فـ"عندما يقرر سيد البشر عن معاوية أنه صعلوك فهو يقرر حقيقة لا ينكرها أحد، لأن الصعلوك في لغة العرب آنذاك هو الفقير، ولم يكن في هذا الاسم ما يعاب وإلا ما افتخر به عروة بن الورد وأصحابه من شعراء الجاهليين في قصائدهم(٢)، لكن الأستاذ الأمين يترك هذه الكلمة دون أن يشرحها؛ ليوقع في روع القارئ أن الرسول ﷺ عندما قال عن معاوية أنه صعلوك كان يشتمه وينتقص منه"(٣).

٣ـ المعاجم اللغوية وكتب تاريخ العرب تؤيد المعنى المراد من اللفظ: فعندما ينظر الباحث في معاجم اللغة العربية يجد أنها تؤيد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض، فقد ورد في لسان العرب "الصُّعْلُوك: الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ وتَصَعْلَكت الإِبل: خَرَجَتْ أَوبارها وَانْجَرَدَتْ وطَرَحتها"(٤)،وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك، لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه. والتصعلك: الفقر"(٥).

وورد في كتاب الشعر الجاهلي أنهم كانوا يصفون الفقراء بالصعاليك: "وقد قاد النبذ الاجتماعي للصعاليك إلى مجموعة من القيم الاجتماعية الكريمة منها: كرم الصعلوك، ووفاؤه لأصحابه من الصعاليك، أما كرمه فهو مشهور معروف حتى قيل كل صعلوك جواد، ولعل حالة الفاقة والفقر في مجتمع القبيلة قادته إلى إتلاف أمواله في كرم مبالغ فيه"(٦).

وبهذا يتبين أن الصعلوك في لغة العرب هو الفقير، وأن ذلك ليس فيه ما يعيب معاوية ﷺ حتى يعد انتقاصا له.

---

(١)المرجع السابق/ ٢٤٧.

(٢) ومن ذلك قول حاتم الطائي يعدد مكارم الصعلوك كالإقدام والصبر على الجوع والتأهب للحرب.
ولله صعلوك يساور همه ويمضي ** على الأحداث والدهر مقدما) (فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ** ولا شعبة إن نالها عد مغنما) (إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت ** تيمم كبراهن ثمت صمما) (ترى رمحه ونبله ومجنه ** وذا شطب عضب الضريبة مخذما)

(٣) المرجع السابق/ ٢٤٨.

(٤) لسان العرب ـ مادة "صَعْلَكَ"/ ١٠/ ٤٥٥

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) مادة " "صعلك"/ ٤/ ١٥٩٥ـ دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م.

(٦) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية ـ د/ كريم الوائلي/ ١/ ١٥٧/ ـ بدون.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في السيرة النبوية:

ومن خلال أحداث السيرة النبوية ينطلق الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في الرد على تلك الشبهة من خلال العناصر التالية:

١- استثارة الفكر بالأسئلة العقلية: يبين الدكتور إبراهيم أن النبي ﷺ قَرَّبَ معاوية ﷺ منه وجعله من كتاب الوحي، وأحسن إليه وإلى أبيه، ثم يثير عقل القارئ بعدد من الأسئلة العقلية التي تبين أن الشبهة واهية، فيقول: " وبالله لو أراد النبي ﷺ أن ينتقص منه فلماذا قربه إليه وجعله من كتّابه؟

بل لماذا لم يقتله هو وأباه وسائر كفرة قريش عام الفتح ويريح ويستريح؟

ثم كيف ينتقصه وهو أخو زوجته(١)؟ ومتى كان الفقر سببا في أن يحتقر محمد أحدا من الناس؟ وهل كان محمد غنيا حتى يحتقر الفقراء؟

ولم أعطى كلا من معاوية وأخته وأبيه في غزوة حنين أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل وهو ما ذكره الشيخ خليل نفسه؟(٢).

"وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل قال ابني معاوية قال اعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل"(٣).

٢- أين معاوية من أبيه؟!: ثم إن معاوية ﷺ كما يوضح فضيلة الدكتور إبراهيم عوض لم يُعْرَف عنه أنه شارك أباه في حرب النبي ﷺ وفي هذا يقول ـ حفظه الله ـ: "وهذا كله لو كان معاوية فعلا كما ادعى الشيخ قد حارب الرسول مع أبيه وقومه، لكننا نقرأ أخباره في مظانها المختلفة، فلا نعثر على إشارة إلى اشتراكه معهم في حربه ﷺ، بل نجد فقط ذكرا لا شتراكه في غزوات الإسلام بعد دخوله فيه عام الفتح بدءا من حنين فصاعدا"(٤).

---

(١) رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية القرشي. كانت تحت عبيد الله بن جحش، فتنصر، وهلك بأرض الحبشة، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده، وكان النجاشي زوجها إياه، سنة ست، وأمهرها من عنده، وكان وليها عثمان بن عفان.،وتوفيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان، سنة ثنتين وأربعين، وقيل: أربع وأربعين/ معرفة الصحابة لابن منده- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)/ ٩٥١، ٩٥٢/ مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م

(٢) اليسار الإسلامي/ ٢٤٩.

(٣) السيرة النبوية المسمى "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" ـ محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس (٦٧١ هـ- ٧٣٤ هـ)/ ٢/ ٢١٩/ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ـ ١٩٨٦م ـ بيروت – لبنان، السيرة الحلبية/ ٣/ ٨٤/ دار المعرفة.

(٤) اليسار الإسلامي/ ٢٤٦-٢٥٠.

وعلى أية حال فإنه يتبين مما سبق حسنُ معاملة النبي ﷺ لمعاوية ﷺ، بل ولأبيه، وأن معاوية ﷺ لم يشارك أباه في حرب النبي ﷺ.

فإذا ما أحسن النبي إلى أبي سفيان والذى كان من أشد أعدائه ﷺ، فلماذا ينتقص من معاوية وقد كان تابعا لأبيه على فرض اشتراكه معه في حرب النبي ﷺ.

(ج) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في السنة النبوية:

عندما ينظر الباحث في سنة النبي ﷺ يجد العديد من النصوص التي يثني فيها النبي ﷺ على معاوية رضي الله عنه، ويدعو له وهذا يناقض تماما ما ادعاه خليل عبد الكريم، ومما ورد في فضله من تلك النصوص ما يلي:

٣- دعاء النبي ﷺ له: فقد دعا له النبي ﷺ بأن يعلمه الله الكتاب، ويعافيه من العذاب، فعن شريحٍ بنِ عبيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ، وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ»(١).

وأرسل النبي ﷺ إليه ابن عباس، فوجده يأكل فأخبر النبي ﷺ بذلك فدعا له "فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، وَقَالَ: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: «اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: «لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ»(٢).

قال الإمام النووي(٣) معلقا على هذا الحديث وقد فهم مسلم أن معاوية ﷺ لم يكن مستحقا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية، لأنه في الحقيقة دعاء له"(٤).

قال الشيخ الألباني: قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنا في معاوية ﷺ

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ باب (حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ ـ برقم (١٧١٩٢)/ ٤/ ١٢٧). تعليق الشيخ الأرنؤوط حديث السحور. منه حسن وهذا إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ ك(البر والصلة والآداب) ـ باب (من لعنه النبي ﷺ، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة)/ برقم(٢٦٠٤)/ ١٦/ ١١٨.

(٣) النووي (٦٣١- ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣- ١٢٧٧ م) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. . مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته من كتبه " تهذيب الأسماء واللغات، منهاج الطالبين، الدقائق، المنهاج في شرح صحيح مسلم/ الأعلام/ الزركلي/ ٨/ ١٤٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي/ م٨/ ١٦/ ١١٩.

وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ" (١).

وقيل في "لا أشبع الله بطنه" أنها كلمة جرت على عادة العرب نحو قاتله الله ما أكرمه، ويل أمه وأبيه ما أجوده مما لا يراد معناه "(٢).

١- بشارة النبي ﷺ له بالمغفرة: وبشره النبي ﷺ بالجنة هو ومن معه في الجيش الذي غزا قبرص "فعَنْ أُمِّ حَرَامٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ»"(٣).

يقول الإمام بدر الدين العيني معلقا على الحديث: "وْله: (أول جَيش من أمتِي يغزون الْبَحْر) أَرَادَ بِهِ جَيش مُعَاوِيَة، وَقَالَ الْمُهلب: مُعَاوِيَة أول من غزا الْبَحْر، وَقَالَ ابْن جرير: قَالَ بَعضهم: كَانَ ذَلِك فِي سنة سبع وَعشْرين، وَهِي غَزْوَة قبرص فِي زمن عُثْمَان بن عَفَّانﷺ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيّ: كَانَ ذَلِك فِي سنة ثَمَان وَعشْرين

وَقَالَ أَبُو معشر: غَزَاهَا فِي سنة ثَلَاث وَثَلَاثِينَ، وَكَانَت أم حرَام مَعَهم قَوْله: (قد أوجبوا)، قَالَ بَعضهم: أَي: وَجَبت لَهُم الْجنَّة. قلت: هَذَا الْكَلَام لَا يَقْتَضِي هَذَا الْمَعْنى، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أوجبوا اسْتِحْقَاق الْجنَّة"(٤).

ويبين ابن عساكر(٥) أن هذا الحديث من أصح ما قيل في فضل معاوية ﷺ فقال: "وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس أنه كاتب النبي ﷺ فقد أخرجه مسلم في

---

(١) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ١- ٩/ محمد ناصر الدين الألباني/ ١/ ٨١.

(٢) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ـ عبد العزيز بن أحمد بن حامد (ت ١٢٣٩هـ)/ ص٦٩/ غراس للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ط(١) ـ ١٤٢٢هـ.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ ك(الجهاد والسير) . باب (ما جاء في قتال الروم) ـ برقم(٢٩٢٤)/ ٤/ ٤٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري:ـ بدر الدين العينى/ ١٤/ ١٩٨بتصرف.مرجع سابق.

(٥) علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم بن عساكر ولا نعلم أحدا من جدوده يسمى عساكر وإنما هو اشتهر بذلك، ولد في مستهل سنة ٤٩٩هـ، وعدة شيوخه ١٣٠٠ شيخ ومن النساء بضع وثمانون امرأة، وارتحل إلى العراق ومكة والمدينة، وارتحل إلى بلاد العجم، من تصانيفه: (تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها، الأشراف على معرفة الأطراف، الموافقا، توفي الحافظ في حادي عشر شهر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير/ طبقات الشافعية الكبرى ـ الإمام العلامة/ تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي/ ٧/ ٢١٦ـ ٢٢٤بتصرف/ ط. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع . ط(٢)ـ ١٤١٣هـ،/ معجم المؤلفين/ ٧/ ٦٩.

صحيحه وبعده حديث العرباض اللهم علمه الكتاب وبعده حديث ابن أبي عميرة اللهم اجعله هاديا مهديا"(١).

مما سبق تتبين مكانة معاوية ﷺ عند النبي، حيث إنه دعا له بالعلم والنجاة من العذاب، وبشر أول جيش يغزو البحر بالجنة وكان على رأسه معاوية ﷺ.

(د) الرد على الشبهة من خلال تعامل الخلفاء الراشدين مع معاوية ﷺ أجمعين:

مما يسطر في صحيفة الإنسان تعامله مع الناس من حوله، فمتى كانت علاقته بالناس طيبة حسنة دلّ ذلك على سيرته الطيبة وخلقه الجميل، ومعاوية ﷺ كان أحد القادة في عهد الصديق أبي بكر والفاروق عمر، وذي النورين عثمان رضي الله عنهم.

ففي "خلافة أبي بكرﷺ أَمَّرَ معاوية ﷺ على مدد لجيش الشام"(٢).

فقد اشتهر معاوية ﷺ في العمل السياسي كان في عهد عمر ابن الخطاب ﷺ: " بدا نجم معاوية في الظهور في ميدان العمل السياسي والإداري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقد ولاه فتح قيسارية(٣) ثم دخلت سنة تسع عشرة وقيل: فيها كان فتح قيسارية على يد معاوية، وقيل: سنة عشرين، وقد تقدم أيضا ذكر ذلك سنة ست عشرة(٤).

ثم كانت وقعة قيسارية اختبارا كبيرا من عمر لمعاوية ﷺ فاجتاز هذا الاختبار بنجاح يقول ابن كثير: "وقعة قيسارية قال ابن جرير: وفي هذه السنة أَمَّر عمر معاوية بن أبي سفيان ﷺعلى قيسارية وكتب إليه: أما بعد فقد وليتك قيسارية فَسِرْ إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير.

فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلُها مرات عديدة، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحوا من ثمانين ألفا، وكمل المائة ألف من الذين انهزموا عن المعركة، وبعث بالفتح والأخماس

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر/ ٥٩/ ١٠٦.

(٢) سيرة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ علي محمد محمد الصَّلابي/ ص٤٤/ ط. دار ابن الجوزي ـ القاهرة ـ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٣) قيسارية على ساحل الشام من أعمال فلسطين ـ معجم البلدان ـ ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله/ ٤/ ٤٢١.

(٤) أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ـ عبدالله الخزعان/ ٥٩/ ط. مكتبة الرشد ـ ط(١) ـ ١٤٢٤هـ.

إلى أمير المؤمنين عمر ﷺ "[١].

وولاه الفاروق ﷺ جند الشام بعد وفاة أخيه يزيد ووفاة عبيدة بن الجراح يقول الإمام الطبري:

"ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان أمَّر معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها"(٢).

ولما تولى عثمان ﷺ عنه الخلافة أقر له ما ولاه عمرﷺ، وقد تطورت الأحداث، وضُمت إلى معاوية ﷺ بعض المناطق الأخرى، حتى أصبح معاوية ﷺ هو الوالي المطلق لبلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان ﷺ وأشدهم نفوذا يقول الإمام الطبري:

" لما وُلِّى عثمان ﷺ أقر عمال عمر على الشام، فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانين ﷺ وكان على فلسطين، ضُم عمله إلى معاويةﷺ، ومرض عمير بن سعد ﷺفي إمارة عثمان ﷺ مرضا طال به، فاستعفاه فأذن له، وضم عمله إلى معاويةﷺ، فاجتمع الشام على معاوية لسنتين من إمارة عثمان رضي الله عنهما"(٣).

مما سبق تتبين مكانة معاوية ﷺ عند الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول رضي الله عنهم، حيث ولاه جميعهم، ولوكان هناك مطعن عليه في دينه ﷺ، أو بغض من النبي ﷺ له لما ولَّوْه ﷺ.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتأكد للباحث ما يلي:

١- أشار الدكتور إبراهيم عوض إلى تغافل مثير الشبهة عمدا عن بيان معنى كلمة "صعلوك " وأنها تعني "فقير"، وأن النبي ﷺ كان يقدم نصيحة لفاطمة بنت قيس طلبتها منه، وليس في هذا ما يعيب معاوية ﷺ.

٢- بين الدكتور إبراهيم عوض عدم ثبوت محاربة معاوية ﷺ مع أبيه قبل الإسلام للنبى ﷺ، ولو حدث ذلك لثبت كما ثبت في شأن عكرمة ﷺ.

٣- أكد الدكتور إبراهيم عوض أن أحداث السيرة النبوية تشهد بحسن تعامل النبي ﷺ مع معاوية ﷺ، فقد جعله النبي من كتاب الوحي، وتزوج أخته أم حبية رضي الله عنها، وأعطاه ووالده من سهم

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير/ ٧/ ٦٣. مرجع سابق.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر/ ٢/ ٤٨٩/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

(٣) تاريخ الطبري/ ٢/ ٦١٦.

المؤلفة قلوبهم في الغنائم.

نوع الدكتور إبراهيم في استدلاله على عدم معاداة النبي ﷺ معاوية ﷺ، فجمع بين اللغة العربية، والواقع العملي، وأحداث السيرة النبوية، وكان من الممكن أن يضيف جوانب أخرى منها ما يلي:

- أن أحاديث السنة المطهرة تشهد بمكانة معاوية ﷺ عند النبي ﷺ، فقد دعا النبي ﷺ له بالعلم والمغفرة، وبشره بالجنة مع أول جيش يغزو البحر.

- أن الخلفاء الراشدين أكرموا معاوية ﷺ وولوه إمرة بعض الجيوش، وحكم الشام، ولو كان بينه وبين النبي ﷺ بغضاء لما ولوه.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل، وإنما تقوم على اتباع الهوى وسوء الظن برجل نال شرف الصحبة للنبي ﷺ، وكان له دوره البارز في رفع راية الإسلام، وإعلاء كلمته في حياة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده أجمعين.

المبحث الثاني

جهود الدكتور إبراهيم عوضفي رد الشبهات المتعلقة بالمصدر الذي استقى منه الرسول ﷺ رسالته:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبهة تأثر النبي ﷺ باليهودية والنصرانية والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة تأليف النبي ﷺ للقرآن الكريم والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة تأثر النبي ﷺ بالجاهلية وسجوده للأصنام (قصة الغرانيق) والرد عليها.

المطلب الأول

شبهة تأثر النبي ﷺ باليهودية والنصرانية والرد عليها:

مما أثاره المستشرقون وغيرهم حول رسالة النبي ﷺ، — لما عجزوا عن النيل من شخصه الشريف - زعمهم أن النبي ﷺ استمد رسالته من لقاءات كانت بينه وبين اليهود والنصارى.

أولا: عرض الشبهة

يعرض الدكتور إبراهيم عوض لتلك الشبهة التي أثارها كاتب الموسوعة اليهودية(١) الذي يزعم أن محمدا ﷺ قد استمد دعوته من اليهودية والنصرانية فيقول: "ولا يكتفي الكاتب بهذا...إذ يزعم أن محمدا ﷺ قد استمد دعوته من اليهودية والنصرانية من بيئته المحيطة به، ومن أسفاره

---

(١) لم يصرح الدكتور إبراهيم باسمه ولم يستطع الباحث الوصول إلى أي معلومات عن الموسوعة أو المؤلف.

خارج بلاد العرب على السواء"(١).

وهذه الشبهة مستمدة من كتابات المستشرقين، منهم نولدكة(٢) يقول في(تاريخ القرآن): " إن المصدر الرئيس الوحيد الذي نزل على النبي حرفيا بحسب إيمان المسلمين البسيط، وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية.

وتعاليم محمد في جُلِّها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها؛ لهذا لا لزوم للتحليل لنكتشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض هي ذات أصل يهودي أما تأثير الإنجيل على القرآن فهو دون ذلك بكثير"(٣).

وبهذا يتبين أن الشبهة تتلخص في الادعاء بأن النبي ﷺ اقتبس رسالته من اليهودية والنصرانية، وأنها شبهة سبقه إليها غيره من المستشرقين.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال إسلام العديد من أهل الكتاب، وعدم ادعاء أحد تعليم النبي ﷺ من أي مصدر من مصادر أهل الكتاب.

(ب) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال اختلاف موضوعات القرآن وموضوعات الكتاب المقدس.

(ج) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال الاختلاف بين القرآن والكتاب المقدس في الشريعة والعبادات.

(د) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال ذكر آراء بعض المنصفين من المستشرقين.

وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١)كتابات استشراقية عن الإسلام والمسلمين (الإسلام في خمس موسوعات إنجليزية) نصوص ودراسات.د/ إبراهيم عوض ص٢٨٩. ط دار المنار للطباعة والنشر. القاهرة ٢٠٠٩.

(٢) نولدكة/ تيودور نولدكه: مستشرق ألماني ولد في ١٨٣٦م، درس الآداب الكلاسيكية واللغات السامية في جامعات ألمانيا وهولندا وفيينا، ومن أشهر آثاره(تاريخ القرآن، وفي نحو العربية الفصحى)، وكانت وفاته في ١٩٣٠م/ معجم أعلام المورد- منيرالبعلبكي- حرف (ن)/ ١/ ٤٦٠/ ط. دار العلم للملايين ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٢م.

(٣) تاريخ القرآن ـ نولدكة/ ص٧/ تعديل فريد بريش شفالي/ ط. دار جورج ألمز ـ هيلد سهايم ـ زوريخ ـ نيويورك ـ ٢٠٠٠م.

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال إسلام العديد من أهل الكتاب، وعدم ادعاء أحد تعليم النبي ﷺ من أي مصدر من مصادر أهل الكتاب:

يعتمد الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في رد تلك الشبهة على طلب البينة من المدعي، إذ البينة على مَن ادعى، فيطلب منه دليلا على ما ادعاه بقوله: "وعبثا نسأل عن الدليل الذي يعتمد عليه الكاتب في هذه الدعوى!، إذ لا دليل البتة، ولو كان هذا الدليل موجودا لساق لنا الكاتب وقائع معينة بما دار فيها من حوار، ومن حضرها من شهود، وما رُوِيَ عنها من حكايات، لكنه لم يورد شيئا من ذلك"(١)، هذا أولا.

وثانيا: يوضح فضيلته أن هناك العديد من القساوسة والرهبان قد أسلموا، ولو وجدوا في الإسلام ريبة لما استمروا على الإسلام فيقول: " لقد أسلمت الجزيرة العربية كلها والشام والعراق وفارس، وكان بين من دخلوا في الإسلام آنذاك، ولا يزال كثير جدا من القساوسة والأحبار، وهو ما يعني أنهم لم يجدوا عليه ريبة، وإلا ما أسلموا، وحتى الذين كانوا يكذبونه ويتهمونه في البداية قد أثبتوا بإسلامهم هذا أن الرسول صادق أمين...، كذلك كان هناك منافقون ويهود ونصارى في كل مكان من بلاد العرب، بالإضافة إلى المرتدين بعد وفاته ﷺ، وعلى رأسهم مدعو النبوة وقوادهم العسكريون، ومع هذا لم نسمع من أحدهم كلمة يتيمة تقول عنه ما يقوله الكاتب المضلل.

لقد كان كل ما قدر عليه اليهود في عصره، أن وضعوا أيديهم في أيدي الوثنيين قائلين لهم: إن دينكم خير من دينه"(٢)

وتأييدا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض يشير الباحث إلى بعض النماذج من القساوسة الذين هداهم الله إلى الإسلام.

١- إبراهيم خليل فلوبس أستاذ اللاهوت المصري السابق(٣):

يقول عن قصة إسلامه:

" في مؤتمر تبشيري دعيت للكلام فيه، فأطلت الكلام في ترديد كل المطاعن المحفوظة

---

(١)كتابات استشراقية/ ٢٩٠.

(٢)المرجع السابق/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٣) هو إبراهيم خليل فلوبس أستاذ اللاهوت المصري السابق، حصل على التخصص (الماجستير) في اللاهوت من جامعة برنستون الأمريكية، وكان راعيا للكنيسة الإنجيلية، من كتبه (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، (المسيح إنسان لا إله) (الاستشراق والتنصير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا ـ الحسيني الحسيني معدى/ ١٧/ دار الكتاب العربي ـ ط(١) ٢٠٠٦م

ضد الإسلام،وبعد أن انتهيت من حديثي سألت نفسي لماذا أقول هذا وأنا أعلم أنني كاذب؟!.. ثم توجهت إلى بيتي وأنا مهزوز من أعماقي، فدخلت مكتبتي وقضيت الليل كله وحدي أقرأ القرآن الكريم ووقفت طويلا عند قوله تعالى: " لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعا مُتَصَدِّعا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " (الحشر: ٢١)، وفي تلك الليلة اتخذت قرار حياتي فأسلمت، ثم انضم إلي جميع أولادي"(١).

٢- القس إسحاق هلال مسيحة (٢):

" كان يركب الحافلة، وإذا بصبي يبيع بعض الكتيبات فوزع على الجميع إلا هو فنزل خلفه حتى حصل علي كتيبين، كان أحدهما الجزء الثلاثون، فقرأ سورة الإخلاص فوقعت في نفسه، فحفظها، ثم أخذ يسأل نفسه والقساوسة إذا كنت أنا أغفر للناس فمن يغفر لي فقالوا البابا، فقال ومن يغفر للبابا، فحبسوه وعذبوه، وفي وادي النطرون وجد كبير الرهبان مسلما، ثم خرج فأرسل في رحلة تنصيرية إلى جنوب السودان، وشارك في تنصير عدد من السودانيين، ثم فوجئ بأحدهم يصلي صلاة المسلمين، فلما سأله قال: لقد اشتريتم جسدي أما روحي وعقيدتي فإنها لله وحده، فهدته تلك الأحداث للإسلام، وتنازل عن ثروته كاملة" (٣)

وثالثا: يؤكد الدكتور إبراهيم عوض على رفض نصارى نجران مباهلة(٤) النبي ﷺ عندما دعاهم إليها ليحسموا الخلاف بينهم ورضوا بدفع الجزية(٥) فيقول: "كما نكل(١) زعماء نصارى

---

(١) لتفصيل القصة ينظر (قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا)- الحسيني الحسيني معدى/ ١٧- ٣٠.

(٢) ولد ٣/ ٥/ ١٩٥٣م بقرية البياضة - مركز ملوي - محافظة المنيا - من أبوين نصرانيين أرثوذكس،عين قسيسا ثم راعيا لكنيسة المثال المسيحي بسوهاج، ورئيسا فخريا لجمعيات خلاص النفوس المصرية بأفريقيا وغرب آسيا./ قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا - الحسيني الحسيني معدى/ ١١/ دار الكتاب العربي - ط(١) ٢٠٠٦م

(٣) ملخص القصة للتفصيل ينظر (قساوسة ومبسرون ومنصرون وأحبار أسلموا)/ ١١. ١٥.

(٤) والمُباهلة المُلاعَنة يقال باهَلْت فلانا أَي لاعنته ومعنى المباهلة أَن يجتمع القوم إِذا اختلفوا في شيء فيقولوا لَعْنَةُ الله على الظالم منا./ لسان العرب - مادة (بَهَلَ)/ ١١/ ٧١.

(٥)وهذه قصة المباهلة كما ذكرها ابن هشام فقال:" فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك فقالوا له يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك

نجران عن مباهلة النبي ﷺ حين طلب منهم ذلك حسما للخلاف بينه وبينهم، مؤثرين دفع الجزية، إذ خافوا أن يعاقبهم الله تعالى جزاء كفرهم بمحمدﷺ، الذي كانوا يعرفون أنه نبي حقيقي"(٢).

ورابعا: يستدل الدكتور ـ حفظه الله ـ على ما ذهب إليه بعدم ظهور أي شخص في حياة النبي ﷺ يدعي أن النبي ﷺ استمد منه دعوته، أو أنه حتى تعلم على يديه شيئا فيقول: "ثم لماذا لم يظهر أي شخص رغم توفر كل الدواعي التي تلح على ظهوره من هؤلاء الذين تعلم محمد ﷺعلى أيديهم ويقول: أنا الذي علمته..، الواقع أنه ليست هناك إلا رواية واحدة عن لقائه وهو صغير ببحيرا الراهب...، وكل ما جرى هو تحذير الراهب لأبي طالب من غدر يهود بالطفل، ونصيحته إياه أن يعود به أدراجه إلى مكة تجنبا لشرهم لو عرفوا أنه هو النبي المنتظر"(٣).

وبهذا يتبين أنه لا دليل على دعوى اقتباس النبي ﷺ دعوته من أهل الكتاب، وأنهم دخلوا في الإسلام ولايزالون يدخلون، وأنه لم يتعلم على يد أحد منهم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال الاختلاف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في العقيدة:

عندما ينظر الباحث إلى آيات القرآن الكريم يجد أنها تشير إلى وحدة المصدر الذي جاءت منه الكتب السماوية، كما يجد أن القرآن الكريم "يصرح بوجود التشابه بين ما أنزله الله على الأنبياء وبين ما أنزله الله على خاتمهم محمد ﷺ قال تعالى: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون" (الأنبياء: ١٠٥ – ١٠٨)، ومثله قوله تعالى: "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌوَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (الأعلى: ١٦ – ١٩).

فوحدة المصدر تستلزم وجود التشابه... لكن التشابه بين الكتابين ليس مطردا، فثمة فروق كبيرة بينهما... ونود أن ننبه هنا إلى أن آيات القرآن بلغت ٦٢٣٦ آية، وأن التشابه بينها وبين النصوص الكتابية لا يزيد عن مائة آية...، كما يلزم العلم بالاختلاف والبون الكبير بين موضوعات

ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضا ".

(١) نَكَصَ وجَبُنَ ـ القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ فصل النون ـ مادة " نكل "/ ١/ ١٣٧٥.

(٢)كتابات استشراقية/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٣)المرجع السابق/ ٢٩١.

القرآن الكريم وموضوعات الكتاب المقدس"(١).

أما الموضوعات التي يشترك فيها الكتاب المقدس مع القرآن الكريم، فمن أهمها ما يلي:

أـ وحدة العقيدة:

مما لا شك فيه أن " الكتب التي ينزلها الله تعالى يتوقع قارئها أن تركز على وحدة العقيدة كالتعريف بالله ﷻ وأنبيائه عليهم السلام وملائكته وكيفية عبادته، ومن البديهي أن تتطابق هذه الكتب لوحدة مصدرها...، وأما الاختلاف بينها في التعريف بهذه الحقائق، فذلك دليل تحريف بعضها، وأنه ليس من عند الله تعالى"(٢).

وفي هذا يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ " أن الذي يميز الإسلام عن غيره هو الوحدانية المطلقة بكل معانيها، فهناك سورة في القرآن، وإن كانت قصيرة، نزلت لتقرر هذا المعنى تقريرا حاسما جازما لا لبس فيه ولا تردد ولا مواربة "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ" (الإخلاص: ١ – ٤).

وهذه الوحدانية المطلقة تخالف العقائد التي كانت موجودة أيام ظهور الإسلام، مما يدل على أن النبي ﷺ لم يقتبس أفكاره عن الله تعالى من أحد"(٣).

ثم ينطلق في تقرير وبيان المفارقات بين القرآن الكريم وكتب أهل الكتاب، من خلال ما يلي:

١–ّ القرآن على تحريفات اليهود في الألوهية:

يبين فضيلته أن القرآن الكريم رد على تحريفات أهل الكتاب في الألوهية فيقول: " فإذا انتقلنا إلى اليهودية والنصرانية، فسوف نجد القرآن الكريم قد رد تحريفات أهل الكتاب، فأما اليهود فإن المقيمين منهم بالمدينة كانوا يزعمون أن عزيرا ابن الله مثلما يقول النصارى أن المسيح ابن الله، وقد رد عليهم القرآن الكريم، وبين أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شركي قديم "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون" (التوبة: ٣٠).

وليس هذا هو كل ما أراد اليهود أن يشوهوا به عبثا جلال الألوهية، فإن في العهد القديم

---

(١)تنزيه القرآن عن دعاوى المستشرقين.د/ منقذ بن محمود السقار (الباحث في رابطة العالم الإسلامي)/ ٦٥،٦٦بتصرف ـ بدون.

(٢) المرجع السابق/ ٦٨بتصرف.

(٣) مصدر القرآن (دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي) د/ إبراهيم عوض/ ٩٤ ـ بدون

نصوصا أشنع من هذا ومنها على سبيل المثال:

" فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا.وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقا"(١).

بينما في القرآن يقول تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب" (ق: ٣٨).

واقرأ كذلك هذه الآيات: " وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ» فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟"(٢)

وهي كما ترى تصور الله كأنه واحد من البشر، فهو يمشي في الجنة، ويجهل مكانهما، فيضطر إلى سؤالهما، فأين هذا مما وصف به القرآن المولى جل شأنه من العلم المطلق والإبصار والسمع اللذين يحيطان حتى بأخص خلجات الضمائر؟ "(٣).

ومن أمثلة الآيات التي أشار إليها الدكتور إبراهيم

قوله تعالى:"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (الأنعام: ٥٩)، وقوله عزوجل: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " (قاف: ١٦).

٢- عقيدة الإسلامية تخالف العقيدة النصرانية في معظم قضاياها:

يقول فضيلته: "فإذا انتقلنا إلى النصرانية فسوف نجد أن العقيدة الإسلامية تخالف العقيدة النصرانية، ومن النصوص الدالة على ذلك، ما يلي: " وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيب فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ

---

(١) سفر التكوين/ الإصحاح ٢/ فقرة ١ـ ٣.
(٢)سفرالتكوين/ الإصحاح ٣/ فقرة ٨ـ١١.
(٣) مصدر القرآن/ ٩٨.

اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!». وَبِذلِكَ أَيْضا كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ..."(١).

ولو كان عيسى ﷺ قد جاء ليموت على الصليب ويفدي البشر، لكان جوابه على هذا الاستهزاء أن الله لن ينقذه مما هو فيه وإلا لضاع معنى مجيئه إلى العالم، أما رده ﷺ حسب رواية الإنجيل "وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ "، وهو ما يفيد قطعا أنه لم يكن يتوقع أن يتركه الله يموت هذه الميتة البشعة"(٢).

أما في القرآن الكريم، فإن الله ﷻ ينفي قصة الصلب بقوله تعالى:"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء: ١٥٧)

" وهكذا فإن هذا وغيره يثبت التباين الكبير في أهم مسألة كان يفترض أن يتلقاها النبي ﷺ من الكتاب المقدس، لو كان هو مصدره في التعرف على الله ﷻ، لكن القرآن الكريم خالف الكتاب المقدس في هذه المسائل وغيرها، لأنه وحي الله تبارك وتعالى"(٣).

وبهذا يتبين الاختلاف الشاسع بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في حقائق الإيمان والتي من المفترض ألا يكون فيها اختلاف، وأن النبي ﷺ لم يستمد ما يتعلق بها من أهل الكتاب كما يزعم مثير الشبهة.

(ب) قصص الأنبياء والأمم السابقة بين القرآن والكتاب المقدس:

ومن الموضوعات التي يتشابه فيها القرآن الكريم مع الكتاب المقدس، قصص الأنبياء والأمم السابقة، والذي يعني أنها "حقائق تاريخية لن تختلف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، بل والمؤرخين، لكن قراءة سريعة في هذا الموضوع في الكتابين تثبت فروقا هائلة بين معطيات الأحداث التاريخية هنا وهناك، علاوة على كيفية العرض وغايته، فقصص الكتاب المقدس وردت في سياق تاريخي بحت، بينما وردت قصص القرآن الكريم في سياق الاعتبار والتدبر مع الإعراض عن كافة التفاصيل التاريخية لعدم فائدتها.

كما أن في القرآن قصصا عن أنبياء وأمم لا وجود لذكرهم في كتب اليهود والنصارى مثل:

---

(١) إنجيل متى/ الإصحاح٢٧/ فقرة ٣٩ ـ ٤٤.

(٢) مصدر القرآن/ ٩٩ـ ١٠٢ بتصرف.

(٣) تنزيه القرآن عن دعاوى المستشرقين/ ٧٠.

قصة هود وصالح وشعيب وذي القرنين، وموسى والخضر..."(١).

فمن القصص التي ذكرها القرآن ووردت في الكتاب المقدس (قصة ولادة مريم) عليها السلام.

القصة في الكتاب المقدس: " وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ:«سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ:«مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ!» فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ:«لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَة عِنْدَ اللهِ وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيما، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ».فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ:«كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلا؟»

فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَها: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا وَهذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِرا، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ»(٢).

القصة في القرآن الكريم:

أما في سورة مريم يقول الحق سبحانه وتعالى:) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانا شَرْقِيّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرا سَوِيّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاما زَكِيّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَة لِلنَّاسِ وَرَحْمَة مِنَّا وَكَانَ أَمْرا مَقْضِيّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانا قَصِيّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْما فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئا فَرِيّا (٢٧) يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّا

---

(١) المرجع السابق/ ٧١.

(٢) إنجيل لوقا/ الإصحاح ١/ فقرة ٢٦- ٣٢.

(٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (مريم: ١٦- ٣٦)

وعندما التأمل في القصتين يبدو اختلافا جوهريا بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، من تلك الاختلافات ما يلي:

١- ذكر في الكتاب المقدس أن المولود عيسى عليه السلام يسمى يسوع، وأنه يدعى ابن الله، وأنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولم يذكر ذلك في القرآن، بل إن الواقع لا يتطابق مع تمليكه على بيت يعقوب إلى الأبد فهذه مخالفة واضحة.

٢- أما في القرآن الكريم بعد أن نؤكد على الإعجاز اللفظي في سرد القصة، ككيفية الولادة وهز جذع النخلة فيتساقط الرطب (إن الرجل المتين إذا ما ظل يوما كاملا يهز بجذع النخلة، فلن يتساقط منها شيء، فكيف بامرأة في المخاض)، فقد وصف عيسى عليه السلام نفسه بأنه عبد لله وشهد لله بالربوبية.

أما القصص التي لم تذكر في الكتاب المقدس وذكرها القرآن الكريم فيشير إليها الدكتور إبراهيم عوض بقوله: " وبعض هذه القصص يتعلق بأمم لم يرسل إليها رسول، ولكنها كفرت بأنعم الله فأذاقها الله الفقر من بعد غنى ودمر حضارتها تدميرا، وذلك مثل الآيات التي تتحدث عن سبأ وجنتهم... وقد يورد القرآن قصة فرد نال عقابه جزاء كفره وطغيانه كما في قصة صاحب الجنة"(١).

وليس هذا فحسب، بل هناك من "القضايا التي ذكرها القرآن الكريم والسنة ولم ترد عندهم في الكتاب المقدس مثل:

أ. كلام عيسى عليه السلام في المهد.

ب ـ صنعه عليه السلام من الطين طيرا فيكون طيرا بإذن الله.

ج ـ قصة المائدة.

د. رجوع المسيح عليه السلام في آخر الزمان.

---

(١) مصدر القرآن/ ١٠٩.

هـ- قصة خلق آدم من تراب"(١).

ومما سبق يتبين الاختلاف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس حتى في القضايا الرئيسية المشتركة بينهما، مما يحيل على العقل أن يكون القرآن الكريم مقتبسا من اليهودية أو النصرانية.

(ج) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال الاختلاف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في الشريعة والعبادات:

إذا وجد الاختلاف بين القرآن الكريم والكتاب المقدس فيما هو موطن الاتفاق والاتحاد، فوجوده من باب أولى فيما هو موطن الاختلاف، إذ الشرائع السماوية لم تتفق فيما بينها، بل شرّع الله ﷻ لكل قوم ما يناسب أحوالهم وزمانهم.

وهذا المعنى يؤكده الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ بقوله: " فإذا انتقلنا إلى عبادات أهل الكتاب فسنرى أن الإسلام قد أتى بما يخالفها، فهو مثلا قد ألغى القرابين التي كانت تقدم لله، كما وضع حدا لوساطة الكاهن أو القسيس، وأصبح المسلم مرتبطا ارتباطا مباشرا بربه سواء في عبادته أو في التكفير عن سيئاته.

ومن هنا فليس في الإسلام شيء اسمه ذبيحة إثم مثلا أو ذبيحة سلامة أو ذبيحة خطيئة"(٢).

وشيء آخر في باب الاختلاف الواقع بين الأديان في العبادات يبينه الدكتور إبراهيم بقوله " أما الصلاة والصيام والزكاة فإن طريقة أدائها وأحكامها مختلفة في الإسلام عنها في اليهودية، ثم إنه ليس في اليهودية حج وهذا كله ينطبق على المسيحية"(٣).

كما يؤكد أن الاختلاف لا يتوقف على العبادات البدنية، بل يمتد إلى الأطعمة، فمنها محلل في الإسلام محرم في اليهودية فيقول: "أما الأطعمة فلم يحرم منها القرآن الكريم إلا أصنافا معينة "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ" (المائدة: ٣).

مع السماح للمضطر أن يتناول من ذلك على قدر الضرورة "فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن/ ٣٠٢.

(٢) مصدر القرآن/ ١٠٦/ تفصيل ذلك سفر اللاويين الإصحاح ١ـ ١٠.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(المائدة: ٣)

وقد كان سبحانه حرم على اليهود غير ذلك قال "وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" (الأنعام: ١٤٦)(١).

وعليه، فالاختلاف الواضح بين العبادات في الإسلام والعبادات في اليهودية والنصرانية، يحيل على العقل اقتباس الإسلام منهما في هذا المجال.

(د) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال ذكر آراء بعض المنصفين من المستشرقين:

بعد أن أشار الدكتور إبراهيم عوض إلى التباين الواضح بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، استشهد بأقوال بعض المنصفين من المستشرقين في هذا الصدد فقال: "ولقد أذكر أن توماس كارْلَيل(٢) كتب في كتابه عن الأبطال وعبادة الأبطال، يسخر من الأمر كله إذ كيف لصبي يزيد عمره عن أربع عشرة سنة أن يتعلم دينا من الأديان كالإسلام في مثل هذا اللقاء العابر القصير، وبخاصة أنه لم تكن هناك لغة مشتركة بين الصبي ومعلمه المزعوم يمكن أن يتفاهما بها"(٣).

وتأكيدا لما ذكره الدكتور إبراهيم عوض، فإن هناك العديد من الأقوال الأخرى الكثيرة للعديد من المستشرقين المنصفين في هذا الشأن، وأيضا للعديد من علماء المسلمين ومن ذلك ما يلي:

يقول روجردو باسكير(٤) " إن الدراسات التي تمت في الغالب لتحديد المصادر التي استقى منها محمد... لم تثبت قط إلا شيئا واحدا: الوهم الذي يعيشه أعداء الإسلام من المؤلفين"(٥).

---

(١) مصدر القرآن/ ١٠٦، ١٠٧.

(٢) مستشرق إنجليزي منصف معروف كان مولده في ١٧٩٥م، ومن آثاره كتاب (الأبطال) وقد عقد فيه فصلا رائعا عن النبي – صلى الله عليه وسلم– ، وله أيضا الثورة الفرنسية وكانت وفاته في ١٨٨١م./ المستشرقون ـ العقيقي/ ٢/ ٤٨١، ٤٨٢/ ط. دار المعارف بمصر . ١٩٦٤م.

(٣) الأبطال ـ توماس كاليل ـ ترجمة محمد السباعي/ ص ٦٦، ٦٧بالمعنى/ المطبعة المصرية بالأزهر ـ ط(٣) ـ ١٣٤٩ ـ ١٩٣٠.

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن، د. أحمد نصري/ ٥٩ ــ دار القلم ـ ط(١) ٢٠٠٩م. نقلا عن .D.Masson,le Qoran, P.L II

ويقول ماصون(١): " إن القرآن احتفظ بأسماء بعض أنبياء التوراة وروى بتفصيل حقبا معينة متعلقة بهم غير أن الرواية الإسلامية المجمع عليها تؤكد أن الأمر لا يتعلق بالاستعارة من كتب القدامى، ولكن كل ما يتعلق بهؤلاء الأشخاص كان موحى به مباشرة، ونقرأ ذلك عند تتبعنا لقصة نوح"(٢).

ويشير الدكتور عبدالرحمن بدوي(٣) أن افتراض اقتباس النبي ﷺ من اليهودية والنصرانية يستلزم معرفة النبي ﷺ بجميع اللغات التي كتب بها الكتاب المقدس، وهذا محال فيقول: " ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلابد أن محمدا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الأدباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس والمذاهب المسيحية.

هل يمكن أن يعقل هذا الكلام الشاذ لهؤلاء الكتاب، وهو كلام لا برهان عليه...

إن حياة محمد قبل ظهور رسالته وبعدها معروفة للجميع على الأقل في مظاهرها الخارجية ولا أحد قديما أو حديثا يمكن أن يؤكد أن النبي ﷺ كان يعرف غير العربية إذ كيف يمكن أن يستفيد من هذه المصادر كما يدعون"(٤).

ويستنكر الشيخ الغزالي – عرض تلك الشبهة لأن الإسلام أغنى بكثير في وضوح عقيدته وتشريعاته فيقول: " قد يجيز العقل أن يستدين فقير من غني أو يستعين ضعيف بقوي وصور التعاون بين الأفراد وصور الاقتباس والاستعارة والاستفادة بين شتى الحضارات والجماعات الإنسانية معروفة

---

(١) مستشرق فرنسى،من آثاره (التاثيرات الأوروبية فى الأسرة الوطنية فى المغرب، ترجمة معانى القرآن . نشرته دار الكتاب العربى ـ بيروت)/ معجم أسماء المستشرقين ـ يحى مراد/ ص ١٠١٢ـ بدون دار .

(٢) أراء المستشرقين الفرنسيين/ ٦٠.

(٣) ولد ٤فبراير ١٩٩٧م فى قرية شرباص . محافظة دمياط، وتخرج بكلية الآداب قسم الفلسفة جامعة القاهرة ١٩٣٤م، وعين معيدا، ثم ترقى فى المناصب العديدة، وأطلق عليه عميد الفلسفة العربية، ومن أهم مؤلفاته (من تاريخ الإلحاد، الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى، الإنسان الكامل فى الإسلام)، توفى ٢٥يوليو ٢٠٠٢م/ سيرة حياتى ـ عبد الرحمن بدوى (مواضع متفرقة) المؤسسة العربية للدراسات والنشرـ بيروت . ط(١) ـ ٢٠٠٠م، عبد الرحمن بدوى نجم فى سماء الفلسفة،ص١١، ١٤٥(الجمعية الفلسفية المصرية (٣)ـ مركز الكتاب للنشرـ ط(١) ٢٠٠٣م، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) https:arwikipedia.org.wiki.

(٤) دفاع عن القرآن ضد منتقديه د عبد الرحمن بدوي/ ٢٤/ ط. الدار العالمية للكب والنشر/ ترجمة كمال جاد الله.

في التاريخ القديم والحديث غير أن العقل يحكم باستحالة التلاقي والاستمداد يوم يكون التكافؤ معدوما بين الطرفين.

فمن الحماقة أن يقال إن "أرسطو" أخذ أفكاره من أحد الخبازين في أفران أثينا، أو أحد الخمارين في حاناتها، ومن الحماقة أن يقال: إن "فورد" أخذ ثروته من متسول في إحدى كنائس أمريكا، ومن الحماقة أن يقال: إن "محمدا " ألف قرآنه بمعونة أحد الخواجات النازحين إلى مكة يطلبون الرزق!!"(١).

ويبين بعض العلماء أن انعزال اليهود وانغلاقهم على أنفسهم، جعل العرب يعزفون عنهم فلم يحدث بينهم وبين العرب تأثير: " هل فعلا اقتبس نبينا عليه السلام مادة القرآن من اليهود والنصارى، وقبل الإجابة عن هذا السؤال يجدر بنا أن نسوق وضعية الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

فمن الحقائق الثابتة التي لم يستطع المستشرقون حتى أن يخفوها على أنفسهم، أن اليهودية دين غير عالمي احتكره اليهود لأنفسهم معتبرين أنفسهم شعب الله المختار، وعاشوا طيلة حياتهم منطوين على أنفسهم رافضين الاندماج مع أي عنصر غريب عليهم، وعاملين أيضا على أن يكون دينهم مقفلا.

كما أنهم لم يكن لهم فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة... وثمة حقيقة أخرى، وهي أن أكثر اليهود لا يعترفون باليهودية التي كانت منتشرة في الجزيرة قبيل ظهور الإسلام...، وهكذا لم تستطع اليهودية أن تؤثر في حياة العرب الدينية تأثيرا أكبر"(٢).

كما أن المسيحيين لم يكونوا أحسن حالا من اليهود، فانقسامهم على أنفسهم جعل العرب كذلك يعزفون عنهم: "أما المسيحية فلم يكن حظها في الجزيرة العربية بأحسن من حظ اليهودية على الرغم من انتشار صوامعها في فلسطين وسوريا وشبه جزيرة سيناء بالإضافة إلى أن الصحراء كانت دوما ملجأ لبعض الفرق المضطهدة من الكنيسة الرسمية.

من جهة أخرى كان التماسك بين المسيحيين متفسخا على عكس اليهود...

وهكذا فإن انقسام المسيحيين على أنفسهم إلى طوائف عديدة وانقسام المسيحية نفسها إلى طرائق قدد، قد جعل العرب يعزفون عنها، كما أن عقيدتى التثليث والصلب اللتين تشكلان

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ـ الشيخ محمد الغزالي/ ٥٦/ ط. نهضة مصر . ط(٧) ـ ٢٠٠٥م.

(٢)آراء المستشرقين الفرنسيين/ ٦٣، ٦٤بتصرف.

عصب الديانة المسيحية، قد عجز العرب عن فهمهما.

وبتعميم الملاحظة لم يكن لأي من هاتين الديانتين أي أثر في حياة العرب الروحية أو المادية، فقد فشلتا في مد جذورهما بين العرب، والدليل على ذلك ما كان عليه العرب من ضلال مبين"(١).

وبهذا يتبين أن علماء المسلمين والمستشرقين المنصفين أثبتوا معا استحالة اقتباس الإسلام من اليهودية والمسيحية

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث جليا ما يلي:

١- بين الدكتور إبراهيم عوض أن التشابه بين القرآن والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد قليل جدا، وأنه يعود إلى وحدة مصدرهما.

٢- أوضح -فضيلته- أن هناك اختلافا واضحا بينهما في أصول العقيدة وطرق العبادة.

٣- أن انعزال اليهود، وانقسام النصارى على أنفسهم كان له أعظم الأثر في عدم قبول ديانتهما في الجزيرة العربية.

٤- أكد الدكتور إبراهيم عوض أن إسلام القساوسة والأحبار على مر العصور، وعدم ادعاء أحد في عهد النبي ﷺ أنه ﷺ تتلمذ على يديه، واعتراف كثير من المستشرقين بعدم اقتباس الإسلام من اليهودية والنصرانية يدلان دلالة واضحة على عدم اقتباس النبي ﷺ شيئا من اليهود أو النصارى.

٥- أن الإسلام أغنى بكثير من اليهودية والنصرانية في شتى مجالاته، مما يؤكد استحالة اقتباس الإسلام منهما.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل صحيح.

المطلب الثاني

شبهة أن القرآن الكريم من تأليف النبي محمد ﷺ والرد عليها:

عندما يعجز المغرضون عن إثبات أن النبي ﷺ تأثر باليهودية والنصرانية، يلجأون إلى تهمة أخرى للنيل والطعن في القرآن الكريم، فيدعون أنه من تأليف النبي ﷺ، لكي يتمكنوا من التشكيك في مصدرية القرآن الكريم وإثبات أنه من عند غير الله، كما هو حال كتبهم المقدسة، وهم بذلك يتهمون القرآن بما هم به متهمون، ولندع لمثير الشبهة عرضها.

---

(١) المرجع السابق/ ٦٥، ٦٦بتصرف.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله– أنه عندما طالع ترجمة "سافاري(١)" وكذلك ترجمة "مونتيه(٢)" للقرآن وجد أن المترجم قد ذكر على الغلاف اسم "محمد" بوصفه مؤلف القرآن فيقول: " أول ما يلاحظ على هذه الترجمة أن اسم "محمد" قد ذكر على الغلاف بوصفه مؤلف القرآن"(٣).

ثانيا الرد على الشبهة:

ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال عدم الالتزام بالمنهج العلمي في الترجمة.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التباين في استخدام الألفاظ بين القرآن الكريم والحديث الشريف.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التباين بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث في القصص.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الإخبار بالغيب.

(هـ) الرد على الشبهة من خلال الحقائق العلمية الحديثة مع الآيات القرآنية.

(و) الرد على الشبهة من خلال واقع حياة النبي ﷺ وأحداثها.

(ز) الرد على الشبهة من خلال عتاب الله للنبي ﷺ.

(ح) الرد على الشبهة من كلام بعض المنصفين من المستشرقين أنفسهم.

وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) كلود إتيان سافاري Claude- Étienne Savary (١٧٥٠– ١٧٨٨ م) هو مستشرق فرنسي، ولد بمدينة فيتري. طاف في أرجاء مصر لثلاثة أعوام. من آثاره: ترجمة فرنسية للقرآن. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، رابط: https:// ar.wikipedia.org.

(٢) إدوارد مونتيه (١٨٥٦- ١٩٢٧) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة جنيف، من أهم كتبه (محمد والقرآن، ترجمة جيدة للقرآن، حاضر الإسلام ومستقبله)/ معجم افتراءات الغرب على الإسلام - أنور محمود زناتى/ ١٦٢- دون طبعة.

(٣) المستشرقون والقرآن (دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآراؤهم فيه) د/ إبراهيم عوض/ ٩/ مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - ط٢٠٠٣ - ترجمة لعنوان ترجمة "سافاري للقرآن " ط١٨٨٣ - باريس - دار "garnier frères".

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال عدم الالتزام بالمنهج العلمي في الترجمة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن سافاري لم يتبع المنهج العلمي في ترجمته، حيث إنه أثبت اسم النبي ﷺ على المصحف، ولا يوجد ذلك في الأصل في أي نسخة من نسخ القرآن الكريم فيقول: "ولست هنا لأجادل في حق المترجم أن يعتقد أن محمدا هو مؤلف القرآن أو لا، لكن الذي أعرفه هو أن الأمانة العلمية كانت تقتضيه أن يغفل ذكر اسم النبي ﷺ على الغلاف، لأن الأصل الذي ترجم عنه لا يوجد فيه شيء من هذا، فكان الواجب عليه أن يحترم الأصل، ثم له في المقدمة والملاحظات الكثيرة المثبتة في هوامش الكتاب مندوحة ليقرر ما يعتقده هو كما يحلو له"(١).

ـ مما سبق يتبين عدم توفر الأمانة العلمية عند المترجم سافاري ومخالفته للمنهج العلمي في ترجمته، حيث إنه أثبت اسم النبي ﷺ على المصحف على الرغم من عدم وجود ذلك الأصل في أي نسخة من نسخ القرآن.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التباين في استخدام الألفاظ بين القرآن الكريم والحديث الشريف:

في هذا المحور من رد الدكتور إبراهيم عوض على تلك الشبهة، يمكن أن أضعه في العناصر التالية:

١- التباين بين ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الحديث الشريف:

قام الدكتور إبراهيم عوض بدراسة قيمة تؤكد التباين التام بين ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه وألفاظ الحديث الشريف وأساليبه في كتاب يقارب الستمائة صفحة تحت عنوان: " القرآن والحديث مقارنة أسلوبية".

وفي هذا الكتاب عرض الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ بعض الأمثلة التي تؤكد هذا التباين فقد قال تحت عنوان "(ألفاظ ترددت في الحديث لارتباطها بعصر الرسول وبيئته ارتباطا شديدا ولم ترد في القرآن): "المفروض لو أن القرآن والأحاديث النبوية مصدرهما واحد، أن تكون الألفاظ المهمة المنتشرة في أحدهما موجودة بنفس الوفرة تقريبا في الآخر مادام العصر الذي ينتميان إليه واحد والبيئة واحدة وما دامت الموضوعات التي يعالجانها واحدة..."(٢).

---

(١) المستشرقون والقرآن/ ٩.

(٢) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ـ د/ إبراهيم عوض/ ٩/ ط.مكتبة زهراء الشرق/ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

ويستشهد فضيلته على ما ذهب إليه ببعض الألفاظ المتداولة في الحياة اليومية فيقول: " لنأخذ من مجال الحياة اليومية أول ما نأخذ ألفاظ الطعام والشراب...، فمن ذلك الزُبد والجبن والخبز والدُبَّاء والحَيس والدقيق والسمن والسَويق والقديد... وهذا بالنسبة لأنواع الطعام، أما بالنسبة للشراب فقد كان العرب يعرفون أنواعا عدة، منها البِتْع(١) والبُسر والتمر والزبيب والزهو والمزر والنبيذ، وليس في القرآن ذكر لشيء من ذلك البته"(٢).

أما في الأحاديث فبالنسبة للثريد(٣) "عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَأْسِ الثَّرِيدِ، فَقَالَ: "كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ حَوَالَيْهَا وَاعْفُوا رَأْسَهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَأْتِيهَا مِنْ فَوْقِهَا"(٤).

وفي فضل عائشة على النساء قال ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»(٥).

وفي حبه للدُّبَاء (القرع) وردت أحاديث عدة في كتب الحديث المختلفة، " فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ خَيَّاطا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزا وَمَرَقا، فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ «يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيِ القَصْعَةِ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ»(٦)

وذكر بعض الصحابة أن الدباء كان أعجب الأطعمة إليه، كما أن بعضهم قد حكى لنا كيف

---

(١) البِتْعُ بالكسر كعِنَبٍ: نَبِيذُ العَسَلِ المُشْتَدُّ ـ القاموس المحيط . باب (العين) . فصل (الباء). مادة " بَتَعَ" ١/ ٧٠١/ ط. مؤسسة الرسالة ـ ٢٠٠٥م.

(٢) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ـ د/ إبراهيم عوض/ ٩/ .

(٣) ثرَدَ الخُبْزَ: فَتَّه ثم بَلَّه بمَرَقٍ ثمّ شَرَّفَه وَسْطَ القَصعةِ.. ويقال: أَكلنا ثَرِيدَة دَسِمة بالهاءِ على معنَى الاسم أَو القِطْعَة من الثَّريد. وفي الحديث: فَضْلُ عائِّشةَ على النِّسَاءِ كفَضْل الثَّرِيدِ على سائر الطَّعَام قيل لم يُرِدْ عَيْنَ الثَّرِيد وإِنما أَرادَ الطّعَام المتّخذَ من اللَّحْم والثَّريد معا لأَنَّ الثَّرِيد غالبا لا يكون إِلاّ من لَحْم/ تاج العروس ـ مادة " ثرَد"/ ٧/ ٤٦٢، ٤٦٣/ مرجع سابق.

(٤) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ـ فى كتاب (الأطعمة) ـ باب (النهي عن الأكل من ذروة الثريد) برقم(٣٢٧٦)/ ٤/ ٤١١ ـ ط. دار الرسالة العالمية ـ ط(١)، ١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩ م .، تعليق الشيخ الأرنؤوط صحيح،. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(أصحاب النبي) ـ باب فضل عائشة رضي الله عنها ـ برقم٣٧٦٩/ ٥/ ٢٩.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأطعمة) ـ باب (المرق) ـ برقم ٥٤٣٦/ ٧/ ٧٨.

صار يحب الدباء بعدما رأى الرسول ﷺ يحبه... إلخ "(١)

ثم ينتقل فضيلته من الأطعمة إلى الأشربة فيقول: "أما الأشربة فمنها البِتْعُ، الذي سأل أحد المسلمين الرسول ﷺ عن حكمه قائلا: "إِنَّهُ يُصْنَعُ بِأَرْضِنَا البِتْعُ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حرَامٌ"(٢)، والذي فسر في حديث من الأحاديث هكذا: "مَا الْبِتْعُ قَالَ نَبِيذُ العسل"(٣).

ومن الأشربة البُسْر وهو نوع آخر من الخمر يصنع من البلح، وقد ورد أن الرسول ﷺ نهى عن نقيع البسر، وهو "الزهو" فعن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ نَقِيعِ الْبُسْرِ وَهُوَ الزَّهْوُ"(٤).

وهكذا كثير من الأشربة ومن أراد التوسع فليرجع إلى أبواب الأشربة من كتب الحديث، أما القرآن فإنه لم يذكر من ذلك كله شيئا، إذ ليس فيه إلا كلمة "الخمر" التي استعملها لكل أنواع المسكرات"(٥)

كذلك من الأمثلة التي يستدل بها الدكتور إبراهيم على تباين ألفاظ القرآن والحديث، أن المقاييس والمكاييل، والألفاظ المستخدمة في الصحاري، وكذلك المستخدمة في الحروب لم يذكر منها القرآن إلا القليل النادر مقارنة بالحديث فيقول: "وكذلك المقاييس كالذراع والشبر والباع والفرسخ، والموازين كالأوقية والرطل، والمكاييل كالصاع والمد والقدح والفلاة والصحراء والرمال والتلال، والجيش والسرية والقوس والسهم والسيف... إلخ"(٦).

وكذلك الألفاظ المستخدمة في الملابس أيضا لم يذكر منها القرآن إلا القميص، والسرابيل، والثياب، والنعلين في مواضع محدودة جدا " فعلى حين لا نجد في القرآن إلا القميص (في قصة يوسف ﷺ "إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (يوسف: ٢٥)، والسرابيل، "سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ" (إبراهيم: ٥٠)، والثياب "فَالَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية/ ١٠.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأحكام) ـ باب (أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا) ـ برقم ٧١٧٢/ ٩/ ٧٠.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأحكام) ـ باب (بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع) ـ برقم (٤٣٤٣)/ ٥/ ١٦١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ـ في باب(حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)برقم ٢٤٧٨٥/ ٦/ ١٠٥، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابن أبي الرجال– وهو عبد الرحمن– فمن رجال أصحاب السنن.. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٥) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية/ ١٤.

(٦) أفكار مارقة ـ د/ إبراهيم عوض/ ٥٦٤

قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ" (الحج: ١٩)، والنعلين "فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى" (طه: ١٢).

أما الأحاديث فقد ذكرت عددا منها كبيرا كالرداء والإزار والبرد، والبرنس، والقميص، والكساء، والأطمار...، والقسي، والجبة والحلل، والسراويل، والثياب، والعمائم، والقلانس، والخف "ونكتفي ببعض الأمثلة:

"الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزارِي، فمن نازَعَني واحِدا منهما قذفتُه في النَّارِ"(١)

"وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارا فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ لِلْمُحْرِمِ"(٢)

"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ"(٣)

ثم يقرر في نهاية المطاف أن " القارئ يستطيع يلمس بيده لمسا الفرق بين الحديث النبوي الشريف، والذي يكثر فيه ذكر ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته والعرب جميعا يرتدون ممن ملابس، وبين القرآن المجيد الذي لم يذكر إلا القميص والثياب والسراويل والنعلين"(٤)

٢- التباين بين التعبيرات الدارجة في القرآن الكريم وألفاظ الحديث الشريف:

ينتقل الدكتور إبراهيم عوض من الألفاظ إلى التعبيرات الدارجة في السنة والقرآن ويوضح اختلافها في كل منهما عن الآخر فيقول: "وهناك كذلك تعبيرات وردت في الأحاديث النبوية ولم ترد في القرآن، مثل: ليلة البدر، أما بعد، ما بال...؟، ذات محرم، حديث عهد بـ...، كفى بالمرء إثما أن...

وعلى العكس من ذلك التعبيرات القرآنية التالية..." إن الله لايحب الـ...، متعناهم إلى حين، لا تتبعوا خطوات الشيطان، وما أدراك ما...

وفي الأحاديث كذلك تركيبات لا يعرفها أسلوب القرآن مثل " ألا، أما الاستفتاحية، إياك أن...وهلم جر

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب (اللباس) ـ باب (ما جاء في الكبر) ـ برقم (٤١٧٣)/ ٥/ ٢٧١ ـ سنن أبي داود ـ أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ـ دار الرسالة العالمية ـ ط(١)، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط ـ صححه الألباني ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (اللباس)ـ باب السراويل ـ برقم ٥٨٠٤/ ٧/ ١٤٤.

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(اللباس) ـ باب (البرود والحبرة والشملة) ـ برقم ٥٨٠٩/ ٧/ ١٤٦.

(٤)القرآن والحديث مقارنة أسلوبية/ ٢٦.

وأريد هنا أن أقف عند تركيب ورد في كل من القرآن والحديث، ولكن بطريقة تختلف في كل منهما عن الآخر...

ففي الحديث مثلا: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ "،(١) "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة (٢)، انْظُرْ وَلَوْ خَاتِما مِنْ حَدِيدٍ "(٣)،

وفي القرآن: "كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ" (النساء:١٣٥)، "وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا" ا(لأنعام:١٥٢)، ولكن عند التدقيق نجد أن ما بعد " ولو" في الحديث هو أهون شيء، بينما في القرآن هو أهم شيء..." (٤).

وتأكيدا لما سبق يقول العلامة الدكتور دراز في السياق نفسه: "بل نقول لو كان الأسلوب القرآني صورة لتلك الفطرة المحمدية، لوجب على قياس ما أصلته من المقدمات أن ينطبع من هذه الصورة على سائر الكلام المحمدي ما انطبع منها على أسلوب القرآن، لأن الفطرة الواحدة لا تكون فطرتين، والنفس الواحدة لا تكون نفسين، ونحن نرى الأسلوب القرآني فنراه ضربا وحده، ونرى الأسلوب النبوي فنراه ضربا وحده لا يجري مع القرآن في ميدان إلا كما تجري محلقات الطير في جو السماء لا تستطيع إليها صعودا"(٥).

وعلى أية حال فإنه يتبين مما سبق اختلاف القرآن الكريم عن الحديث الشريف، من حيث الألفاظ المتداولة في الحياة اليومية في كل منهما في الأطعمة والأشربة، والملابس، والمقاييس والمكاييل، والحروب والصحارى وغيرها، مما يدل على استحالة اتحادهما في المصدر.

(ج) الرد على الشبهة من خلال التباين بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث في القصص:

الأسلوب القصصي من الأساليب المؤثرة التي لها جانب مميز في الكتب السماوية، وكتب

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب) ـ باب (طيب الكلام) ـ برقم ٦٠٢٣/ ٨/ ١١.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب (العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ـ باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ـ برقم ٢٦٦٩/ ٤/ ٣٣٧ . دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٩٩٨م.صحيح . المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (النكاح) ـ باب (الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن، وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به) ـ برقم ١٤٢٥/ ٩/ ٥٣١.

(٤)أفكار مارقة – د.إبراهيم عوض/ ٥٦٤.

(٥) النبأ العظيم د/ محمد عبدالله دراز ./ ٩٨، ٩٩/ دار الثقافة . الدوحة ـ ١٩٨٥م.

السنة، وغيرها من الكتب، وهو من الأساليب المشوقة التي كثيرا ما تؤثر قلوب السامعين، لكنه أسلوب عرضه متباين بين القرآن والحديث النبوي الشريف.

ومن هنا ينطلق الدكتور إبراهيم عوض في عرض هذا التباين من خلال ما يلي:

١- التباين في افتتاح القصة:

يقول: "أول ما نلاحظه من اختلاف بين القصص القرآني والقصص الحديثى طريقة افتتاح القصة، فقد استقريت الأسلوب الذي يجري عليه كلٌ مِن القرآن والحديث في استهلال قصصه فوجدت أن القرآن قد يستهل قصصه بـ "واتل عليهم" كما في قوله سبحانه وتعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ" (المائدة: ٢٧).

"واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ" (الأعراف: ١٧٥).

وقد يستهلها بقوله "واضرب لهم مثلا" مثل قوله تعالى:

"وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعا" (الكهف: ٣٢).

"وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ" (يس: ١٣).

أو يستهلها بعبارة "هل أتاك حديث، أو نبأ" كما في قوله تعالى:

"وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى" (طه: ٩).

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ" (الذاريات: ٢٤)(١).

فإذا نظرنا إلى الطريقة التي يفتتح بها الحديث النبوي قصصه لاحظنا أنه لم يفتتح أي منها بواحدة من هذه الافتتاحيات القرآنية، بل يبتدئ كثيرا بقوله ﷺ "كان فيمن كان قبلكم" أو عبارة مشابهة، ومن الأحاديث التي استخدمت هذه العبارة الافتتاحية ما يلي:

"انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ... "(٢).

"كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَة وَتِسْعِينَ نَفْسا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ.."(١).

---

(١) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ـ د/ إبراهيم عوض/ ٥٥٠، ٥٥١ بتصرف للمزيد يرجع إلى الصفحات السابقة وما بعدها.

(٢) أخرجه الإمام البخاري فى صحيحه ـ فى كتاب (الإجارة) ـ باب (من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره) برقم (٢٢٧٢)/ ٣/ ٩١، مسلم ـ كتاب (الرقاق) ـ باب (قصة أصحاب الغار الثلاثة) ـ برقم (٢٧٤٣)/ م٩/ ١٧/ ٢١٨.

ومثل هذه الطريقة في الكثرة وفي عدم استخدام القرآن لها ابتداء عدد من القصص النبوي بكلمة "بينما"، أو "بينا" مثل:

" بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»(٢).

" بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ"(٣)

٢- اختلاف الأسلوب القصصي بين القرآن الكريم والحديث الشريف في إيراد القصص المتتالية(٤).

وهو الأمر الثاني الذي يتضح به التباين بين أسلوب القرآن والحديث في عرض القصة، حيث "لا يُعرف في الحديث إيراد عدة قصص متتالية يأخذ بعضها برقاب بعض، وهي ظاهرة من ظواهر القصص القرآني، إذ كثيرا ما تتوالى قصص نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب عليهم السلام، أو بعضها كما هو الحال في سور الأعراف ويونس وهود"(٥).

٣- الأحاديث النبوية ورد بها قصص كثيرة لم ترد في القرآن، ولا تشبه قصصه:

وهو أمر واضح جدا في السنة النبوية، "فقد ساقت لنا الأحاديث النبوية طائفة من القصص لم ترد في القرآن، بل ولا تشبه قصصه، كقصة أبي زرع وأم زرع(٦)، وقصة الأعمى والأقرع والأبرص(٧)...، وتدخل في هذا قصة الإسراء والمعراج(١)، التي لم يرد منها في القرآن إلا إشارة

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه . فى كتاب (التوبة) . باب (قبول توبة القاتل وإن كثر قتله) . برقم (٢٧٦٦)/ ١٧/ ٢٣٩.

(٢) أخرجه الإمام البخاري فى صحيحه . فى كتاب (الصلاة) . باب (فضل التهجير إلى الظهر) . برقم (٦٥٢)/ ١/ ١٣٢.

(٣) أخرجه الإمام البخاري . ك (الاعتصام بالكتاب والسنة) . باب (قوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله) . برقم (٧٤٩٣)/ ٩/ ١٤٣

(٤) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية – د.إبراهيم عوض/ ٥٥٤بتصرف.

(٥) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية . د/ إبراهيم عوض/ ٥٥٠، ٥٥١ بتصرف للمزيد يرجع إلى الصفحات السابقة وما بعدها.

(٦)أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في(كِتَاب النِّكَاحِ) باب (بَاب حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْأَهْلِ) برقم (٥١٨٩)/ ٧/ ٢٧.

(٧) أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في(كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ) باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) برقم (٣٤٦٤)/ ٤/ ٧١.

سريعة إلى إسرائه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وإشارة أخرى إلى عروجه إلى سدرة المنتهى"(٢).

وتأكيدا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض يقول الدكتور دراز مبينا تميز أسلوب القرآن عن غيره من الأساليب " وعن جملة الملاحظات التي يلاحظها القائل في قوله، تتولد صورة خاصة مثلها في هذه المركبات المعنوية، مثل المِزاج في تلك المركبات العنصرية المادية، وهذا المزاج هو الذي نسميه بالأسلوب أو الطريقة، وعلى حسبه يقع التفاوت في دراجات الكلام وفي حظه من الحسن والقبول، فالجديد في لغة القرآن، أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول، يتخير له أشرف المواد وأمسها رحما بالمعنى المراد وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين لا يوما أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يُريد بساكنه بدلا، ولا الساكن يبغي عن منزله حولا، وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان"(٣).

وليس أدل على هذا التميز مما نقل عن الوليد بن المغيرة عند سماعه للقرآن الكريم من النبي الأمين ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث قال: "وَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ: حَلَاوَة وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَة، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ"(٤).

٣- ومما بينه كذلك الدكتور إبراهيم عوض تميز أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث في (أسلوب القسم)(٥)، التكنية والتصريح"(١) وغيرها.

---

(١)أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (التوحيد)ى باب(وكلم الله موسى تكليما)برقم(٧٥١٧)/ ٩/ ١٤٩.

(٢)القرآن والحديث مقارنة أسلوبية/ ٥٥٧.

(٣) النبأ العظيم ـ د/ دراز/ ٩٢.

(٤) أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان ـ باب (الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم) ـ برقم (١٣٣)/ ١/ ٢٨٧/ شعب الإيمان ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ـ ط. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض/ الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.
ـ إسناده صحيح وجاله ثقات ـ المصدرنفسه والصفحة نفسها.

(٥) للتفصيل ينظر ـ القرآن والحديث مقارنة أسلوبية/ ٤٨٤وما بعدها.

مما سبق يتبين تميز أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث في سرد القصص، من حيث بداية القصة، وإيراد القصص المتتالية، وذكر العديد من القصص في الحديث دون الإشارة إليها في القرآن.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الإخبار بالغيب:

من الردود التي تبين سقوط الشبهة وتهافتها، ما بينه الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن القرآن الكريم أخبر بأمور مستقبلية، وتحدى الكفار منذ البداية بانتصار الإسلام وانتشاره في الدنيا كلها، فيقول: " كما أن القرآن منذ البداية قد تحدى الكفار بأن الإسلام منتصر لا محالة، ومنتشر في الدنيا كلها، وقد كان، وبالمثل تنبأ بأن فارس التي كانت حديثةَ عهد بالانتصار على الروم سوف تنهزم على يد الروم في غضون بضع سنين، وتنبأ عشية الحديبية بأن المسلمين سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لايخافون، وقد كان كذلك تنبأ النبي ﷺ نبوءات كثيرة إلا أنني أتريث فقط عند نبوءته بفتح القسطنطينية، إذ لا يمكن التشكيك فيها، فقد فتحت القسطنطينية بعد تدوين الأحاديث بزمن طويل، بحيث لا يستطيع أي مداور(٢) سخيف أن يقول إن رواة الحديث قد اخترعوا النبوءة بعد فتح المدينة كي يسجلوا للنبي فخارا لايستحقه"(٣).

ويضرب الدكتور إبراهيم عوض أمثلة عديدة على تلك النبوءات، ولكن الباحث سيكتفي بإيراد مثال واحد لتلك النبوءات في مكة، ومثال آخر في المدينة:

فمن نبوءات العهد المكي الإخبار بانتصار الروم على الفرس، يقول البيضاوي في تفسيره عن سبب نزول هذه الآيات "الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (الروم: ١ – ٦).

روي أن الفرس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى، وقيل بالجزيرة، وهي أدنى أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم، وبلغ الخبر مكة، ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت، فقال لهم أبو بكر: لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين، فقال له أبي

---

(١) للتفصيل ينظر المرجع السابق/ ٥١٥وما بعدها.

(٢) يقال داورت الرجل على الأمر جادلته وفي حديث الإسراء (قال له موسى لقد داورت بني إسرائيل على أدنى من هذا فضعفوا) جادلت/ المعجم الوسيط ـ باب الدال ـ مادة "دار "/ ١/ ٣٠٢.

(٣) أفكار مارقة – د. إبراهيم عوض/ ٥٦٥.

بن خلف: كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك(١) عليه، فناحبه على عشر قلائص(٢) من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر ﷺ رسول الله ﷺ، فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر وماده في الأجل، فجعلاه مائة قلوص إلى تسع سنين، ومات أُبي من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أحد، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال تصدق به... والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب"(٣).

ومن نبوءات العهد المدني إخبار الله تعالى بوقوع مودة بين المسلمين ومشركي مكة في المستقبل يقول الدكتور إبراهيم عوض: "كذلك وردت نبوءة في سورة "الممتحنة" بأن الله سيجعل بين المسلمين والمشركين مودة، وذلك بعد أن لجَّت بين الفريقين العداوة...ونص النبوءة هو"عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (الممتحنة: ٧) وقد أنجز الله ما وعد وفتحت مكة، ودخل المشركون في الإسلام أفواجا"(٤).

وللتأكيد على ما سبق يقول الدكتور دراز: "وأما النبوءات الغيبية فهل تعرف كيف يحكم فيها ذو العقل الكامل؟ إنه يتخذ من تجاربه الماضية مصباحا يكتشف على ضوئه بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة، جاعلا الشاهد من هذه مقياسا للغائب من تلك، ثم يصدر فيها حكمه محاطا بكل تحفظ وحذر، قائلا: (ذلك ما تقضي به طبيعة الحوادث لو سارت الأمور على طبيعتها ولم يقع ما ليس في الحسبان. أما أن يبت الحكم بتا ويحدده تحديدا حتى فيما لا تدل عليه مقدمة من المقدمات العلمية، ولا تلوح منه أمارة من الأمارات الظنية العادية، فذلك ما لا يفعله إلا أحد رجلين: إما رجل مجازف لا يبالي أن يقول الناس فيه صدق أو كذب، وذلك هو دأب جهلاء المتنبئين من العرافين والمنجمين، وإما رجل اتخذ عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده، وتلك هي سنة الأنبياء والمرسلين"(٥).

ومما سبق يتبين أن القرآن الكريم فيه العديد من الآيات التي تتحدث عن الأمور المستقبلية

---

(١) (نحب) النون والحاء والباء أصلانِ: أحدهما يدلُّ على نَذْرٍ وما أشبَهَه/ مقاييس اللغة مادة (نَحَبَ)/ ٥/ ٣٢٣.

(٢) والقلوص من الإبل: الشابة أو الباقية على السير،أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تثني، والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث ج: قلائص/ القاموس المحيط، باب القاف، مادة " قَلَصَ"/ ١/ ٨١١.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ البيضاوي/ ٣/ ٥٣٤.

(٤) مصدر القرآن ـ د، إبراهيم عوض/ ١١٦.

(٥) النبأ العظيم ـ محمد عبد الله دراز ـ/ ٤١.

الغيبية، والتي تحققت على أرض الواقع، وأن هذا لا يصدر إلا عن عالم الغيب والشهادة ﷻ، أو عن نبي مرسل من قبل الله تعالى. "عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدا" (الجن: ٢٦ – ٢٨).

وهذا إن دلَّ فإنما يدل بيقين على أن النبي ﷺ ليس هو مؤلف القرآن، وإنما هو تنزيل من رب العالمين.

(هـ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال توافق الحقائق العلمية الحديثة مع القرآن الكريم:

من دلائل نزول القرآن الكريم من عند رب العالمين، وأنه تنزيل من حكيم حميد، ما استدل به الدكتور إبراهيم عوض أن في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتعلق بالمعارف العلمية على اختلاف مجالاتها، والتي تتفق تماما مع العلم الحديث، يقول – حفظه الله– : "وقريب من النبوءات المنتشرة في القرآن والتي لم أذكر هنا سوى بعضها ما ورد فيه أيضا من آيات تتعلق بمعارف علمية تاريخية وجغرافية وطبية وكيميائية وفلكية... إلخ، كان مستحيلا على محمد لو لم يكن رسولا مؤيدا بالوحي الإلهي ومستحيلا كذلك على أي إنسان في عصره في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه، بل وفيما بعد عصره بقرون طوال أن يحلم بأن يكون له علم بها.

وأقل ما يمكن أن يقال بالنسبة لهذه الحقيقة هو ما خرج به الدكتور موريس بوكاي من دراسة الكتب الدينية الثلاثة القرآن والتوراة والإنجيل والمقابلة بينها وبين حقائق العلم الحديث، إذ قال: "لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق بموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث"(١).

ثم يجمع فضيلته العديد من الآيات التي تتناول مثل هذه المجالات العلمية، ويحث القارئ على الرجوع إلى تفسيراتها العلمية في الكتب المعنية بذلك.

ومن الآيات التي جمعها قوله تعالى:

---

(١) التوراة والانجيل والقرآن والعلم – موريس بوكاي/٢٠/ المكتب الإسلامي – ط(٣) – ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١- "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ "(البقرة: ٢٢٢)، وسبب المنع من قربان النساء في تلك الفترة "لأن غشيانهن في هذه الحالة يؤذيكم بسبب عدم نقاء المحل الذي يكون فيه الغشيان للمرأة، والمرأة أيضا تتأذى من مباشرتها في زمن الحيض لأنها لا تكون في حالة تستسيغ معها المباشرة، فجهازها التناسلي في حالة اضطراب، وهيئتها العامة في حالة تجعلها من شأنها أن تنفر من الجماع، والولد الذي يأتي عن طريق الجماع في حالة الحيض- على فرض إتيانه في هذه الحالة- كثيرا ما يأتي مشوها ضعيفا، لأن النطفة إذا اختلطت بدم الحيض، أخذت البويضات في التخلق قبل وقت صلاحيتها للتخلق النافع الذي يكون وقته بعد انتهاء فترة الحيض وقد قال بذلك الأطباء الثقات"(١).

٢- كذلك من الآيات التي توافق فيها القرآن مع العلم الحديث ما ذكره الإمام الزرقاني، حيث قال: "النموذج الثاني: يقول الله تعالى في سورة القيامة مبينا ومقررا كمال اقتداره على إعادة الإنسان وبعثه بعد موته:"أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ"(القيامة: ٣ – ٤)، أرجو أن تقف قليلا عند تخصيصه البنان بالتسوية في هذا المقام، ثم تستمع بعد ذلك إلى هذا العلم الوليد علم تحقيق الشخصية في عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكموا البنان في كثير من القضايا والحوادث"(٢).

وهذا يدل على أن "في القرآن إعجازا علميا في الكون والحياة والطب والرياضيات، وذلك بالعشرات، بل والمئات، فهل يعقل أن هذا الأمي قد وضعها؟ وكيف عرف الأمي أن الأرض كروية بشكل بيضاوي؟ وكيف عرف الأمي نظرية انتشار الكون؟، وكيف عرف أن الشمس والقمر يسبحان في هذا الفضاء؟ وغير ذلك عشرات وعشرات"(٣).

ومما سبق يتبين أن الحقائق العلمية الحديثة تتفق اتفاقا تاما مع الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وهذا يؤكد أن القرآن الكريم ليس من تأليف النبي ﷺ، إذ لم يكن بشر على وجه الأرض في ذلك الوقت ولا بعده بقرون عديدة يعرف شيئا عن مثل هذه الحقائق العلمية.

---

(١) التفسير الوسيط ـ د/ محمد سيد طنطاوي./ م١/ ج٢/ ٦٤٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد عبد العظيم الزرقاني/ ١/ ٢٦ ـ مرجع سابق.

(٣)الإسلام في قفص الاتهام . د/ شوقي أبو خليل/ ٢٦/ دار الفكر، دمشق، سوريا، ط (١٢)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(و) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال واقع حياة النبي وأحداثها:

إن المتأمل في واقع حياة النبي ﷺ، وما كان يحدث له من مواقف، يستنتج أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من تأليفه على الإطلاق وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض: " ما الذي كان يضطر محمدا إلى اختراع القرآن الكريم وادعاء نزول الوحي عليه من السماء، وكان قومه يقفون ضده ويسخرون منه ويستهزئون به ويتآمرون عليه ويؤذونه أشد الأذى، وهو الذي عاش ما عاش متواضعا زاهدا راضيا بالقليل لم يمارس الاستبداد ولا أساء استعمال السلطة في يوم من الأيام...، ولا كان يريد لأهله أن يحكموا من بعده، ولا كان يدعوا إلى قومية عربية، بل أكد أنه لا فضل للعرب على غير العرب، ولا لغير العرب على العرب إلا بالتقوى والعمل الصالح"(١).

ثم يوضح فضيلته أن النبي لوكان مؤلف القرآن الكريم لما سكت إلى أن وصل إلى سن الأربعين فيقول: " ثم لو كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن وصاحب ما فيه من مبادئ وأفكار أكان يسكت طيلة الأربعين سنة الأولى من حياته عن الدعوة إليها، ثم ينشط فجأة بعد الأربعين؟ إن هذا لو صح لكان شاذا غريبا"(٢).

ويضيف ـ فضيلته ـ أن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن أفراح النبي ﷺ ولا أحزانه، مما لا يتناسب مع اتهامه بتأليف القرآن الكريم، إذ لوكان كذلك لسجل مثل هذه المواقف في القرآن فيقول: "ثم إنك تذهب فتفتش القرآن كله من أوله إلى آخره فلا تجد أي شيء عن أفراح الرسول ولا عن أحزانه وهمومه على كثرة هذه وتلك في حياته كأي إنسان، فمثلا لا ذكر في القرآن لأي عرس من أعراسه ﷺ ولا لموت خديجة أو أبي طالب أو إبراهيم ابنه الصغير... ليس ذلك فحسب بل ما من موضوع يتناوله القرآن الكريم إلا وتجد الروح الإلهي من ورائها بجلالها وعظمتها"(٣).

ويؤكد على ما ذهب إليه بأن القرآن الكريم ذكر قصص العديد من النساء، ولم يذكر قصصا عن زوجات النبي ﷺ، ولوكان هو مؤلف القرآن الكريم لقدم زوجاته رضي الله عنهن في الذكر على غيرهن من النساء فيقول: "وإذا افترضنا أنه عليه السلام لم ير، لسبب غريب لا نفهمه، أن يتحدث في قرآنه عن أمه وعمه وعن مشاعره لفقدهما... فما السر في أن القرآن الكريم لا يصور شيئا مما انتاب الرسول عليه السلام لوفاة شريكة عمره خديجة رضي الله عنها التي كانت أول من آمن به إذ كفر الناس.

---

(١)أفكار مارقة/ ٥٦٥.

(٢) المستشرقون والقرآن. د/ ابراهيم عوض/ ١٨٤.

(٣)أفكار مارقة ـ د/ إبراهيم عوض/ ٥٦٥.

لقد ذُكِرت مريم عليها السلام في أكثر من موضع، وذُكِرت امرأة فرعون تلك التي لم يكن أحد من قومه يعرف عنها شيئا، فلم ألف قرآنا فيه ذكر هاتين السيدتين في الوقت الذي لم يؤلف مثل ذلك في خديجة لوكان هو صاحب القرآن الكريم؟، بل لماذا لم يؤلف قرآنا في عائشة أو صفية أو زينب.

بل لقد مات عمه وأخوه من الرضاعة حمزة ﷺ وشقت بطنه، ومات ابن عمه جعفر وهو يدافع عن لواء الإسلام ومع ذلك لا ذكر لجعفر ولا رثاء، ولا لحمزة رضي الله عنهما"(١).

ولم يتوقف الأمر على الأمور الخاصة بالنبي ﷺ، بل حتى في الأمور العامة للأمة كالغزوات لم يبرز القرآن نشوة النصر أو لوعة الهزيمة، فعلى " مستوى الأمة انتصر المسلمون في كثير من الغزوات وهُزِموا في أحد، وتكالبت عليهم العرب واليهود في الخندق... إن غزوات بدر وأحد والأحزاب واليرموك وغيرها مسجلة في القرآن، ولكنك لا تجد أبدا لا خِفَّة الانتشاء بالنصر ولا لوعة الحزن الإنساني للهزيمة، بل تسمع دائما الصوت الإلهي موجها ومخاطبا ومبصرا ومرشدا إلى الدروس والعبر التي يجب على المسلمين أن يخرجوا بها من هذا النصر أو تلك الهزيمة"(٢).

وتأكيدا لما سبق يذكر الباحث موقفا من أصعب المواقف على النبي ﷺ، وهو حادث الإفك عندما اتُهم النبي ﷺ في عرضه، فما كان يتحمل هذا الموقف الانتظار حتى يذب النبي ﷺ عن عرضه لوكان يؤلف القرآن، لكن آيات تبرئة السيدة عائشة – رضي الله عنها– لم يتنزل بها جبريل عليه السلام وحيا من عند الله إلا بعد شهر تقريبا.

وفي هذا يقول الدكتور دراز: " ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجته عائشة – رضي الله عنها– ، وأبطأ الوحي، وطال الأمد، والناس يخوضون، وهو ﷺ لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظٍ واحتراسٍ (إني لا أعلم عنها إلا خيرا)، وظل الأمر كذلك شهرا بأكمله إلى أن نزل صدر سورة النور معلنا براءتها.

فماذا كان يمنعه ـ لو أن القرآن إليه ـ أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه، ويذبَّ بها عن عرينه، وينسبها إلى الوحي السماوي لتنقطع ألسنة المتخرصين"(٣).

ومما سبق يتبين للباحث أن واقع حياة النبي ﷺ والمواقف التي كانت تعرض له يشهدان باستحالة تأليف النبي ﷺ للقرآن.

---

(١) مصدر القرآن ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٢٦، ١٢٧ بالمعنى.

(٢) المرجع السابق/ ١٢٨بتصرف.

(٣) النبأ العظيم ـ د/ محمد عبدالله دراز/ ٥٣ بتصرف.

(ز) الرد على الشبهة من خلال عتاب الله للنبي ﷺ:

أن يعاتب الإنسان نفسه ويسجل هذا العتاب في كتاب يخرج به للناس، هذا مما لا يقبله المنطق السليم ولا العقل المستقيم، والقرآن الكريم قد ورد فيه تحذير للنبي ﷺ من أن يشك فيما أنزله الله إليه، كما ورد فيه التأكيد كذلك على أن كل شيء في الكون بيد الله، وهذه الآيات شديدة اللهجة لا يمكن أن تكون صادرة عن النبي نفسه، هذا ما أكده الدكتور إبراهيم عوض بقوله: "بل كان الله سبحانه يحذره من أن ينتابه أي شك فيما نزل عليه من وحي، في قوله سبحانه وتعالى: "فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" (يونس: ٩٤)، وقوله عز شأنه: "فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ" (هود: ١٧).

ترى أيمكن أن يفكر محمد في نهي نفسه عن الشك فيما ينزل عليه من وحي، فضلا عن أنه يكشف ما كل إنسان حريص على ستر، وبخاصة إذا كان مدعيا كاذبا لا يمكن أن يخطر له على بال.

أم تراه ﷺ كان يمكن أن يخاطب نفسه بهذه اللهجة الشديدة كما في قوله تعالى مثلا: "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ" (آل عمران: ١٢٨)، وقوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا" (النساء: ١٠٧)"(١).

ثم يوضح فضيلته أن القرآن الكريم ورد فيه مواقف عديدة أخذ فيها النبي ﷺ بخلاف الأولى مما يوهم ظاهرها خطأ النبي ﷺ فيقول: " أم تراه يتحدث في القرآن عن أخطائه ليرددها الآلاف في عصره وملايين الملايين على مدى العصور بدلا من سترها (هذا إن عدها هو أخطاء أصلا) كما في قوله تعالى:

" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال: ٦٧)، وقوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى" (عبس: ١ – ١٠) (٢).

---

(١) مصدر القرآن ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٣٨.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

ويعلق الدكتور دراز على أمثال هذه الآيات فيقول: "أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟

ألم يكن له في السكوت عنها سترٌ على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بلى. إن هذا القرآن الكريم لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان، ولو كان كاتما شيئا لكتم أمثال هذه الآيات، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه"(١).

ومما سبق يتبين أن القرآن الكريم ورد فيه العديد من الآيات التي خاطب الله فيها نبيه خطابا قويا محذرا له من بعض الأمور التي لا ينبغي عليه أن يقع فيها، أو معاتبا له على بعض المواقف التي وقع فيها، وهذا لا يمكن أن يصدر عن أي شخص لوكان مؤلفا لهذه الآيات.

كذلك مما أشار إليه الدكتور إبراهيم عوض في الرد على هذه الشبهة، الاستدلال بالآيات التي تظهر مشاعر النبي ﷺ في بعض الأمور، والآيات التي تتحدث عن بعض خصوصيات زوجاته والتي يحسن إخفاؤها عن الناس فيقول: "كذلك لو كان ﷺ هو مؤلف القرآن، فلم يكشف عواطفه على هذا النحو في الآية التالية "لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبا" (الأحزاب: ٥٢).

ولم يجعل أمور بيته الخاصة وسيرة زوجاته مضغة في أفواه الكافة هكذا "يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحا جَمِيلا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرا عَظِيما" (الأحزاب: ٢٨-٢٩)، إن التفسير الواضح المستقيم لكل هذا هو أنه قرآن كريم من لدن عزيز حكيم"(٢).

ومما أشار إليه أيضا في الرد على هذه الشبهة، أن ترتيب الآيات داخل السور، دون ترتيبها حسب النزول، مما يشهد بعدم إمكانية تأليف النبي ﷺ للقرآن فيقول: " بل إني أرى في ترتيب الآيات داخل المصحف على النحو الموجود في المصحف دليلا إضافيا على أن النبي ﷺ ليس هو مؤلف القرآن، فما دامت النصوص كان يتم تسجيلها أولا بأول، فقد كان المتوقع لو أن النبي ﷺ هو مؤلفها أن يأمر بترتيبها حسب نزولها بدلا من الانتظار فترة زمنية قد تطول أو تكثر قبل أن تكمل هذه السورة أو تلك بإضافة مجموعة من الآيات في هذا الموضع أو ذاك منها، لأن هذا

---

(١)النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز/ ٥٥.

(٢) مصدر القرآن. د/ إبراهيم عوض/ ١٣٨، ١٣٩بتصرف.

حينئذ يكون تعقيدا لا مسوغ له وتصرفا شاذا لا يمكن فهمه..."(١).

وفي هذا يقول الدكتور دراز: "ومن هذه النجوم المختلفة المتفرقة (يقصد الآيات) صارت تتألف تلك المجاميع المسماة بالسور لا على أساس التجانس بين أجزاء كل مجموعة منها، بل على أن يأوي إلى الحظيرة الواحدة ما شئت من فصائل الجنس الواحد والأجناس المتخالفة، وأما الطريق العجب الذي اتبع في تأليف تلك الأبنية من أجزائها، وهو السبب الثالث الذي رفع المسألة من حد العسر إلى حد الإحالة فهو أن ذلك الذي نزل عليه الذكر لم يتربص بترتيب نجومه حتى كملت نزولا، بل لم يتريث بتأليف سورة واحدة منه حتى تمت فصولا، بل كان كلما ألقيت إليه آية أو آيات أمر بوضعها من فوره في مكان مرتب من سورة معينة على حين أن هذه الآيات والسور لم تتخذ في ورودها التنزيلي سبيلها الذي اتبعته في وضعها الترتيبي فكم من سورة نزلت جميعا أو أشتاتا في الفترات بين النجوم من سورة أخرى وكم من آية في السورة الواحدة تقدمت فيها نزولا وتأخرت ترتيبا وكم من آية على عكس ذلك"(٢).

ومما أشار إليه الدكتور إبراهيم كذلك في الرد على الشبهة، اعتراف القرآن بتفضيل بني إسرائيل على غيرهم من الأمم أثناء طاعتهم لله فيقول: "ولا أحب أن تفوتني الإشارة إلى أن القرآن، برغم حملته على بني إسرائيل لكفرهم وصلابة قلوبهم... يعترف لهم بأن الله قد فضلهم يوما على العالمين، وآتاهم أنبياء وجعلهم ملوكا، وقد كان باستطاعة رسول الله لو أنه مؤلف القرآن ـ ورأى منهم كفرهم به واللدد في خصومته والسخرية منه ومن دينه والتآمر على قتله،...إلخ أن ينكر هذا التفضيل"(٣).

وفي هذه المواقف التي أشار إليها الدكتور إبراهيم عوض، وتلك الآيات الغنى والكفاية عن ذكر المزيد من المواقف.

(ح) الرد على الشبهة من خلال أقوال بعض المنصفين من المستشرقين:

ومما يمكن أن يضيفه الباحث إلى ما سبق أقوال بعض المنصفين من المستشرقين، حيث ورد على ألسنتهم أن القرآن من عند الله تعالى، رغم أننا لا نحتاج لكلامهم حتى نثبت صدق كتاب الله، ولكن من باب والفضل ما شهدت به الأعداء.

---

(١) المستشرقون والقرآن ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) النبأ العظيم ـ د/ محمد عبدالله دراز/ ١٤٩، ١٥٠.

(٣) مصدر القرآن ـ د إبراهيم عوض/ ١٣٩.

يقول مايكل هارت(١) الأمريكي: "والقرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ كاملا، وسجلت آياته وهو ما يزال حيًّا، وكان تسجيلا في منتهي الدقة، فلم يتغير منه حرف واحدٌ، وليس في المسيحية شيء مثل ذلك، فلا يوجد كتاب واحدٌ محكمٌ دقيقٌ لتعاليم المسيحية يشبه القرآن"(٢).

ويقول توماس كارْلَيل(٣) وهو يتحدث عن هذه الشبهة: "وقد زعم براديه وأمثاله أنه (يعني القرآن) طائفة من الأخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون أعذارا له عما كان يرتكب ويقترف وذرائع لبلوغ مطامعه وغايته، ولكنه قد آن أن نرفض جميع هذه الأقوال فإني لأمقت من يرمي محمدا بمثل هذه الأكاذيب، وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل"(٤).

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه في هذه الشبهة يتبين للباحث ما يلي:

١- ذكر الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– الاختلاف بين القرآن الكريم والحديث الشريف في استخدام الألفاظ المتداولة سواء كان ذلك في الطعام أو الشراب أو اللباس، أو المكاييل والموازين، أو غير ذلك.

٢- بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– الاختلاف بين القرآن الكريم والحديث الشريف في استخدام الأساليب المختلفة، كأسلوب القسم أو التصريح والكناية، أو الأسلوب القصصي، أو غير ذلك من الأساليب العامة.

٣- أوضح –فضيلته– أن القرآن الكريم ورد فيه العديد من الآيات التي أخبرت بأمور غيبية مستقبلية، وقعت فعلا في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته، وهذا لا يصدر إلا عن طريق الوحي.

٤- أكد– فضيلته– أن القرآن الكريم تحدث عن حقائق علمية لم يتم اكتشافها، أو حتى

---

(١) مايكل هارت: فيزيائي فلكي أمريكي، ولد في ٢٨ أبريل ١٩٣٢م، صاحب كتاب "الخالدون مائة"، اشتغل في مركز أبحاث الفضاء في ميرلاند، وفي المركز القومي لأبحاث طبقات الجو في كلورادو، وهو الآن عضو الجمعية الفلكية وفروعها في علوم الكواكب، وأحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية أ.هـ.، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ٩، ١٢/ ٢٠١٥م.

(٢) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، تأليف: مايكل هارت، ترجمة وتلخيص: أنيس منصور/ ١٧، ط. مكتبة الأهرام للإعلام العربي، بدون تاريخ.

(٣) سبق التعريف به فى المطلب الأول.

(٤) الأبطال ـ كارليل ـ/ ٨٤، ٨٥. مرجع سابق.

البحث عنها إلا منذ وقت قريب، ولم يكن يسمع عنها بشر وقت نزول الوحي في أي مكان على وجه المعمورة، قد شهد بذلك العلماء من المسلمين وغير المسلمين، بل وأسلم العديد بسبب تلك الحقائق العلمية المذكورة في القرآن الكريم.

٥- بين كذلك أن القرآن الكريم ورد فيه العديد من الآيات التي تحذر النبي ﷺ من فعل بعض الأمور التي لم تقع، كما ورد فيه العديد من الآيات التي تعاتب النبي ﷺ على أمور أخذ فيها بخلاف الأولى.

٦- وبين- أيضا- أن القرآن الكريم لم يتعرض لأفراح النبي وأحزانه إلا القليل النادر لأخذ العظة والعبرة، وأنه لم يذكر اسما من أسماء زوجاته في حين ذكر أسماء غيرهن من النساء.

٧- أن في القرآن الكريم آيات تحدثت عن أمور خاصة برغبات النبي ﷺ، وأمور خاصة عن أهل بيته لا يحب بشر إظهارها.

٨- أن تأخر نزول الوحي على النبي ﷺ في العديد من المواقف الحرجة التي كانت لا تحتمل التأخير إلا لحكمة يعلمها الله تعالى، وما كان لبشر أن يضع نفسه في هذه المواقف مع إمكانية تفاديها.

٩- أن ترتيب الآيات داخل السور على هذا النحو مع تباعد الأزمنة بين نزول الكثير منها يؤكد على أن الأمر لم يكن بيد النبي ﷺ.

١٠- أن الموضوعية التي تتحدث بها آيات القرآن عن بني إسرائيل، حيث أنها تمدحهم في الموقف الذي يستحقون عليه المدح، وتذمهم في الموقف الذي يستحقون فيه الذم.

كل ما سبق، بالإضافة إلى شهادة العديد من علماء الغرب من غير المسلمين باستحالة تأليف النبي ﷺ للقرآن، يؤكد أن القرآن الكريم ليس من تأليف النبي ﷺ، وبذلك تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل معتبر.

المطلب الثالث

شبهة تأثر النبي بالجاهليين وسجوده للأصنام (قصة الغرانيق) والرد عليها:

على الرغم من أن النبي ﷺ بُعث من بين قومه، فلم يكن غريبا عنهم ولا وافدا عليهم، ولم ينشأ في بيئة بعيدة عن بيئة قومه، فحركاته وسكناته مرصودة معروفة مشاهدة للجميع، فأن يسجد لصنم أو يعبد آلهتهم أو يقدم لها قربانا مشاهد لجميع قومه لا خفاء ولا سرا، ومع ذلك فإنه ﷺ قد تولى ربه ﷻ تربيته منذ ولادته، وآن طفولته، ووقت بلوغه، وحين شبابه.

ولذلك حاول أعداء الإسلام تشويه هذا النقاء والصفاء الذي تربى فيه النبي ﷺ باتهامه

بتأثره بالجاهليين وسجوده للأصنام، وتلك الشبهة أعرضها بين يدي القارئ الكريم.

أولا: عرض الشبهة:

يدَّعى بعض المستشرقين أن النبي ﷺ اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث (اللات والعزى ومناة)، ويذكر الدكتور إبراهيم أن فتاة باكستانية قد زعمت أن النبي ﷺ أخطأ عند تأليفه للقرآن وأورد آيتين يمدح فيهما آلهة قريش، ثم حذفهما لَمَّا تبين له خطؤه فيقول: " وقد أشارت الفتاة الباكستانية إلى ما يسمى في الكتابات الغربية بـ "الآيات الشيطانية "زاعمة أن النبي ﷺ هو الذي ألف القرآن، وأنه قد أخطأ حينما أورد آيتين يمدح فيهما آلهة قريش، ثم لما تبين له خطؤه قام بحذف الآيتين متهما الشيطان بأنه هو المسؤول عنهما"(١).

وتلك القصة " يطلق عليها في التاريخ الإسلامي(قصة الغرانيق) (٢) في الزعم بأن سورة النجم كانت تحتوي في البداية على آيتين تمدحان الأصنام الثلاثة: "اللات والعزى ومناة"، ثم حذفتا منها فيما بعد.

ويهدف أصحاب هذه الفرية إلى القول بأن محمداﷺ، كان يتمنى أن يصالح القرشيين حتى يكسبهم إلى صفه بدلا من استمرارهم في عداوتهم لدعوته وإيذائهم له ولأتباعه، ومن ثم أقدم على تضمين سورة "النجم "تينك الآيتين عقب قوله " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى "؟" على النحو التالي "إنهن الغرانيق العلا. وإن شفاعتهن لترتجى" والمقصود من وراء ذلك كله هو الإساءة للرسول الكريم بالقول بأنه لم يكن مخلصا في دعوته، بل إنه لم يكن نبيا بالمرة، وإلا لما أقدم على إضافة هاتين الآيتين من عند نفسه"(٣).

ولقد وردت هذه الشبهة على لسان كارل بروكلمان(٤) في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" حيث قال: " ولكنه على ما يظهر، اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي

---

(١)نصوص انجليزية استشراقية عن الإسلام ـ د/ إبراهيم عوض/ ٢٨٧/ ط. ٢٠٠٦م ـ بدون دار نشر.

(٢) وغُرْنوق، بِالضَّمِّ، وغُرانِق: الناعِم المُنتشِر مِنَ النَّبات،الشابُّ النَّاعِمُ، وَالْجَمْعُ الغَرانِق، بِالْفَتْحِ، والغَرانِيق والغَرانِقة، الغُرْنُوق طَيْرٌ أَبيض مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ تِلْكَ والغَرانِيقُ العُلا؛ هِيَ الأَصنام، وَكَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الأَصنام تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَشْفَعُ لَهُمْ إِلَيْهِ، فَشُبِّهَتْ بِالطُّيُورِ الَّتِي تَعْلُو وَتَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ./ لسان العرب/١٠/ ٢٨٦، ٢٨٧ مادة (غَرْنَقَ)

(٣)نصوص إنجليزية. د/ إبراهيم عوض/ ٢٨٧.

(٤) كارل بروكلمان (١٨٦٨– ١٩٥٦م)، ولد في روستوك وتخرج على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، اشتهر في فقه العربية وقراءتها وكتابتها، له آثار ضخمة ومتعددة. ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ٣/ ٧٧٧، دار المعارف– مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهن في الآيات الموحاة إليه بقوله: (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتضى)"(١).

وهذا نص القصة كما وردت في بعض كتب السنة " قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ: لَوْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَذْكُرُ آلِهَتَنَا بِخَيْرٍ أَقْرَرْنَاهُ وَأَصْحَابَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَذْكُرُ أَحَدا مِمَّنْ خَالَفَ دِينَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى بِمِثْلِ الَّذِي يَذْكُرُ بِهِ آلِهَتَنَا مِنَ الشَّتْمِ وَالشَّرِّ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السُّورَةَ الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا: {وَالنَّجْمِ}، وَقَرَأَ: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (النجم:١٩، ٢٠) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ ذِكْرَ الطَّوَاغِيتِ فَقَالَ: «وَإِنَّهُنَّ لِمَنَ الْغَرَانِيقِ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُمْ لَتُرْتَجَى»، وَذَلِكَ مِنْ سَجْعِ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتِهِ، فَوَقَعَتْ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ وَاسْتَبْشَرُوا بِهَا، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَجَعَ إِلَى دِينِهِ الْأَوَّلِ وَدِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرَ السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا النَّجْمُ، سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ مِنْ مُسْلِمٍ وَمُشْرِكٍ"(٢)

وبهذا يتبين أن هذه الشبهة ليست جديدة وإنما رددها العديد من المستشرقين قديما وحديثا، مشككين في مصدر القرآن مدعين أن النبي ﷺ تأثر بعبادة الجاهليين فسجد للأوثان، ومشككين كذلك في إخلاص النبي ﷺ في دعوته، وعلى الرغم من أن هذه الشبهة قديمة إلا أن الباحث سوف يتعرض لها لإضافة الدكتور إبراهيم لها ردا جديدا ؛ لذا سيكتفي الباحث في الرد على هذه الشبهة، ببيان عدم ثبوت القصة لا من جهة العقل ولا النقل، وما أضافه الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله– ،.

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أسلوب القرآن الكريم.

(ب) الرد على الشبهة من خلال تعليق العلماء على صحة القصة.

---

(١)تاريخ الشعوب الإسلامية،كارل بروكلمان، ص٣٤، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط (٥)، ١٩٦٨م.

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير/ باب (عثمان بن حنيف الأنصاري) برقم (٨٣٣٣)/ ٩/ ٣٤. المعجم الكبير ـ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ـ مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤– ١٩٨٣، مسند البزار/ برقم (٥٠٩٦) ١١/ ٢٩٦. مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة– الطبعة: الأولى (٢٠٠٩م)

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أسلوب القرآن الكريم:

في البداية يبين الدكتور إبراهيم عوض أن هذه الشبهة كثيرا ما يرددها المستشرقون ومن تبعهم، مع أن الباحث عندما ينظر في سيرة حياته ﷺ يقطع ببطلانها فيقول: " وهذه الفرية مما يحلو للمستشرقين والمبشرين أن يرددوها للمكايدة وإثارة البلبلة، مع أن أقل نظرة في سورة النجم أو في سيرة حياته ﷺ كافية للقطع بأن تلك القصة لا يمكن أن تكون قد حدثت على هذا النحو الذي اخترعه بعض الزنادقة قديما، وأخذ أعداء الإسلام يرددونها رغم ظهور عوارها وتهافتها!"(١).

ثم ينطلق الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في الرد على تلك الشبهة من خلال أسلوب القرآن الكريم والذي من خلاله يتبين ما يلي:

١ـ أن سياق السورة الكريمة يؤكد عدم صحة تلك القصة " فقد تناول عدد من علماء المسلمين قديما وحديثا الروايات التي تتعلق بهاتين الآيتين المزعومتين وبينوا أنها لا تتمتع بأية مصداقية.

والحقيقة إن النظر في سورة النجم ليؤكد هذا الحكم الذي توصل إليه أولئك العلماء، فهذه السورة من أولها إلى آخرها عبارة عن حملة مدمدمة على المشركين وما يعبدون من أصنام بحيث لا يعقل إمكان احتوائها على هاتين الآيتين المزعومتين، وإلا فكيف يمكن أن يتجاور فيها الذم العنيف للأوثان والمدح الشديد لها؟ ترى هل يمكن مثلا تصوُر أنْ ينهال شخص بالسب والإهانة على رأس إنسان ما، ثم إذا به في غمرة انصبابه بصواعقه المحرقة عليه ينخرط فجأة في فاصل من التقريظ(٢)، ليعود كرة أخرى في الحال للسب والإهانة؟

هل يعقل أن يبلع العرب مثل هاتين الآيتين اللتين تمدحان آلهتهم، وهم يسمعون عقب ذلك ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذا قسمة ضيزى... إن هذا أمر لا يمكن تصوره.

٢ـ أن مواقف صمود النبي ﷺ أمام عناد المشركين في مكة تدل على عدم ضعف عزيمته في مواقف أشد من هذا الموقف الذي يدعيه بعض المستشرقين المجحفين، "فوقائع حياته ﷺ تجعلنا نستبعد تمام الاستبعاد أن تكون عزيمته قد ضعفت يوما، فقد كان مثال الصبر والإيمان بنصرة ربه له ولدعوته، ومواقفه من الكفار طوال ثلاثة وعشرين عاما وعدم استجابته في مكة لوساطة عمه بينه وبينهم رغم ما كان يشعر به من حب واحترام عميق نحوه، وكذلك رفضه لما عرضوه عليه من المال

---

(١) نصوص انجليزية استشراقية عن الإسلام ـ د إبراهيم عوض/ ٢٨٧.

(٢) والتَّقْريظُ: مَدْحُ الإنسانِ وهو حَيٌّ بِحَقّ أو باطِلٍ ـ القاموس المحيط ـ باب (الظاء) فصل (القاف) ـ مادة "قَرِظَ"/ ١/ ٦٩٧.

والرئاسة، هو أقوى برهان على أنه ليس ذلك الشخص الذي يمكن أن يقع في مثل هذا الضعف والتخاذل!(١).

٣- ردود جديدة على هذه الشبهة من خلال التحليل الأسلوبي لسياق الآيات الكريمة، يقول الدكتور إبراهيم عوض: "وقد أضفت طريقة جديدة للتحقق من أمر هاتين الآيتين هي الطريقة الأسلوبية، إذ نظرت في الآيتين المذكورتين لأرى مدى مشابهتهما لسائر آيات القرآن فوجدت أنهما لا تمتان إليها بصلة البتة. كيف ذلك؟

إن الآيتين المزعومتين تجعلان الأصنام الثلاثة مناطا للشفاعة يوم القيامة دون تعليقها على إذن الله، وهو ما لم يسنده القرآن في أي موضع منه إلى أي كائن مهما تكن منزلته عنده سبحانه.

ولن نذهب بعيدا للاستشهاد على ما نقول فبعد هاتين الآيتين بخمس آيات فقط نقرأ قوله تعالى: "وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى" (النجم: ٢٦)، فكيف يقال هذا عن الملائكة في ذات الوقت الذي تؤكد فيه إحدى الآيتين المزعومتين أن شفاعة الأصنام الثلاثة جديرة بالرجاء من غير تعليق لها على إذن الله؟

ثم إنه قد ورد في الآية الثانية من آيتي الغرانيق كلمة" ترتجى" وهي أيضا غريبة على الأسلوب القرآني، إذ ليس في القرآن المجيد أي فعل من مادة "رج و" على صيغة "افتعل".

أما ما جاء في إحدى الروايات من أن نص الآية هو: " وإن شفاعتهن لترتضى" فالرد عليه هو أن هذه الكلمة وإن وردت في القرآن ثلاث مرات، لم تقع في أي منها على الشفاعة وإنما تستخدم عادة مع الشفاعة الأفعال التالية:"تنفع، تغني، يملك"(٢).

ويضيف إلى ما سبق أن البداية التي بدأت بها الآيات لم يستخدمها القرآن الكريم في ملاطفة، وإنما في الخصومة والتهكم فيقول: "كذلك فقد بدأت مجموعة الآيات التي تتحدث عن اللات والعزى ومناة بقوله عز شأنه "(أف)رأيتم...؟"، وهذا التركيب قد ورد في القرآن إحدى وعشرين مرة كلها في خطاب الكفار، ولم يستعمل في أي منها في ملاينة أو تلطف، بل ورد فيها جميعا في مواقف الخصومة والتهكم وما إلى ذلك بسبيل كما ورد في الشواهد التالية:

" قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتا أَوْ نَهَارا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُون" (يونس: ٥٠)

" قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاما وَحَلَالا" (يونس: ٥٩).

---

(١)نصوص إنجليزية. د/ إبراهيم عوض/ ٢٨٨.

(٢)المرجع السابق/ ٢٨٨، ٢٨٩ بتصرف.

" قلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ" (الأحقاف: ١٠).

فكيف يمكن إذا أن يجئ هذا التركيب في سورة النجم بالذات في سياق ملاطفة الكفار ومراضاتهم بمدح آلهتهم؟"(١).

"وفوق هذا لم يحدث أن أضيفت كلمة "شفاعة" في القرآن الكريم (في حال مجيئها مضافة) إلا إلى الضمير "هم" على خلاف ما أتت عليه في آيتي الغرانيق من إضافتها إلى الضمير "هن"، وفضلا عن ذلك فتركيب الآية الأولى من الآيتين المزعومتين يتكون من "إن (وهي مؤكدة كما نعرف) + ضمير(اسمها)+ اسم معرف بالألف واللام (خبرها)"، وهذا التركيب لم يستعمل لـ"ذات عاقلة" في أي من المواضع التي ورد فيها في القرآن الكريم – وهي تبلغ العشرات– دون زيادة التأكيد لاسم "إن" الضمير بضمير مثله كما في الأمثلة التالية: "أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ" (البقرة:١٢)، "أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ" (البقرة:١٣)، "إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة:٣٧)، "إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة:١٢٧)...إلخ

أما في المرة الوحيدة التي ورد فيها التركيب المذكور دون زيادة التأكيد لاسم إن الضمير بضمير مثله وذلك في قوله تعالى: "إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ" (هود: ١٧) فلم يكن الضمير عائدا على ذات عاقلة، إذ الكلام فيها على القرآن.

ولو كان الرسول يريد التقرب إلى المشركين بمدح آلهتهم لكان قد زاد تأكيد الضمير العائد عليها بضمير مثله على عادة القرآن الكريم بوصفها "ذوات عاقلة "، ما داموا يعتقدون أنها آلهة.

وعلى ذلك فإن التركيب في أولى آيتي الغرانيق هو أيضا تركيب غريب على أسلوب القرآن الكريم.

مما سبق يتأكد لنا على نحو قاطع أن الآيتين المذكورتين ليستا من القرآن، وليس القرآن منهما في قليل أو كثير، بل إني لأستبعد أن تكون كلمة "الغرانيق قد وردت في أي من الأحاديث التي قالها النبي عليه الصلاة والسلام"(٢).

ـ ولقد أشار الدكتور أبو شهبة إلى هذه الطريقة في الرد على الشبهة لكنها إشارة موجزة، فقال:

"ووجه آخر لفساد هذه القصة وهو أن الله تعالى ذم الأصنام في سورة النجم، وأنكر على عابديها وجعلها أسماء لا مسمى لها، وأن التمسك بعبادتها أوهام وظنون قال تعالى:

---

(١)المرجع السابق/ ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢)المرجع نفسه ص٢٩٠، ٢٩١.

"أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذا قِسْمَةٌ ضِيزَى" (النجم:١٩: ٢٢)، فقد جاءت الايات على هذا الأسلوب الإنكاري، التوبيخي، التهكمي بالأصنام وعابديها، وقال بعد الموضع الذي زعموا أنه ذكرت فيه الفرية:

"إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى" (النجم:٢٣)، فلو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بينها وبين ما قبلها وما بعدها، ولكان النظم مفككا، والكلام متناقضا، وكيف يطمئن إلى هذا التناقض السامعون وهم أهل اللّسن والفصاحة، وأصحاب عقول لا يخفى عليها مثل هذا، ولا سيما أعداؤه الذين يتلمسون له العثرات والزلات، فلو أن ما روي كان واقعا لشغب عليه المعادون له، ولارتد الضعفاء من المؤمنين، ولثارت ثائرة مكة، ولاتخذ منه اليهود بعد الهجرة متكأ يستندون إليه في الطعن على النبي صلّى الله عليه وسلّم والتشكيك في عصمته، ولكن شيئا من ذلك لم يكن"(١).

(ب) الرد على الشبهة من خلال تعليق العلماء على صحة القصة:

ومما يؤكد الرد على تلك الشبهة بيان موقف علماء السنة وأصحاب الأسانيد من ثبوتها، إذ قد ثبت أن كتب الصحاح لم يرد فيها أي ذكر لهذه الرواية.

وهذه القصة غير ثابتة لا من جهة النقل، ولا من جهة العقل.

أما من جهة النقل: فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين،(٢)، قال البيهقي؛ وهو من كبار رجال السنة: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل(٣)،وقال ابن الهيثمي في مجمع الزوائد عن حديث الغرانيق:"رواه الطبراني مرسلا"(٤) وقال القاضي عياض(٥) في "الشفا": "إن هذا

---

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة– محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)/ ١/ ٣٧١، ٣٧٢– دار القلم– دمشق– ط(٨)– ١٤٢٧ هـ.

(٢) أسباب النزول للسيوطي على هامش تفسير الجلالين/ ٢/ ١٤– ١٦.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ـ الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة . رحمه الله/ ٣٩٩/ مكتبة السنة ـ ط(٤).

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) برقم(١١١٨٧)/ ٧/ ٧٢. مكتبة القدسي، القاهرة ـ ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

(٥) (القاضي عياض) شيخ الإسلام، الحافظ، الناقد، الفقيه، الأصولي، المتكلم، المفسر، المؤرخ، النسّابة، اللغوي، النحوي، الأديب، الشاعر، الخطيب، المتفنن، العلامة الحافل، الحبر، البحر، الحجة، القاضي أبي الفضل عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي الأصل، ثم المغربي السّبتي، المالكي، صاحب المؤلفات الفائقة

حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواهُ ثقةٌ بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، والمولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، ومن حُكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صحابي، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع منها حديث شعبة، عن أبي البشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – فيما أحسب– "الشك في وصل الحديث": "أن النبي كان بمكة وذكر القصة" قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعرفه يروى عن النبي بإسناد متصل، إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فقد بيَّن أبو بكر أنه لا يعرف عن طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه، وأما حديث الكلبي: فمما لا يجوز الرواية منه، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه"(١).

وذهب إلى وضعها الإمام أبو منصور الماتريدي، في كتاب "حصص الأتقياء" حيث قال: الصواب أن قوله: تلك الغرانيق العلى من جملة إيحاء الشياطين إلى أوليائه من الزنادقة، حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقَّاء الدين؛ ليرتابوا في صحة الدين، والرسالة بريئة من مثل هذه الرواية(٢).

فها نحن نرى أن من أنكرها وقضى بوضعها أكثر مما صححها اعتمادا على روايات مرسلة(٣).

اضطراب الرواية:

ومما يقلل الثقة بالقصة: اضطراب الروايات اضطرابا فاحشا؛ فقائل يقول: إنه كان في الصلاة، وقائل يقول: قالها في نادي قومه، وثالث يقول: قالها وقد أصابته سنة، ورابع يقول: بل حديث نفسه فَسَهَا. ومن قائل: إن الشيطان قالها على لسانه، وإن النبي لما عرضها على جبريل

كالشّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، والتنبيهات المستنبطة على الكتب المدوّنة والمختلطة، وغيرها. ولد بسبتة سنة (٤٧٦ هـ)، وتوفي بمرّاكش مغرّبا عن وطنه سنة (٥٤٤ هـ)/ جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ـ د. قاسم علي سعد/ ١/ ٤١/ دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ـ ط(١)، ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢ م.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ ـ مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ـ للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت٨٧٣)/ ٢/ ١٢٥، ١٢٦/ ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ

(٢) الإسرائيليات والموضوعات/ ٤٠٠

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها

قال: ما هكذا اقرأتك؟ وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي قرأها كما رويت: تلك الغرانيق العلى على أنحاء مختلفة، وكل هذا الاضطراب مما يوهن الرواية، ويقلل الثقة بها، والحق أبلج والباطل لجلج(١).

القصة لم يخرجها أحد ممن التزموا الصحيح:

والقصة لم يخرجها أحد ممن التزموا الصحاح، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة، والذي روي في البخاري عن ابن عباس: " أن النبي ﷺ قرأ: النجم وهو بمكة، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس"، وفي رواية ابن مسعود: "أول سورة أنزلت فيها سجدة: والنجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا"(٢).

من هنا يتبين هذه القصة المنقولة لا دليل عليها من عقل أو نقل.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

١- أن قصة الغرانيق ضعيفة أو موضوعة من ناحية السند مضطربة من ناحية المتن، كما شهد بذلك معظم علماء الأمة.

٢- بين الدكتور إبراهيم عوض -حفظه الله- أن سياق الآيات لا يتناسب مع أسلوب القرآن الكريم لا من ناحية الألفاظ الواردة في الشبهة ولا من ناحية التراكيب.

٣- أوضح الدكتور إبراهيم -حفظه الله- أن القصة لا تتناسب كذلك مع وقائع حياة النبي ﷺ ومواقفه الحاسمة مع كفار قريش.

٤- أضاف -فضيلته - ردودا نافعة رائعة في الرد على هذه الشبهة، تتمثل فيما يسمى بالتحليل الأسلوبي لسياق الآيات الكريمة، وقد حالفه فيها توفيق من الله تعالى، وبهذا يتبين أن الشبهة واهية ولا تقوم على دليل معتبر.

المبحث الثالث

جهود الدكتور إبراهيم عوض في ردِّ الشبهات المتعلقة بسيرة الرسول ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها

(٢) الإسرائيليات والموضوعات/ ٤٠٠

المطلب الأول: شبهة إنكار هجرة المسلمين إلى الحبشة وقصة جعفر بن أبي طالب والنجاشي رضي الله عنهما والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة إنكار رحلة النبي ﷺ إلى الطائف والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة إنكار وقوع بيعة العقبة الثانية والرد عليها.

المطلب الأول

شبهة إنكار الهجرة إلى الحبشة(١) والرد عليها:

تعد السيرة النبوية بمثابة الكتاب المفتوح لحركة النبي ﷺ وأصحابه، والسجل الذي يحوي حياة النبي ﷺ العملية، منذ ولادته وحتى وفاته، وبالتالي فإن الأحداث التي سجلها المؤرخون في سيرته ﷺ ليست من تآليفهم ولا من وحي خيالهم، وإنما تعبر عن وقائع تاريخية حقيقية.

غير أن من الحساد من يُكذِّب الواقع، ويكفر بالحقائق، ويزيف التاريخ، حيث ينفي بعض المستشرقين هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، ولنسمح له بعرض الشبهة التي أوردها الدكتور إبراهيم عوض، ورد عليها.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن الدكتور مراد(٢) يدعي أن قريشا هي التي نفت المسلمين إلى الحبشة، وأن الحوار الذي دار بين جعفر بن أبي طالب ﷺ والنجاشي ليس حقيقيا فيقول: " وكديدن د. مراد في تكذيب معظم وقائع السيرة النبوية، نراه يرفض ما جاء عن هجرة المسلمين إلى الحبشة، ومطاردة المشركين لهم، والمواجهة التي تمت في بلاط النجاشي بين رسولي قريش والمهاجرين، ودور جعفر بن أبي طالب في ذلك، وإسلام النجاشي بعد سماع الآيات الأولى من سورة مريم.

أما الصواب في رأيه فهو: أن قريشا هي التي نفت المسلمين وأرسلت من يخفرهم(٣) إلى بلاد الحبشة بعد الاتفاق مع بعض السلطات المحلية هناك على وضعهم في معسكرات اعتقال

---

(١) (الحبشة) الحبش وبلاد الحبشان (أثيوبيا) وهي في إفريقية الشرقية ـ المعجم الوسيط . باب (الحاء) مادة "حَبَشَ"/ ١/ ١٥٢.

(٢) محمود علي مراد/ مصري، مولود عام ١٩٢٦ بالخرطوم، حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي (جامعة باريس ٣(السربون الجديدة) عمل ١٨ سنة مدرسا ثم أستاذ كرسي متفرغا ومسئولا عن الوحدة العربية بمعهد الترجمة والترجمة الفورية بجامعة جنيف (١٩٧٣. ١٩٩١) . إبطال القنبلة النووية . دإبراهيم عوض/ ٥ـ ٧.

(٣) خَفَرْتُ الرَّجُلَ خُفْرَة، إِذَا أَجَرْتَهُ وَكُنْتَ لَهُ خَفِيرا.وَيُقَالُ أَخْفَرْتُهُ، إِذَا بَعَثْتَ مَعَهُ خَفِيرا/ مقاييس اللغة ـ مادة (خَفَرَ)/ ٢/ ٢٠٣.

وتسليط ألوان الإيذاء عليهم"(١).

كما "ينكر الدكتور مراد دور جعفر ﷺ بناء على أن ابن إسحاق جعله متحدثا بلسان المسلمين لأنه من بني هاشم، ولم يجعله عثمان بن عفان لأنه من بني أمية"(٢).

وعند التأمل في الشبهة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

(أ) التشكيك في رواية ابن إسحاق لهجرة الحبشة.

(ب) ادعاء نفي المشركين للمهاجرين إلى الحبشة.

(ج) إنكار دور جعفر بن أبي طالب ﷺ من خلال إنكار الحوار الذي دار بينه وبين النجاشي.

ثانيا: الرد على الشبهة:

يتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال رواية السابقين على ابن إسحاق واللاحقين لهجرة الحبشة.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على نفي قريش للمسلمين إلى الحبشة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم على إنكار دور جعفر بن أبي طالب ﷺ وتضخيم ابن إسحاق له.

وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم على الشبهة من خلال رواية السابقين على ابن إسحاق واللاحقين لهجرة الحبشة:

ينطلق الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في الرد على تلك الشبهة من خلال الدليل التاريخي الذي يثبت وقوع الهجرة، فيبين أولا أن الدكتور مراد يعتمد في إثارة الشبهة على التشكيك دون ذكر أي دليل فيقول: " أما من أين للأستاذ الدكتور بهذا وعلى أي أساس قاله، فذلك لا يهم...ولا عليه بعد ذلك أن القرآن لم يذكر شيئا من هذا الذي يقوله ولا أيا من كتب التاريخ في أي عصر من العصور"(٣).

---

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية (خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود على مراد في الدفاع عن سيرة ابن اسحاق)/ د.إبراهيم عوض ـ ص٧٦/ ط. مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ ترجمة للنص الفرنسي la biographie du prophete, p.126,127,139,144

(٢) إبطال القنبلة النووية ـ هامش ص ٧٩ـ ترجمة للنص الفرنسي la biographie du prophete, p.143

(٣) المرجع السابق/ ٧٦،٧٧.

ثم يوضح فضيلته ثانيا أن هناك العديد من السابقين على ابن إسحاق واللاحقين له ممن عاشوا في ظل حكم الدولة الأموية أشاروا إلى تلك الهجرة فيقول: " وإننا لنتساءل: إذا كان ابن إسحاق أراد ممالأة العباسيين (مع أن جعفرا كان من أبناء أبي طالب لا من أبناء العباس..)، فكيف ذكر عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وابن حزم، الذين كانوا يعيشون تحت سلطان الحكم الأموي، هذا الذي قاله بن اسحاق ولم يقولوا بما يدعي الأستاذ الدكتور أنه هو الذي وقع؟

وثالثا يضيف فضيلته أن المسلمين المعاصرين لابن إسحاق ومن كان بعدهم تقبلوا تلك الرواية ولم يعترضوا عليها، وكذلك تقبلها المستشرقون فيقول: "أو كيف سكت المسلمون جميعا على أكاذيب ابن إسحاق ونفاقه، فلم يحاول أحد منهم طوال هذه القرون المتطاولة أن يكشف وأن يهتك زيفه وأخاديعــــه؟

أو كيف تقبل المستشرقون ما قاله ابن إسحاق، وكثير منهم كما نعلم يتربصون بتاريخنا ورجالنا، ويعملون بكل وسيلة على التشكيك في هذا التاريخ وأبطاله"(١).

ورابعا ويستدل على ما ذهب إليه باعتراف مرجليوث(٢) بقوة العلاقة بين النبي ﷺ والنجاشي، وإلا فكيف تتولد تلك العلاقة مع اعتقال النجاشي لأصحاب النبي ﷺ فيقول: "وأخيرا لعله من المناسب أن نورد هنا ما قاله مرجليوث في نهاية روايته لهذه الهجرة (بما فيها من مثول جعفر بين يدي النجاشي)، إذ كتب مؤكدا أنه "مهما يكن الأمر فمن الحق الذي لا مرية فيه أن النجاشي قد اتخذ جانب محمد ضد قريش وظل صديقا مخلصا له حتى وفاته، وأنه عندما تكللت جهود محمد بالنجاح (يقصد نجاحه في إقامة دولة الإسلام بالمدينة) قام بإعادة المهاجرين إليه ودفع من جيبه مهر إحدى زوجاته المتعددات"(٣).

ويؤكد ما ذكره بعدم وجود أي مصلحة للمسلمين في الثناء على النجاشي، إذا كان بالصورة التي يريد الدكتور مراد أن يوصلها إلى القارئ فيقول: " ثم لماذا يثني المسلمون على النجاشي ويمدحونه وينسبون إليه كل هذا الفضل إذا كان بذلك السوء الذي يزعمه الأستاذ الدكتور؟ أيعقل

---

(١) إبطال القنبلة النووية/ ٧٧.

(٢) مرجليوث: مستشرق إنجليزي، ولد وتوفي بلندن (١٨٥٨- ١٩٤٠)، وتخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد وعين أستاذا للعربية بها منذ ١٨٨٩، ومن آثاره: مختارات شعرية لأرسطو، محمد ونشأة الإسلام سنة ١٩٠٥، الإسلام سنة ١٩١١، وغيرها، وأكثر كتاباته عن الإسلام تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة.- موسوعة المستشرقين - بدوي - حرف(الميم)- ج١/ ٥٤٦/ دار العلم للملايين - بيروت - ط(٣) ١٩٩٣م. المستشرقون - العقيقي- ٢/ ٥١٨/ دار المعارف - ١٩٦٤م.

(٣) إبطال القنبلة النووية د/ إبراهيم عوض/ ٨١، ٨٢.

أنهم بدلا من أن يفضحوه أو يفضحوا السلطات المحلية التي تمثله في المكان الذي وضع فيه المسلمون في بلاده رهن الاعتقال وتعرضوا لصنوف الأذى والعدوان، يرسموا له صورة كريمة عظيمة تضعه في أعلى عليين؟ إن هذا والله لهو الخبل بعينه وحاشا للمسلمين الأوائل أن يكونوا بهذه البلاهة"(١).

وبهذا يتبين أن الدكتور مراد لم يأت بدليل على ما ذهب إليه، وأن هجرة المسلمين إلى الحبشة ثابتة عند علماء المسلمين قبل ابن اسحاق وبعده، بل وثابتة كذلك عند المستشرقين.

رد الدكتور إبراهيم عوض على نفي قريش للمسلمين إلى الحبشة:

يبين الدكتور إبراهيم عوض أن قريشا لو تمكنت من نفي المسلمين وحراستهم حتى يصلوا إلى الحبشة لقضت عليهم بالكلية في مكة وتخلصت منهم فيقول: "ثم إذا كان القرشيون بهذه القوة، وهذا التنظيم، ويستطيعون السيطرة على العشرات من المهاجرين طوال الطريق البري من مكة إلى الميناء الذي سيغادرون فيه الجزيرة العربية، وكذلك طوال الطريق البحري من ذلك الميناء إلى ميناء الوصول في أرض النجاشي، فكيف لم يقضوا عليهم في مكة أو يغرقوهم في البحر الأحمر ويريحوا ويستريحوا بدل كل هذا العناء وتضييع الوقت والأموال، وهم والحمد لله لا ينقصهم الضمير القاسي والقلب المتحجر الذي لا يرق ولا يبالي؟ ثم لماذا اكتفوا بنفي بعض المسلمين فقط وتركوا الباقين؟(٢)

ويستشهد فضيلته على ما ذهب إليه بذكر كتب السنة لخروج المسلمين إلى الحبشة على أنه هجرة لا نفي فيقول: "وماذا نقول كذلك في كتب الأحاديث النبوية، وقد ذكرت هي أيضا "هجرة" المسلمين لا "نفيهم" إلى الحبشة، كما ذكرت إسلام النجاشي وصلاة الرسول ﷺ عليه، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ(٣)"(٤).

ويؤيد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض العديد من النصوص، ويكتفي الباحث بنقل نص واحد من السنة النبوية لوفائه بالمطلوب.

---

(١) المرجع السابق/ ٧٧.

(٢)المرجع السابق/ ٧٨.

(٣)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب "الجنائز" باب "باب من صف صفين أو ثلاثة على الجنازة خلف الإمام".برقم (١٣١٧)/ ٢/ ٨٦.

(٤)المرجع السابق/ ٨٠، ٨١.

فمن السنة يذكر الإمام البيهقي(١) حديثا عن أم سلمة – رضي الله عنها– يبين أن النبي هو الذي أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، ما روي عن أم سلمة رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ:

" لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِىَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلاَءِ وَالْفِتْنَةِ فِى دِينِهِمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لاَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى مَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ شَىْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مَمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجا وَمَخْرَجا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ». فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالاً حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا خَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْما"(٢).

ومن السيرة:

كما يؤيده ما رواه الإمام الزهري عن عروة ﷺ قال: "فلما كثر المسلمون، وظهر الإيمان فتحدث به ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم، ويسجنونهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم.

قال: فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به تفرقوا في الأرض.

قالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: هاهنا، وأشار بيده إلى أرض الحبشة... فهاجر ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه حتى قدموا أرض الحبشة"(٣).

وبنظرة تأملية في النصين السابقين، يتبين أنهما يؤكدان بما لا يدع مجالا للشك أن النبي ﷺ هو من أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، أضف إلى ذلك إفراد الإمام البخاري بابا في صحيحه

---

(١) البيهقي (٣٨٤– ٤٥٨ هـ = ٩٩٤– ١٠٦٦ م) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث، ولد في (إحدى قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد، ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور،صاحب كتاب (السنن الكبير والسنن الصغير، ودلائل النبوة، وكتاب الأدب وغير ذلك) وتوفي بنيسابور في عاشر جمادى الأولى من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ونقل تابوته إلى بيهق/ التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ـ محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (سنة الولادة ٥٧٤/ سنة الوفاة ٦٢٩)/ ١/ ١٣٧، ١٣٨/ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت . ١٤٠٨هـ.

(٢) السنن الكبرى ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (باب الإذن بالهجرة)/ برقم ١٧٥١٢/ ٩/ ٩، مرجع سابق. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المغازي النبوية (للإمام محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (٥١ ـ ١٢٣هـ)/ ٩٦/ ط. دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

خاصا بتلك الهجرة أسماه (باب الهجرة إلى الحبشة)، وأن قريشا لم يكن لها دور في ذلك إلا أنها ضيقت على المسلمين في مكة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم على إنكار دور سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وتضخيم ابن اسحاق له:

يبين الدكتور إبراهيم عوض الهجرة إلى الحبشة لم تنحصر في شخص سيدنا جعفر بن أبي طالب وذلك من خلال النقاط التالية:

لم يحصر ابن إسحاق الفضل في جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وحده، "وإنما تحدث جعفر بن أبي طالب بما اتفق عليه جميع المهاجرين، حيث لم يحصره في الموقف الذي وقفه أمام النجاشي ولا في الشرح الذي قام به لعقيدة الإسلام ومبادئه، بل عَمَّ به المسلمين المهاجرين جميعا، إذ ذكر أنهم... قد اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن وكل ما انفرد به جعفر هو أنه قد تحدث باسمهم فذكر ما اتفق الجميع عليه لا ما طرأ على خاطره وحده"(١).

لم يذكر ابن إسحاق أن جعفرا رضي الله عنه دعا النجاشي إلى الإسلام حتى ينسب له ابن إسحاق الفضل، "وأيا ما يكن الحال فإن ابن إسحاق لم يذكر أن جعفرا قد دعا النجاشي إلى الإسلام ولا فكر في ذلك ولا خطر له ببال، وإنما الذي حدث أن ما اتفق المسلمون هناك على أن يبلغه إياه جعفر قد وقع من نفس ذلك الملك موقعا حسنا، فآمن به وبالنبي الذي أنزل عليه"(٢).

فأين محاولة ابن إسحاق التضخيم من شأن جعفر هنا على حساب سائر المهاجرين؟(٣).

ويطيب للباحث هنا أن يذكر نص الرواية التي ذكرها ابن هشام ليؤكد على ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض، والتي تذكر تتابع الأحداث بين النجاشي والمسلمين المهاجرين إلى الحبشة.

يقول ابن هشام: " ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا: نقول: والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم، فقال لهم ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا (به) ديني، ولا في دين

---

(١)إبطال القنبلة النووية ـ إبراهيم عوض/ ٧٩، ٨٠.

(٢) إبطال القنبلة النووية/ ٨٠/ بالمعنى عن سيرة ابن هشام/ ١/ ٣٣٥.

(٣) المرجع السابق/ ٨٠.

أحد من هذه الملل؟ قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه)، فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – قالت فعدد عليه أمور الإسلام – ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت فقال له جعفر نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي قالت فقرأ عليه صدرا من { كهيعص } قالت، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال (لهم) النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا.

قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم. قالت فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا نفعل فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد. قالت ثم غدا عليه (من) الغد فقال (له): أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، قالت فأرسل إليهم ليسألهم عنه، قالت ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن، قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيناﷺ (يقول): هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي – والشيوم الآمنون – من

سبكم غرم. ما أحب أن لي دبرا من ذهب وأني آذيت رجلا منكم – قال ابن هشام: ويقال دبرا من ذهب ويقال فأنتم سيوم والدبر (بلسان الحبشة): الجبل – ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار"(١).

لم تقتصر الأدوار الهامة للمسلمين في الحبشة على الحوار الذي دار بين جعفر والنجاشي رضي الله عنهما، وإنما كان هناك دور للزبير ﷺ لا يقل أهمية عن دور جعفر قد ذكره ابن إسحاق " إذ كلف المسلمون الزبير بن العوام، وكان من أصغرهم سنا، أن يربط قربة في صدره ويعوم بها إلى الشط الثاني حيث تدور المعارك بين النجاشي والثائرين حتى يعرف من الفائز منهما"(٢).

ولا شك أنها مخاطرة عظيمة تلك التي أقدم عليها الزبير، الذي لم يكن يعرف السباحة فيما هو واضح من القصة، والذي كان من يمكن أن يثير الشبهات عند المتحاربين ويتعرض من ثم للهلاك، ومع هذا فقد جعل ابن إسحاق من الزبير بطلها ولم يجعله جعفرا، فما القول في هذا؟(٣).

ومهما يكن من أمر فإنه يتبين أن ابن إسحاق لم يحصر الفضل في جعفرﷺ، وإنما كان ينقل الأحداث كما وصلت إليه بدليل أنه لم يغفل دور الزبير ﷺ، ولو أراد أن يحصر الفضل في جعفر لتفنن في إظهار براعته في دعوة النجاشي وقومه إلى الإسلام، ولكنه لم يذكر ذلك.

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث ما يلي:

أشار الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– أن رواية ابن إسحاق لهجرة المسلمين إلى الحبشة رواية صحيحة، وأن السابقين على ابن اسحاق واللاحقين له من كتاب السيرة النبوية أشاروا إلى تلك الهجرة وتقبلها المسلمون بقبول حسن، ولم يعترضوا عليها، بل واعترف بها المستشرقون كذلك.

بين الدكتور أن النبي ﷺ هو الذي أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، كما تشهد بذلك النصوص في كتب السنة والسيرة، ولم تنفهم قريش كما يدعي الدكتور مراد

أوضح –فضيلته– أن الحوار الذي دار بين جعفر ﷺ والنجاشي ﷺ صحيح.

---

(١) سيرة بن هشام/ ١/ ٣٣٥، ٣٣٨بتصرف

(٢)المرجع السابق/ ٣٣٨

(٣)إبطال القنبلة النووية ـ د إبراهيم عوض/ ٨٠، ٨١

أكد –فضيلته– أن ابن إسحاق لم يضخم جعفرا كما يدعي الدكتور مراد لأنه من بني هاشم، وإنما قصر دور جعفر ﷺ على نقل ما اتفق عليه المسلمون للنجاشي، كما أنه ذكر دور الزبير ﷺ في هذه الهجرة وهو لا يقل أهمية عن دور جعفر ﷺ.

ولقد كان الدكتور إبراهيم عوض موفقا إلى حد كبير في هذه الردود، وإن فاته في بعضها الاستشهاد على ماذكر من كتب السنة النبويه والسيرةالنبوية كذلك.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على أي دليل صحيح من عقل أو نقل أو منطق.

المطلب الثاني

شبهة إنكار رحلة الطائف والرد عليها:

بعد أن توفي أبو طالب عم النبي ﷺ وتوفيت زوجه خديجة رضي الله عنها، نالت قريش من النبي ﷺ وواجه النبي ﷺ مرحلة صعبة في حياة الدعوة، فحاول ﷺ أن يجد مكانا آمنا لنشر دعوته، فوجه عينيه صوب الطائف، فخرج ﷺ إليها لعله يجد من ينصره ويعزره، والرحلة ثابتة بكتب السير والمحدثين، لكنّ الأعمى يكفّ بصره عن هذا، وينفي وقوع تلك الرحلة مستندا إلى خيالات أفرزها عقل مريض، وهاك ما استند عليه.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن الدكتور محمود على مراد يُكذِّب ابن إسحاق في نقله رواية رحلة النبي ﷺ إلى الطائف فيقول: "كيف أقدم عليها وحده رغم أنه كان معرضا للأذى والخطر من جانب قريش على مدى تلك المسافة الطويلة بين مكة والطائف؟، وكيف يؤمن به عداس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة لمجرد أنه ﷺ كان يعرف النبي يونس ﷺ ؟"(١).

وبهذا فإن الدكتور مراد يشكك في كل موقف من مواقف رحلة النبي ﷺ إلى الطائف بطريقة عقلية دون أن يسوق أي دليل على ما ذهب إليه.

ثانيا: الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال عدم اتباع المنهج العلمي في تناولها.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على التشكيك في ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف وحده.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على التشكيك في إيمان عداس بالنبي ﷺ.

---

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ٩٨/ مرجع سابق ـ ترجمة لـ la biographie du prophete, p.291.

وفيما يلى بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال عدم اتباع المنهج العلمي في تناولها:

ينطلق الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ في هذا البند من خلال إبطال القاعدة الأساسية التي يبني عليها المخالف منهجه، الذي يقوم على التشكيك دون تقديم الدليل، فيقول:

"وقبل أن أدخل في تفصيلات الرد على كلام الأستاذ الدكتور لا بد من لفت النظر إلى أن منهجه التشكيكي الذي يهدف إلى زعزعة الثقة في كل شيء على هذا النحو ليس من المنهج العلمي في شيء، وإلا فما أسهل أن ينطلق أي إنسان في عناد فيعلن ارتيابه في جميع الأشياء والأشخاص!..، والمهم أن تكون هناك أسباب للشك وجيهة.

ويتساءل فضيلته عن الأسباب التي يمكن أن تدفع ابن إسحاق لتأليف رحلة الطائف فيقول: " أما بالنسبة للشك في رحلة الطائف فإننا نتساءل لم يا ترى اخترعها ابن اسحاق؟ إنه ليس هناك في الواقع من سبب لهذا إلا إذا قلنا إن الرجل كان يتنفس الكذب تنفسا وكان التزييف يجري في دمه فلا يستطيع أبدا أن يقول كلمة صدق، فهل كان ابن إسحاق هكذا!"(١).

ويؤكد أن عدم اعتراض المعاصرين له من التابعين، والعلماء من بعدهم على تلك الرحلة، يدل على صدقه في نقلها فيقول: " ولنفترض أنه كان كذَّابا مزيِفا كما يريدنا الأستاذ المؤلف أن نقتنع، فهل كان المسلمون المعاصرون له، وبخاصة الذين أسند إليهم هذه الأكاذيب، وكذلك من أتو بعدهم من العلماء هم أيضا كذابين إلى أن ظهر الدكتور مراد، فكان هو الوحيد الذي تنبه إلى هذه الأكذوبة الكبرى، أكذوبة السيرة التي كتبها ابن اسحاق، أو على الأقل كان هو الوحيد الذي لديه الشجاعة للصدع بكلمة الحق بشأنها"(٢).

ويضيف الباحث إلى ما سبق رأي علماء الجرح والتعديل في ابن إسحاق، حيث إنهم شهدوا له بغزارة العلم، وعَدُّوهُ من الثقات الذين ينقل عنهم خاصة في مجال التاريخ والسير، فقد شهد له بغزارة العلم والسبق في التدوين الإمام الذهبى، جاء في سير أعلام النبلاء "محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كُوثان العلامة الحافظ الإخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، وكان جده يسار من سبي عين التمر، في دولة خليفة رسول الله ﷺ، وكان مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ﷺ.

---

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ٩٨،٩٩

(٢) المرجع السابق/ ٩٩

ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب، وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرا عجاجا"(١).

وشهد ابن سعد بأنه من الثقات، وأن كبار التابعين رووا عنه فقال: " وكان محمد ثقة وقد روى الناس عنه روى عنه الثوري وشعبة وسفيان بن عيينة ويزيد بن زريع وإبراهيم بن سعد وإسماعيل بن علية ويزيد بن هارون ويعلى ومحمد ابنا عبيد وعبد الله بن نمير وغيرهم ومن الناس من تكلم فيه وكان خرج من المدينة قديما فأتى الكوفة والجزيرة والري، وبغداد فأقام بها حتى مات في سنى إحدى وخمسين ومائة ودفن في مقابر الخيزران"(٢).

وجمع الإمام الرازي العديد من أقوال المحدثين فيه، وقد شهدوا له بالعلم وأنه ممن يؤخذ عنه خاصة في السير فقال: " محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة القرشي أبو بكر صاحب المغازي رأى أنس بن مالك فيما ذكر...

وعن على يعنى ابن المديني قال سمعت سفيان بن عيينة يقول رأيت ابن إسحاق والهذلى معه فحدث ابن إسحاق وهو شاب فقال الهذلي حين قام قال ابن شهاب لا يزال بالمدينة علم ما بقي هذا بها يعنى ابن إسحاق.

وعن فياض بن محمد الرقى قال سمعت ابن أبى ذئب يقول: كنا عند الزهري فنظر إلى محمد بن إسحاق مقبلا فقال الزهري لا يزال بالحجاز علم كثير مادام هذا الأحول بين أظهرهم،...

وعن عباس بن محمد الدوري قال سمعت أحمد بن حنبل وذكر محمد ابن إسحاق فقال إمام في المغازي وأشباهه"(٣).

ومما سبق يتبين أن ابن اسحاق ـ رحمه الله ـ ثقة ثبت إمام المحدثين في المغازي والسير.

رد الدكتور إبراهيم عوض على التشكيك في ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف وحده:

وفي هذا البند ينطلق الدكتور إبراهيم عوض من المنطق العقلي والفكري معا، ويقرر أن جهلنا بشيء لا يعني عدم وقوعه، فيقول: " أما عن سؤال الأستاذ المؤلف كيف أقدم النبي على

---

(١) سير أعلام النبلاء/ ٧/ ٣٣- ٣٥بتصرف/ ط. مؤسسة الرسالة بيروت ـ ط(٩) ـ ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

(٢) الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري/ ٧/ ٣٢١/ دار صادر – بيروت.بدون تاريخ.

(٣) الجرح والتعديل ـ الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى ٣٢٧ هـ)/ ٧/ ١٩١ ـ ١٩٣/ ط.دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط(١)ـ ١٢٧١ هـ ـ ١٩٥٢م.

رحلة الطائف وحده رغم أنه كان معرضا للأذى والخطر من جانب الكفار على مدى تلك المسافة الطويلة بين مكة والطائف، فرغم أن ابن اسحاق لم يذكر لنا تفاصيل الطريق فإن ذلك لا يصلح أبدا أن يكون مرتكزا للشك في الرحلة كلها، فإن جهلنا بكيفية حدوث شيء ما لا يعني أن ذلك الشيء لم يقع"(١).

ثم إنه ينطلق منطلقا آخر من خلال الافتراضات العقلية العديدة لكيفية خروج النبي ﷺ من مكة إلى الطائف فيقول: " ومع ذلك فمن الممكن أن يكون الرسول قد خرج من مكة في وضح النهار وتعرض للسخر والتهكم أو ربما وقع عليه بعض الأذى البدني كما يحدث له في كثير من الأحيان في داخل مكة نفسها، وقد تكون قريش تركته يخرج ظنا منها أنها فرصة للتخلص منه، ومن الممكن جدا أن تكون قريش حين رأت الرسول يخرج من مكة، قد علمت على هذا النحو أو ذاك أنه متوجه إلى الطائف، فسبقته وأرسلت إلى بعض من تعرفهم من الحمقى قساة القلوب هناك أن يستقبلوه هذا الاستقبال اللاإنساني"(٢).

كما يوضح أن الدكتور مراد نفسه اعترف ضمنيا بما عرضه بحيرة بن فراس على النبي ﷺ من الخروج معه إلى قومه، ونصرته، وما يمكن أن يحصل عليه بحيرة من المكاسب إن أعانه على أهل قريش وأتباعها، وهو أشد على قريش من خروجه ﷺ إلى الطائف، فلماذا لم يعترف بخروج النبي ﷺ إلى الطائف فيقول في هذا: " والدكتور نفسه قد قال شيئا كهذا عندما اعترض على ما قاله ابن إسحاق بشأن ما عرضه أحد العرب من بني عامر (هو بحيرة بن فراس)(٣) من الذهاب معه إلى بلاده، والدخول في حمايته، ورغبة ذلك الرجل في التثبت من المكاسب التي ستعود عليه وعلى قومه من جراء هذه الحماية التي ستجلب عليهم عداوة قريش..."(٤).

وعندما يتأمل الباحث فيما ذكره الدكتور إبراهيم عوض في هذا العنصر يجد أنه يقوم على افتراضات واستدلالات عقلية تحتاج إلى تأييدها بعرض القصة نفسها وثبوتها في كتب السنة والتاريخ والسير، ولعل فضيلته لم يتطرق إلى ذلك لاشتهار القصة في معظم كتب السيرة النبوية.

فأما بالنسبة لكتب السنة فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ

---

(١)إبطال القنبلة النووية/ ٩٩.

(٢)المرجع السابق/ ٩٩- ١٠٢بتصرف.

(٣)سيرة بن هشام/ ١/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٤)إبطال القنبلة النووية/ ١٠٠ - ترجمة لـla biographie du prophete, p.296.

مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "(١)

وأما بالنسبة لكتب السيرة فسينقل الباحث الرواية من كتاب (سبل الهدى والرشاد) ويشير إلى مواضعها في كتب أخرى لأنها مروية في هذا الكتاب عن ابن إسحاق وموسى بن عقبة(٢)، بينما تروى في معظم الكتب الأخرى نقلا عن ابن إسحاق، لاسيما أن موسي بن عقبة كان معاصرا لابن إسحاق، بل توفي قبله.

وها هي الرواية يضعها الباحث بين يدي القارئ ليطمئن قلبه، ويحكم بنفسه على بطلان ما أثاره الدكتور مراد "قال موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما: ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنال منه في حياته خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وحده ماشيا.

وفي رواية أن زيد بن حارثة كان معه، في ليال من شوال سنة عشر يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن قدامة بن جمح، وهي أم صفوان بن أمية.

فجلس إليهم رسول الله ﷺ، وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه.

---

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (باب ما لقي النبيﷺ من أذى المشركين والمنافقين) برقم (١٧٩٤)/ ١٢/ ٤٧٩.

(٢) موسى بن عقبة بن أبي عياش أبو محمد مولى الزبير بن العوام المدني، أخرج البخاري في الوضوء والدعوات وغير موضع عن يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن جريج وابن المبارك عنه عن أم خالد بنت خالد، وقال موسى ولم أسمع أحدا سمع من النبي ﷺ غير أم خالد وعن سالم بن عبد الله بن عمر ونافع وكريب وغيرهم، قال عمرو بن علي مات سنة إحدى وأربعين ومائة، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي عن موسى بن عقبة فقال ثقة وله أخوان إبراهيم ومحمد، وموسى أوثقهم قال بن الجنيد وسئل بن معين عنه فقال ثقة" التعديل والتجريح/ ٢/ ٧٧٨.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك!

وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.

وقد قال لهم: إذ فعلتم فاكتموا علي، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه.

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال ابن عقبة: وقفوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه.

زاد سليمان التيمي: أنه ﷺ كان إذا أذلقته الحجارة يقعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجموه بالحجارة وهم يضحكون.

وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا.

قال ابن عقبة: فخلص منهم ورجلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل في ظل حبلة(١) منه وهو مكروب موجع وإذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره كأنهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله ﷺ، فلما اطمأن في ظل الحبلة قال ما سيأتي.

وروى الطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر – رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم أتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبال ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)(٢).

ومما سبق يتبين أن رحلة الطائف ذكرت في العديد من كتب السيرة، وذكرها موسى بن عقبة

---

(١) كَرْمة

(٢) سبل الهدى والرشاد (الباب الحادي والثلاثون في سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف) محمد بن يوسف الصالحي الشامي/ ٢/ ٤٣٨، ٤٣٩، عيون الأثر/ ١/ ١٧٥، زاد المعاد/ ١/ ٩٤.

وهو من معاصري ابن إسحاق ولم ينقلها عنه، فمن أين أتى بها إن لم تكن صحيحة؟، وليس من المعقول أن يتواطأ كل هؤلاء العلماء والكتاب على الكذب، أو نقل ما لم يثقوا به، ومن ثَمَّ فإن ما ادعاه الدكتور مراد لا وزن له ولا يعتد به.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على التشكيك في إيمان عداس بالنبي ﷺ.

يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن الناس يتفاوتون في استجابتهم لما يعرض عليهم، وأن عداسا ﷺ كان من المسارعين للدخول في الإسلام فيقول: " أما فيما يخص عداسا فليس في الأمر أية مشكلة، فالناس متفاوتون في استجابتهم لما يعرض عليهم من دعوات جديدة، منهم الذي يسارع إلى الدخول فيها، ومنهم الذي يتأنى، ومنهم الذي يتردد، ومنهم الذي يحاربها في البداية، ثم ينتهي أمره إلى التسليم بها والدفاع عنها بنفس الحرارة التي كان يحاربها بها أولا، ومنهم الذي يدخل فيها بعد عناد ولكنه لا يتحمس هذا التحمس، ومنهم الذي يظل طول عمره معاديا لها ثم يموت وهو لا يزال يحاربها ويصد عنها...، والذين أسلموا في بداية الدعوة المبكرة هم من الصنف الأول، فما وجه المشكلة أن يكون عداس منهم؟"(١)

ثم يبين فضيلته بأن إسلام عداس لم يكن بسبب معرفة النبي ﷺ لسيدنا يونس ﷺ فقط، وإنما لفت نظره قبل ذلك تسمية النبي ﷺ قبل أن يأكل فيقول: " على أن الأمر في قصة عداس لا ينحصر في أن الرسول كان يعرف النبي يونس بن متى...، بل لفت انتباه عداس أيضا أن الرسول ﷺ لم يبدأ الأكل من قطف العنب...إلا بعد ذكر اسم الله تعالى عليه، وهو ما عجب له عداس أشد العجب.. لأنه يخالف عقائد الوثنيين وتقاليدهم في أكلهم"(٢).

كما يضيف أيضا ـ حفظه الله ـ فيقول:" ولقد كانت الظروف التي جمعته بالنبي ﷺ كفيلة بأن ترقق قلبه وتفتح عقله وضميره...، وربما سمعه حين التجأ إلى البستان وهو يناجي ربه تلك المناجاة التي تفتت قلب الحجر رحمة وحنانا " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي...إلخ، أفيكون غريبا أن يهش عداس لذلك الإنسان ويبدي ابتهاجه بتلك المصادفة السعيدة "(٣).

ومما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض كذلك تتابع الأحداث المروية في تلك الرحلة، فإذا ما تأثر ابنا ربيعة بما حل بالنبي ﷺ وهما من أعدائه، فما بالنا بعداس وليس من أعدائه وهذا ما تؤيده الرواية التالية، وفيها: " فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما

---

(١)ابطال القنبلة النووية ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٠٠،١٠١ .

(٢) إبطال القنبلة النووية ـ د/ إبراهيم عوض/ ١٠١.

(٣) المرجع السابق ١٠١،١٠٢باختصار.

لهما يقال له عداس فقالا له: خذ له هذا القطف من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه.

ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله.

ثم أكل فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله ﷺ: ومن أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال: نصراني وأنا من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.

قال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت منها – يعني من أهل نينوى – وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متى، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمي وفي أمة أمية؟

قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

قال: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

وقال عداس لسيديه لما أرادا الخروج إلى بدر وأمراه بالخروج معهما، فقال لهما: قتال ذلك الرجل الذي رأيت في حائطكما تريدان؟ فو الله ما تقوم له الجبال.

فقالا: ويحك يا عداس قد سحرك بلسانه فانصرف رسول الله ﷺ عنهم وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة.

وقال خالد العدواني(١):،" إِنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرِقِ ثَقِيفٍ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَوْسٍ، أَوْ عَصا حِينَ أَتَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدَهُمُ النَّصْرَ، قَالَ: " فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ حَتَّى خَتَمَهَا "، قَالَ: فَوَعَيْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا مُشْرِكٌ، ثُمَّ قَرَأْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَدَعَتْنِي ثَقِيفٌ

---

(١) هو خالد بن أبي جبل، وفي رواية: جيْل، والأول أرجح، عدواني– بمهملتين– قنا: في "اللسان" بالتسكين، وهو الأرجح– طائفي، سكن الطائف، يقال: إنه بايع تحت الشجرة، وله حديثٌ واحد./ الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر– / ٢/ ٢٢٨/ دار الجيل – بيروت– الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

فَقَالُوا: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ أَعْلَمُ بِصَاحِبِنَا، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا يَقُولُ حَقّا لَاتَّبَعْنَاهُ(١)"(٢).

وجملة القول أن عداسا ﷺ لم يؤمن بالنبي ﷺ من أول لقاء لمجرد أن النبي ﷺ أخبره عن نبي الله يونس عليه السلام، وإنما ساعد في إيمان عداس ﷺ كذلك أن النبي ﷺ بدأ طعامه بالتسمية وهذا غير معروف عند الوثنيين، بالإضافة إلى الحالة التي كان عليها النبي ﷺ.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– أن مثير الشبهة لم يتبع منهجا علميا في إيراد شبهته، وإنما يعتمد على التشكيك في كل شيء دون أي دليل.

أوضح الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– أن رحلة النبي ﷺ إلى الطائف ثابتة في معظم كتب السنة ومرويات السيرة عند المعاصرين لابن اسحاق قبل الناقلين عنه.

أشار ـ فضيلته– إلى أن عداسا ﷺ آمن بالنبي ﷺ أول ما عرض عليه الإسلام لأن النبي ﷺ أخبره عن نبي الله يونس عليه السلام، وقد كان عداس على يقين بأنه لا يوجد أحد من أهل هذه البلاد يعرف نبي الله يونس عليه السلام، وأن عددا قليلا جدا كان يعرفه في نينوى، فعلم بصدق ﷺ في دعوته، كما أنه لاحظ اختلاف سلوك النبي ﷺ عند أكله عن سلوك أهل هذه البلاد، بالإضافة إلى تأثره بما حدث للنبي من أهل الطائف.

وبهذا نوع الدكتور إبراهيم في الرد على هذه الشبهة بين الاستدلال بالخروج عن المنهج العلمي والاستشهاد بالسيرة النبوية والافتراضات المنطقية، ولكن فاته الاستشهاد بنص بعض الأحداث بدلا من الإشارة إليها.

وكان من الممكن أن يضيف إلى الردود السابقة رأي العلماء في ابن إسحاق وأنه من الثقات اللذين نقل عنهم أئمة المسلمين في عصره ومن بعده، بل شهدوا بأنه إمام المحدثين في المغازي والسير.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في باب (حديث خالد العدواني) برقم ١٨٩٧٨/ ٤/ ٣٣٥. إسناده صحيح على شرط ابن حبان إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ـ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري/ ١/ ٢٤٧/ دار الوطن – الرياض ـ الطبعة: الأولى– ١٤٢٠ هـ– ١٩٩٩ م

(٢) سبل الهدى والرشاد (الباب الحادي والثلاثون في سفر النبي ﷺ إلى الطائف)/ ٢/ ٤٤٠ .

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تستند إلى دليل صحيح.

المطلب الثالث

شبهة إنكار بيعة العقبة الثانية والرد عليها:

بايع نفر من الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى على التوحيد وترك الفواحش وعدم المعصية في معروف، وهي المشهورة ببيعة النساء، ثم أعقبها بيعة العقبة الثانية، وهي البيعة على الحرب، وكانت تلك البيعة بمثابة بداية فتح ونصر من الله لهذا الدين العظيم وتمكين لأهله وتأسيس دولته، من أجل ذلك وجد من ينكر تلك البيعة ويشكك في وقوعها، ليشوه أهميتها في تحقيق التمكين للمسلمين.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن الدكتور مراد ينكر بيعة العقبة الثانية من خلال إنكار مكية سورة الحج فيقول: " وفي بيعة العقبة الثانية نسمع نفس النغمة التشكيكية، فالأستاذ الدكتور ينكر إنكارا باتا أن يكون قوله: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" (الحج: ٣٩) قد نزل في مكة لأن سورة الحج كما يقول سورة مدنية.

وهو يبغي من وراء ذلك إنكار حدوث هذه البيعة من أصلها، إذ يقول: " إن الإسلام كان معروفا في المدينة قبل بيعتي العقبة عن طريق المكيين الذين يترددون على يثرب للتجارة أو لزيارة الأقارب، أو عن طرق اليثربيين الذين يفدون إلى مكة لهذين الغرضين أو لغرض الحج، أو عن طريق القبائل الأخرى التي تقدم إلى المدينة وعندها علم بالإسلام، وإن بعض أهل المدينة دخلوا من ثم في الإسلام الذي لقي مقاومة أعنف في يثرب سواء من جانب المشركين أو من جانب اليهود، وإن التعذيب قد ظل يمارس لسنوات طويلة فيها، ثم أخذ التجار المكيون المسلمون يتوافدون إليها، ثم أرسل الرسول ﷺ بعض مبعوثيه كمصعب بن عمير للمراقبة والإشراف، ثم هاجر هو بعد ذلك عندما أصبح الوضع في مكة لا يطاق"(١).

ثم يبين فضيلته سبب اتهام الدكتور مراد لابن إسحاق باختراع هذه البيعة، وإن كان لا يستبعد أن يكون النبي ﷺ قد التقى ببعض أهل يثرب فيقول: " ولكن لماذا اخترع ابن إسحاق بيعة العقبة الثانية؟ يجيب الدكتور مراد بأنه قد أراد أن يعادل بها بيعة الرضوان التي تمت بين المسلمين

---

(١) إبطال القنبلة النووية ـ د/ إبراهيم عوض/١١٠ ترجمة للنص الفرنسي la biographie du prophete, p.314 315 319 383 384

ونبيهم إثر سريان الشائعات بمقتل عثمان على أيدي كفار مكة حين أرسله الرسول ﷺ إليهم ليفاوضهم في أمر دخول المسلمين مكة لتأدية العمرة تلك البيعة التي يقول أيا من الأسماء المدنية المذكورة في بيعة العقبة الثانية لم تظهر فيها.

وهو مع ذلك كله لا يستبعد أن يكون قد تم لقاء بين النبي ﷺ وبعض اليثربيين في العقبة، لكنه كان لقاء عاديا عبر فيه مسلموا يثرب هؤلاء عن فرحتهم برؤية نبيهم وأخذوا يسألونه عن بعض أمور الدين وما إلى ذلك، ولا شيء غير هذا"(١).

ويضيف أن الدكتور مراد يرى أن هجرة المسلمين إلى المدينة كانت نفيا لهم من قبل قريش، وأن لفظ الهجرة لم ينسب إلى النبي ﷺ فيقول: " وأخيرا فإنه يرى أن هجرته ﷺ إلى يثرب لم تكن لها أية صلة ببيعة الحرب المزعومة، فالهجرة عنده لم تكن أمرا اختياريا، بل المشركون هم الذين نفوا الرسول والمسلمين وأخرجوهم من وطنهم إخراجا كما يدل على ذلك قوله تعالى: "وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّة مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ" (محمد: ١٣)، وقوله تعالى: "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ" (الحج: ٤٠) ، وهو يضيف قائلا إن لفظ الهجرة لم يسند قط إلى الرسول في القرآن.

وإن الآية الثلاثين من سورة الأنفال "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" لا تذكر إلا أشياء ثلاثة الإثبات (أي الحبس) أو القتل أو الإخراج وما داموا لم يقتلوه أو يحبسوه فليس غير الإخراج.... كما أن قوله تعالى:"وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" (يس: ٩)" التي يقول ابن اسحاق إنه ﷺ قد تلاها عند خروجه من بيته ليلة مغادرته مكة.... إنما نزلت قبل ذلك بوقت طويل، فضلا عن أنها جاءت في سورتها في سياق الكلام عن البعث، ومن ثم فلا صلة لها بالهجرة من قريب أو بعيد"(٢).

وعلى هذا فالشبهة تتلخص فيما يلي:

الاستدلال بمدنية سورة الحج وآية القتال على إنكار بيعة العقبة.

اختراع ابن اسحاق لبيعة العقبة الثانية.

---

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ١١١،١١ ترجمة la biographie du prophete,p 348:353 بتصرف.

(٢) المرجع السابق/ ١١٢،١١١ ترجمة la biographie du prophete,p358:359,360,370:378.

إنكار هجرة المسلمين إلى المدينة والقول بأنها نفي وإخراج.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض من خلال ترجيح مكية سورة الحج.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على اختراع ابن إسحاق لبيعة العقبة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على نفي المسلمين إلى المدينة.

وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض من خلال ترجيح مكية سورة الحج:

يستدل الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ على مكية سورة الحج بما يلي:

اشتمالها على سمات القرآن المكي: يقول –حفظه الله– : " ونبدأ بسورة الحج هل هي مكية أو مدنية والمؤلف يعتمد في تصنيفها ضمن الوحي المكي على بلاشير، والواقع أن الغالب بين علماء القرآن فعلا على هذا الرأي (أنها مدنية)، لكني لست مقتنعا به، فسمات القرآن المكي غالبة على السورة كالرد على مجادلة الكفار، وتسفيه عبادتهم للأصنام، والإشارة إلى سطوتهم بالمؤمنين واستعجالهم بالعذاب وإلقاء الشيطان في أمنية النبي وتكذيب الأمم السابقة، وخلوها خلوا تاما تقريبا من الآيات الطويلة" (١).

أن السورة الكريمة فيها عدد كبير من الخصائص الأسلوبية التي يتميز بها القرآن المكي: " ففي السورة عدد من الخصائص الأسلوبية التي تميز الوحي المكي فكلمة الساعة (بالألف واللام بمعنى (القيامة) قد وردت في غير سور الحج سبعا وثلاثين مرة، منها أربع وثلاثون في القرآن المكي وثلاثة فقط في القرآن (المدني).

كما أن عبارة أفلم يسيروا في الأرض...؟ "قد تكررت في القرآن ست مرات كلها في الوحي المكي، ومثلها عبارة "نذير مبين" التي أتت في القرآن عشر مرات كلها في مكة، وكذلك عبارة "أرسلنا... (من) قبلك"، إذ نقابلها في القرآن في خمسة عشر موضعا كلها مكية.

أما وصف الله بأنه الحق فالغالب أنه مكي، إذ نجده ست مرات في الوحي المكي ومرة واحدة في المدني.

ويشبهه في ذلك ضرب "المثل" (بإفراد كلمة "مَثَل") "يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَه"

---

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ١١٣.

(الحج:٧٣)، فقد تكرر في القرآن المكي تسع مرات على حين لم يأت في المدني إلا مرتين وهكذا.

ومع ذلك ففي السورة بعض الآيات التي يغلب على ظني أن تكون قد نزلت في المدينة كالآيات التي تتحدث عن الحج والصد عن المسجد الحرام. وقد وجدت الأستاذ دروزة يعد السورة هو أيضا مكية

السورة إذن في معظمها مكية، وعلى ذلك فلا ينبغي الاعتماد عليها في إثبات مدنية الآية التي تأذن للمسلمين بالقتال"(١).

أن آية الإذن بالقتال قد تكون نزلت بمناسبة بيعة العقبة الثانية: وقد تكون قد نزلت بعد مغادرة النبي ﷺ لمكة، يقول– حفظه الله– : " يمكن أن تكون هذه الآية إحدى الآيات التي نزلت ربما بعد مغادرة النبي مكة؟ من الممكن هذا ومن الممكن أيضا أن تكون نزلت بمكة بمناسبة بيعة العقبة الثانية ويكون استخدام الفعل الماضي في قوله تعالى: "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا" (الحج: ٤٠) إشارة إلى هجرتي الحبشة، أو للتأكيد على وقوع الهجرة إلى المدينة في المستقبل، مثل استخدامه في قوله عز شأنه "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ" (القمر: ١).

وقد يعضد هذا التفسير قوله تعالى عن أولئك المظلومين المأذون لهم بالقتال في آية "الحج" المذكورة آنفا "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" (الحج: ٤١)، فاستخدام الجملة الشرطية هنا معناه أن الله لم يكن قد مُكن لهم في الأرض بعد، أي أنهم كانوا لا يزالون في مكة، لأن التمكين في الأرض إنما كان في المدينة حين أمِن المسلمون، وتحرروا من الاضطهاد والتعذيب، وأصبحت لهم دولة، وأضحى بإمكانهم الرد على القوة بالقوة"(٢).

ـ ويؤكد هذا الفهم أن تطبيق الأمر قد لا يكون واجبا بمجرد نزول الإذن به فيقول:" وحتى لو قلنا إنها مدنية فلا يعني هذا أنه لم تكن هناك بيعة حرب بين النبي ﷺ وبين اليثربيين المسلمين إذ من قال أن القرآن لابد أن ينص على كل شيء، أو إذا نص أن يكون ذلك قبل وقوعه؟، وكذلك ليس شرطا أن يكون هذا الشيء واجب التنفيذ بمجرد نزول الأمر أو الإذن به ذلك أن الدكتور(مراد) يقول: إذا كان الإذن قد نزل للمسلمين بقتال المشركين فلم لم نسمع أنهم وضعوا

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ١١٣، ١١٤.

(٢) إبطال القنبلة النووية/ ١١٤، ١١٥.

هذا الإذن موضع التطبيق؟ "(١).

وإزاء هذا الفهم لا يمكن تفويت أقوال المفسرين والنطر فيها، لا سيما وأنهم المنوط بهم إزالة مثل تلك الاشتباكات الواقعة في الخلاف بين كون السورة أو الآية مكية أو مدنية.

يقول الإمام السيوطي " أخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: لما خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن القوم فنزلت {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا} الآية

وكان ابن عباس يقرأها {أذن} قال أبو بكر: فعلمت أنه سيكون قتال

قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: خرج ناس مؤمنون مهاجرين من مكة إلى المدينة فاتبعهم كفار قريش فأذن لهم في قتالهم فأنزل الله {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا} الآية فقاتلوهم

وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير أن أول آية أنزلت في القتال حين ابتلي المسلمون بمكة وسطت بهم عشائرهم ليفتنوهم عن الإسلام وأخرجوهم من ديارهم وتظاهروا عليهم فأنزل الله {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا} الآية

وذلك حين أذن الله لرسوله بالخروج وأذن لهم بالقتال

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله {أذن للذين يقاتلون} قال: أذن لهم في قتالهم بعدما عفى عنهم عشر سنين.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله {أذن للذين يقاتلون} قال النبي: ﷺ وأصحابه {بأنهم ظلموا} يعني ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم من ديارهم"(٢)

ويقول الإمام الزمخشري: "... { بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ} أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: "اصبروا فإني لم أومر بالقتال"، حتى هاجر فأنزلت هذه الآية،

---

(١) المرجع السابق/ ١١٥.

(٢) الدر المنثور – السيوطي/ ٤/ ٣٦٣/ ٣٦٤ بتصرف.

وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية، وقيل: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين، فاعترضهم مشركو مكة، فأذن لهم في مقاتلتهم، والإخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة"(١).

ويبدو للباحث من خلال ما سبق أن سورة الحج في معظمها مكية، وأن فيها بعض الآيات المدنية، وأن آية الإذن بالقتال نزلت عند هجرة النبي ﷺ، أو بعد هجرته مباشرة على الأرجح، لكن هذا لا يمنع من وقوع بيعة العقبة الثانية على النحو الثابت في كتب السيرة والسنة كما سيتضح بمشيئة الله تعالى.

رد الدكتور إبراهيم عوض على اختراع ابن إسحاق لبيعة العقبة:

يبين الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن ادعاء الدكتور مراد اختراع ابن إسحاق لبيعة العقبة الثانية ليعادل بيعة الرضوان لا دليل عليه فيقول: " إن المؤلف يشير إلى أن أحدا من المذكورين في العقبة الثانية لم يظهر اسمه في بيعة الرضوان، فأراد ابن إسحاق أن يخترع لهم بيعة تُذكر أسماؤهم فيها، وواحدة بواحدة!

ولكننا بدورنا نتساءل: ولِمَ لَمْ يذكر ابن إسحاق أسماء هؤلاء في بيعة الرضوان ويريح نفسه بدل هذا العناء؟

ألم تقل يا دكتورنا العزيز إن ابن إسحاق قد وضع نصب عينيه، وهو يكتب السيرة، أن يحقِّر من شأن قريش ويرفع من شأن الأنصار؟ فلماذا لم يضع أسماء أهل المدينة في غزوة الحديبية وصُلْحِها بدل أسماء أبي بكر وعمر وعثمان والمغيرة وابن عوف... رضوان الله عليهم جميعا"(٢).

ثم يوضح – فضيلته– أن الأسماء المذكورة نصا في بيعة الرضوان ليست أسماء كل من حضر البيعة، وإنما من دخل في الحوار أو الجدال مع الكفار فيقول: "وعلى أية حال فهذه الأسماء المكية ليست هي أسماء اللذين بايعوا الرسول بيعة الرضوان، بل أسماء من اشتبكوا مع الكفار في جدال أو ما أشبه، أما أصحاب البيعة فلم يذكر ابن اسحاق منهم رجلا واحدا.أي أن كل ما قاله الدكتور عراك في غير معترك!"(٣).

ثم يؤكد أن كثيرا من كتاب السير ممن ليس لهم علاقة بأهل المدينة ذكروا تلك البيعة فيقول: "ثم إن كلا من عروة بن الزبير (القرشي) وابن حزم (الذي لم تكن له صلة بالمدينة وأهلها)

---

(١) الكشاف ـ للزمخشري/ ٣/ ٣٤.

(٢) إبطال القنبلة النووية/ ١١٦.

(٣)المرجع نفسه والصفحة نفسها.

قد ذكر هذه البيعة، كما رأينا البخاري يسجلها في صحيحه، وهو من بخارى، ولم يحدث أن سكن المدينة"(١).

ويضيف الباحث إلى ما سبق نص رواية بيعة العقبة الثانية في كتب السنة:

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ(٢).

ومما سبق يتبين أن قصة بيعة العقبة الثانية ثابتة في كتب السنة والسيرة النبويتين، وأن هناك طرقا كثيرة كان يمكن لابن اسحاق أن يعادل بها فضلا لأهل المدينة مقابل فضل بيعة الرضوان لأهل مكة أيسر من أن يؤلف قصة بيعة العقبة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على نفي المسلمين إلى المدينة:

يوضح الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن هناك العديد من الآيات التي تدل على هجرة النبي ﷺ وأصحابه فيقول: " وصحيح أن لفظ "الهجرة" لم يسند إلى الرسول ﷺ في أي موضع من مواضع القرآن، لكن هذا مقصور على الإسناد المباشر، إذ إن في القرآن أيضا هذه الآية التي تخاطب النبي قائلة "يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ" (الأحزاب: ٥٠)، فالمعية هنا تدل على أن الرسول ﷺ هاجر وهاجرت معه قريباته أولئك.

أما بالنسبة للمسلمين فقد تكرر إسناد لفظ " الهجرة " لهم وهذا دليل على أنهم هاجروا ولم يخرجهم الكفار بالمعنى الحرفي، والآيات(٣) من هذا النوع كثيرة ومعروفة للقراء، ولا داعي

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(الإيمان) باب (عَلاَمَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ) برقم (١٨)/ ١/ ١٢.

(٣)مثل قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ " سورة الأنفال: آية ٧٢، قوله عزوجل "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " سورة التوبة: آية:١٠٠.

للاستشهاد بشيء منها"(١).

ثم يوضح –فضيلته– أن الآيات التي تتحدث عن إخراج النبي ﷺ وأصحابه يقصد بها المعنى المجازي، أي أن تعذيب الكفار لهم في مكة كان سببا في خروجهم وهجرتهم فيقول: " أما الآيات التي تتحدث عن "الإخراج" فهي تقصد المعنى المجازي، إذ إن الكفار، بتضييقهم على المسلمين في دينهم ودنياهم وإيذائهم لهم وتعذيبهم إياهم قد جعلوا عيشهم في مكة مستحيلا، وبات من الحتم التفكير في بلد آخر يتنفسون فيه هواء الحرية والأمن والكرامة فهاجروا إلى المدينة.

فهذا التضييق والتعذيب الذي ألجأهم إلى الخروج هو بمثابة الإخراج لهم وهو ما يسمى في البلاغة "مجازا مرسلا ". ومثله قوله سبحانه يخاطب رسوله عقب غزوة بدر "كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ" (الأنفال: ٥)، وقوله سبحانه وتعالى عن بني النضير :"هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ"(الحشر: ٢)، وقوله ﷻ محذرا آدم وحواء من إغواء إبليس "فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى" (طه: ١١٧)"(٢).

ويستدل على ما ذهب إليه بمطاردة قريش للنبي ﷺ وأبي بكر، واختبائهما في الغار، وأنها لو نفتهم لما طاردتهم فيقول: " ثم لو كانت قريش هي التي نفت الرسول ﷺ وأخرجته من دياره فكيف نفسر مطاردتها له هو والصديق واختباءهما منها في الغار لا يحميهما إلا الله سبحانه كما جاء في "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (التوبة: ٤٠)، وإن تسمية الآية لمغادرة الرسول مكة " إخراجا " لدليل على ما نقوله من أن الإخراج في هذا السياق هو إخراج مجازي، وإلا فلماذا طاردته قريش وقد كان في أيديهم فأخرجوه؟، ثم لماذا يختبئ الرسول وصاحبه في الغار ويخاف أبو بكر ويحزن لو كانت قريش هي التي أخرجتهما؟ إن الاختباء والخوف لا يكونان؟ إلا لأن هناك مطاردة بغية القبض عليهما"(٣).

ثم يذكر سبب مطاردة قريش للنبي ﷺ، وأنها كانت تريد قتله فيقول: " ولكن لماذا يريد

---

(١)إبطال القنبلة النووية . دإبراهيم عوض/ ١١٦، ١١٧ .

(٢) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ١١٧، ١١٨.

(٣)المرجع السابق/ ١١٨ .

القرشيون القبض على محمد ورفيقه؟

يقول ابن إسحاق: إنهم كانوا قد قرروا قتله ﷺ، لكنه استطاع أن يفلت من أيديهم.

وبهذا تتضح الصورة، ويتضح أن ابن اسحاق – رحمه الله – لم يأت بشيء من عنده، فالذي قاله يقوله كل المؤرخين وكتاب السير وجامعو حديث الرسول ﷺ، اللهم إلا الدكتور مراد، فهل هذا معقول؟"(١).

ويضيف الباحث إلى ما سبق، بعض الروايات التي وردت في السنة النبوية حول هجرة النبي ﷺ وأصحابه والتي، تؤكد على أن النبي ﷺ هو من طلب الهجرة من أصحابه، وليست قريش التي نفتهم كما يزعم الدكتور مراد.

فقد روى الإمام البخاري أن النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ: « إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ» وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ المَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ المَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الخَبَطُ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: عُرْوَةُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْما جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ – بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِالثَّمَنِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَة فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَة مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الجِرَابِ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ

---

(١) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية/ دإبراهيم عوض/ ١١٨،١١٩ .

أَمْرا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَة مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا، حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خِرِّيتا، وَالخِرِّيتُ المَاهِرُ بِالهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفا فِي آلِ العَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاَثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ،(١).

ويذكر ابن هشام أن النبي أمر أصحابه بالهجرة بعد بيعة العقبة وأذن الله لهم بالحرب فيقول:

" فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه. وأوى إليهم من المسلمين أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال إن الله ﷻ قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة"(٢).

ومما سبق يتبين أن النبي ﷺ هو الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة بعد أن أراه الله أنها دار هجرته، وأن قريشا لم تنفه هو وأصحابه وإلا لَمَا طاردتهم عند هجرتهم ولَمَا خرجوا متفرقين مستترين بالليل، وأن الآيات التي يذكر فيها إخراجهم يراد بها المعنى المجازي.

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث أن الدكتور إبراهيم نوع في رده على هذه الشبهة بين النقل والعقل، واستشهد بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء من خلال ما يلي:

بين أن سورة الحج مكية في معظمها –على الراجح– وإن كان بها بعض الآيات المدنية

أوضح الدكتور إبراهيم أننا إذا افترضنا مدنية سورة الحج، فلا يصح الاستدلال بها على إنكار بيعة العقبة.

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (مناقب الأنصار) باب (باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة)برقم (٣٩٠٥)/ ٥/ ٥٨.

(٢) سيرة ابن هشام/ ١/ ٤٦٨.

أن آية الإذن بالقتال نزلت بعد بيعة العقبة عند هجرة النبي ﷺ إلى المدينة أو بعد هجرته مباشرة، وأن هذا لا يمنع من وقوع بيعة العقبة لثبوتها في كتب السنة النبوية والسيرة.

أن السبب الذي ادعاه الدكتور مراد لاختراع ابن إسحاق لبيعة العقبة، سبب واه لا يتناسب مع ما ذكره ابن اسحاق نفسه في فضل أهل مكة في مناسبات عدة.

أن المسلمين لم يُنفوا إلى المدينة، وإنما هاجروا بأمر من النبي ﷺ بعد أن أذن الله بالهجرة.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل وإنما على تخيلات وافتراضات الدكتور مراد.

المبحث الرابع

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بأصحاب الرسول ﷺ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عجز الصحابة رضوان الله عليهم عن فهم كثير من ألفاظ القرآن الكريم والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة وصف مجتمع المدينة بالزنا والهوس الجنسي والرد عليها.

المطلب الأول

شبهة عجز الصحابة عن فهم كثير من ألفاظ القرآن الكريم والرد عليها:

الصحابة رضوان الله عليهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ اختارهم الله لنصرة دينه ومصاحبة نبيه، وهم أفضل من يفهم كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، فبالإضافة إلى كونهم من العرب –والعرب أهل فصاحة وبلاغة وبيان– فهم الذين صحبوا رسول الله في حله وترحاله وتعلموا منه كل شيء، وسألوا رسول الله عما يشتبه عليهم فهمه أو معرفته أو صعوبته.

ولعلو منزلتهم، ورفعة قدرهم، ولأنهم الذين نقلوا لنا الدين، فقد أصابهم ما أصاب النبي ﷺ من التهم والشبه، فهنا نجد من يتهمهم بعدم الفهم عن الله تعالى، وها هي الشبهة يعرضها الباحث كما نقلها الدكتور إبراهيم عوض.

أولا: عرض الشبهة:

يوضح الدكتور إبراهيم عوض أنه بينما يبحث على شبكة المعلومات قرأ فى كتاب (

behind the veii unmasking. isiam) فى الفصل الثامن (١) أن النبي ﷺ وأصحابه لم يفهموا الكثير من ألفاظ القرآن الكريم فيقول: " إن جميع العلماء المسلمين يقرون بأن في القرآن ألفاظا لم يكن يفهمها أقرباء الرسول أو صحابته، ثم يستشهد علي كلامه بالسيوطي، الذي يقول في كتابه الإتقان "والصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحي ومن نزل عليهم القرآن وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا.

وروى أن أبا بكر الصديق ﷺ سُئِل عن قوله "وفاكهة وأبًّا(٢) فقال: " أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ"(٣).

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ، قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ: {وَفَاكِهَة وَأَبًّا} ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ"(٤).

وأخرج من طريق مجاهد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أي ابْتَدَأْتُهَا."(٥).

وينتهي إلى القول بأنه إذا كان هؤلاء لم يفهموا بعض ألفاظ القرآن، فمن يا ترى يمكنه أن يفهم ما لم يفهموه؟ ثم يتابع بكل يقين: لاشك بأنهم قد سألوا محمدا عن معاني هذه الكلمات لكنه لم يجبهم إلي ذلك لأنه هو نفسه لم يكن يعرف معناها، وإلا لكان قد قاله لهم"(٦).

---

(١) موقع (answering islam) ـ كتاب (behind the veil unmasking. islam) الفصل الثامن– تحت عنوان (quranic language and grammatical Mistakes). نقلا عن نصوص انجليزية د/ إبراهيم عوض/ ١٤٤

(٢) الأبُّ: المَرْعى. قال الله تعالى: (وفاكِهَة وأبّا)/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) باب (الباء) فصل (الألف) مادة " أبب"/ ١/ ٨٦ ـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ ط. دار العلم للملايين – بيروت ـ ط(٤) ـ ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م

(٣) مُصنف ابن أبي شيبة ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ . ٢٣٥ هـ) ـ كتاب (فضائل القرآن) ـ باب (من كره أن يفسر القرآن) ـ برقم٣٠١٠٣/ ٦/ ١٣٦، ورواه ابن أبي مليكة، عن أبي بكر كذلك مرسلا/ ط. مكتبة الرشد – الرياض ـ ط(١)، ١٤٠٩هـ ـ تحقيق كمال يوسف الحوت ـ،كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ برقم ٤١٥٠/ ط. مؤسسة الرسالة ـ ط(٥)،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٤) مُصنف ابن أبي شيبة ـ كتاب (فضائل القرآن) ـ باب(من كره أن يفسر القرآن) ـ برقم(٣٠١٠٥)/ ٦/ ١٣٦.

(٥)شعب الإيمان ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ السابع عشر من شعب الإيمان ـ باب (في طلب العلم) ـ برقم ١٦٨٢ ـ رجاله ثقات غير أبو عبد الرحمن السلمي فإنه متكلم فيه/ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(١) ـ ١٤١٠هـ.

(٦) نصوص انجليزية د/ إبراهيم عوض/ ١٤٤، ١٤٥.

وبهذا يتبين أن مثير الشبهة ينسب عدم فهم كثير من آيات القرآن إلى أصحاب النبي – رضوان الله عليهم– ، بل ويتجاوز ذلك حتى ينسبه إلى النبي ﷺ نفسه معتمدا على ما نقله السيوطي لبعض الروايات.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على عدم فهم الصحابة رضوان الله عليهم لألفاظ القرآن.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على عدم فهم النبي ﷺ لألفاظ القرآن.

(ج) الرد على الشبهة من خلال أقوال العلماء.

وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض على عدم فهم الصحابة رضوان الله عليهم لألفاظ القرآن:

يبين الدكتور إبراهيم عوض أن مثير الشبهة يبالغ مبالغة كبيرة عندما يذكر أن الصحابة رضوان الله عليهم لا يفهمون مئات الألفاظ في القرآن الكريم، وأن ما ذكره مثير الشبهة لا يمنع من فهم الصحابة رضوان الله عليهم لهذه الآيات فيقول: " قول المؤلف أن في القرآن مئات الألفاظ التي حيرت الصحابة واستعصت علي أفهامهم كلام سخيف وتافة وكذب لا يؤبه له ولا يوقف عنده!، فكل ما ضربه من أمثلة علي دعواه هذه لا يعدو مثالين، ولا أظن أن الصحابي المذكور في كل حالة لم يكن يفهم دلالة اللفظ بالمعني الذي يريد الكاتب أن يخيله لنا، بل كل ما هنالك أنه لم يكن يحدد المعني علي وجه الدقة كما يحدث لكثير منا مع بعض النصوص، إذ تبقي هناك ألفاظ لا يتضح معناها تمام الاتضاح ولا يمنع هذا من فهم النص رغم ذلك، إذ مَنْ قال إن كل قارئ يفهم كل نص يطالعه فهما دقيقا عميقا، بحيث لا يكون هناك أي لفظ إلا وكان معناه مجلوا تمام الجلاء؟، ثم أنه لم يفهم قارئ ما كلمة أو عبارة أو تركيبا، فليس معني هذا أن هذا اللفظ أو ذلك التركيب أو تلك العبارة غير قابلة للفهم بالنسبة لكل القراء كما يزعم الكاتب، وإلا فمن يا تُرى شرح الكلمتين المذكورتين للصحابيين الجليلين؟ إنهم أشخاص عرب آخرون لا أشخاص جاءوا من الفضاء الخارجي"(١).

ومما يؤيد ذلك ما ذكره الدكتور الذهبي(٢) فقال: "كان طبيعيا أن يفهم أصحاب النبي ﷺ

---

(١) نصوص انجليزية د/ إبراهيم عوض/ ١٦٨.

(٢) هو الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري الأسبق (٠٠٠– ١٣٩٧ هـ) (٠٠٠– ١٩٧٧ م) عالم أزهري كبير.عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير.اغتيل في شهر رجب.من مؤلفاته:(الاتجاهات

القرآن في جملته، أي بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلا، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبى ﷺ فيما يشكل عليهم فهمه، وذلك لأن القرآن فيه المجمل، والمشكل، والمتشابه، وغير ذلك مما لا بد فى معرفته من أمور أُخرى يُرجعَ إليها"(١).

ويوضح الدكتور إبراهيم أن الألفاظ التي ذكرها مثير الشبهة من الألفاظ الخاصة بقبيلة معينة، وأنه من الطبيعي ألا تكون واضحة المعنى لمن لا ينتمي لتلك القبيلة فيقول: " ومن الواضح أن اللفظتين اللذين ذكرهما الكاتب هما من الألفاظ الخاصة بقبيلة أخري غير التي جاء منها الصحابي موضع التعليق، فمن الطبيعي ألا تكون اللفظة واضحة المعني لمن لا ينتمي إلى تلك القبيلة، ذلك أن القرآن لم يقتصر في بعض الحالات على لهجة قبيلة واحدة، هذا كله إن كانت مثل هذه الروايات صحيحة فعلا"(٢).

ثم يؤكد أن ابن عباس ﷺ فسر الأب بأنه نوع من النبات في نفس الموضع الذي أخذ منه مثير الشبهة شبهته، لكنه لم ينقله فيقول: "وقد فسر ابن عباس كلمة الأبّ ببيت من الشعر وردت فيه تدل على أنها نبات من النباتات، وقد جاء هذا الكلام في الإتقان للسيوطي، ولكن لم يورده، وهذا هو نص السؤال الذي طرحه نافع بن الأزرق علي ابن عباس وجواب ابن عباس عليه كما نقله السيوطي عن مسائل نافع بن الأزرق أخبرني عن قوله تعالي (وأبا) قال: الأبّ ما يعتلف منه الدواب. أما سمعت قول الشاعر:

تري به الأبّ(٣) واليقطين(٤) مختلطا   على الشريعة يجري تحتها الغرب(٥)"(٦).

المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها– التفسير والمفسرون الشريعة الإسلامية: دراسة مقارنة، بين مذاهب أهل السنة ومذهب الجعفرية،/ تكملة معجم المؤلفين ـ محمد خير رمضان/ ١/ ٤٧٤.

(١) التفسير والمفسرون ـ الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)/ ٢٨/ مكتبة وهبة، القاهرة ـ بدون.

(٢) نصوص انجليزية د/ إبراهيم عوض/ ١٦٨.

(٣) (أَبَّ) اعْلَمْ أَنَّ لِلْهَمْزَةِ وَالْبَاءِ فِي الْمُضَاعَفِ أَصْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْمَرْعَى، وَالْآخَرُ الْقَصْدُ وَالتَّهَيُّؤُ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس: ٣١]/ مقاييس اللغة/ ١/ ٦.

(٤) اليقطين: الذي لا يعلو، ولكن يذهب على وجه الأرض، واحدته بهاء، وغلب على القرع/ القاموس المحيط/ ١/ ٢٤٩.

(٥) وَالْغَرَبُ: مَا انْصَبَّ مِنَ الْمَاءِ عِنْدَ الْبِئْرِ فَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُه/ مقاييس اللغة/ ٤/ ٤٢٠/ مادة (غَرَبَ)

(٦) الإتقان في علوم القرآن/ ٢/ ١٠٠.

مما سبق يتبين للباحث أن القرآن الكريم فيه ألفاظ وعبارات تفهم بمجرد التلاوة، وفيه ما يحتاج إلى البحث والتدقيق، وأن أصحاب النبي ﷺ فهموا القرآن الكريم إجمالا، وكانوا يسألون النبي ﷺ عما خفي عليهم منه ولا وجه للغرابة أو العجب في هذا.

رد الدكتور إبراهيم عوض على عدم فهم النبي ﷺ لألفاظ القرآن:

ـ يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن الكاتب يناقض نفسه لأنه ادعى من قبل تأليف النبي ﷺ للقرآن الكريم فيقول: " أما زعم الكاتب أن النبي ﷺ لم يستطع هو أيضا أن يفهم معني هذه الألفاظ فلا أدري ماذا أقول بشأنه.

ألم يحاول أن يسأل نفسه: فكيف يا ترى تسللت هذه الألفاظ التي لم يكن النبي يفهمها إلي القرآن الذي يزعم المؤلف أنه مخترعه؟

إنه ما من كلمة إلا وهي تعني شيئا في سياقها، وتشع بالإيحاءات، وتنفح بأنفاس الجمال والجلال، لا تتخلف كلمة واحدة عن ذلك، وهو ما يدل علي أن كل لفظة من ألفاظه كانت مقصودة معروفة المعني مشحونة بالإيحاءات والإيماءات منذ البداية(١).

ويوضح فضيلته أن ادعاء مثير الشبهة أن الصحابة – رضوان الله عليهم– قد سألوا النبي عن معاني تلك الألفاظ وأنه لم يجب عليهم لا دليل عليه، ولا يعقل أن يُعرِّض النبي ﷺ نفسه للحرج بأن يورد ألفاظا لا يعرف معناها فيقول: "أما ادعاء المؤلف أن الصحابة قد سألوا النبي ﷺ عن عدد من الألفاظ فعجز عن شرحها فهو ادعاء لا يستقيم مع العقل، إذ ما الذي يحمل النبي ﷺ علي أن يضمن قرآنه مثل هذه الألفاظ؟ ألا يعرف أنه سوف يسأل عن معانيها، وأنه سوف يعرض نفسه لحرج بالغ، بل قد تُواجَه رسالته كلها عندئذ بالتكذيب إن هو لم يعرف كيف يشرحها لهم؟

وهذا لو قبلنا أصلا أن يقدم الرسول ﷺ علي استعمال ألفاظ ليس لها دلالة في ذهنه، بما يعني أنه كان يستعمل ألفاظا لا يعرف لها معني فيستخدمها في كلامه، فإن قيل: إنه كان يحفظها ويرددها دون فهم قلنا: إن الشخص في هذه الحالة يكون عنده فهمه الخاص(والخاطئ بطبيعة الحال) لهذه الكلمات، أما أن يقال أنه لم يكن يعرف لها معني البتة فهذا لا يجوز عند أصحاب العقول، اللهم إن كان رجلا هزلا، وكانت الظروف التي يتحدث فيها ظروفا تبعث علي الهزل أو على الأقل تتحمله!، وأين هذا من ظروف النبي ﷺ أو من شخصيته أو من شخصية أصحابه؟

وبطبيعة الحال أنا لا أقول علي الرسول ﷺ أنه هو مؤلف القرآن ولأني، والحمد لله، أعقلُ

---

(١) نصوص انجليزية د/ إبراهيم عوض/ ١٦٨، ١٦٩

من هذا.

بل لقد أنفقت عمري في البرهنة العقلية على أنه رسول من عند رب العالمين، وأن القرآن الذي أتي به هو كتاب الله ﷻ، لكن طبيعة المجادلة هي التي تجعلني أتسامح مع أمثال ذلك المبشر حتي أُبطل له كل شبهة ولا أترك له ولا ثقب إبرة ينفذ منه"(١).

ومما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض ما ذكره الدكتور الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون"، حيث قال: " وكان طبيعيا أن يفهم النبي ﷺ القرآن جملة وتفصيلا، إذ تكفل الله تعالى له بالحفظ والبيان: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه"(القيامة: ١٧ – ١٩)"(٢).

ومما سبق يتبين أن النبي ﷺ كان يفهم القرآن الكريم جملة وتفصيلا، وكان يوضح لأصحابه ما غاب عنهم من ألفاظ القرآن ومعانيه، وأنه لا يعقل أن يذكر النبي ﷺ ألفاظا لا يعرف معانيها.

(ج) الرد على الشبهة من خلال أقوال العلماء:

مما لا شك فيه أن أصحاب النبي ﷺ كانوا في حاجة ملحة لفهم ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، وعندما يتأمل الباحث أقوال العلماء حول فهم الصحابة رضوان الله عليهم لألفاظ القرآن الكريم نجدهم ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أن النبي ﷺ بَيَّن لأصحابه رضوان الله عليهم ألفاظ القرآن وتراكيبه ومعانيه.

الفريق الثاني: يرى أن النبي ﷺ لم يبين لأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ من معاني القرآن الكريم إلا القليل

يقول الدكتور الذهبي: " اختلف العلماء في المقدار الذي بيَّنه النبى ﷺ من القرآن لأصحابه: فمنهم مَن ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ بيَّن لأصحابه كل معانى القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، وعلى رأس هؤلاء ابن تيمية.

" يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا"(٣).

---

(١) نصوص انجليزية د/ إبراهيم عوض/ ١٧٠.

(٢)التفسير والمفسرون ـ الذهبي/ ٢٨.

(٣) مقدمة في أصول التفسير ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ ـ/ ٢/ ٤/ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ـ ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م

ومنهم مَن ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ لم يُبيِّن لأصحابه من معانى القرآن إلا القليل، وعلى رأس هؤلاء: السيوطى"(١).

وممن ذهب إلى القول بالرأي الأول ابن خلدون – فقال: " إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه"(٢).

ومن الفريق الثاني: الإمام السيوطي – والذي استدل بكلامه مثير الشبهة، حيث قال: " الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا"(٣).

ويتوسط الإمام الآلوسى بين الرأيين، فيذكر أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرجعون إلى النبي في كثير من الأشياء التي لم يفهموها بعد أن يقر لهم بحسن الفهم فيقول: " وأما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم- المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم- أمر عسير لا يهتدى إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير، حتى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم على علو كعبهم في الفصاحة واستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيرا ما يرجعون إليهﷺ بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ولم تصل أفهامهم إليها، بل ربما التبس عليهم الحال ففهموا غير ما أراده الملك المتعال كما وقع لعدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود"(٤).

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر(٥): " ومع هذا رُوي أن أبا بكر أجاب لما سئل عن معنى (الكلالة) الواردة فى موضعين من سورة النساء، وأن عمر أيضا سأل عن معانى بعض الكلمات التي كانت خافية عليه كما سبق مثل (تخوف) في قوله تعالى: "أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

---

(١) التفسير والمفسرون ـ الذهبي/ ٣٩ .

(٢) مقدمة بن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ الباب السادس من الكتاب الأول (في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه) الفصل الخامس (التفسير)/ ٢/ ١٧٤/ دار البلخي دمشق ـ ط(١) ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي/ ٣/ ٧٣١ .

(٤) تفسير الآلوسي م١/ ج١/ ٥.

(٥) (١٣٣٢ـ ١٤١١هـ . ١٩١٣ـ ١٩٩١م) عالم وكاتب إسلامي ولد في مدينة دسوق، وتخرج بكلية أصول الدين ١٩٧٢، وحصل على الدكتوراة في التاريخ الإسلامي . تقلد عدة مناصب أهمها/ الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية/ من مؤلفاته (إسلام لا شيوعية ـ

تاريخ الإسلام في الهند ـ علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر/ تتمة الاعلام للزركلي ـ محمد خير رمضان/ ٢/ ٣٨

لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ" (النحل: ٤٧) فى سورة النحل.

وهذا يدلنا على أن الكلام السابق لأبى بكر (أى سماء تظلنى) إلخ... كان خاصا بناحية فى القرآن، وهى التى تتصل بالمتشابه أو بالمطوى من حوادث القصص، لأنه تَحَرَّجَ ـ جريا على النهج الرسولى– من الكلام فى هذه الناحية.

ولم يتحرج من تفسير معنى الكلالة الواردة في آيتين من آيات المواريث، لأن ذلك يتصل ببيان ألفاظ أحكام عرفوها، ولا بد لهم أن يبينوها... أما تحرجه فيما تحرج عن الكلام فيه، فلأنه يحتاج إلى نقل صحيح، ولم يكن هذا النقل متوفرا لديه، فعَدّ الكلام فيه حينئذ من أبواب الكلام بالرأي... وهو لا يريد أن يخوض هذا المجال، تورعا منه، وتشبثا بالمنقول"(١).

وبعد عرض هذه الآراء يترجح للباحث أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفهمون مجمل القرآن، وكانوا يُرجِعون إلى النبي ﷺ المُشكِلَ عليهم، وأن في القرآن ما استأثر الله بعلمه، كما أخبرنا ربنا بذلك فقال: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ " (آل عمران: ٧)

ومما يؤيد ذلك ما ذكره الدكتور الذهبي فقال: " والرأي الذى تميل إليه النفس هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول: إن الرسول ﷺ بيَّن الكثير من معانى القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يُبيِّن كل معانى القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعُذر أحد فى جهالته كما صرّح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير، قال: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"(٢)"(٣).

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث ما يلي:

ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يفهمون القرآن جملة ويرجعون فيما خفي عليهم من التفصيل إلى القرآن نفسه، وإلى النبى ﷺ، وإلى اجتهادهم عند

---

(١) علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر ـ عبد المنعم النمر (المتوفى: ١٩٩١ م)/ ١/ ٨٠/ دار الكتب الاسلامية – القاهرة ـ الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ– ١٩٨٥ م.

(٢) تفسير الطبري/ ١/ ٧٥.

(٣) التفسير والمفسرون ـ الذهبي/ ٤٢.

عدم وجود النبي ﷺ.

ـ أوضح –فضيلته– أن القرآن فيه ما يفهم للعرب بمجرد القراءة، وما يحتاج إلى البحث والتدقيق وما استأثر الله بعلمه.

ـ أكد الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– أن النبي ﷺ كان يفهم القرآن جملة وتفصيلا.

ـ أحسن الدكتور إبراهيم عوض في الرد على هذه الشبهة، وإن كان من الممكن أن يضيف إلى ما سبق الاستشهاد ببعض أقوال العلماء مما يؤيد فهم الصحابة للقرآن الكريم.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل معتبر، وإنما على سوء فهم من مثيرها، أو سوء نية.

المطلب الثاني

شبهة وصف مجتمع المدينة بالهوس الجنسي والزنا والرد عليها:

يعد الصحابة رضوان الله عليهم أعمق أهل الأمة إيمانا، وأطهرهم قلوبا، وأبرزهم عفة وأكثرهم تمسكا بتعاليم هذا الدين الحنيف، ولما فقدت كثير من المجتمعات هذه العفة التى تميز بها المسلمون عامة وأصحاب النبى ﷺ خاصة، أرادوا أن يسلبوا تلك الصفة الفاضلة من المجتمع الإسلامى بسلبها من النبى ﷺ وأصحابه لأنهم القدوة التى يُقتدى بها.

فادعوا شغف النبى ﷺ بممارسة العلاقات الزوجية وتقديمها على أى اعتبار آخر، كما ادعوا كذلك شغف أصحابه رضوان الله عليهم بالعلاقات الجنسية، بل واتهموا بعضهم بارتكاب الفاحشة، ومن الشبه التى أثاروها حول هذا الأمر تلك الشبهة التى نحن بصددها.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن مثير الشبهة يؤكد أن مجتمع المدينة كان متأثرا تأثرا كبيرا بالجنس، وممارسة الزنا؛ لأنه لم تكن عنده أنشطة أخرى تشغله فيقول: "يؤكد الأستاذ خليل عبد الكريم أن المجتمعات البدائية (وهو يقصد هنا العرب وبالذات مجتمع المدينة المنورة) هي مجتمعات لا تعرف الأنشطة الرياضية أو الفنية أو الأدبية، ومن ثَمَّ فليس أمام أهلها سوي الجنس وأن المرأة في تلك المجتمعات قد استطابت مع طول العهد سيادة الرجل عليها وامتطائه لها، فهي تتحرق تحرقا فظيعا إلي ممارسة الجنس، غير مبالية بحلال أو حرام، أو سر أو علن، وبخاصة إذا

أضفنا عامل الطقس الحار الذي يزيد شهوات الجسد اشتعالا"(١).

ويذكر مثير الشبهة أمثلة على ما ذهب إليه يأخذ الباحث منها مثالا، ولعله أخطرها لتعدد رواياته، فإذا ماسقط متعدد الرواية سقط ما دونه من باب أولى.

وكان مما ذكر رواية يَدَّعِي فيها زنا المغيرة بن شعبة ﷺ فقال: " قالوا: إن المغيرة جعل يختلف إلى امرأة من بنى هلال يقال لها أم جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعيثة بن الهزم، وقد كان لها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك، فبلغ ذلك أبا بكرة بن مسروح، مولى النبي ﷺ من مولدي ثقيف، وشبل بن معبد بن عبيد البجلي، ونافع بن الحارث ابن كلدة الثقفي، وزياد بن عبيد، فرصدوه. حتى إذا دخل عليها هجموا عليه، فإذا هما عريانان وهو متبطنها، فخرجوا حتى أتوا عمر ابن الخطاب فشهدوا عنده بما رأوا، فقال عمر لأبي موسى الأشعري: إني أريد أبعثك إلى بلد قد عشش فيه الشيطان.

قال: فأعنى بعدة من الأنصار، فبعث معه البراء بن مالك، وعمران بن الحصين أبا نجيد الخزاعى، وعوف بن وهب الخزاعي، فولاه البصرة، وأمره بإشخاص(٢) المغيرة، فأشخصه بعد قدومه بثلاث، فلما صار إلى عمر جمع بينه وبين الشهود.

فقال نافع بن الحارث: رأيته على بطن المرأة يحتفز عليها، ورأيته يدخل ما معه ويخرجه كالميل في المكحلة، ثم شهد شبل بن معبد على شهادته، ثم أبو بكرة، ثم أقبل زياد رابعا، فلما نظر إليه عمر قال: أما إني أرى وجه رجل أرجو أن لا يُرجم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على يده ولا يخزى بشهادته، وكان المغيرة قدم من مصر فأسلم وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، فقال زياد: رأيت منظرا قبيحا وسمعت نفسا عاليا، وما أدرى أخالطها أم لا؟ ويقال لم يشهد بشئ، فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا، فقال شبل: أتجلد شهود الحق وتبطل الحد؟، فلما جلد أبو بكرة قال: أشهد أن المغيرة زان، فقال عمر: حدوه، فقال: على إن جعلتها شهادة، فارجم صاحبك، فحلف أبو بكرة أن لا يكلم زيادا أبدا، وكان أخاه لأمه سمية، ثم إن عمر ردهم إلى مصرهم"(٣).

---

(١)مجتمع يثرب (العلاقة بين الرجل والمرأة في العهد النبوي والخليفي/ خليل عبد الكريم/ ٨/ ط. سينا للنشر (القاهرة)، الانتشار العربي (بيروت) ١٩٩٧ م ـ ط(١)/ للتوسع يرجع إلى الكتاب فكله يدور حول الشبهة.

(٢)ويقال أشخص سهمه وبسهمه وفلانا من بلده أخرجه وفلانا إليه بعث به ـ/ المعجم الوسيط ـ باب (الشين) مادة "شخص"/ ١/ ٤٧٥.

(٣)مجتمع يثرب ــ خليل عبد الكريم/ ٥٧، ٥٨ وأصل القصة في "فتوح البلدان" البلاذري/ ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤/ مطبعة لجنة البيان العربي/ القاهرة ـ بدون تاريخ.

ويؤكد أن الخبر صحيح، وأن سن المغيرة ﷺقارب الخمسين، وأنه قام بتلك الفعلة مع تعدد زوجاته وإمائه فيقول: " والخبر ورد في العديد من كتب السير والتاريخ ولا مطعن عليه، والمغيرة وقت الواقعة كان واليا على البصرة، وهو بلا شك آنذاك قد جاوز الأربعين وقارب الخمسين – على أقل تقدير– ومع ذلك يقارف تلك الفعلة وعنده ولا شك أربع زوجات خلاف الإماء والجواري وملك اليمين، فكيف كان حاله وهو شاب قوي في العشرين من عمره، ولم يراع أنه حاكم المصر وأحد الصحابة اللذين يعتبرهم المسلمون قدوة وأسوة"(١).

من خلال ما سبق يتبين أن هذا الدَّعِّي يحقد حقدا شديدا على المسلمين عامة ومجتمع المدينة خاصة، وأنه ليس دقيقا في إيراد شبهته، حيث إنه يتحدث عن مجتمع المدينة ويستشهد بمجتمعات أخرى، ويعمم الكلام على كل أفراد المجتمع، وتعميم الكلام بتلك الصورة لا يصلح لوصف مجتمع فاسق فضلا عن أن يكون مجتمع أصحاب النبي ﷺ.

ثانيا: الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال كشف جهل مثير الشبهة وافترائه.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من واقع المجتمعات غير المسلمة.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على استخدام الألفاظ الجنسية في مجتمع المدينة.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أثر النصوص على المجتمع الإسلامي.

(هـ) الرد على رواية زنا المغيرة ﷺ عنه نموذجا.

وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال كشف جهل مثير الشبهة وافترائه:

إن الإسلام أسس علاقات متعددة بين أفراد المجتمع، مما يساعد على استقراره وتقدمه، ومن أقدس تلك العلاقات العلاقة بين الرجل والمرأة، فأنزلها منزلتها، وشرع التشريعات، ووضع بعض الضوابط التى تنشر فى المجتمع مكارم الأخلاق، فأمر بغض البصر عن المرأة الأجنبية، وأمر بغرس المودة والمحبة وحسن العشرة بين الزوجين.

وفى هذا المعنى يذكر الدكتور إبراهيم عوض عن أهل المدينة فيقول: " وصف مجتمع المدينة في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين بأنه مجتمع بدائي، وأن العلاقة بين الجنسين فيه

---

(١)المرجع السابق/ ٥٨.

لم تكن علاقة رجل وامرأة، بل بين فحل وموطوءة.

معني ذلك أن مسلمي مكة والمدينة في ذلك العصر كانوا أدنأ من الحيوانات، إذ لم يكونوا يعرفون الحب ولا كان أي من الجنسين ينظر إلى الآخر إلا علي أنه وسيلة لإطفاء حرقات الغريزة الجسدية ليس غير.

وتعميم الكاتب الكلام دون استثناء أحد من أفراد ذلك المجتمع يجعله ينسحب علي رسول الله ﷺ وكل الصحابة الكرام وزوجاتهم.

إن مثل هذه الصورة لا وجود لها إلا في بعض الأذهان المخبولة الموبوءة، لأن الحب مطلب إنساني عام لا يفترق به مجتمع عن مجتمع، إذ لا دخل للبدائية ولا التحضر فيه، بل إنه لَيُشاهد حتي في دنيا الحيوانات والطيور.

. فكيف يفتري هذا الكاتب الحقود على المسلمين والمسلمات الأوائل خلو نفوسهم من الحب والمودة والتعاطف؟، وماذا نفعل في قصائد النسيب الكثيرة في الجاهلية والإسلامية الممتلئة باللوعة والبكاء من أجل الحبيبة التي حُرم منها حبيبها الشاعر؟(١).

ثم ماذا تقول في احتواء لغتنا على عشرات الأسماء الدالة على الحب ودرجاته (كالمحبة والهوى والشغف والحنين والفتون والتعلق والميل والصبوة والجوي...الخ)، أليس ذلك برهانا على أن العرب المسلمين القدماء كانوا يعانون الحب، ويذوقون مباهجه ولواعجه على عكس ما يدعي الشيخ عليهم"(٢).

ويوضح فضيلته أن ما يدعيه مثير الشبهة لا يتناسب مطلقا مع الحياة التي كان يعيشها النبي ﷺ وأصحابه، بل ولا يتفق كذلك مع حقائق التاريخ فيقول: " إن خيال الكاتب الجانح يسوّل له أن المسلمين الأوائل لم يكن لهم ما يشغلهم إلا الجنس، وكأنهم كانوا يعيشون في جنة وفيرة الثمار جارية الأنهار، فلا حاجة لهم من ثم إلي عمل أو كَلٍّ أو كفاح في سبيل لقمة العيش، وكأنهم لم يكن يحيط بهم الأعداء المتربصون من كل جانب فلا غزوات ولا حروب، وكأنهم لم يكن عليهم أن يحفظوا القرآن ويدرسوا الإسلام ويصلوا ويصوموا أو يحجوا!، أين مثل ذلك المجتمع يا ترى إلا في الخيالات المريضة؟

إن الكاتب يجترئ على حقائق الحياة والتاريخ والاجتماع، فيزعم دون أن يطرف له جفن

---

(١) اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة ـ د/ إبراهيم عوض/ ٧٦ ـ٧٨ بتصرف/ ط. مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة –٢٠٠٠م .

(٢)المرجع السابق/ ٨٤، ٨٥.

أن المجتمعات البدائية (يقصد مجتمع المدينة) ليس لها معرفة من أي لون بالأنشطة الرياضية والفنية والأدبية، مع أن العرب كانوا يعرفون حتى في جاهليتهم سباق الخيل، والرمي، ورحلات الصيد والغزوات، وحكاية القصص، وإلقاء الخطب، والمنافرات، والحروب، وقرض الشعر"(١).

ويبين أن ادعاءات مثير الشبهة بأن ارتفاع الحرارة يؤدي إلى زيادة الرغبة الجنسية، وزيادة معدل المواليد ادعاءات تدل على جهل مدعيها، وأنه لا علاقة بين ارتفاع الحرارة وارتفاع الرغبة في الجنس وزيادة معدل المواليد فيقول: "وعلى افتراض أن المجتمع المدني كان يخلو من كل نشاط أو رياضي فيبقي من المضحك ما زعمه المؤلف من أن ذلك مع حرارة الجو، يؤدي إلي كثرة ممارسة الجنس التي تؤدي بدورها الي كثرة الإنجاب ذلك أن حرارة الجو مما يزهد الناس في ممارسة الجنس لا العكس إذ الإنسان حينئذ لا يطيق ملابسه، كما يقال في اللهجة الدارجة، فكيف يكون الاحتكاك بجسد بشري درجة حرارته سبع وثلاثون من الأشياء التي تزداد بهجة في مثل هذه الظروف؟

ثم إن القول بأن كثرة ممارسة الجنس تؤدي الي كثرة الإنجاب كلام عامي وجاهل، إذ هو يفترض أن المرأة تحمل وتنجب عند كل اتصال جنسي.

ثم إن انخفاض معدلات المواليد في البلاد الباردة وارتفاعها في البلاد الحارة حاليا لا علاقة له بالطقس، بل يرجع إلي إرتفاع مستوي الثقافة والمعيشة الآن في البلاد الغربية بوجه عام وهو ما يسستتبع (حسبما لاحظت الدراسات الاجتماعية) العزوف عن كثرة الإنجاب باستخدام وسائل منع الحمل التي لم يكن لها وجود قبل العصر الحديث والتي يستخدمها أيضا أصحاب المستوي المادي والثقافي المرتفع في كثير من البلاد المختلفة التي يتصادف وقوعها في عصرنا الحاضر ضمن نطاق الطقس الحار، والدليل على ذلك أن معدلات المواليد في الأحياء الراقية في مدننا المصرية مثلا أقل بكثير من مثيلاتها في الأحياء الشعبية وفي بلاد الفلاحين"(٢).

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من واقع المجتمعات غير المسلمة:

إن الواقع المعاصر يثبت أن الإقبال على ممارسة الجنس بلهفة لا علاقة له بتقدم المجتمع وتأخره، بل يعلم الجميع أن أكثر المجتمعات تقدما من الناحية المادية، هم أكثر المجتمعات إقبالا على ممارسة الجنس.

---

(١)المرجع السابق/ ٧٨.

(٢) اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة ـ د/ إبراهيم عوض/ ٧٩، ٨٠.

يقول الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ: "كذلك ما قاله الكاتب من أن المجتمعات المتقدمة لا تُقبل علي الجنس بهذه اللهفة التي تسيطر علي المجتمع البدائي (كمجتمع المدينة) لا سند له من الواقع، ذلك أن القاصي والداني يعرفان أن الغرب الذي يُضرب به المثل الآن في التقدم الحضاري، يعاني من انفجار في الغريزة الجنسية بكل ألونها المختلفة من الزنا، واللواط والاغتصاب، والسحاق، وتبادل الزوجات، واستخدام الحيوانات، والعرائس المطاطية، وتماثيل عضو الذكورة، والكتب، والقصص والمجلات...إلخ(١).

ويستدل على ما ذهب إليه بما تشتمل عليه روايات التقدميين من تفاصيل جنسية مقززة فيقول: "ثم هل يا ترى غاب عنك ما نهج به قصص رفاقك التقدميين ورواياتهم من مناظر ووقائع وتفاصيل جنسية مقززة؟، إنهم ـ بحمد الله ـ يعيشون في مجتمع متحضر لا مجتمع بدائي كمجتمع المدينة، ومع ذلك فهم مغرمون بإثارة الشهوات في أعمالهم ووصف العورات والشذوذات"(٢).

ويقر الدكتور إبراهيم بعدم خلو أي مجتمع من المعاصي، ولكنها تختلف من مجتمع لآخر، وأن ما ذكره مثير الشبهة على فرض صحته لا يتعدى حالات فردية قليلة فيقول: "إننا لا ننكر أنه ما من مجتمع يخلو من الانحرافات والمعاصي، بيد أن ثَمَّة فرقا بين مجتمع وغيره.

والمجتمع الإسلامي في عهد النبي ﷺ وأصحابه الأربعة، هو أشرف وأطهر من أي مجتمع آخر رغم كل ما ذكرته عنه، وجهدت جهدك في تكبيره وتضخيمه، على حين أنه في الواقع لا يعدو إلا أن يكون حالات فردية قليلة جدا لا تمثل نسبة تذكر بالقياس إلى عدد الناس في ذلك الوقت(٣).

"ولقد ذكرت أنت نفسك أن عدد الصحابة الذين سمعوا من الرسول ﷺ ورووا عنه مائة ألف وأربعة عشر ألفا"(٤).

ويؤكد فضيلته أن الأمثلة المذكورة لا تقتصر على مجتمع المدينة فقط، وإنما تشمل الجزيرة العربية بأسرها فيقول: "ولا بد هنا أن نوضح أن الأمثلة التي ساقها خليل عبد الكريم ليست مقصورة على مجتمع المدينة، بل مأخوذة منه ومن أرجاء الجزيرة الأخرى، وهذا من شأنه أن يهبط نسبة الذنوب الجنسية في المجتمع العربي الإسلامي آنذاك إلى درجة الصفر تقريبا، حتى مع عمل

---

(١)المرجع نفسه/ ٨٠.

(٢)المرجع نفسه/ ٨١.

(٣) اليسار الإسلامي د/ ابراهيم عوض/ ٨٢.

(٤) مجتمع يثرب ـ خليل عبد الكريم/ ٢٢.

حساب الحالات التي يفترض وقوعها لكن لم تسجلها كتب التاريخ والسيرة والتفسير والحديث، أو التي سجلتها لكن الشيخ لم يصل إليها"(١).

ويضيف الباحث إلى ما سبق ما ذكره أحد كتاب الغرب المشهورين "باتريك جيه بو كائن"(٢) في كتابه "موت الغرب"، حيث أقر بنتيجة واقعية خطيرة لممارسة الفاحشة في أمريكا فقال: "تبدو لغة الأرقام منا أكثر هولا، فقد ارتفع الرقم السنوي لعمليات الإجهاض في الولايات المتحدة من ٦٠٠٠حالة سنويا عام ١٩٦٦ إلى مليون ٥٠٠ ألف حالة إجهاض في العام الواحد أما نسبة الأطفال غير الشرعيين فهي تبلغ اليوم ٢٥في المائة من العدد الإجمالي للأطفال الأمريكيين، ويعيش ثلث أطفال أمريكا في منازل دون أحد الأبوين"(٣).

مما سبق يتبين أن المجتمعات التي يرى مثير الشبهة أنها متحضرة أكثر شراهة في الإقبال على الجنس وممارسة الزنا، وأن حالات الإجهاض التي تتم كل عام، ونسبة الأطفال غير الشرعيين في أمريكا مثلا تؤكد ذلك في تلك المجتمعات باعتراف كتابهم أنفسهم.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على استخدام الألفاظ الجنسية في مجتمع المدينة:

إن استخدام الألفاظ الى تدل على انشغال مجتمع المدينة بالجنس لم يكن بالكثرة التى يريد مثير الشبهة أن يوهم القارئ بها، وفى هذا يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ فيقول:

"أما ألفاظ الجنس التي تقول أنها كانت كثيرة عندهم، وتدل في عقلك على أنهم محمومون بحمى الجنس، فإنها في الغالب لا تغادر بطون المعاجم، والمعاجم خزائن يحفظ فها كل شيء سواء كان الناس يستعملونه على نطاق واسع، أو لا يتلفظونه إلا كل حين وحين، أو لا ينطقون به إلا مرة واحدة.

وليس من المعقول أن كل واحد أو واحدة من أهل المدينة كان يظل يتطوح طوال نهاره وليله مرددا كالمجاذيب (فاخذ يفاخذ، وطئ يطأ، عافس يعافس، اعتلى يعتلي...الخ) كما تحاول أن تلقي في روع القراء إلا إذا تصورناهم جميعا قد فقدوا عقولهم.

---

(١) اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٨٣.

(٢) سياسي ومفكر أمريكي مخضرم شغل منصب مستشار لثلاثة رؤساء أمريكيين، وخاض معركة تسمية المرشح لمنصب الرئيس عن الجمهوريين مرتين عام ١٩٩٢، ١٩٩٦ رشح نفسه للانتخابات الرئاسية عن حزب الإصلاح عام ٢٠٠٠م، وهو كاتب لعمود صحافي دائم في عدد من الصحف الأمريكية، ومن كتبه (يوم الحساب، حالة طارئة،الخيانة العظمى، وكتابا(محق منذ البداية، جمهورية لا إمبراطورية) اللذان اعتبرا من أكثر الكتب بيعا في الولايات المتحدة.

(٣)موقع شبكة البصرة ـ عنوان المقال "باعتراف مختص أمريكي أمريكا تموت تدريجيا " ١كانون الثاني ٢٠١٥.

بـل إنـك تحـرف الألفـاظ العاديـة فـي الروايـات والأحاديـث فتسـتبدل بهـا كلمـات مثـل (الامتطاء، والمباطنة، والوثوب)، مما يحتاج إلى دراسة نفسية لك.

وعلى أية حال فهذه الألفاظ الكثيرة تدل على غرام العرب آنذاك بالدقة المتناهية، إذ كانوا يعبرون عن كل وضع وكل حالة بكلمة خاصة، علاوة على أن كثيرا منها من باب المجاز والكناية والتلميح الراقي، مما لا يفهمه الجهلاء(١) الهجامون(٢) على التعرض لما لا يحسنون، وهذا الأمر ليس خاصا بألفاظ الجنس، بل يعم كل شيء كانوا يفعلونه أو يرونه أو يلمسونه. فللسيف عندهم عشرات الأسماء فيما يقولون، وقل مثل ذلك أو قريبا منه في الخمر، والمطر، والسحاب، والألوان، والأصوات، وهذا كله من غنى اللغة العربية وعبقريتها"(٣).

ويضيف الباحث إلى ما سبق روايتين تبينان عفة النبي ﷺ والسيدة عائشة رضي الله عنها في استخدام الألفاظ في مواقف يمكن فيها استخدام ألفاظ جنسية صريحة.

ففي قصة الكفل التائب: أن" ابْنِ عُمَرَ قَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّة أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مِرَارٍ، وَلَكِنْ قَدْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ؟ أَكْرَهْتُكِ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ قَالَ فَتَفْعَلِينَ هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ قَالَ ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ اذْهَبِي فَالدَّنَانِيرُ لَكِ، ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا يَعْصِي اللَّهَ الْكِفْلُ أَبَدا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوبا عَلَى بَابِهِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ ﷻ لِلْكِفْلِ"(٤).

وفي سؤال أسماء رضي الله عنها عن كيفية التطهر من الحيض تروي السيدة عائشة رضي الله عنها القصة

" عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ: «تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكا شَدِيدا حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ

---

(١) جهل: الجَهْل: نَقِيضُ العِلْم والجَهالَة: أَن تَفْعَلَ فِعْلا بِغَيْرِ العِلْم. وَرَجُلٌ جَاهِلٌ وَالْجَمْعُ جُهْلٌ وجُهُلٌ وجُهَّلٌ وجُهَّالٌ وجُهَلَاء/ لسان العرب/ ١١/ ١٢٩.

(٢) (هَجَمَ) الْهَاءُ وَالْجِيمُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى وُرُودِ شَيْءٍ بَغْتَة، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ./ مقاييس اللغة مادة (هَجَمَ)/ ٦/ ٣٧.

(٣) اليسار الإسلامي/ ٨٣، ٨٤ بتصرف.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في باب (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب) ـ برقم (٤٧٤٧)/ ٢/ ٢٣. تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَة مُمَسَّكَة فَتَطَهَّرُ بِهَا» فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، تَطَهَّرِينَ بِهَا» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ"(١).

مما سبق يتبين أن المجتمع الإسلامي عامة ومجتمع المدينة خاصة لم يكن يكثر من استخدام ألفاظ الجنس كما يدعي مثير الشبهة، وأن قدوتهم وهو النبي ﷺ كان يلتمس الألفاظ الحسنة والعبارات الجميلة، فلا يستخدم ما يخدش الحياء، والروايتان اللتان أشار الباحث إليهما كمثال يدلان على ذلك، ولو كان الأمر كما يدعي مثير الشبهة لما تحرج النبي ﷺ في وصف حالة التأهب للزنا بألفاظ جنسية في الرواية الأولى، ولا من وصف كيفية التطهر من الحيض بألفاظ صريحة لأسماء ـ رضي الله عنها ـ كما في الرواية الثانية، حتى السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ لَمَّا وضحت الأمر وضحته بألفاظ عفيفة لا يتحرج منها أحد.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أثر النصوص على المجتمع الإسلامي:

إن من يتأمل أحوال أصحاب النبى ﷺ، وانتظارهم لتنزل الوحى على النبى ﷺ، ومواقفهم من تلك النصوص بعد نزولها يعلم جيدا كيف كان تأثرهم بتلك النصوص.

أما ما يدعيه مثير الشبهة من أن نصوص الوحى لم تؤت ثمرتها فلا يتفق مع المنهج العلمى

يقول الدكتور/ إبراهيم عوض: "أما قولك: "بأن دعوة الإسلام رغم كل مزاعم الإعجاز للنصوص التي أتت بها كما تقول لم تستطع أن تصنع شيئا أمام تيار الجنس والزنا الكاسح في مجتمع المدينة لأن النصوص مهما قيل في إعجازها لا تؤتي ثمرتها إلا إذا تغيرت عوامل الإنتاج وأساليبه"(٢).

" فهذه من دعاوى الشيوعية التي لا تعترف إلا بشيء واحد هو العامل الاقتصادي، وكان البشر لا يعملون إلا من أجل المال، فلا حب، ولا غيرة من الرجل على زوجته وأمه وبنته وأخته، ولا جهاد في سبيل الله، ولا تطلع إلى ثقافة، ولا تذوق لمنظر جميل...الخ.

أليس هذا عجيبا على الباحث الذي يتمسك بالمنهج العلمي أن ينحي نفسه وأشباهه وميولهم عن مجال بحثه حتى لا يتأثر بشيء من ذلك؟!!، وإذا كان الشيوعيون لا يرون في الدنيا شيئا غير المال، فهناك بشر كثيرون تحركهم دوافع أخرى أرقى من المال، فينبغي على الشيوعيين أن يضعوا هذا في اعتبارهم عند دراسة المجتمعات الإنسانية، خاصة بعد فشل نظريات ماركس

---

(١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الحيض) ـ باب (استحباب استعمال المغتسلة فرصة من مسك في موضع الدم) ـ برقم (٣٣٢)/ ٤/ ١٣، ١٤.

(٢)مجتمع يثرب ـ خليل عبد الكريم/ ص٧، ٩، ٢١، وغيرها .

وانهيار الاتحاد السوفيتي بعد سبعين عاما فقط"(١).

ويضيف الباحث إلى ما سبق مثالا من أعظم الأمثلة التي بينت أثر النصوص على أصحاب النبي ﷺ بعد وفاته فضلا عن أن يكون في حياته، فما أن سمعوا قول النبي ﷺ على لسان أبى بكرﷺ "الأئمة من قريش" حتى بايع الجميع أبا بكرﷺ، وهذا هو نص الحديث.

" اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ودار بينهم الحوار والمشاورة حول من يخلف نبي الله، وعلم بذلك أبو بكر وعمر فسارعا إليهم؛ وفي الطريق قابلهم أبو عبيدة فتوجه معهم إلى السقيفة، وقبل وصولهم لقيهم رجلان صالحان من الأنصار، فسألاهم إلى أين؟ فقالوا: إلى إخواننا من الأنصار فقالا: اقضوا أمركم يا معشر المهاجرين لا يختلف عليكم اثنان، ثم كان الحوار في السقيفة، والذي تحدث فيه أبو بكر ﷺ، ووضَّح فضل الأنصار ومكانتهم، وبيَّن أحقية قريش لهذا الأمر بقوله: إن رسول الله قال: الأئمة من قريش"(٢).

وذَكَّر سعد بن عبادة بذلك فذُكِّر وتمت البيعة في السقيفة بتوفيق الله للمؤمنين في اختيار الصديقﷺ. وفي اليوم التالي بايعه الناس في المسجد ممن لم يبايع يوم الاثنين، وبايع علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار"(٣).

فإذا ما كان هذا أثر حديث النبي ﷺ على أصحابه بعد وفاته في أمر الخلافة والتي يتقاتل عليها قادة الدول المتحضرة، فكيف كان أثره عليهم في حياته في شئون دينهم ودنياهم؟!!

وإلا فما الذي دفع مثلا ماعز(٤) والغامدية(٥) أن يصرا على اعترافهما بالزنا وإقامة الحد عليهما على الرغم من عدم شهادة أحد عليهما إلا أثر النصوص عليهما ورغبتهما في التطهر، حتى لو أدى ذلك إلى موتهما؟!!

وبم يفسر مثير الشبهة سَكْب أصحاب النبي للخمر في شوارع المدينة بمجرد العلم

(١)اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٨٦.

(٢) ونص الحديث في مسند الإمام أحمد ـ باب مسند الإمام مالك ـ برقم (٢٣ ١٢٩)/ ٣/ ١٢٩. تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) صَحِيحُ الأَثَر وجَمَيلُ العبر من سيرة خير البشر (صلى الله عليه وسلم) ـ عدد من العلماء/ ١ ./ ٣٠١/ ط. مكتبة روائع المملكة – جدة ـ ط(١)، ١٤٣١ هـ– ٢٠١٠ م.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كِتَاب (الأَحْكَامِ) بَاب (باب: هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت) برقم (٦٨٢٤)/ ٨/ ١٦٧.

(٥) أخرجه الإمام مسلم . في .كتاب (الحدود) باب (من اعترف على نفسه بالزنا) برقم (١٦٩٥).

بالتحريم (١)؟، أليس هذا أيضا أثر للنصوص التي ملكت عليهم قلوبهم وأفئدتهم؟!!

مما سبق يتبين أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يتأثرون بنصوص القرآن والسنة في كل أمر من أمور حياتهم خلافا لما ادَّعاه مثير الشبهة.

(هـ) الرد على رواية زنا المغيرة رضي الله عنه نموذجا:

لابد أن يشير الباحث أولا إلى أن كتب التاريخ لا يشترط فيها من الصحة ما يشترط لكتب الحديث، وعندما يتأمل الباحث الرواية يجد أنها تبدأ بقوله قالوا هكذا دون تحديد من قال والمغيرة ﷺ أحد أصحاب بيعة الرضوان اللذين أخبر الله أنه رضي عنهم قال تعالى: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا" (الفتح: ١٨)ـ وقد أثنى عليهم النبي ﷺ فقال: " أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ"(٢).

قال عنه الإمام الذهبي " من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة الرضوان، كان رجلا طويلا مهيبا"(٣).

هذا بالنسبة لتزكية الله ورسوله والعلماء لهم بصفة عامة والصحابي الجليل (المغيرة بن شعبة) واحد منهم.

القصة لم تثبت بطريق متفق على صحته

وأما بالنسبة لسند الرواية فقد وردت بطرق متعددة منها ما هو منكر ومنها ما صح سنده كالرواية التي ذكرها الإمام ابن حجر(٤)، لكن هذا الطريق أيضا لم يتفق العلماء على صحته، فلم تثبت نقلا.

" إن القصة التى استدل بها المغرضون لم تثبت بطريق متفق على صحته، وإنما رواها سيف بن عمر المؤرخ، وهو مجروح العدالة، وأرسلها معه أبو حذيفة البخارى بغير إسناد، ولا يعرف حاله

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (تفسير القرآن) باب (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا)/ برقم (٤٦٢٠)/ ٦/ ٥٤.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (المغازي) ـ باب (غزوة الحديبية) ـ برقم ٤١٥٤/ ٥/ ١٢٣.

(٣) سير أعلام النبلاء . الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤م/ ٣/ ٢١/ ط.مؤسسة الرسالة بيروت . ط(١) ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ـ باب (شهادة القاذف والسارق والزاني)/ ٥/ ٢٥٦/ ط. دار المعرفة– بيروت، ١٣٧٩هـ.

وأسندها أبو عتاب الدلال عن أبى كعب صاحب الحرير" (١)

ويؤكد ذلك ما ذكره الإمام الذهبى فى "السير" قال: "ذكر القصة سيف بن عمر، وأبو حذيفة النجارى مطولة بلا سند، وسيف بن عمر هو كالواقدى متروك " (٢)

كما أن الرواية يبطل تصديقها عقلا لما يلى:

ـ أن المغيرة ﷺ كان كثير الزواج ومتعدد الإماء، وكان واليا على البصرة ـ كما أشار مثير الشبهة ـ مما يسهل عليه الوصول للزواج بأى امرأة يريدها، فأى حاجة لأن يفعل الحرام وعنده من الحلال ما يكفيه؟! سواء كان من الإماء والجوارى أو الزواج بالحرائر، لاسيما وهو صحابى جليل له قدره ومكانته.

ـ أن عمرﷺ كان معروفا بغيرته على حرمات الله وقوته فى دينه، حتى إن الشيطان كان يخشاه، فهل من المعقول أن يحابى عمرﷺ أحدا فى حد من حدود الله كائنا من كان، فلو صح زنا المغيرة ﷺ لحده عمرﷺ؟!، فلقد أمر عمرو بن العاص بإقامة الحد على أحد أبنائه بمصر، ثم عاقبه عمر نفسه بعد ذلك بالجلد، وروى أنه توفى بعد ذلك من أثر هذا الجلد، فهل كان عمر يحابى المغيرة ويقيم الحد على ابنه" (٣)

ولقد قال المغيرة سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني مستقبلهم أو مستدبرهم وكيف رأوا المرأة أو عرفوها فإن كانوا مستقبلي فكيف لم أستتر؟ أو مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إلي في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيت إلا امرأتي وكانت شبهها" (٤)

ومما يؤكد أن عمر لم يحاب أحدا قوله للمغيرة: والله لو كملت الشهادة لرجمتك بأحجارك" (٥)

وأما بالنسبة للواقع فلم تثبت عليه تلك المعصية النكراء، حيث إن ثبوت الزنا لا يكون إلا بإقرار الزاني أو بشهادة أربعة شهود أنهم رأوه كالمرود في المكحلة، ولم يتم أيا منهما، وإنما شهد

---

(١) العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم ـ ابن الوزير اليمانى/ ١/ ٦٧٠ بتصرف/ ط(١) ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي/ ٥/ ٢٣.

(٣) فصل الخطاب فى سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ د الصلابى/ ٤٥٤/ دار الإيمان ـ الإسكندرية ـ ٢٠٠٢م.

(٤) تاريخ الطبرى/ ٢/ ٤٩٣.

(٥) البداية والنهاية ـ ابن كثير/ ٨/ ٦٣.

ثلاثة وتخلف الرابع كما تذكر الرواية، وبالتالي سقط الحد عنه لعدم اكتمال نصاب الشهادة.

وإن جزم مثير الشبهة بحصول الواقعة وصحة سند الرواية، فلم يكن مع امرأة أجنبية، بل كان مع زوجة من نسائه تشبه تلك التي ادُّعِي عليها فعل الفاحشة مع ذلك الصحابي الجليل.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: " يظهر لنا في هذه القصة أن المرأة، التي رأو المغيرة ﷺ مخالطا لها عندما فتحت الريح الباب عنهما هي زوجته، ولا يعرفونها، وهي تشبه امرأة أجنبية كانوا يعرفونها تدخل على المغيرة وغيره من الأمراء، فظنوا أنها هي"(١).

وعلى أية حال فإنه لابد هنا من التأكيد على عدم عصمة أحد غير الأنبياء، فإن وقع أي مسلم في معصية وحسنت توبته غفر الله له.

مما سبق يتبين، أن رواية زنا المغيرة ﷺ لم تثبت بسند متفق على صحته، وأن جريمة الزنا لم تثبت على المغيرة ﷺ واقعيا، وأنه مُزكَّى من الله ورسوله وعلماء المسلمين، كما أنها لم تثبت إلا نادرا في مجتمع المدينة وكذلك كانت إقامة ذلك الحد نادرة، ولو ثبتت لما عطل أصحاب النبيﷺ حدا من حدود الله، خاصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ المعروف بعدله وحرصه الشديد على تطبيق أحكام الشريعة.

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث أن الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– نوع في الرد على هذه الشبهة فبين ما يلي:

أن المجتمع العربي كان يعرف العديد من الأنشطة الرياضية وغيرها، وأن مثير الشبهة متناقضا في ادعاءاته.

أن مجتمع المدينة لم يكن يكثر من استخدام ألفاظ الجنس كما يَدَّعِي مثير الشبهة.

أن واقع الحياة التي كان يعيشها المسلمون في بداية الدعوة وخاصة في المدينة لم يكن يساعدهم على الانشغال بالجنس كل هذا الانشغال الذي يريد مثير الشبهة أن يوهم به القارئ.

أن كثرة الإنجاب لاعلاقة له بكثرة ممارسة الجنس أو ارتفاع درجة الحرارة، وإنما تقل المواليد بسبب اختلاف الثقافة في المجتمعات المتحضرة عنها في المجتمعات البدائية.

---

(١) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ ـ١٣٩٣)/ ١٩٥، ١٩٦/ دار علم الفوائد ـ مكة ـ ط(١) ـ ١٤٢٦.

أن المجتمعات الغربية أكثر شراهة في الإقبال على ممارسة الجنس والزنا من المجتمعات الإسلامية.

أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا وقَّافين عند نصوص القرآن والسنة.

ولقد ابتعد الدكتور في الرد على هذه الشبهة –على الرغم من تنوعه – عن صلب الموضوع وهو بيان مدى ثبوت أوصحة هذه الروايات، وهو من الأهمية بمكان، وأن الروايات المنقولة فى زنا الصحابه رضى الله عنهم عامة والمغيرة ﷺخاصة ليست ثابتة.

والمغيرة ﷺ خاصة لم تثبت منها رواية واحدة بطريق متفق على صحته، وأن المغيرة ﷺ لم تثبت عليه تهمة الزنا، وأن المرأة التى شوهدت معه هى زوجته،.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل صحيح.

الفصل الثالث
جهود الدكتور إبراهيم عوض
في الدفاع عن العقيدة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالإيمان بالعهدين القديم والجديد والنبوة.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بمعجزات الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بالسمعيات.

توطئة:

للعقيدة أهمية كبيرة في حياة الإنسان " فهي تمثل الجذور لشجرة هذا الدين، فإذا لم تكن الجذور متأصلة في أعماق الأرض فإنها لا تستطيع أن تحمل الفروع الضخمة التي فوقها.

والعقيدة كالأساس للبناء الضخم الذى لابد له من أساس متين، وقاعدة صلبة حتى يستقر فوقها البناء"(١)، فهي ضرورية للمحافظة على الشخص من الانحرافات في العبادة والأخلاق، وهي التي تنير للعبد طريقه إلى الله.

قال تعالى:" أَوَمَنْ كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا" (الأنعام: ١٢٢)

وتمثل العقيدة الجانب الروحي الذى يعيش به الإنسان، فالإنسان بدون جانب روحي كالجسد الميت لا يشعر بطعم للحياة حوله قال رسول الله ﷺ" ذَاقَ طَعِمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولا" (٢)

كما أن لها دورا كبيرا في تكوين شخصية المسلم وتهذيب سعيه في هذه الحياة، لأنها تضفي على المتمسك بها السكينة والوقار، مما يشعر الإنسان بالسعادة والرضا في جميع الأحوال ما لم يكن بعيدا عن ربه ﷻ.

---

(١) الإيمان والسلوك – أحمد عبده عوض– ص٧ بالمعنى/ أطلس للنشر والتوزيع– ط(١)– ٢٠١٨م.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب (الإيمان) ـ باب (معرفة الإيمان والإسلام) ـ برقم (٣٤)/ ١/ ١٢١

وتزين المسلم بالأخلاق الكريمة التي تجذب الناس إليه وتجعلهم يلتفون حوله، مما يساعد في بناء المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا.

وفي هذا الفصل يتناول الباحث بعض القضايا العقدية التي أثيرت حولها الشبهات والتي تناولها الدكتور إبراهيم عوض بالعرض والرد من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالإيمان بالعهدين القديم والجديد والنبوة.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بمعجزات الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالسمعيات.

المبحث الأول:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهاتالمتعلقة بالإيمان بالعهدين القديم والجديد والنبوة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شبهة إيمان المسلمين بكل ما في الكتاب المقدس الذي بين أيدي أهل الكتاب الآن والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة عدم ظهور الدعوة إلى الإيمان بنبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) إلا في المدينة والرد عليها.

المطلب الأول:

شبهة إيمان المسلمين بكل ما في الكتاب المقدس الذي بين أيدي أهل الكتاب الآن والرد عليها:

الكتب السماوية، هي الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله رحمة للخلق وهداية لهم، ليحققوا باتباعها سعادة الدارين، والإيمان بالكتب السماوية، هو الركن الثالث من أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان العبد إلا به.

قال تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ" (البقرة:٢٨٥)

وفي حديث جبريل عليه السلام مع النبي عندما سأله عن الإيمان قال " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "(١)

ومن الكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذى أنزل على عيسى ﷺ، ويدّعى أهل الكتاب أن الكتاب المقدس الذى بين أيديهم الآن بعهديه القديم والجديد يجمع محتوى التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله تعالى على موسى وعيسى – عليهما السلام – ؛ لذا يجب على المسلمين أن يؤمنوا بكل ما ورد في الكتاب المقدس.

وقد تناول الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله – هذه الشبهة بالعرض والرد عندما قام بترجمة بعض القضايا الواردة في موسوعة "إنكارتا".

أولا عرض الشبهة:

يزعم مثير هذه الشبهة أن الإسلام يعترف بأن الكتاب المقدس الآن بعهديه القديم والجديد كتاب سماوى، وبالتالي يجب على المسلمين أن يؤمنوا بكل ما ورد فيه فيقول:

"الإسلام يقر بأن الكتاب المقدس الآن بعهديه القديم والجديد هو كتاب سماوي"(٢)

ثانيا الرد على الشبهة:

ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التفرقة بين التوراة والإنجيل والعهدين القديم والجديد:

(ب) الرد على الشبهة من خلال اختلاف أهل الكتاب حول صحة بعض أسفار العهدين القديم والجديد، والتناقضات الواردة فيهما:

ـ وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التفرقة بين التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد:

إنَّ من يتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله ﷻ لم يتعرض فيه للحديث عن الكتاب المقدس بعهديه، وإنما تحدث عن التوراة والإنجيل باعتبارهما كتابين سماويين من عند الله ﷻ.

وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب (الإيمان) . باب (معرفة الإيمان والإسلام) ـ برقم (١)/ ١/ ١٢١.

(٢) كتابات استشراقية الإسلام في خمس موسوعات إنجليزية (نصوص ودراسات) ـ د إبراهيم عوض/ ١٢٥ ترجمة لما ورد في موسوعة "إنكارتا".

" إن القرآن لم يقل إن العهد القديم والجديد كتابان سماويان، بل كان كلامه عن التوراة والإنجيل، وشتان بين هذا وذاك، فالتوراة حسبما يقول القرآن الكريم، هي الكتاب الذي أُنزل على موسى ﷺ، والإنجيل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى ﷺ، أما الكتاب المقدس بعهديه فهو من كتابة البشر" (١)

ـ ويبين فضيلته أن العهد الجديد يحتوي على أربعة أناجيل، وهذه الأناجيل تم اختيارها من بين عدة أناجيل أخرى، وأنها جميعا من كتابة البشر؛ ولذلك لا نستطيع أن نصف أحدها بأنه الإنجيل المذكور في القرآن فيقول:

" ولنلاحظ مثلا أن لدينا الآن عدة أناجيل لا إنجيلا واحدا، وهذه الأناجيل ليست أربعة فحسب، بل هذه الأربعة هي وحدها الأناجيل التي أقرتها المجامع الكنسية بعد زمن طويل من رفع الله ﷻ عيسى ﷺ إليه، وهناك أناجيل أخرى كثيرة، وكل الأناجيل الموجودة الآن من كتابة البشر كالسيرة النبوية عند المسلمين" (٢)

ـ ثم يؤكد – فضيلته– أن هذه الأناجيل ورد فيها ذكر إنجيل كان يبشر به عيسى ﷺ وأن ذلك يدل على وجود هذا الإنجيل في يد المسيح ﷺ قبل ظهور هذه الأناجيل فيقول:

" وفي بعض تلك الأناجيل الأربعة التي تعترف بها الكنيسة ذِكْر لإنجيل كان يبشر به عيسى ﷺ قومه، مما يدل على أنه كان هناك إنجيل في يد المسيح ﷺ قبل ظهور أي من تلك الأناجيل الأخرى بعشرات السنين، ومن الواضح أنه هو الإنجيل الذي ورد ذكره مرارا في القرآن المجيد"(٣)

ولقد أشار متى إلى هذا الإنجيل فقال: " الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضا بما فعلته(٤)

– والذي يتأمل فيما قاله الدكتور إبراهيم عوض يجد أن رده اقتصر على ذكر القرآن الكريم للتوراة والإنجيل وليس العهدين القديم والجديد، إذ إننا لا نستطيع أن نقول إنها الكتب التي أنزلت على النبيين الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام، واستدل على ما ذهب إليه بأن هذه الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب نفسها ورد فيها الإشارة إلى إنجيل أصلي كان في يد

---

(١) كتابات استشراقية الإسلام في خمس موسوعات إنجليزية (نصوص ودراسات) ـ د إبراهيم عوض/ ١٢٥.

(٢)المرجع السابق/ ١٢٥،١٢٦.

(٣) كتابات استشراقية د/ إبراهيم عوض/ ١٢٦.

(٤) متي/ إصحاح ٢٦/ فقرة ١٣.

المسيح ﷺ، استمدت منه بعض ما ورد فيها، وأن هذا الإنجيل هو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، لكنه لم يذكر ما يدل على وجود ذلك الإنجيل من العهد الجديد، وهذا أصل في الرد على الشبهة.

– وزيادة في الإيضاح يذكر الباحث بعض النصوص التي تؤكد وجود هذا الإنجيل

يقول الدكتور عادل درويش(١):"ومما لا شك فيه أن هذه الأسفار التي يتضمنها العهد الجديد لم تظهر إلا بعد ضياع الإنجيل الأصلي الذي أنزل على عيسى ﷺ، والذي أخبرنا به القرآن الكريم في كثير من آياته منها قوله تعالى عن عيسى ﷺ "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ" (آل عمران:آية ٤٨) وقوله تعالى "وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدى وَنُورٌ وَمُصَدِّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدى وَمَوْعِظَة لِلْمُتَّقِينَ" (المائدة: آية:٤٦) (٢)

– ويعترف الدكتور أسد رستم (٣) وهو على دين القوم بوجود إنجيل كان في صدور الرسل فيقول: " وشاع في أواخر المائة الأولى بين الأوساط العلمية (الكتابية) أن الإنجيليين الثلاثة استقوا أخبارهم من إنجيل آرامي واحد، حفظه المؤمنون في صدورهم وحافظوا على نصوصه بأمانة ودقة لما أوتوا كشرقيين من مقدرة فائقة في الحفظ عن ظهر قلب"(٤)

– ومن خلال تلك النصوص يتأكد للباحث وجود إنجيل بيد المسيح ﷺ غير تلك الأناجيل التي بين أيدي أهل الكتاب الآن بشهادة أهل الكتاب أنفسهم.

---

(١)هو الدكتور عادل محمد محمد درويش، أستاذ ورئيس قسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، حصل على الليسانس من كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٨٥م، ثم الماجستير عام ١٩٩١ والدكتوراة عام ١٩٩٤م.، ثم أعير للعمل بالجامعة الإسلامية بإندونيسيا، ثم عاد وحصل على الأستاذية عام ٢٠٠٥م، من أهم مؤلفاته (سلسلة الأديان والمذاهب، العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة)/ سلسلة الأديان والمذاهب (٣) الشيعة فرقها وعقائدها– د/ عادل درويش – غلاف الكتاب.– ط(٢)– ٢٠٠٨م. .

(٢)النصرانية بين الحقيقة والتحريف ـ د عادل درويش/ ٢٤١،٢٤٠/ ط(٢) ـ٢٠٠٥.

(٣) أسد رستم/ هو الباحث الدكتور المؤرخ أسد بن جبرائيل رستم مجاعص، ولد ١٨٩٧ بالشوير بلبنان تعلم بالمدرسة (الجامعة الأمريكية)بيروت وتخرج بجامعة شيكاغو، عين أستاذا مساعدا بالجامعة الأمريكية عام ١٩٢٣م، وأستاذا للتاريخ الشرقي ١٩٩٧ من أهم مؤلفاته (مصطلح التاريخ، آراء وأبحاث، كنيسة أنطاكية العظمى)، توفي في بيروت عام ١٩٦٥م/ الأعلام للزركلي/ ج١/ ص٢٩٧، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي من ١٣٠١ــ ١٤١٧/ إبراهيم بن عبد الله الحازمي ج٣ ـ ص٨٣٥ ـ دار الشريف للنشر والتوزيع. ط١. ١٤١٩هـ.

(٤) النصرانية بين الحقيقة والتحريف ـ د عادل درويش/ ٢٤٢/ نقلا عن آراء وأبحاث ـ د أسد رستم/ ٢٢٤، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت– ١٩٦٧م.

(ب) الرد على الشبهة من خلال اختلاف أهل الكتاب حول صحة بعض أسفار العهدين القديم والجديد، والتناقضات الواردة فيهما:

يشير الشيخ رحمة الله الهندي إلى اختلاف أهل الكتاب حول صحة كتبهم، فيقول:

" اعلم أنهم يقسمون هذه الكتب إلى قسمين: قسم منها يدَّعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقسم منها يدَّعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى (بَيْبِل) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين: قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين، وقسم اختلفوا فيه." (١)

ـ ويؤكد على عدم اعتراف السامريين إلا بسبعة أسفار فقط من العهد القديم، بينما يعترف قدماء المسيحيين بأسفاره كلها، فيقول:

" وكتب العهد العتيق ثمانية وثلاثون كتابا، تسمى الخمسة الأولى منها بـ(التوراة)،... وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق على مجموع كتب العهد العتيق مجازا، وهذه الكتب الثمانية والثلاثون كانت مسلمة عند جمهور القدماء من المسيحيين. والسامريون لا يسلمون منها إلا بسبعة كتب: الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة. وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود"(٢)

ـ وهناك العديد من النصوص التي تدل على تحريف تلك الكتب، ففيها من التناقضات مالا يمكن أن يقبله العقل، فضلا عن أن يصدر عن رب العزة سبحانه وتعالى، ومنها مايلي:

ـ ففي أول أسفار العهد القديم يظهر التناقض في ترتيب خلق الكائنات، فتارة يذكر أن الحيوانات والطيور خلقت في اليوم الخامس، ثم خلق آدم عليه السلام في اليوم السادس، فيقول:

"وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ». فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الدَّبَّابَةِ الْتِى فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلا: «أَثْمِرِي

---

(١) إظهار الحق ـ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى ١٣٠٨هـ)/ ١/ ٩٨/ ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ـ ط(١)، ١٤١٠ هـ– ١٩٨٩ م

(٢) إظهار الحق– ٩٩ ـ ١٠٢

وَاكْثُرِي وَامْلإِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْما خَامِسا.وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"(١)

ـ وتارة يعود نفس السفر، فيذكر أن الإنسان خلق أولا، ثم خلقت النباتات والحيوانات والطيور:

"وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسا حَيَّة. وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّة فِي عَدْنٍ شَرْقا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ"(٢).

وفي الحديث عن عدد سنين الجوع التي حكم الله بها على داوود – عليه السلام– نجدها سبع سنين في سفر صموئيل الثاني:

"فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ" (٣)

وثلاث سنين في سفر أخبار الأيام الأول:

"فَجَاءَ جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْبَلْ لِنَفْسِكَ: إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ هَلاَكٌ أَمَامَ مُضَايِقِيكَ وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَكُونُ فِيهَا سَيْفُ الرَّبِّ وَوَبَأٌ فِي الأَرْضِ، وَمَلاَكُ الرَّبِّ يَعْثُو فِي كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ"(٤)

ـ الاختلاف في نسب المسيح بين لوقا ومتى:

ففي لوقا نجد بين المسيح وداوود عليهما السلام في النسب اثنين وأربعين رجلا، بينما نجد بينهما في متى سبعا وعشرين رجلا، وهذا يبين استحالة صدقهما معا، وهذان هما النصان كما وردا في كل إنجيل منهما.

"وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَة، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ

---

(١) تكوين/ ١/ ٢٠– ٢٧

(٢) تكوين/ ٢/ ٧– ١٠

(٣) صموئيل الثاني/ ٢٤/ ١٣.

(٤) أخبار الأيام الأول/ ٢١/ ١١، ١٢

نَجَّايِ، بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، بْنِ يُوسِي، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ، بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ. (١)

" كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ: إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْراهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلا" (٢)

الاختلاف في وصية المسيح لتلاميذه:

ففي إنجيلي متى ولوقا يوصي المسيح أتباعه ألا يحملوا معهم شيئا ولا حتى العصا، بينما يوصيهم في مرقس أن يحملوا العصا.

" لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبا وَلاَ فِضَّة وَلاَ نُحَاسا فِي مَنَاطِقِكُمْ، وَلاَ مِزْوَدا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَة

---

(١) لوقا/ ٣/ ٢٣- ٣٨.

(٢) متى/ ١/ ١- ١٧.

وَلاَ عَصا، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِق طَعَامَهُ." (١)

" وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَحْمِلُوا شَيْئا لِلطَّرِيقِ غَيْرَ عَصا فَقَطْ، لاَ مِزْوَدا وَلاَ خُبْزا وَلاَ نُحَاسا فِي الْمِنْطَقَةِ. بَلْ يَكُونُوا مَشْدُودِينَ بِنِعَال، وَلاَ يَلْبَسُوا ثَوْبَيْنِ"(٢)

"وَقَالَ لَهُمْ:«لاَ تَحْمِلُوا شَيْئا لِلطَّرِيقِ: لاَ عَصا وَلاَ مِزْوَدا وَلاَ خُبْزا وَلاَ فِضَّة، وَلاَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ ثَوْبَانِ." (٣)

ـ من خلال ما سبق يتبين عدم الاتفاق بين طوائف اليهود على تقديس كثير من أسفار العهد القديم، وعدم، واشتمال العهدين القديم والجديد على تناقضات ظاهرة، مما يحيل على العقل أن يكون هذا كلام الله تعالى.

الخلاصة

من خلال ما تم عرضه يتبين ما يلي:

ـ وجوب الإيمان بكل ما أنزله الله ﷻ من الكتب السماوية إجمالا، والإيمان تفصيلا بما سماه الله في القرآن الكريم من هذه الكتب، وعدم التفريق بين الرسل.

ـ أن القرآن الكريم مهيمن على الكتب السابقة عليه.

ـ أن الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب الآن ليست الأصلية التي أنزلها الله، بدليل تبشير متى على لسان المسيح بإنجيل آخر قبل كتابة هذه الأناجيل، وباعتراف بعض المنصفين من أهل الكتاب.

أن هناك كثيرا من النصوص في العهدين القديم والجديد تدلان على استحالة كونهما من عند الله في مجموعهما.

ـ أن النصوص الواردة في القرآن والسنة التي تدل على إيمان المسلمين بالكتب السماوية، إنما يقصد بها الكتب المنزلة على الرسل، وليست الموجودة الآن بين يدي أهل الكتاب.

بذلك تسقط الشبهة ويتبين عدم وجوب الإيمان بكل ماورد في العهدين القديم والجديد الذين بين أيدي أهل الكتاب الآن.

---

(١) متى/ ١٠/ ٩، ١٠

(٢) مرقس/ ٦/ ٨، ٩.

(٣) لوقا/ ٩/ ٣.

المطلب الثاني:

شبهة عدم ظهور الدعوة إلي الإيمان بنبوة محمدﷺ إلا في المدينة والرد عليها:

أرسل الله ﷻالرسل إلى أقوامهم، وأنزل مع كل منهم شريعة خاصة بقومه، ثم ختم ﷻ الرسالات برسالة محمد ﷺ، وجعل رسالته ناسخة لما سبقها من الرسالات، وكتابه مهيمنا على جميع الكتب، وقد حرص النبيﷺ منذ الوهلة الأولى على بيان مهمته التي كلفه الله ﷻ بها، وأنه مرسل إليهم من الله ﷻ.

ومع هذا نرى ونسمع من يشكك في رسالته ﷺ، ويدعى أنه لم يخبر الناس بأنه نبى إلا بعد استقراره وأصحابه في المدينة المنورة وتوفر الظروف المناسبة لذلك، وممن تعرض للرد على هذه الشبهة الدكتور/ إبراهيم عوض، وليدع الباحث له المجال لعرض الشبهة والرد عليها.

أولا عرض الشبهة

يَدَّعي مثير هذه الشبهة أن النبي ﷺ لم تكن دعوته إلا للمشركين من العرب، وأنه لم يطلب الإيمان بنبوته إلا في المدينة المنورة.

يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" ويزعم الكاتب... أن الرسول ﷺ لم يكن يوجه دعوته إلا إلى مشركي العرب، وأن اشتراط الإيمان بنبوته ﷺ لم يطرح على بساط الاعتقاد إلا في المدينة، إذ لم تكن مهمته (آنئذ) ـ يعني حينئذـ إرساء القواعد اللاهوتية، بل الدعوة إلى القيمة الخلقية ليس إلا"(١)

ثانيا الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال الدعوة إلى نبوته في القرآن المكي

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلا ل التأكيد على عالمية الإسلام في القرآن المكي.

(ج) الرد على الشبهة من خلال معجزات النبي ﷺ في مكة.

(د) الرد على الشبهة من خلال شهادة بعض المعاصرين للنبي ﷺ في مكة.

ـ وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) نصوص إنجليزية استشراقية عن الإسلام ـ د.إبراهيم عوض/ ٥٩/ ط. ٢٠٠٦ـ دون دارنشر.

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ورود الدعوة إلى نبوته في القرآن المكي.

إن من ينظر في نصوص القرآن الكريم يجد أن بعض النصوص القرآنية التي نزلت بمكة وتناولت رسالة النبي ﷺ في صراحة ووضوح ويعرض هذا الدكتور إبراهيم عوض فيقول:

" إن القرآن المكي يفيض بالنصوص التي تتحدث عن رسالة محمدﷺ، وتضعه مع الأنبياء والرسل السابقين في نفس السياق، وتقيس ما يلقاه من قومه علي ما كان نظراؤه من أنبياء الأمم الأخري يلقونه...

وإن القرآن هو وحي السماء، نزل به الروح الأمين علي قلبه ليكون من المنذرين، وإن الله قد تكفل بحفظه.

وهذه بعض النصوص القرآنية المكية التي تنص علي نبوة الرسول الكريم وتدعو إلي الإيمان به ﷺ

قال تعالى: " آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ" (هود: ١، ٢)

وقال ﷻ " وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرا وَنَذِيرا (١٠٥) وَقُرْآنا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا" (الإسراء: ١٠٦،١٠٥)

وقال سبحانه: " قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (الأحقاف: ٩)

" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ" (الأعراف:١٥٧)

" قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (الأعراف:آية:١٥٨)

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّة لِلنَّاسِ بَشِيرا وَنَذِيرا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون" (سبأ: آية:٢٨)(١)

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلا ل التأكيد على عالمية الإسلام في القرآن المكي:

عندما ينظر الباحث في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتضح له أن رسالة

---

(١) نصوص إنجليزية استشراقية عن الإسلام ـ د.إبراهيم عوض/ ٦١،٦٠.

النبي ﷺ موجهة إلى الناس جميعا، بما فيهم اليهود والمشركون وغيرهم، بل إلى الجن والإنس يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" بل إن هناك (كما نري) آيات تنص نصا علي أن رسالته ﷺ موجهة إلي الناس جميعا لا إلي قومه فحسب، فضلا عن الآيات (٢٩-٣٢) من سورة الأحقاف، التي تشير إلي أنه لم يكن رسولا إلي الإنس وحدهم، بل إلي الجن أيضا.

قال تعالى: "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ" (الأحقاف: ٢٩،٣٠)

كما أن آيات الأعراف موجهه إلي العالمين وكذلك اليهود أنفسهم، وهو ما يفضح مزاعم هذه الأفاك!

قال تعالى:" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (الأعراف آية:١٥٧، ١٥٨)

وقد انصب تكذيب المشركين من قوم الرسول ﷺ من إنكارهم لنبوته واشتراطهم أن ترسل السماء نبيا من الملائكة لا من البشر أن يأتيهم بما يقترحونه عليه من آيات.

- قال تعالى: " بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ"(الأنبياء: ٥)

وقوله جل شأنه: " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرا رَسُولا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرا رَسُولا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكا رَسُولا" (الإسراء ٩٠، ٩٥)

فكيف يقال بعد هذا كله أن دعوة محمد في مرحلتها المكية كانت تخلو من الكلام عن

نبوته ولا تشترط الإيمان به ﷺ (١)

وإنما أرسل الله إليهم رسولا من البشر لكون الجنس للجنس أقرب ؛ لذا لو كانت النبوة في الملائكة لأتوا على صورة بشرية.

وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم عوض يجد أنه يتلخص في بيان عدم التزام مثير الشبهة الصدق فيما يقول، ثم يثبت الدعوة إلى الإيمان بنبوة النبيﷺ في مكة من خلال ما ورد على لسان النبي ﷺ في القرآن المكي، ومن خلال التأكيد على عالمية الإسلام في مكة من خلال السور المكية.

. وإتماما للفائدة يضيف الباحث ما يلي:

(ج) الرد على الشبهة من خلال معجزات النبي ﷺ في مكة:

وزيادة في الإيضاح يذكر الباحث بعض المعجزات التي تؤكد على إثبات نبوة النبي ﷺ يقول أبو البقاء الهاشمي(٢):

" إن دلائل نبوّة محمّد ﷺ متنوعة ومتعددة، فمنها بشارات الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم، والإرهاصات السابقة لبعثته ﷺ، والمعجزات الكثيرة، ومن أعظمها معجزة القرآن الكريم الخالدة، ودعوته ﷺ إلى مكارم الأخلاق وكمال شريعته، وسيرتهﷺ وأحواله قبل البعثة وبعدها، وتأييد الله له بالنصر والتمكين في الأرض، وسيرة أصحابه – رضي الله عنهم – الذين حملوا لواء الدعوة من بعده، وكرامات الأولياء والصالحين من أمته ﷺ، وغير ذلك من الدلائل التي تكفي مفرداتها في إثبات النبوة والرسالة للنبي ﷺ، فكيف بمجموعها؟!!" (٣)

وحتى لا يطيل الباحث يذكر نموذجين فقط من معجزات النبي ﷺ قبل الهجرة النموذج الأول معجزة انشقاق القمر:

انشقاق القمر من أشهر وأهم معجزات النبي ﷺ، حيث إنه وقع ردا على تحدي كفار قريش للنبي ﷺ، فقالوا له إن شققت القمر آمنا بك، ولكنهم بعد ذلك تمادوا في كفرهم، واتهموا النبي

---

(١) المرجع نفسه/ ٦٢،٦١بتصرف.

(٢)(٠٠٠– ٦٦٨ هـ) (٠٠٠– ١٢٧٠ م) صالح بن الحسين الجعفري (أبو البقاء)،أديب، ناثر، ناظم، متكلم من تصانيفه: البيان الواضح المشهود من فضايح النصارى واليهود، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، وله خطب ونظم ونثر./ معجم المؤلفين/ ٥/ ٦.

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ـ صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي المتوفي عام(٦٦٨هـ)/ ٢/ ٩٠٠/ ط.مكتبة العبيكان الرياض ـ ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ.

ﷺ بالسحر، وهذه المعجزة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

يقول الإمام محمد الأمير(١) ـ رحمه الله ـ في الحاشية:

"(ومعجزاته) أي خوارق العادة الظاهرة على يديه ﷺ الدالة على صدق نبوته (كثيرة) كثرة ما وصل إليها معجزات أحد غيره من الأنبياء مع طول مددهم وقصر مدته، وذلك أدل دليل على مزيد العناية به وهو دليل مزيد التشريف كشق صدره... وكانشقاق القمر وتسليم الحجر والشجر عليه " (٢)

" وَمنها(أي الأخبار المتوسطة بين خبر الآحاد والخبر المتواتر) الخبر المنتشر من بعض الناس إذا أخبر به بحضرة قوم لا يصح منهم التواطؤ على الكذب وادعى عليهم وقوع ما أخبر عنه بحضرتهم، فإذا لم ينكر عليه أحد منهم علمنا صدقة فيه، وبهذا النوع من الأخبار علمنا معجزة نبينا ﷺ في انشقاق القمر" (٣)

ويقول الإمام ابن كثير في البداية والنهاية: " فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ وجعل الله له آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز:" اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ" (القمر: ١ ـ ٣)

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام. وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها"(٤)

وأثبت الإمام البخاري تلك المعجزة في صحيحه فقال:

– حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ،

---

(١) محمد الأمير (١١٥٤– ١٢٣٢ هـ) (١٧٤١– ١٨١٧ م) محمد الأمير الكبير، السنباوي، المصري، المالكي،عالم مشارك في العلوم العقلية والنقلية. ولد بسنبو من أعمال منفلوط بمصر، من أهم مؤلفاته: (حاشية على رسالة الدردير، حاشية على شرح الملوي على السمرقندية في البلاغة، شرح على غرامي صحيح في مصطلح الحديث، وتفسير سورة القدر)/ معجم المؤلفين/ ٩/ ٦٨.

(٢) حاشية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني/ ١٢٤/ ط١٩٤٨ ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٣) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ــ عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)/ ١/ ٣١٣/ دار الآفاق الجديدة – بيروت ـ ط(٢)، ١٩٧٧م.

(٤) البداية والنهاية ـ ابن كثير/ ٣/ ١٤٦. مرجع سابق.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا»(١)"

معجزة الإسراء والمعراج

ومن معجزات النبيﷺ قبل الهجرة كذلك رحلتا الإسراء والمعراج، حيث إنه ذهب من مكة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماوات العلى في جزء من الليل، ولما كذبه كفار قريش وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس ـ وهم يعلمون أنه لم يذهب إليه من قبل ـ فوصفه لهم، وأخبرهم بالعديد من الأمور التي شاهدها في طريقه وتأكدوا من صحة ذلك

ففي الصحيح من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلاَ اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ " (٢)

ـ وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ " فَقَعَدَ مُعْتَزِلا حَزِينا، قَالَ: فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نَعَمْ " قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: " إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ " قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: " إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ " قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَلَمْ يُرِه أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نَعَمْ " فَقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا، قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ " قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ.. قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ،فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ "، قَالَ: " فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ "، قَالَ: " وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ " قَالَ: " فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللهِ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (المناقب) ـ باب (سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺآية فأراهم انشقاق القمر) ـ برقم (٣٦٣٦)/ ٤/ ٢٠٦.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـ في كتاب(مناقب الأنصار) ـ باب (حديث الإسراء) ـ برقم (٣٨٨٦)/ ٥/ ٥٢.

لَقَدْ أَصَابَ"(١)

ـ وهذا ما استشهد به الإمام النيسابوري على صدق نبوته ﷺ حيث قال:

" فمن أعلام نبوّته ﷺ التي بهرت عقول قريش، وتركتهم في أمرهم حيرى: ليلة أسرى الله به من مكة إلى المسجد الأقصى بالشام، فبات معهم أول الليل، ثم اخترق الشام ورجع من آخر الليل، فلما أنبأهم بذلك أنكره من لم يعقل آيات الرسل عقله، ونفروا منه، وعرف صدقه العارفون بالله من أصحابه، وأعداؤه أنكروا ما أخبرهم به،... فامتحنوه بوسع طاقتهم ومبلغ جهدهم، جهدا منهم في إطفاء نوره وإبطال دعوته، فرفعه الله إليه ومثّله له نصب عينيه، فأخبرهم عنه عيانا، حتى أبرأ الصدور، وقطع العذر من المكذبين، وأيد الله بذلك المؤمنين.

ثم أخبرهم ﷺ بمجيء غيرهم، وأن الجمل الذي يتقدمها عليه غرارتان، وإخباره ﷺ بأمر العير من أعجب العلامات التي أخبر بها." (٢)

وعلى أية حال فإنه يتبين مما سبق تتابع المعجزات الباهرات للنبي ﷺ في مكة التي تثبت صدقه في دعوى النبوة، لا سيما أن معجزة انشقاق القمر وقت بناء على طلب مشركي مكة للتاكد من صدقه في دعوته ﷺ.

(هـ) الرد على الشبهة من خلال شهادة المعاصرين للنبي ﷺ في مكة:

ـ لقد شهد بنبوة النبي ﷺ في مكة العديد من أهلها ـ سواء ممن كان من أهل الكتاب أو من غيرهم ـ، وليس من المعقول أن يشهدوا له بأمر لم يبينه لهم أو يدعوهم إليه.

فممن شهد بنبوة النبى في مكة من أهل الكتاب ورقة بن نوفل وفي هذا يروي الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ـ باب (مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب)/ برقم (٢٨٢٠)/ ١/ ٣٠٩ ـ تعليق الشيخ الأرنؤوط : صحيح على شرط الشيخين ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) شرف المصطفى/ ٣/ ٣٤٢/ عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ)/ ط دار البشائر الإسلامية – مكة ـ ط(١)– ١٤٢٤ هـ.

فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخا كَبِيرا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرا مُؤَزَّرا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ"(١)

شهادة أبي بكر الصديق ﷺ:

وممن شهد بالنبوة للنبي ﷺ في مكة من غير أهل الكتاب أبو بكر الصديق ﷺ، حيث إنه ﷺ عنه لما أراد المشركون أن يوقعوا بينه وبين النبيﷺ بعد حادثة الإسراء والمعراج قال لهم إني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة.

عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ فَمَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَمِعُوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأَصُدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ" (٢)

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(بدء الوحي) باب (كيف كان بدء الوحي على النبي ﷺ) برقم (٣)/ ١/ ٧.

(٢) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه في باب (أبو بكر الصديق بن أبي قحافة) برقم(٤٤٠٧)/ ٣/ ٦٥ ـ صحيح ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها./ المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن

ـ فكما شهدت نصوص العهدين القديم والجديد بنبوة النبي محمد ﷺ، وأيده ربه بالمعجزات في مكة، كذلك شهد بنبوته المعاصرون له فيها.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

ـ بين الدكتور إبراهيم عوض أن القرآن المكي ثبتت فيه الدعوة إلى الإيمان برسالة النبيﷺ، بل أكد على عالمية تلك الرسالة.

ـ أن النبي ﷺ شهد بنبوته المعاصرون له في مكة من أهل الكتاب ومن غيرهم

ـ من أهم الأدلة على إثبات دعوته ﷺ من بداية البعثة النبوية إلى الإيمان بنبوته ﷺ في مكة اشتراط النطق بالشهادتين على من أراد الدخول في الإسلام

بذلك يتضح أن هذه الشبهة واهية، وأن الدعوة إلى الإيمان بنبوة النبيﷺ ثابتة منذ أول البعثة.

المبحث الثاني:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بمعجزات الأنبياء عليهم السلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خطأ التشكيك في إلقاء ابراهيم عليه السلام في النار والرد عليها

المطلب الثاني: خطأ التشكيك في معجزات عيسى عليه السلام والرد عليها

المطلب الأول:

خطأ التشكيك في إلقاء ابراهيم عليه السلام في النار والرد عليه:

توطئة:

للأنبياء والرسل مكانة سامية عند أهل الشرائع السماوية عامة والمسلمين خاصة، حيث إنهم مبلغون لشريعة الله ورسالته إلى الناس، متحملون في سبيل ذلك المشاق والصعوبات من أجل هداية الناس إلى خالقهم.

ولقد أيدهم الله ﷻ بالعديد من المعجزات لتكون أدلة على صدقهم، وعونا لهم على أقوامهم، فثبوت المعجزة يدل على صدق من وقعت على يديه، كما يدل على أنها من عند الله

محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥)/ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(١)، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

قال تعالى: " لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" (الحديد:٢٥)

والمعجزة هي: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة " (١)

ولما كان للأنبياء هذه المنزلة، حرص أعداء الأديان عامة، والإسلام خاصة من الملحدين وغيرهم ومن تأثر بهم على التشكيك في صدقهم.

ومن الأمور التي شككوا فيها معجزات الأنبياء – عليهم السلام– ، حيث قام بعضهم بإنكار المعجزات الحسية للأنبياء، وقام البعض الآخر بتأويلها.

وممن وقع في بعض الأخطاء بسبب التأويل الأستاذ (أسد)، حيث أول كثيرا من تلك المعجزات، من أبرزها إلقاء إبراهيمعليه السلام في النار وخروجه منها سالما، وهذا ما سيتبين في السطور التالية بمشيئة الله.

أولا عرض الخطأ:

يذكر الأستاذ (أسد) كما عرض الدكتور إبراهيم عوض أن إبراهيم عليه السلام لم يلق في النار فيقول:

" إنه لم يحدث أن ذكر القرآن في أي موضع منه أن إبراهيم عليه السلام قد ألقى بجسده فعلا في النار وبقى حيا فيها، بل إن قوله تعالى: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (العنكبوت: ٢٤)

على العكس من ذلك، وفضلا عن هذا فباستطاعتنا تتبع مصدر القصص الكثيرة المستفيضة والمتعارضة التي طرَّز بها المفسرون القدامى تفسيرهم للآية التي نحن بصددها، في الخرافات التلمودية(٢)، ومن ثم فمن الممكن أن نلقي بها دبر آذننا.

أما ما يقول القرآن هنا وكذلك في آية العنكبوت والآية السابعة والتسعين من الصافات " قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ" (الصافات: آية ٩٧)

فلا يزيد فيما يبدو، عن أن يكون إشارة رمزية إلى نار الاضطهاد التي كان على إبراهيم عليه السلام أن يقاسيها والتي ستصبح بعد ذلك بسبب عنفوانها، مصدر قوة روحية وسلام باطني له" (٣)

---

(١) حاشية الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكى لجوهرة التوحيد للإمام اللقانى ـ محمد بن محمد الأمير/ ١٢١/ ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ(١٩٤٨م. ١٣٦٨هـ).

(٢) التلمود هو/ شريعة بني إسرائيل الشفهية/ مدخل لدراسة التلمود – ليلى أبو المجد/ ٤/ الدار الثقافية للنشر –القاهرة – ط(١)– ١٤٣٢هـ– ٢٠١٠م.

(٣) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون. د إبراهيم عوض/ ٢٧– ٢٨ بتصرف. مرجع سابق.

مما سبق يتبن أن الأستاذ أسد يؤول النار التي ألقي فيها إبراهيم عليه السلام بأنها كناية(١) عن الاضطهاد، وأن السلام المذكور في الآية الكريمة شعور داخلي يجده الخليل عليه السلام في قلبه، ويستدل على ما ذهب إليه بأن القرآن الكريم لم يذكر أنه عليه السلام ألقي بجسده في النار فعلا.

ثانيا الرد على هذا الخطأ ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم حول هذه القصة وبيان المعنى الصحيح للآية الكريمة.

(ب) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة.

ـ وفيما يلي بيان ذلك

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم حول هذه القصة وبيان المعنى الصحيح للآية الكريمة:

إن القرآن الكريم ليس فيه ما يدل على عدم إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار حقيقة، بل إن أمر الله تعالى الوارد في سورة الأنبياء للنار أن تكون بردا وسلاما يدل بمفهومه على أن إبراهيم عليه السلام ألقي فيها بجسده فعلا وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض – حفظه الله– :

"ولنا على هذا الكلام مثله، فليس في القرآن ما يدل على أن الخليل عليه السلام لم يُقذف به في النار، وإلا لكَذَّب القرآن بعضه بعضا

إن آية الأنبياء تقول بصريح العبارة إنه عز وجل قد أمر النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم، بما يدل على أنه قد ألقي فيها فعلا لكنه عز وجل سلب عنها خاصية الإحراق.

وعلى أية حال فها هي آية "العنكبوت أضعها تحت بصر القارئ ليحكم بنفسه إذ تقول: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" فهل يرى القارئ أن قومه لم ينفذوا فعلا ما عزموا عليه؟ . . . ومثلها آيتا الصافات وهذا نصهما " قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ"

إذا فنحن أمام نصوص قرآنية ثلاثة: اثنان منها لا يقولان إن إبراهيم عليه السلام لم يلق به في النار،وثالثهما يقول وإن كان غير مباشر إنه عليه السلام قد قذف به فيها لكن الله جردها من طبيعتها المحرقة." (٢)

---

(١) الكناية (أن تتكلم بشئ وأنت تريد) به (غيره)/ لسان العرب ـ مادة (كَنَيَ)/ ١٥/ ٢٣٣

(٢) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون . د إبراهيم عوض/ ٢٨.

بالإضافة إلى ما أشار إليه الدكتور إبراهيم، فإن الفعل (أنجاه) في قوله تعالى: "فأنجاه الله من النار"، فهذا نص صريح في كونه ﷺ دخل في النار، وفي المقابل أخرجه الله تعالى منها، وكن حرف الجر من يوحي بكونه ﷺ دخلها حقا، وأنجاه الله منها حقيقة.

والنظم القرآني يحمل على حقيقته ما لم تدع ضرورة لصرفه عن ظاهره، وحمله على غيره، وهذه إحدى القواعد التي تسلك في التعامل ضرورة في التعامل مع القرآن الكريم، وليس ثمت ضرورة هنا تدعو لذلك، لاسيما مع ورود فعل الإنجاء وذكر حرف الجر (من)، وأمر النار أن تكون بردا وسلاما عليه، هذا فضلا عن كون السياق القرآني إنما يعرض معجزة إلهية يتبين من خلالها مدى قدرة الله تعالى ونافذ إرادته، وفي هذا الصنيع استجابة للسياق القرآني.

ـ ثم أوضح الدكتور بطلان تفسير كلمة (النار) في الآية بأنها نار الاضطهاد، وذلك لأن جميع الأنبياء تعرضوا لنار الاضطهاد، فقال:

" إن الأنبياء والرسل قاسوا "نار الاضطهاد "، فكانت في نهاية الأمر بردا وسلاما عليهم، فلماذا ياترى لم يذكرها القرآن إلا في حالة إبراهيم وحدة دون سائر الرسل والأنبياء؟"(١)

ـ كما أكد– فضيلته– أن تفسير النار في الآية بأنها نار الاضطهاد غير مقبول لأنه قائم على التكلف الشديد الذي لا تحتمله الآية بوجه من الوجوه، وفي هذا يقول فضيلته:

" أما تأويل أسد لهذا النص الأخير بأن المقصود به نار الاضطهاد فقائم على التكلف العنيف، وإلا فأين في الآية ما يدل على أن المراد شيء غير الظاهر؟

الحق أنْ ليس في الآية ما يدل على شيء من ذلك، وإنما اعتقاد بعض الناس، حتى من بين المسلمين أنفسهم، في أن قوانين الكون لا يمكن إيقافها أبدا، هو المسؤول عن الرغبة في صرف مثل هذه الآيات عن ظاهرها إلى تلك التمحُّلات الغريبة" (٢)

وبين أن هذه القصة لا يمكن أن تكون مستمدة من التلمود، وإلا لتجنب القرآن الكريم ذكرها، فقال: " وأخيرا فكونها ترجع إلى التلمود ليس بالضرورة برهانا على فسادها، وإلا لكان القرآن أولَ من يضرب عنها صفحا، فمتى أخذ القرآن شيئا من غيره من الكتب حتى نقول بهذا الكلام، أما وقد أوردها مع ذلك فهو دليل على أنها قصة حقيقية" (٣)

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون . د إبراهيم عوض/ ٢٨.

(٢) المرجع نفسه/ ٢٨.

(٣) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

– وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم عوض يجد أنه يتلخص فيما يلي:
ـ عدم وجود دليل في القرآن الكريم على أن إبراهيمعليه السلام لم يلق في النار.
ـ بطلان تأويل الأستاذ أسد لكلمة "النار" في الآية بأنها نار الاضطهاد.
ـ بطلان اقتباس قصة إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار من التلمود.

(ب) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة:

– وزيادة في الإيضاح يذكر الباحث أقوال بعض المفسرين في قوله تعالى: " فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (العنكبوت:٢٤)، والتي تدل بمفهومها على إلقاء إبراهيمعليه السلام في النار، فقد أثبت جميع من يعتد بكلامه من علماء التفسير إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار حقيقة، بل زادوا على ذلك فذكروا تفصيلات أخرى لتلك القصة كذكر صاحب فكرة إلقاء الخليل عليه السلام في النار، واسم المكان، وكيفية الإلقاء، وغير ذلك.

وفي هذا يذكر الإمام الرازي اسم صاحب فكرة إلقاء الخليل عليه السلام في النار فيقول:" ليس في القرآن من القائل لذلك، والمشهور أنه نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح، وقال مجاهد: سمعت ابن عمر يقول: إنما أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام رجل من الكرد من أعراب فارس، وروى ابن جريج عن وهب عن شعيب الجبائي قال: إن الذي قال حرقوه رجل اسمه هيرين، فخسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة" (١)

– ويوضح الإمام الزمخشري تفصيل بعض الأحداث التي كانت قبل الإلقاء في النار وبعده فيقول:

" وروي أنهم حين هموا بإحراقه، حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى(٢)، وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصِلاب، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: إن عافاني الله لأجمعن حطبا لإبراهيم، ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها، ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها، فناداها جبريل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما.

ويحكى ما أحرقت منه إلا وثاقه، وقال له جبريل عليه السلام حين رمي به: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. قال: فسل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال" كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ

---

(١) مفاتيح الغيب ـ الرازي/ م١١/ ٢٢/ ١٨٧.

(٢) كُوثى العِراق التي ولد بها إبراهيم عليه السلام ـ لسان العرب. باب (الكاف) مادة "كَوِث"/ ٢/ ١٨١

اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"(١)

وأطل عليه نمروذ من الصرح فإذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة، فقال: إني مقرب إلى إلهك، فذَبَح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم، وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه إذ ذاك ابن ست عشرة سنة. واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه، ولذلك جاء: «لا يعذب بالنار إلا خالقها»، ومن ثم قالوا إن كنتم فاعلين أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهي الإحراق بالنار، وإلا فرطتم في نصرتها.

والمعنى: ذات برد وسلام، فبولغ في ذلك. كأن ذاتها برد وسلام. والمراد: ابردى فيسلم منك إبراهيم، أو ابردى بردا غير ضار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها.

فإن قلت: كيف بردت النار وهي نار؟

قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والاشتعال كما كانت، والله على كل شيء قدير. ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم إبراهيم عليه السلام أذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك، كما يفعل بخزنة جهنم" (٢)

- ويبين الشيخ الزحيلي أن قوم إبراهيم عليه السلام لما عجزوا عن مجاراة إبراهيم عليه السلام في الحجج اتجهوا إلى استخدام القوة والبطش، فأمروا بتحريقه وأنفذوا ذلك، فأنجاه الله من النار فقال:

" أخبر الله تعالى عن قوم إبراهيم أنه لما بيّن لهم الحجج، وأوضح أمر الدين، لم يجدوا جوابا مقنعا، فلجئوا إلى المغالبة واستخدام القوة والبطش، وتآمروا على قتله وتحريقه بالنار، وأنفذوا أمر التّحريق، فأنجاه الله تعالى من نارهم، وجعلها عليه بردا وسلاما، إن في ذلك الإنجاء لإبراهيم من النار لدلالة على وجود الله الحاضر، وقدرته النافذة، لقوم يصدّقون بالله إذا ظهرت لهم الأدلة والبراهين."(٣)

- ويزيد ابن عاشور(٤) بعض الأوجه البلاغية التي يمكن أن تحمل عليها الآية الكريمة،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(تفسير القرآن الكريم) باب (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) برقم (٤٥٦٤)/ ٦/ ٣٩.

(٢) تفسير الكشاف ـ للزمخشري/ ٣/ ١٢٦.

(٣) التفسير الوسيط ـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي/ ٣/ ١٩٥٨/ دار الفكر– دمشق الطبعة: الأولى– ١٤٢٢هـ.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ – ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ – ١٩٧٣ م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من

لكونها وقعت جوابا عن قولهم حرقوه، أو لكونها استئنافا(١) نشأ عن حكاية تآمر القوم على إحراق إبراهيم ﷺ فقال: " قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدا وَسَلَاما عَلَى إِبْرَاهِيمَ" (الأنبياء آية ٦٩،٦٨)

وجملة قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم مفصولة عن التي قبلها، إما لأنها وقعت كالجواب عن قولهم حرقوه فأشبهت جمل المحاورة، وإما لأنها استئناف عن سؤال ينشأ عن قصة التآمر على الإحراق، وبذلك يتعين تقدير جملة أخرى، أي فألقَوه في النار قلنا: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم.

وقد أظهر الله ذلك معجزة لإبراهيم، إذ وجه إلى النار تعلق الإرادة بسلب قوة الإحراق وأن تكون بردا وسلاما إن كان الكلام على الحقيقة، أو أزال عن مزاج إبراهيم التأثر بحرارة النار إن كان الكلام على التشبيه البليغ، أي كوني كبرد في عدم تحريق الملقى فيك بحرِّك.

وأما كونها سلاما فهو حقيقة لا محالة" (٢)

ـ ويؤكد الشيخ الشعراوي أن هذه معجزة خرق الله ﷻ بها نواميس الكون لتكون شاهدة على نبوة إبراهيم ﷺ فيقول:

" جاء هذا الأمر من الحق الأعلى سبحانه؛ ليخرق بالمعجزة نواميس الكون السائدة، ولا يخرق الناموس إلا خالق الناموس... لكن الحق سبحانه يتحكم فيها، ويسيرها كيف يشاء، فالحق سبحانه خلق النار وخلق فيها خاصية الإحراق، وهو وحده القادر على سلب هذه الخاصية منها، فتكون نارا بلا إحراق، فليس للنار قيومية بذاتها.

لذلك يقول البعض: بمجرد أن صدر الأمر: {يانار كوني بردا وسلاما... انطفأت كل نار في الدنيا، فلما قال: {على إبراهيم} أصبح الأمر خاصا بنار إبراهيم دون غيرها، فاشتعلت النيران عدا هذه النار" (٣)

ـ وبعد مطالعة أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة، يتبين أنهم بينوا أن إبراهيم ـ ﷺ

أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة،من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن/ الزركلي /١٧٣/٦، ١٧٤.

(١) استئناف بياني

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ ١٧/ ١٠٥، ١٠٦ـ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس ـ ١٩٨٤م.

(٣) تفسير الشعراوي./ م١٥/ ١٥/ ٩٥٨٥، ٩٥٨٦.

ألقي في النار حقيقة وأن الله ﷻ نجاه منها.

الخلاصة

ومن خلال ما تم عرضه يتبين للباحث ما يلي:

- أن قصة إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار قصة واقعية وأنه ألقي فيها حقيقة.
- أن الله سبحانه وتعالى أنجى إبراهيم عليه السلام من النار، وجعلها بردا وسلاما عليه، وجعل ذلك معجزة دالة على نبوته عليه السلام.
- أن تأويل النار في الآية بأنها نار الاضطهاد لا وجه له ولا دليل عليه
- أن النظم القرآني خير شاهد على وقوع تلك المعجزة بدليل فعل الإنجاء وإسناده إلى الذات الإلهية، وذكر حرف الجر(من) بالإضافة أنه ذكر على لسانهم "اقتلوه أوحرقوه" في حين جاء التعقيب على ذلك بقوله تعالى:"فأنجاه الله من النار" ولم يقل: فأنجاه من القتل، مما يدل أن التحريق كائن لا محالة، وهو العقوبة التي استقر عليها رأيهم، وطويت هذه الأحداث في القصة لدلالة " فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّار"(العنكبوت:٢٤) والله أعلم.

المطلب الثاني

خطأ التشكيك في معجزات عيسى عليه السلام والرد عليه:

أولا عرض الخطأ:

اشتهر بنو إسرائيل في زمن عيسى عليه السلام بالبراعة الفائقة في الطب، فأرسل الله لهم عيسى عليه السلام يداوى لهم ما عجزوا عن إيجاد الدواء له كإبراء الأكمه(١)، وشفاء الأبرص(٢)، بل فاق الأمر ذلك فأعطاه الله القدرة على إحياء الموتى، تأكيدا على صدقه وعدم تعلمه لذلك على يد أحد من البشر، وللدلالة على أن ما يقوم به لا يمكن أن يحدث إلا على يد من أيده الله بقدرته.

ومع أن هذه المعجزات ثابتة في عهد المسيح عليه السلام، وفي الكتاب المقدس، والقرآن والسنة إلا أننا نجد بعد ذلك مَن ينكرها أو يقوم بتأويلها، وممن تأثر بمنهج التأويل لها الأستاذ (أسد) كما أول غيرها من معجزات الأنبياء، فهو يرى أن كلام المسيح عليه السلام في المهد ما هو إلا إشارة مجازية تعكس الحكمة النبوية التي كان يلهمها عيسى عليه السلام منذ طفولته، وكذلك كان كل ما نسب إليه من آيات.

---

(١) الأَكْمه وَهُوَ الأَعمى ـ لسان العرب ـ مادة "كَمَنَ"/ ١٣/ ٣٦٠.

(٢) البرص محركة: بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج ـ القاموس المحيط ـ فصل (الباء) مادة " بَرَصَ"/ ١/ ٦١٣.

يقول الدكتور إبراهيم عوض: " وبالنسبة لعيسى عليه السلام نجد الأستاذ(أسد) يُؤول كلامه في المهد بأنه إشارة مجازية للحكمة النبوية التي كانت تلهم عيسى منذ وقت جد مبكر من حياته، ٠أما نحت عيسى عليه السلام طيرا من الطين ونفخ فيه فيصير طيرا بإذن الله ٠٠٠فإن مترجمنا يؤوله "الحظ أو المصير " قائلا إن كلمة الطائر أو الطير تكرر مجيئها في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى:"قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّه" (النمل:٤٧)، وقوله تعالى: "قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ" (يس:١٩) مثلا وهو تعبير عربي قديم.

وبناء على هذا التأويل يكون معنى الآية أن عيسى عليه السلام أراد أن يضرب لبني إسرائيل مثلا يبين لهم فيه أنه من طين حياتهم الحقير، سوف يشكل لهم رؤيا مصير يحلق عاليا في أجواء الفضاء، وأن هذه الرؤيا التي سوف تتحقق على أرض الواقع بإلهام من ربه ستكون مصيرهم الحقيقي بإذن الله وبقوة إيمانهم، وعلى ذلك ذات المنهج يمضي (أسد) مفسرا معجزة إحياء الموتى بأن من المحتمل أن يكون المقصود بها بث حياة جديدة في الميتين روحيا ٠

ثم يضيف أنه إذا صح هذا التفسير وهو صحيح عنده، حينئذ يكون إبراء الأكمه والأبرص نفس المعنى، ألا وهو بث الحياة الباطنية من جديد في مرضى الروح الذين لا يستطعون إبصار الحقيقة " (١)

والذي يتأمل هذا الخطأ يجد أن الأستاذ أسد يؤول كلام عيسى عليه السلام في المهد تأويلا مجازيا للدلالة على حكمته عليه السلام، وكذلك يفعل مع باقي معجزات عيسى عليه السلام.

ثانيا الرد على هذا الخطأ ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال الأدلة العقلية

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين

ـ وفيما يلي بيان ذلك

رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم:

لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول الذى يتلقى منه المسلمون أحكام دينهم وعقيدتهم، كان من الضرورى أن يرجعوا إليه عند الاختلاف في قضية من القضايا المهمة، لاسيما إذا ما كانت قضية عقدية.

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٠ ـ ٣٢بتصرف.

قال تعالى: "وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ" (النساء:٨٣)

وعند الرجوع إلى نصوص القرآن الكريم في معجزات عيسى عليه السلام نجد أن سياق الآيات القرآنية في سورة مريم يدل على وقوع تلك المعجزات حقيقة على يديه عليه السلام، وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ:

" لكننا نعرف أن اليهود عندما أشارت إليه أمه وهو لا يزال في المهد كي يسألوه عن سر ولادتها إياه دون زوج، كان ردهم عليها: "كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا" وحينئذ أجابهم عيسى عليه السلام بقوله: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا" (مريم آية ٢٩، ٣٠) فماذا يقول الأستاذ (أسد) في هذا؟"(١)

ـ أما بالنسبة لتأويل "الطير" بـ "الحظ" أو "المصير"... إلخ، فيوضح الدكتور إبراهيم عوض أنه لا دليل عليه لأن القرآن لم يستخدمه بهذا المعنى، ولأن استخدام "الطير" بمعنى "الحظ" أو المصير لا يستقيم مع بعض آيات القرآن، وأن هذا كله في الواقع خبط على غير هدى، وذلك لما يلي:

(أولا) لم يحدث أن استخدم القرآن الكريم لفظ الطير بمعنى الحظ أو المصير، وإنما في الطيور ذوات الأجنحة والآيات في ذلك متعددة، ولست أدري كيف يكون الحظ أو المصير جندا من الجند ولا كيف يحشر مع غيره من جنود الإنس والجن حسبما جاء في قوله تعالى:

" وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ" (النمل: ١٦، ١٧)، وكيف يمكن تعلم منطقه كما جاء في الآية التي قبلها.

ـ وبين فضيلته أن كلمة الطين وردت في القرآن الكريم تسع مرات غير هذين الموضعين اللذين أولهما الأستاذ أسد بمعنى الطين الذي نعرفه فلماذا تشذ في هذين الموضعين فقال:

(ثانيا) لقد ذكرت كلمة "الطين" في القرآن الكريم " إحدى عشرة مرة " وإذا استثنينا آيتي "آل عمران "وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران: آية: ٤٩)، والمائدة" إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٠.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرا بِإِذْنِي" (المائدة: ١١٠)اللتين يحاول الأستاذ أسد تأويلهما بلي الرقبة، فلن نجد لهذه الكلمة في الآيات التسع الأخرى من المعنى إلا ذلك الذى نعرفه للطين، فلماذا تشذ هاتان الآيتان بالذات عن سائر الشواهد القرآنية الأخرى"(١)

ـ وخلاصة كلام الدكتور إبراهيم في هذين النصين: أن كلمة الطائر لم تستخدم بمعنى الحظ أو المصير، وأن كلمة "الطين" لم ترد في القرآن الكريم إلا بالمعنى المادي المعروف، وهذا يتعارض مع ما ذهب إليه الأستاذ (أسد).

رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال الأدلة العقلية:

وفي إطار رد الدكتور ـ حفظه الله ـ على الخطأ– أيضا– يذكر بالنسبة لكلام عيسى ﷺ في المهد:

أن تأويل الأستاذ (أسد) للآية بأن إتيان الله الكتاب لعيسى ﷺ وجعله نبيا سيكون في المستقبل مما يدل على أنه تكلم وهو صغير حقا فيقول:

" إنه يُؤول الزمن الماضي هنا في (آتاني) و(جعلني) بأنهما يدلان على أن ذلك سوف يحدث في المستقبل لا أنه حدث في الماضي ٠٠ وهذا يدل على صحة ما قلنا عن هذه الآية، إذ معنى هذا الكلام حسب تأويله هو أن الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيا في المستقبل ومعنى هذا أنه لم يصبح نبيا بعد، ومعنى ذلك أيضا أنه كان صغيرا حقا، أليس كذلك؟"(٢)

ـ ويوضح فضيلته أن عيسى ﷺ لو لم يتكلم في المهد حقيقة، لذكر القرآن الكريم ذلك عن غيره من الأنبياء، ولما وافق ما جاء في الأناجيل، فيقول:

"وإلا فلو لم يكن عيسى ﷺ قد تكلم في المهد فعلا، فلماذا لم يذكر القرآن ذلك عن غيره من الأنبياء أيضا ٠٠٠،ولماذا يوافق القرآن ما جاء في بعض الأناجيل من أنه ﷺ تكلم في المهد؟

أيعقل أن يحكي القرآن القصة كما رواها أحد الأناجيل مما يؤكد وقوعها ثم ينقلب على نفسه وعلى ذلك الإنجيل ٠٠٠ إن هذا لا يناسب أسلوب القرآن، وحاشا لله أن يكون هذا هو

---

(١) المرجع السابق/ ٣١.

(٢) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٠.

منهج القرآن في الشرح والتفهيم"(١)

ـ وبالنسبة لخلق الطين كهيئة الطير والنفخ فيه ليصبح طيرا بإذن الله فقد أكد الدكتور أن نبي الله عيسى عليه السلام كان إذا ضرب مثلا بينه لسامعيه فقال:

" فإن عيسى عليه السلام كان إذا ضرب مثلا حكاه بلفظ الماضي،ثم يفهم سامعيه أن كلامه معهم على سبيل المثل ولا يترك الأمر عائما،أما في آيتنا هذه فإنه لا يحكي مثلا بل يعدهم إنه سيفعل كذا وكذا مستخدما عباراتٍ واضحة محددة لا تحتمل لبسا مثل " أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرا بِإِذْنِ اللَّهِ" (آل عمران:٤٩)

ـ قد كان الكلام موجها لبني إسرائيل الذين كفروا به بنص الآيات نفسها أي أن كلامه عن تحويل حياتهم من طين حقير إلى مصير راق يحلق في السماء لم يتحقق منه شيء البتة، فهل يمكن أن يكون هذا هو مصير الآية التي جاءهم بها من ربهم؟ إن هذا لهو العبث بعينه تعالى الله عن ذلك .

ـ كما أن اللغة بهذه الطريقة تفقد خاصتها، وهي الإبانة والتوضيح، وتتحول وظيفتها إلى التعمية والتضليل "(٢)

ـ وعاب الدكتور إبراهيم على الأستاذ (أسد) أنه ذكر هذه التفسيرات في ترجمته للآية دون أن يقتصر على ذكر آرائه هذه على الهامش فقال:

" ويا ليت محمد أسد قد اكتفى بما قاله في الهامش، بل انعكس ذلك على ترجمته للآية فأصبحت " أني أخلق لكم من الطين كهيئة مصيركم فأنفخ فبه لعله يصبح مصيركم بإذن الله " وحسبنا الله ونعم الوكيل "(٣)

– وأما بالنسبة لمعجزة إحياء الموتى والقول بأنها بث حياة جديدة في الميتين روحيا، فيقول الدكتور ابراهيم عوض:

" ونقول في الرد على هذا: ما قلناه في معجزة خلق الطير من الطين فضلا عن التساؤل عن الحكمة في ذكر البرص والحكمة بالذات دون سائر الأمراض،والبرص ليس من الألفاظ التي تستخدم مجازيا في التعبير عن مرض الروح، ومثله في ذلك الكمة، الذى لا ينبغي الخلط بينه وبين

---

(١) المرجع السابق/ ٣١ بتصرف يسير.

(٢) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٢.

(٣) المرجع السابق/ ٣١، ٣٢.

العمى " فهذا يعني العمى " قد يستعار للعجز عن الوصول إلى الحق أو فهمه، أما الكمه فهو العمى الخلقي الذى يولد الإنسان به لا الذى يطرأ عليه بعد ولادته"(١)

. وخلاصة ما قاله الدكتور إبراهيم: أن إيتاء الكتاب لعيسى عليه السلام في المستقبل دليل على أنه لم يكن نبيا عندما تكلم بهذا الكلام مما يثبت أنه قال هذا الكلام وهو صغير، وأنه لو لم يتكلم في المهد حقيقة؛ لذكر القرآن ذلك عن غيره من الأنبياء، ولما وافق بعض الأناجيل التي ورد فيها كلام عيسى عليه السلام في المهد.

ـ أن تأويل خلق الطين كهيئة الطير والنفخ فيه؛ ليصبح طيرا بإذن الله بأنه ضرب مثلا لما يصير إليه بني إسرائيل من مصير راق في المستقبل لا يصح، لأنه مخالف لمنهج المسيح عليه السلام في ضرب الأمثال، ولأن هذا لم يحدث على أرض الواقع، ولأن اللغة بهذه الطريق تفتقد خاصيتها وهي الإبانة والتوضيح، كما أن كلمتي(الأكمه والأبرص) لا تستعملان مجازا

ـ ويذكر الدكتور إبراهيم سبب تلك التأويلات التي أولها الأستاذ أسد أنه تأثر بآراء بعض القاديانيين الباكستانيين حينما كان يعمل معهم، فيقول:

" وبعد فإني لا أستطيع أن أوافق محمد أسد على ذلك المنهج الذي سلكه، والذي اتفق فيه مع جماعة القاديانين التي ظهرت في الهند في القرن التاسع عشر وكان لبعض رجالها صولة في باكستان إبان نشأتها في منتصف القرن الماضي وهو الوقت الذى كان فيه أسد هناك يعمل في وزارة الخارجية، وبالذات في الوفد الباكستاني إلى الأمم المتحدة قريبا من " ظفر الله خان(٠القادياني)الذى كان وزيرا للخارجية الباكستانية ورئيس وفد الباكستان إلى الأمم المتحدة في تلك السنين"(٢)٠

ـ ويؤكد أنه لا يتفق كذلك مع الأستاذ أسد في تأويل معجزات الأنبياء لما يلي:

أولا: ثبوت المعجزة لعدد من الرسل في القرآن الكريم بتعبيرات لا تحتمل التأويل.

"وسبب مخالفتي لأسد أن القرآن قد أثبت المعجزة لعدد من الرسل والأنبياء بعبارات لا تحتمل تأويلا إلا إذا حطمنا قواعد اللغة العربية والمنطق فضلا عن صريح القرآن في ذلك، فيقول: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا" (الإسراء: ٥٩) وهذا ما يدل على أنه كانت هناك معجزات يظهرها الله للكفار ثم توقفت بعد

---

(١) المرجع السابق / ٣٣.

(٢) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٤ بتصرف يسير.

مجيء محمدﷺ.

ثانيا: لما يترتب على موافقته من أن القرآن اتبع منهجا عبثيا.

" إننا لو جارينا الأستاذ أسد لترتب على ذلك أن القرآن قد اتبع منهجا عبثيا، فهو قد أثبت المعجزات للأنبياء السابقين رغم أنه لم تكن هناك معجزات، مُطمِعا بذلك المشركين في التعنت على الرسل والإلحاح في مطالبته أن يأتيهم هو –أيضا– بمعجزات مثل الأنبياء السابقين علية الذين أقر هو بنفسه أن الله كان يعضدهم بها، وموقعا نفسه بهذه الطريقة في مأزق غريب لا يجد مخرجا منه إلا بالقول بأن عصر المعجزات قد ولى، ولقد كان في غنى عن هذا كله لو قال من البداية إنه لم تكن هناك معجزات في أى وقت، وإنه لم يحدث أن أتى رسول أو نبى بشيء منها، أو لو أنه على الأقل سكت فلم يتعرض لهذا النقطة.

أيعقل أن يضع الله سبحانه رسوله في هذه الزاوية الضيقة الحرجة دون أدنى داع؟

وحتى لو قلنا إن الرسول هو مؤلف القرآن (استغفر الله) فإنه لم يكن ليوقع نفسه في هذه الورطة التي لا يحسد أحد عليها وهو العبقرى الراجح العقل

ثالثا: اتفاق القرآن الكريم مع ما ورد في العهدين القديم والجديد حول معجزات موسى وعيسى – عليهما السلام – رغم تأكيده أنهما قد تعرضا للعبث و التحريف (١).

ـ ويبين – فضيلته– أن من أهم أسباب تأويل الأستاذ أسد كذلك لمعجزات الأنبياء مخالفتها للنواميس الكونية فيقول:

" والحق أنى لست بقادر على أن أجد مسوغا لموقفه من المعجزات إلا ما ذكرته من قبل من أنها تخرق النواميس الكونية، ولكن هل هذا مسوغ كاف لإنكار المعجزات بعد كل الآيات التي أوردتها والتي حاول أسد عبثا أن يفسرها على النظر إلى غير جهتها؟

إن الذى خلق هذه النواميس هو الله ﷻ، وليس فيها ولا في غيرها من أشياء الكون ما يجبره سبحانه على أن يبقيها كما هي فلا يغيرها حين يشاء... صحيح أنه أجرى الكون على نظام معين لكن من قال أن ذلك النظام غير قابل للخرق في بعض الحالات أو أن الكون سيضطرب إذا انخرق؟"(٢)

"إن الإمام الغزالى مثلا وبعض الفلاسفة الأوروبيين المحدثين مثل ديكارت وهيوم وريسل

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٤، ٣٥.

(٢)المرجع السابق/ ٣٥، ٣٦.

يؤكدون أن ما نسميه "قانون السببية "هو أمر لا وجود له،إذ المسألة عندهم لا تخرج عن مجرد تتابع حادثين، فنظن نحن لكثرة ما يشاهد هذا التتابع، أن الحادثة الأولى هي السبب في وقوع الحادثة الثانية كالنار والإحراق والأكل والشبع...إلخ"(١)

ـ وفي إطار رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة يذكر أيضا أن الأستاذ (أسد) يضع آيات المعجزات ضمن المتشابهات فيقول:

"إن الأستاذ أسد يصنف النصوص القرآنية التي تتحدث عن معجزات الأنبياء ضمن الآيات المسماه بـ"المتشابهات"(٢) حسبما ورد في الآية السابعة من سورة آل عمران، التي تحتاج إلى تأويل. قال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ" (آل عمران:٧) ص٩٨٠ وما بعدها تحت عنوان (symbolism and allegory in the quran) وقد نسى أن القرآن قد قال في تلك الآية ذاتها "فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" (آل عمران:٧) وإني لأتساءل هل هذه الآية من المتشابهات فعلا؟ فأين الدليل إذن؟ وإذا كانت فعلا تنبه أسد إلى مغزى ما قالته آية "آل عمران" ألا يرى أنها تدين صنيعه إذ يحاول تأويلها؟

إنني أفهم أن كون آيات الصفات مثلا من المتشابهات، فإنها تتحدث عن جانب من علم الغيب الذى لا نستطيع الخوض في مياهه، أما الآيات الخاصة بالمعجزات فتروى حوادث تاريخية لا غيب فيها ولا متشابهات".

ولقد أورد علماء القرآن في تفسير المتشابه من القرآن آراء متعددة ليس من بينها المعجزات.(٣)

فقالوا:" المتشابه ما استاثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال أو ما لم يتضح معناه،أو ما احتمل من التأويل أوجها متعددة،أو لم يستطع الإنسان أن يصل إلى وجه الحكمة فيه كعدد

---

(١) تهافت الفلاسفة ـ للإمام الغزالى/ ٢٣٩ ط (٦)/ دار المعارف، أثر العرب فى الحضارة الأوربية للعقاد/ ١٠٠- ١٠١/ ط٨/ دار المعارف.

(٢) والمُتَشابِهُ: مَا لم يُتَلَقَّ مَعْناه من لَفْظِه، وَهُوَ على ضَرْبَيْن: أَحَدُهما إذا رُدَّ إِلَى المُحْكَمِ عُرِفَ مَعْناه، والآخَرُ مَا لَا سَبِيل إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِه/ تاج العروس/ ٣٦/ ٤١١.

(٣) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون ـ د إبراهيم عوض/ ٣٧.

الصلوات مثلا٠٠٠ وهكذا"(١)

ـ ويؤكد فضيلته أن الأستاذ (أسد) نفسه فسر من قبل تفسيرا لا يخرج هذه المعجزات عن حقيقتها فيقول:

"ورغم ذلك كله فإنه في ترجمة صحيح البخاري قبل ذلك ببضع عشرات من السنين، قد ترجم كلمة آية (amiracle) وذلك في حديث انشقاق القمر، بل إنه لم يحاول البته تأويل هذه المعجزة بما يخرجها عن إعجازيتها كما فعل في تفسيره لآيات القرآن الكريم"(٢) لكنه في ذات الوقت عند تناوله لحادثتي الإسراء والمعراج كما وردتا في (صحيح البخاري) قد استمات في إثبات أنهما حادثتان روحيتان لا جسديتان، وإن أكد مع ذلك أنهما حقيقتان موضوعيتان وقعتا فعلا في العالم الخارجي، ولم يكونا وهما من الأوهام أو حلما من الأحلام (٣)وأنا في حقيقة الأمر لا أدري كيف يكون ذلك "(٤)

ـ بالتأمل فيما ذكره الدكتور إبراهيم من نصوص يتبين أنه قد أوضح أن إتيان الكتاب لعيسى عليه السلام في المهد يدل على أنه تكلم فيه، وإلا فكيف عُرِف بأنه .عليه السلام تكلم في المهد، وأنه لو لم يتكلم في المهد لذكر القرآن الكلام فيه عن غيره من الأنبياء كما ذكره عنه

وأما بالنسبة لخلق الطين كهيئة الطير فلا يصح تأويله بتحويل بني إسرائيل إلى مصير راق، لأن عيسى عليه السلام كان إذا ضرب مثلا بين المراد منه لسامعيه، ولأن واقع بني إسرائيل لم يتحول إلى مصير راق كما يجب أن يحدث بناء على هذا التأويل

وأما بالنسبة لتأويل إحياء الموتى ببث الحياة في الميتين روحيا فإنه لا يتفق مع قواعد اللغة العربية وتأويلاتها، وأن هذه الآيات ليست من المتشابه لأنها تحكي واقعا تاريخيا قد حدث بالفعل.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

عندما يتأمل الباحث كتب التفسير يجد أنها أثبتت كلام عيسى عليه السلام في المهد حقيقة وأن هذه المعجزة لا تقبل نقاشا ولا مراء.

ـ ذكر الشيخ ابن عاشور ـ رحمه الله ـ سبب اختصاص هذين الحالين بالكلام، فقال:

" وخص تكليمه بحالين: حال كونه في المهد، وحال كونه كهلا، مع أنه يتكلم فيما بين

---

(١) الإتقان في علوم القرآن . للسيوطي/ ٣/ ٣ـ ٥.

(٢) sahih al bukhari, the early years of islam, pp 172. 173

(٣) المرجع السابق ص١٨٤ وما بعدها هامش٤.

(٤) فكر محمد أسد/ ٣٧، ٣٨ بتصرف.

ذلك لأن لذينك الحالين مزيد اختصاص بتشريف الله إياه فأما تكليمه الناس في المهد فلأنه خارق عادة إرهاصا لنبوءته. وأما تكليمهم كهلا فمراد به دعوته الناس إلى الشريعة." (١)

ـ وبين الدكتور محمد سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ أن كلام عيسى عليه السلام في المهد صفة من صفاته فقال:

" وأما الصفة الثالثة من صفات عيسى عليه السلام فهي قوله– تعالى– "وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا" وهذه الجملة معطوفة على قوله "وَجِيها"وعطف الفعل على الاسم لتأويله به جائز والتقدير وجيها ومكلما، والمهد اسم لمضجع الطفل أي المكان الذي يُهيأ له وهو في الرضاعة. والكهل: هو الشخص الذي اجتمعت قوته وكمل شبابه. وهو مأخوذ من قول العرب اكتهل النبات إذا قوى وتم" (٢)

والمراد أن عيسى عليه السلام يكلم الناس في حال كونه صغيرا قبل أوان الكلام، كما يكلمهم في حال كهولته واكتمال شبابه، فهو عليه السلام يكلمهم بكلام الأنبياء من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة، وذلك إحدى معجزاته عليه السلام وقد حكى القرآن في سورة مريم ما تكلم به عيسى عليه السلام وهو طفل صغير فقال– تعالى– : " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّا وَبَرّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارا شَقِيّا"(٣) (مريم: ٢٨ ـ٣٢)

ـ أما بالنسبة لخلق الطين كهيئة الطير والنفخ فيه ليصبح طيرا بإذن الله فقد أكد معظم المفسرين إثبات تلك المعجزة لعيسى عليه السلام ومن ذلك ما يلي:

ـ يذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن هذه معجزة تدل على إرسال الله لعيسى عليه السلام فيقول:" أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرا بِإِذْنِ اللَّهِ " وكذلك كان يفعل: يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخُ فيه، فيطير عيانا بإذن الله، عز وجل، الذي جعل هذا معجزة يَدُلّ على أن الله أرسله" (٤)

ـ وبالنسبة لإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فإن المفسرين يؤكدون على وقوع هاتين المعجزتين لعيسى عليه السلام، وأكدوا على أن هذه المعجزات أقوى في التحدي لقومه وذلك لبراعتهم في الطب.

---

(١) التحرير والتنوير- ابن عاشور/ ٣/ ٢٤٧.

(٢) اكْتَهَلَ النَّباتُ: طالَ وانْتهى مُنتهاهُ/ تاج العروس ـ مادة "كهل"/ ٣٠/ ٣٦٢ .

(٣) التفسير الوسيط ـ د محمد سيد طنطاوي/ م٢/ ج٣/ ١٣٩، ١٤٠.

(٤). تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير/ ١/ ٤٨٦.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله: "وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ " قيل: هو الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا. وقيل بالعكس. وقيل: هو الأعشى. وقيل: الأعمش. وقيل: هو الذي يولد أعمى. وهو أشبه؛ لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي .(١)

ـ ويبين ـ رحمه الله ـ أن الله بعث كل نبي بمعجزة من جنس ما برع فيه قومه، وأن من معجزات عيسى ﷺ إحياء الموتى وذلك لبراعة قومه في الطب وعدم قدرتهم على إحياء الموتى فيقول:

" {وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى، عليه السلام، السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بَهَرَت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى ﷺ فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله ﷻ، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدا.

وقوله: { وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغده { إِنَّ فِي ذَلِكَ } أي: في ذلك كله { لآيَةً لَكُمْ } أي: على صدْقي فيما جئتكم به" (٢).

– ويؤكد صاحب الظلال على أن الله تعالى حرص على ذكر ما هو مقدر حدوثه في غيب الله مع رد كل حادثة إلى مشيئة الله، وأن هذه المعجزات تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها أو رد العافية وهي معجزات تتسق مع مولد عيسى ﷺ لأنه إن كان عبد من عباد الله قادر على فعل ذلك فالله قادر من باب أولى على خلق عيسى ﷺ بدون أب فيقول:

" وحرص النص على أن يذكر على لسان المسيح– عليه السلام– كما هو مقدر في غيب الله عند البشارة لمريم، وكما تحقق بعد ذلك على لسان عيسى ﷺ أن كل خارقة من هذه الخوارق

---

(١) المرجع السابق/ ١/ ٤٨٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير/ ١/ ٤٨٦.

التي جاءهم بها، إنما جاءهم بها من عند الله. وذكر إذن الله بعد كل واحدة منها تفصيلا وتحديدا ولم يدع القول يتم ليذكر في نهايته إذن الله زيادة في الاحتياط! وهذه المعجزات في عمومها تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها، أو رد العافية وهي فرع عن الحياة. ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية.. وهي في صميمها تتسق مع مولد عيسى عليه السلام ومنحه الوجود والحياة على غير مثال إلا مثال آدم عليه السلام وإذا كان الله قادرا أن يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه، فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال.. ولا حاجة إذن لكل الشبهات والأساطير التي نشأت عن هذا المولد الخاص متى رُد الأمر إلى مشيئة الله الطليقة ولم يقيد الإنسانُ اللهَ– سبحانه– بمألوف الإنسان!"(١)

ـ وعلى أية حال فإنه يتبين بعد عرض أقوال المفسرين أن هذه المعجزات حسية واقعية، وأنها حدثت لنبي الله عيسى عليه السلام وشاهدها من حضر من المعاصرين له، وعلم بها من لم يحضر منهم.

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث ما يلي:

ـ بين الدكتور إبراهيم عوض أن هذه المعجزات حسية ثابتة لنبي الله عيسى عليه السلام ثبوتا قطعيا واستدل على ذلك بالقرآن والسنة وأقوال المفسرين، وأنها من جنس ما برع فيه قومه من المهارة الطبية لتكون أبلغ في التحدي.

ـ أوضح الدكتور إبراهيم أن التأويلات التي أولها الأستاذ أسد لهذه المعجزات ليس عليها دليل، ولا تتفق مع سياق النص القرآني، ولعل السبب في هذه التأويلات خروجها عن النواميس الكونية من وجهة نظره، وتأثره بآراء القاديانيين.

ـ أكد الدكتور إبراهيم على أن الأستاذ(أسد) لم يتخذ التأويل له منهجا، لكنه لم يؤول بعض المعجزات كالإسراء والمعراج.

ـ أن هذه المعجزات تتناسب مع طبيعة خلق عيسى عليه السلام، حيث إنها تتعلق بإنشاء الحياة أو ردها أو المعافاة، فإن ثبتت هذه المعجزات لعيسى عليه السلام وهو مخلوق، ثبت خلق الله لعيسى عليه السلام بدون أب من باب أولى.

– أن هناك فرقا بين خلق الله وخلق غيره، حيث إن خلق الله ينمو ويتكاثر، ولا يحدث ذلك لخلق غيره

وبهذا يسقط هذا الخطأ ويتبين وهن تلك التأويلات التي أولها الأستاذ(أسد) وأنها لا تقوم على أي دليل.

(١) تفسير الظلال ـ الشيخ سيد قطب/ ١/ ٣٩٩.

المبحث الثالث:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الأخطاء المتعلقة بالغيبيات:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خطأ تأويل الجنة في قوله تعالى " وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا" بأنها قوى الطبيعة والرد عليه.

المطلب الثاني: خطأ تأويل قصة آدم وإبليس بأنها رمزية وتعبر عن التطورات الروحية والأخلاقية للبشرية والرد عليه.

المطلب الثالث: خطأ تأويل خزنة النار (التسعة عشر) بأنهم تسع عشرة قوة والرد عليه.

المطلب الأول:

خطأ تأويل الجِنَّة في قوله تعالى: " وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبا " بقوى الطبيعة والرد عليه:

أولا عرض الخطأ:

تتميز القدرة الإلهية بالانفراد في الخلق وتنوع المخلوقات، فمن المخلوقات ما يرى بالعين المجردة، ومنها ما لا يرى إلا بأجهزة التكبير الحديثة، ومنها ما لا يرى بهذه ولا بتلك، والتي ترى بالعين كل منها له طريقته التى تختلف عن غيره في حياته، وسيره، وطعامه، وشرابه.

ومن المخلوقات التي خلقها الله ﷻ بطبيعة خاصة ومعالم مميزة الجن، فهم مخلوقون من النار، كما أنهم قادرون على التشكل بأشكال حسنة وقبيحة، وكذلك قادرون على الاختفاء بالكلية.

ولما كان هناك بعض الآيات القرآنية الكريمة التي لا يفهم البعض معناها من ظاهرها، لجأ فريق منهم إلى تأويلها، فأولها نفر تأويلا تحتمله الآية الكريمة، بينما بالغ نفر آخر في تأويلها بما لايقبله العقل ولا يحتمله المعنى، وممن وقع في مثل تلك المبالغة الأستاذ أسد في تأويل الآية التي نحن بصدد تناولها.

فقد زعم أن كلمة " الجِنَّة" في قوله تعالى: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبا"(الصافات:١٥٨) تعني قوى الطبيعة.

وفي هذا يترجم عنه الدكتور إبراهيم عوض تفسيره لتلك الآية الكريمة فيقول:

" ثم إن هذه النزعة التأويلية المسرفة لتوقعه أحيانا فيما لا يقبل العقل لنأخذ مثلا تفسيره "الجِنَّة" في قوله سبحانه عن المشركين "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبا" بأنهم قوى الطبيعة، إذ إن هذه القوانين لا تظهر للعين ولا تدركها الحواس فهي تنتمي إذن لعالم الخفاء،والجنة هي كل كائن خفي" (١)

---

(١) فكر محمد أسد/ دإبراهيم عوض/ ٤٣ ترجمة لـ ترجمة أسد للقرآن/ ٦٩٢/ هامش ٦٧.

ثانيا الرد على هذا الخطأ ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال الأدلة العقلية.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال ما ورد في معاجم اللغة العربية.

(د) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين

ـ وفيما يلي بيان ذلك

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم:

يعرض الدكتور إبراهيم عوض . حفظه الله . الفهم الصحيح للآية الكريمة، حيث يؤكد أنها تتحدث عما كان العرب يعتقدونه، وليس لهذا أي علاقة بقوانين الطبيعة لأن العرب لم يكونوا يعرفون شيئا عنها وفي هذا يقول . حفظه الله .:"هذا التفسير مناقض للمنطق وذلك:

. لأن القرآن يشير في الآية المباركة إلى ما كان العرب يعتقدونه، والعرب . كما هو معلوم لم يكونوا يعرفون شيئا أي شئ عن قوانين الطبيعة التي يفسر بها أسد كلمة "الجِنَّة" أي أنه ينسب إلى العرب ما لايمكن نسبته إليهم. إنه بهذه الطريقة يدعي على التاريخ ما ليس منه وهذا هو وجه الخطورة.

إن الجن في القرآن جنس محدد بمعالمه، فلا يمكن من ثم أن يفسر بـ"بقوانين الطبيعة ".(١)

فالجن في القرآن نوع من المخلوقات أُرسل إليهم النبى ﷺ كما أُرسل إلى الإنس، منهم المؤمن والكافر والعاصى، أمروا بدعوة قومهم إلى الإسلام، وبلغوا رسالة النبى ﷺ

قال تعالى: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (الأحقاف: ٢٩ـ ٣٢)

وقال جل شأنه:

" وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسا وَلَا رَهَقا وَأَنَّا مِنَّا

---

(١) فكر محمد أسد/ ٤٤.

الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبا" (الجن: ١١- ١٥)

- مما سبق يتبين أن العرب لم يكونوا يعرفون عن قوانين الطبيعة غير الظاهرة شيئا، وأن الجن في القرآن نوع محدد له صفاته ومعالمه ولا علاقة له بقوى الطبيعة التي فسر بها الأستاذ أسد الآية الكريمة.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال الأدلة العقلية

للعقل أهمية كبرى في هذه الحياه، فبه ميَّز الله بنى آدم على سائر المخلوقات، وبه وقع التكليف، وبه يميز الإنسان بين الخطأ والصواب، وبه يتمكن من الوصول إلى الحقيقة في كثير من القضايا، ولم تتعارض الشريعة الإسلامية يوما مع العقل ولا مع الفطرة؛ لذا كثيرا ما يستند إليه الدكتور إبراهيم عوض في رده على الشبهات، وفي هذه الشبهة يذكر –فضيلته– أن تفسير الأستاذ أسد يتناقض مع العقل فيقول:

" إن الآية تنسب إلى الجن العلم ولا يمكن أن توصف قوانين الطبيعة بالعلم، والآية تقول عن "الجِنَّة "إنهم لمحضرون للحساب يوم القيامة، فهل يمكن القول عن قوانين الطبيعة أنها ستحضر يوم القيامة؟

ويزداد تناقض ما يقوله أسد مع منطق العقل عندما نراه يقيس ما كانت العرب تعتقده في الجاهلية من وجود نسب بين الله ﷻ والجن على مفهوم "الدفعة الحيوية" في فكر برجسون الفيلسوف الفرنسي، هذا الذي يقوم على إضفاء صفات الألوهية على عناصر الطبيعة، إذ أين اعتقاد العرب في الجن من الدفعة الحيوية البرجسونية(١)؟"(٢)

- ثم يطرح الدكتور إبراهيم بعض الأسئلة التي يتأكد من خلال فهمها فساد تأويل الأستاذ أسد للآية، وأنه لا يتفق مع العقل في أي جانب فيقول:

---

(١) كل نوع من الأنواع الحية قد صدر دفعة واحدة عن (نزوة حية) من وجدان شبيه بوجداننا وأعلى منه فهو في النبات سبات وجمود وفي الحيوان غريزة وفي الإنسان عقل وهذه طبقات مختلفة بالطبيعة لا بالدرجة فقط أما المادة فقد نشأت من وهن التيار الحيوي أو توقفه فما هي ا لا شيء نفسي تجمد وتمدد يقول:" أن يوجد شئ هو أن يتغير، وأن يتغير أن ينضج، وأن ينضج أن يخلق نفسه باستمرار "/ التطور الخالق– هنري برجسون – ترجمة محمد محمود قاسم/ ١١/ المركز القومي للترجمة – ٢٠١٥م.، ويكيبيديا الموسوعة الحرة. تاريخ الدخول ٢٧/ ٤/ ٢٠١٩.

(٢) فكر محمد أسد/ ٤٤.

وأي نسب هذا الذي يمكن أن يكون مع قوى الطبيعة؟، فهل قوى الطبيعة تتزوج ولها ذرية؟، أم أنها تتكاثر فيما بينها فتنتج لنا قوانين جديدة؟، ثم أي إخلاص يمكن أن ينسب إليها كما تشير الآيات الكريمة "إلا عباد الله المخلصين "؟، وتذكر لهم بعض أنواع النعيم الذي ينالونه في الآخرة جزاء على إخلاصهم هذا، فهل نزل تكليف على قوانين الطبيعة لم نسمع به، ولماذا لم يذكر ذلك في أي آية من آيات القرآن أو يرد عن النبي ﷺ؟

ـ إن هذا التأويل الذي ذهب إليه الأستاذ أسد ليس فيه ما يمكن أن يقبله العقل أو السياق في جانب من الجوانب "(١)

– يتبين مما سبق أن تأويل الجِنَّة بقوى الطبيعة لا يقبله العقل ولا يحتمله المعنى، كما أنه لا يوافق الواقع.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال ما ورد في معاجم اللغة العربية:

اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن، وفهمه بها النبي ﷺ والصحابة الكرام؛ لذا كان الرجوع إليها عند الاختلاف في فهم معنى من معانى ألفاظ القرآن الكريم أمرا منطقيا، فتعالوا سويا لنرى مدى احتمال اللغة لذلك التأويل الذى ذهب إليه الأستاذ أسد.

ـ إن الباحث إذا ما انتقل إلى كتب اللغة زادت ثقته في عدم احتمال الآية لهذا التأويل الذي ذهب إليه الاستاذ (أسد)

ـ ورد في تهذيب اللغة:

" جِنٌ: قَالَ الليثُ: الجِنُّ: جماعةُ ولد الجانّ، وجَمْعُهُم: الجِنَّةُ، والجانُّ، وَإِنَّمَا سُمُّوا جنا لأنّهُمُ اسْتَجنُّوا من النَّاس، فَلَا يُرَوْنَ، والجانُّ هُوَ أَبُو الجِنِّ خُلِقَ من نارٍ ثمَّ خُلِق مِنْهُ نَسْلُه.

وَقَالَ اللَّيْث فِي قَول الله: "فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرا" (القصص: ٣١)، الجانُّ: حيَّة بيضاءُ.

وقولُه جلَّ وعزَّ: " نَسَبا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّة إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ"

قَالُوا: الجِنَّةُ: الملائكةُ هاهُنا عَبَدَهُمْ قومٌ من الْعَرَب.

وَقَالَ الْفراء فِي قَوْله: " صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبا"

يُقَال: الجِنَّةُ هاهُنا الملائكةُ، يَقُول: جعلُوا بَين الله وَبَين خَلْقِهِ نسبا. فَقَالُوا: الملائكةُ بناتُ الله،

---

(١) فكر محمد أسد/ ٤٤.

ولقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ أنَّ الَّذين قالُوا هَذَا القَوْل مُحْضَرُون فِي النَّار"(١)

وهذا ما أشار إليه ابن منظور ـ رحمه الله ـ في لسان العرب:

" والجِنُّ: ولد الجان ابن سيده الجن نوع من العالم سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار ولأنهم استجنوا من الناس فلا يُرون، والجمع جنان، وهم الجِنَّة، وفي التنزيل العزيز "وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّة إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ" (الصافات:١٥٨) ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون قالوا الجِنَّة ههنا الملائكة عند قوم من العرب.

" والجِنِّي" منسوب إلى الجِنِّ أو الجِنَّة ومنه قوله تعالى: "مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" (الناس:٦)

التأويل عندي قوله تعالى: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" (الناس ١ـ ٦)، وَالنَّاس معطوف على الوسواس المعنى من شر الوسواس ومن شر الناس

وقال الجوهري: الجن خلاف الإنس والواحد جِنِّي سميت بذلك لأنها تَخْفى ولا تُرى"(٢).

ـ بهذا يتبين أن معنى كلمة "الجِن" ومشتقاتها في اللغة العربية، إما أن يكون المراد بها نوع من العالم قد سُمُّوا بذلك لاختفائهم عن الأبصار، وهذا ما تذكره الآية التي نحن بصدد الحديث عنها، أو أن المراد بها الملائكة.

(د) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين

ــ عندما ينظر الباحث في كتب التفسير يجد أن تفسير الآية فيها جميعا يدور بين كون"الجِنَّة" الملائكة أو نوعا منها سموا بذلك ـ وهو ما ذهب إليه معظم المفسرين القدامى، أو أنهم الجن.

وفيما يلي بعض الأمثلة من أقوال المفسرين

ـ يذكر الإمام الزمخشري أن المراد بالجنة الملائكة، فيقول:

{ وَجَعَلُوا } بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة { نَسَبا } وهو زعمهم أنهم بناته، والمعنى: جعلوا بما قالوا: نسبة بين الله وبينهم، وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة.

فإن قلت: لم سمي الملائكة جِنَّة؟ قلت: قالوا: الجنس واحد، ولكن من خبث من الجن

---

(١) تهذيب اللغة ـ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ـ باب الجيم والنون/ ١٠/ ٢٦٥ـ ٢٦٧/ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط(١) ٢٠٠١م.

(٢) لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) فصل الجيم ـ مادة "جني"/ ١٣/ ٩٥، ٩٦ـ دار صادر – بيروت ـ ط٣ ١٤١٤ هـ.

ومرد وكان شرا كله فهو شيطان، ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك؛ فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم، وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم... والضمير في {إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} للكفرة. والمعنى: أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة، وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون، وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون" (١)

ـ ويذكر الإمام القرطبي الأقوال المختلفة في تفسير كلمة "الِجنة"، ثم يختار أن أكثر المفسرين على أن المراد بها الملائكة فيقول:

" قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبا" أكثر أهل التفسير أن الجنة ها هنا الملائكة وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالوا – يعني كفار قريش – الملائكة بنات الله ﷻ، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: فمن أمهاتهن؟ قالوا: مخدرات الجن. وقال أهل الاشتقاق قيل لهم جِنَّة لأنهم لا يُرون

وقال مجاهد: إنهم من بطون الملائكة يقال لهم: الجِنة، ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى إسرائيل عن السدي عن أبي مالك قال: إنما قيل لهم جنة لأنهم خِزَان على الجنان.

قال قتادة والكلبي ومقاتل: قالت اليهود لعنهم الله: إن الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم، وقال مجاهد والسدي ومقاتل –أيضا– : القائل ذلك كنانة وخزاعة قالوا: إن الله خطب إلى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن، وقال الحسن: أشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه

قلت: قول الحسن في هذا أحسن دليله قوله تعالى: "إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء: ٩٨) أى في العبادة وقال ابن عباس و الضحاك و الحسن أيضا: هو قولهم أن الله تعالى وإبليس أخوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا

قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ} أي الملائكة {إِنَّهُمْ} يعني قائل هذا القول {لَمُحْضَرُون} في النار قاله قتادة وقال مجاهد: للحساب" (٢)

ـ ويذهب ابن عاشور في تفسيره إلى أن المراد بكلمة "الجِنَّة" في الآية الكريمة الجِن فيقول:

"فجعلوا بين الله وبين الجن نسبا بتلك الولادة، أي بينوا كيف حصلت تلك الولادة بأن جعلوها بين الله تعالى وبين الجنة نسبا.

---

(١) تفسير الكشاف ـ الزمخشري/ ٣/ ٣١٢، ٣١٣.

(٢) تفسير القرطبي/ م٨/ ص٥٥٧٨، ٥٥٧٩.

والجِنَّة: الجماعة من الجن، فتأنيث اللفظ بتأويل الجماعة مثل تأنيث رجلة، الطائفة من الرجال، ذلك لأن المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله من سروات الجن، أي من فريق نساء من الجن من أشراف الجن" (١)

ـ وعلى أية حال فإنه يتضح من أقوال المفسرين أن كلمة " الجِنَّة"، إما أن تكون بمعنى الملائكة أو الجن، ولا يمكن أن تفسر بقوى الطبيعة مطلقا كما فسرها الأستاذ (أسد)

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين أن الدكتور إبراهيم عوض نوع في الرد على هذا الخطأ بين الأدلة النقلية والعقلية من خلال ما يلي:

ـ بين أولا أن المراد بالجِنَّة في الآية الكريمة (الجن) وهو ما ذهب إليه ابن عاشور، وهو ما يطمئن إليه القلب لورود كلمة "الجِنَّة" بنفس المعنى في آيات أخرى في القرآن الكريم، سواء بلفظها أو بمادتها كقوله تعالى: "مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" (الناس: ٦)، وقوله جل شأنه

" لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" (الرحمن: ٥٦)

ـ استدل الدكتور إبراهيم عوض على ما ذهب إليه بالقرآن الكريم.

ـ أكد الدكتور إبراهيم عوض أن التفسير الذي ذكرة الأستاذ (أسد) لا يقوم على أي دليل، وأنه يتناقض مع سياق الآيات الكريمة والعقل والمنطق.

كان من الممكن أن يضيف الدكتور إبراهيم إلى ما سبق من الردود ردودا أخرى منها:

ـ أن يبين رأي علماء التفسير في الآية الكريمة، وأنهم بينوا أن المراد بـ(الجِنَّة)إما أن يكون الملائكة ـ وهو ماذهب إليه معظم المفسرين القدامى، أو "الجن"، ولم يشر أحد منهم إلى ماذهب إليه الأستاذ (أسد).

ـ أن ما ذهب إليه الأستاذ (أسد) يتناقض مع مدلول (الجِن) في كتب اللغة كذلك، وبهذا يسقط هذا الخطأ ويتبين أنه لا يقوم على دليل.

المطلب الثاني:

خطأ تأويل قصة آدم وإبليس بأنها رمزية وتعبر عن التطورات الروحية والأخلاقية للبشرية والرد عليه:

---

(١) التحرير والتنوير ـ ابن عاشور/ ٢٣/ ١٨٥، ١٨٦.

أولا عرض الخطأ:

الله ﷻ خالق الخلق ومالكهم، وهو المتصرف في الكون وفق علمه وإرادته، لأنه وحده العالم بما يصير إليه شأن كل مخلوق من المخلوقات؛ لذا وجبت طاعته على جميع الخلق في كل ما يأمر به ولو لم تظهر لهم الحكمة فيما أمر به

ولما خلق الله آدم عليه السلام أمر الملائكة بالسجود له، فسألوه عن الحكمة في خلق البشر وقد علموا مسبقا أن المخلوقات الطينية تجمع بين الخير والشر والإصلاح والإفساد قال تعالى على لسانهم: "قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" فرد عليهم بقوله تعالى: "قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة: ٣٠)

وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام أمر إبليس كذلك بالسجود له، فتكبر ورفض وكان رفضه سببا في خروجه من الجنة وعداوته لبنى آدم.

ومع وضوح القصة، وورودها في الكتب السماوية، وعدم الحاجة إلى تأويلها، نرى من يَدَّعى بأنها رمزية، وليست حقيقية، وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" يتضح من الهامش رقم ١٠،١٦ من هوامش سورة الأعراف(في ترجمة الأستاذ أسد للقرآن) مثلا أن قصة آدم عليه السلام وعصيان إبليس للأمر الإلهي بالسجود له هي عنده(يعني محمد أسد) قصة رمزية للتطورات الروحية والأخلاقية التي طرأت على حياة الجنس البشري فوق هذه البسيطة،وليست قصة حقيقية حدثت لآدم قبلا في الجنة "(١)

" وإبليس عنده أيضا ملاك ساقط وتمرده تمرد رمزي، وهو بإغوائه البشر إنما يمثل مهمة كونية محددة هي حفزهم على ممارسة ما وهبهم الله من إرادة أخلاقية حرة أي القدرة على الفعل والترك في مجال الأخلاق"(٢)

كما يفسر الشياطين بأنها تعبير استعاري عن الرغبات البشرية الشريرة المضادة لمصالح البشر الروحية"(٣)

وبالمثل يؤول القرناء في قوله تعالى " وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤٠ ترجمة لـ (هـ١٠، ١٦ص٢٠٤، ٢٠٥) من ترجمة محمد أسد للقرآن.

(٢) المرجع السابق ص٤٠ ترجمة لترجمة أسد للقرآن/ ص٥/ هـ١٠،ص ٩/ هـ٢٦،ص١٧٧/ هـ٣٤.

(٣) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤٠ .

خلفهم" والآيات التي تشبه بالنزعات الشريرة التي لا تنفك ملازمة للمجرمين""(١)

ـ والذي يتأمل هذه الشبهة يجد أنها تتلخص في القول بأن قصة آدم عليه ﷺ وإبليس رمزية وليست حقيقية، وأن إبليس ملاك وتمرده تمرد رمزي، وكذلك الشياطين ليست حقيقية وإنما يطلق هذا اللفظ على الرغبات الشريرة عند الإنسان.

ثانيا الرد على هذا الخطأ ويتلخص في النقاط التالية:

(أ)رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال قواعد اللغة العربية.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض آراء بعض المفسرين.

ـ وفيما يلي بيان ذلك

(أ)رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم:

ـ إن من يتصفح آيات القرآن الكريم يجد آية تدل على كون إبليس من الجن وليس من الملائكة، وأن هناك اختلافا بين مادة خلق آدم ﷺ ومادة خلق إبليس قال رسول الله ﷺ:

" خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا قَدْ وُصِفَ لَكُمْ "(٢)، وأن الملائكة مفطورون على طاعة الله وليسوا معرضين للمعصة أصلا قال تعالى: "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم: آية:٦)، وهو ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم فقال:

"فأما أن إبليس ملاك ساقط، فهو يخالف ما جاء في القرآن الكريم من أنه من الجن: "إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (سورة الكهف: آية:٥٠)

ومما يؤكد هذا قول إبليس نفسه في حواره مع رب العزة إنه خير من آدم لأن آدم مخلوق من طين أما هو فمن نار قال تعالى: "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (الأعراف:١٢)

ومعروف أن الجن مخلوقون من النار، فكيف يقدم مسلم بعد ذلك على القول بأن إبليس كان ملاكا عصى الله فهبط من عليائه؟

إن هذا أحد التأثيرات الكتابية، لأن أهل الكتاب هم الذين يقولون ذلك، أما المسلمون فيقرأون في القرآن المجيد قوله جل شأنه في وصف الملائكة "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

---

(١) المرجع السابق/ ٤٠ ترجمة لترجمة أسد للقرآن ص٧٣٤،٧٣٣/ ه٢٥، ٢٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الزهد) باب في أحاديث متفرقة ـ برقم٢٩٩٦/ ١٨/ ٤٢١.

يُؤْمَرُونَ" (النحل: ٥٠)

فكيف يقال إن ملكا من الملائكة قد جرؤ على عصيان الله، وقد فطرهم الله جميعا على الطاعة المطلقة، بحيث لا يتصور وقوع العصيان منهم؟"(١)

ـ وبهذا يتبين أن هناك فرقا واضحا بين الملائكة والجن من حيث مادة الخلق، فالملائكة خلقت من نور والجن خلقوا من نار، كما أن صفاتهم مختلفة، فالملائكة مفطورون على الطاعة، والجن ليسوا كذلك، وهذا لايتوافق مع القول بأن إبليس من الملائكة فضلا عن كونه ملاك ساقط كما ذكر الأستاذ أسد.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال قواعد اللغة العربية:

ورد الدكتور إبراهيم عوض على القائلين بأن الله أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، ثم استثناه منهم، بأن الاستثناء من باب الاستثناء المنقطع، الذي يكون المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه، وبالتالي لا يكون إبليس من الملائكة، واستدل على ذلك ببعض الشواهد من القرآن الكريم فقال:

أما الاحتجاج بأن إبليس قد استثني من الملائكة في قوله سبحانه "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" (البقرة: ٣٤) وغيره من الآيات التي تتناول نفس الموضوع فليس باحتجاج سليم إذ الاستثناء لا يعني بالضرورة أن المستثنى داخل في المستثنى منه، وإلا فأين يذهب الاستثناء المنقطع في مثل قولنا "قام الطلاب إلا حمارا "كما تقول كتب النحو.

ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام " فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء: ٧٧) وقوله عز وجل "بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"(الانشقاق: ٢٢ـ٢٥)

وقوله جل جلاله: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ" (الزخرف٢٦،٢٧) وغير ذلك كثير.

فالله سبحانه ليس من الأصنام ولا هي منه في شئ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا ينتمون إلى الكافرين لا من قريب ولا من بعيد ".(٢)

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤٠، ٤١.

(٢) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤١.

ومنه قوله تعالى: (لا عاصِم اليوم من أمر الله إلّا مَن رحِم) على إرادة لا من يعصم من أمر الله إلا من رحم، وهو أصحّ الوجوه، فمن رحم مستثنى منقطع لم يدخل فيما قبله فيخرج بإلا"(١)

ـ وبين أن قول الأستاذ أسد عن إبليس بأنه ملاك ساقط لا قيمة له لأن الأستاذ أسد ينكر كون الملائكة والشياطين كائنات ذات شخصية، ويذكر بأنهم عبارة عن الرغبات البشرية، وأن تمردهم مسألة رمزية فيقول:

وعلى أية حال فمن غير المفهوم أن يقول أسد عن إبليس إنه "ملاك ساقط"، ما دام يرى أنه هو والشياطين لا يعدون أن يكونوا هم الرغبات البشرية، وأن تمردهم إنما هو مسألة رمزية، أي أن الأمر كله عراك في غير معترك... ومع ذلك كله فإني أفضل ألا يمضي الواحد منا في مثل هذه التأويلات لأنه سيجد نفسه وقد سقط في شبكة من التناقضات يستحيل عليه أن يخلص نفسه منها كما شاهدنا قبلا ما حدث لكاتبنا" (٢)

ـ ووضح أن الاعتقاد بوجود إبليس والشياطين أكثر زجرا للإنسان عن فعل الشر من الاعتقاد بأن الأمر مجرد رغبات نفسية، وأكد على أنه لا يشدد في الإنكار على من يرحهم التأويل، ولكنه يستعجب من المقرين بوجود (اللاوعي) المنكرين لوجود الشياطين، على الرغم من أن الأدلة على وجود الشياطين راجعة إلى القرآن والسنة، والأدلة على وجود (اللاوعي) راجعة إلى كلام علماء النفس فيقول:

" وإن الاعتقاد في وجود إبليس والشياطين لأقوى في وازع الإنسان عن عمل الشر من القول بأن الأمر ليس إلا رغبات نفسية تريد الإشباع.

ولست مع ذلك أشدد النكير على من يريحهم التأويل رغم كثرة الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الشيطان بوصفه كائنا ذا شخصية، إذ حددت المادة التي خلق منها، وروت لنا ما جري في أول الخليقة بينه وبين المولى سبحانه بوقائعه ومشاهده وحواراته، وحذرت آدم وذريته، من وساوسه وأكاذيبه وأحقاده، وتوعدت من يصيح إليه بالخسران المبين وأهوال الجحيم... ولكني لا أستطيع إلا أن أستعجب ممن يقولون بوجود(اللاوعي) مثلا (الشخصي منه والجمعي) وينكرون وجود الشيطان أو عندهم دليل على وجود هذا اللاوعي وهو كلام علماء النفس وكلامهم مجرد تخمينات وافتراضات؟

---

(١) شرح تسهيل الفوائد ـ محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)/ ٢/ ٢٦٥/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ـ الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)

(٢) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤١، ٤٢.

أما الشيطان فمعرفتنا به راجعة إلى ما جاء في القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، وأين هذا من ذاك" (١)

ـ وشدد على أن الإيمان بوجود الملائكة لا يتناقض مع الإيمان بوجود الغرائز البشرية، إذ إن الغرائز موجودة والشيطان يؤججها فقال:

" وأيا ما يكن الأمر فإن الإيمان بوجود الشيطان لا يناقض القول بوجود الغرائز البشرية، فالرغبات موجودة والشيطان ينفخ فيها ويؤججها ويغري بالارتماء في نارها، وإن شعور الإنسان في مثل هذا الموقف بأنه في صراع مع شيء متميز عنه لمما يؤكد وجود الشيطان" (٢)

ـ ثم ذكر أننا ينبغي أن ننظر إلى أمر الله للملائكة بالسجود لآدم بنفس العين، أي أننا نؤمن بوجود الملائكة، ونعترف كذلك بتفوق البشر عليهم بالتفكير التصوري كما يقول الأستاذ أسد، أو تفوقهم في أي أمر آخر فلا تعارض بين هذا وذاك.

" وبمثل هذه العين ننظر فيما قاله كاتبنا عن أمر الله لملائكته بالسجود لآدم، إذ معناه عنده أن البشر متفوقون عليهم بالتفكير التصوري والقدرة من ثم على التمييز بين الصواب والخطأ.

إننا لا نشاح في شيء من هذا، لكننا لا نجد فيه ما يمنع من الإيمان بوجود الملائكة والشياطين ورضا الأولين بالسجود لآدم، واستكبار إبليس عن ذلك.

ترى لماذا لا يسير الأمران جنبا إلى جنب؟ هل في طبيعتهما ما يمنع من هذا..."(٣)

وبالتأمل فيما سبق يتضح أن الدكتور إبراهيم عوض يرى أن الآية من باب الاستثناء المنقطع، والذي لا يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه، وأن قول الاستاذ (أسد) بأن إبليس ملاك ساقط لا قيمة له، لأنه يرى أن وجود الملائكة والشياطين مسألة رمزية، وأن الاعتقاد بوجود إبليس أقوى في دفع الإنسان عن ارتكاب المعاصي، وأن الإيمان بوجود الملائكة لا يناقض القول بوجود الغرائز البشرية.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

ـ إن الذي يطالع أقوال المفسرين في تلك المسألة يجد أنهم اختلفوا في كون إبليس من الملائكة أو من الجن على النحو التالي:

ـ فقد ذكر الإمام القرطبي أن جمهور العلماء يقولون بأن إبليس من الملائكة، فقال:

---

(١) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤٢.

(٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(٣) فكر محمد أسد كما لا يعرفه الكثيرون/ د إبراهيم عوض/ ٤٢.

" قَوْلُهُ: (إِلَّا إِبْلِيسَ) نصب على الاستثناء المتصل، لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور ابن عباس وابن مسعود و ابن جريج و ابن المسيب و قتادة وغيرهم ورجحه الطبري وهو ظاهر الآية

قال ابن عباس: وكان اسمه عزازيل وكان من أشراف الملائكة وكان من الأجنحة الأربعة، فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطانا.

وقال سعيد بن جبير: إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور.

وقال ابن زيد و الحسن و قتادة أيضا: إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ولم يكن ملكا، وروي نحوه عن ابن عباس: وقال: اسمه الحارث، وقال شهر بن حوشب وبعض الأصوليين: كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع الملائكة وخوطب، وحكاه الطبري عن ابن مسعود، والاستثناء على هذا منقطع"(١)

ـ وأيده الشيخ جمال الدين القاسمي(٢) بعدما ذكر الاختلاف حول كون إبليس من الجن أو من الملائكة فقال: " للعلماء في إبليس، هل كان من الملائكة أم لا؟ قولان:

أحدهما: أنه كان من الملائكة. قاله ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن المسيّب.

والثاني: أنه كان من الجن، ولم يكن من الملائكة. قاله ابن عباس في رواية، والحسن وقتادة،. لقوله تعالى: "إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (الكهف: ٥٠)، فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، ولأن له ذرية، ولا ذرية للملائكة.

والقول الأول هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وصححه البغوي. وأجابوا عن قوله تعالى: إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة.

قال ابن القيم: الصواب التفصيل في هذه المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحد. فإن

---

(١) تفسير القرطبي/ م١/ ٢٥١.

(٢) جمال الدين القاسمي (١٢٨٣– ١٣٣٢ هـ) (١٨٦٦– ١٩١٤ م) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، ولد بدمشق، ونشأ، وتعلم بها، وانتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في البلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨– ١٣١٢ هـ) ثم رحل إلى مصر، وعاد إلى دمشق فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب إلى أن توفي، من تصانيفه الكثيرة: محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم، إصلاح المساجد من البدع والعوائد تعطير المشام في مآثر دمشق الشام)/ معجم المؤلفين/ عمر كحالة/ ٣/ ١٥٧/ ، الأعلام للزركلي/ ٢/ ١٣٥.

إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله. كان أصله من نار، وأصل الملائكة من نور. فالنافي كونه من الملائكة، والمثبت، لم يتواردا على محل واحد. وكذلك قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية في الفتاوي المصرية، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية.

سئل الشعبيّ: هل لإبليس زوجة؟ قال: ذلك عرس لم أشهده! قال: ثم قرأت هذه الآية، فعلمت أنه لا يكون له ذرية إلا من زوجة. فقلت: نعم. وقال قوم: ليس له ذرية ولا أولاد، وذريته أعوانه من الشياطين" (١)

ـ وأكد الشيخ الشعراوي أن إبليس كان من الجن لأنه لوكان من الملائكة لما عصى الله، لأنهم مجبرون على الطاعة، أما الجن فلهم حق الاختيار كالإنس فقال:

" ونقول: إن كون إبليس من الجن هو الذي جعله يعصي أمر الله بالسجود، فلو أن إبليس كان من الملائكة وهم مقهورون على الطاعة كان لابد أن يطيع أمر الله ويسجد، ولكن كونه من الجن الذين لهم اختيار في أن يطيعوا وأن يعصوا، فذلك الذي مكنه أن يعصي أمر السجود. ولذلك فإن الذين يأخذون من الآية الكريمة أن إبليس كان من الجن. بأنه لم يشمله أمر السجود. نقول لهم: إن الحق ﷻ قد أخبرنا عن جنس إبليس حتى نفهم من أي باب إلى المعصية دخل. ذلك أنه دخل من باب الاختيار الممنوح للإنس والجن في الحياة الدنيا وحدها، ولو أراد الله ﷻ أن يكون إبليس مقهورا على الطاعة ما كان يستطيع أن يعصي، ولكن معصيته جاءت من أنه خُلق مختارا. والاختيار هو الباب الذي دخل منه إلى المعصية. هذه حقيقة يجب أن نفهمها. ولذلك يرد الحق ﷻ على كل من سيخطر بباله أن أمر السجود لم يشمل إبليس لكونه من الجن لقوله سبحانه وتعالى: "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ" (الأعراف: آية: ١٢)

وكان كفر إبليس وخلوده في النار أنه رد الأمر على الآمر. وقال:"قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا" (الإسراء: ٦١)

وقد كان وجود إبليس مع الأعلى منه وهم الملائكة. مبررا أكبر للسجود.

فمادام قد صدر الأمر إلى الأعلى بالسجود فإنه ينطبق على الأدنى.

وقد كان إبليس كما جاء في الأثر يسمى طاووس الملائكة، وكان يزهو بخيلاء بينهم، وهذه

---

(١) (محاسن التأويل) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)/ ١/ ٢٩١،٢٩٠ ـ ط. دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(١)– ١٤١٨ هـ.

الخيلاء أو الكبر هو الذي جعله يقع في المعصية، ولأن إبليس خُلق مختارا. فقد كان مزهوا باختياره لطاعة الله قبل أن يقوده غروره إلى الكفر والمعصية؛ ولذلك لم يكد يصدر الأمر من الله بالسجود لآدم. حتى امتنع إبليس تكبرا منه، ولم يجاهد نفسه على طاعة الله. فمعصية إبليس هي معصية في القمة؛ لأنه رد الأمر على الآمر، وظن أنه خير من آدم، ولم يلتزم بطاعة الله، ومضى غروره يقوده من معصية إلى أخرى، فطرده الله من رحمته وجعله رجيما" (١)

– وأيا ما يكن من أمر، فإن المفسرين تدور أقوالهم حول كون إبليس من الملائكة أو من الجِنّ، ولم يشر أحدهم من قريب أو بعيد إلى أن قصة آدم عليه السلام وإبليس رمزية.

ومما تجدر الإشارة إليه في الرد على هذه الشبهة أيضا، أن السجود منه ما يكون على سبيل العبادة وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، ومنه ما يكون على سبيل التعظيم وليس العبادة، وقد كان هذا مباحا في بعض الشرائع، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في نهاية قصة يوسف عليه السلام فقال: " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدا" (يوسف: ١٠٠)

الخلاصة:

من خلال ما تم عرضه يتبين للباحث ما يلي:

ـ بين الدكتور إبراهيم عوض أن قصة آدم عليه السلام وإبليس حقيقية وليست رمزية، واستدل على ذلك من القرأن الكريم.

ـ أوضح الدكتور إبراهيم عوض أن إبليس كان من الجن وليس من الملائكة، وذلك لقوله تعالى:"إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ"، ولأن الملائكة لا يعصون الله، كما أن أصْل خلق كل منهما مختلف، وإبليس له ذرية والملائكة ليس لها ذرية.

ويلاحظ أن الدكتور إبراهيم لم يؤيد ما ذهب إليه بأقوال بعض المفسرين، كما لم يشر إلى آراء المفسرين الذين ذهبوا إلى كون إبليس من الملائكة، على الرغم من أنه قول قوي، خاصة مع ترجيح معظم كتب التفسير القديمة لذلك، وإن كان الباحث يميل إلى الرأي القائل بأن إبليس من الجن، وذلك لأن أدلة القائلين به أكثر وضوحا.

ـ أن جهة الحكم على إبليس بين الفريقين منفكة، فمن قال بأنه من الجن نظر إلى أصل الخلقة وهو كذلك، ومن قال بأنه من الملائكة نظر إلى عمله، فهو من حيثية عمله كالملائكة، ولا تعارض بين الرأيين لأن الجهة منفكة.

---

(١) تفسير الشعراوي/ م١/ ١/ ٢٥٦.

ـ أن الدكتور إبراهيم لم يحالفه التوفيق وظهر متحمسا لرأيه دون موضوعية على خلاف عادته عندما قال:"لايحق لمسلم أن يقول إن إبليس ليس من الملائكة"، خاصة أن عددا من المفسرين قالوا بأن إبليس من الملائكة.

وسواء كان إبليس من الجن أو الملائكة، فلم يذهب أحد من المفسرين إلى ما ذهب إليه الأستاذ (أسد) بأن قصة آدم عليه السلام وإبليس رمزية، وبذلك يسقط هذا التأويل ويتبين أنه لا يقوم على دليل.

المطلب الثالث:

خطأ تأويل خزنة النار (التسعة عشر) بتسع عشرة قوة والرد عليه:

يشاهد الإنسان في كل يوم مخلوقات عديدة، ويتعرف على أسرار كثيرة عن تلك المخلوقات، وكما أن عالم الشهادة مملوء بالعجائب والأسرار، فإن عالم الغيب أكثر امتلاء بمثل هذه العجائب، فالحديث عن الدار الآخرة، أو عن شيء مما فيها كله عجائب، وهو من الغيبيات، ولا يكون إلا بنص قرآني كريم، أو حديث نبوي شريف.

ومن الأمور الغيبية التي ورد فيها نص قرآني كريم عددُ خزنة جهنم، فقد ذكر الله أن عددهم تسعة عشر.

ومع وضوح النص نرى البعض يؤوله إلى تأويلات لا تتفق مع السياق، ولا مع العقل، فعلى نفس وتيرة التأويلات السابقة التي يتبعها الأستاذ أسد أَوَّل هذه الآية الكريمة، ولندع المجال للدكتور إبراهيم عوض ليعرض لنا تأويل الأستاذ أسد للآية الكريمة كما ترجمها عنه.

أولا عرض الخطأ:

ـ يزعم مثير الشبهة أن خزنة النار التسعة عشر في قوله تعالى: " عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ " (المدثر: ٣٠) هي قوى الإدراك والحواس، وأنها قوى ملائكية.

يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" وعلى نفس الوتيرة من الانحراف في التأويل ومناقضته لمنطق العقل يسير أسد في تفسيره التسعة عشر ملكا الذين جعلهم الله على سقر في الدار الآخرة حسبما جاء في الآيات من (٢٦ـ ٣١) من سورة المدثر"سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَر عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَة"...إن التسعة عشر عنده هي قوى الإدراك والحواس والوظائف العضوية للجسم البشري، ومن ثم جاءت ترجمته لها على النحو التالي "عليها تسعة عشر قوة"، ثم علق قائلا إن هذه القوى التسعة عشر قوى ملائكية لأن الإنسان يميز بها بين الخير

والشر، ويدعي الأستاذ أسد أن الرازي أَوَّل الآية مثل هذا التأويل من قبل" (١)

ـ ويبدو الكلام متناقضا، لأن هناك فرقا كبيرا بين قوى الإدراك والحواس، والقوى الملائكية، ولكن الأستاذ أسد وقع في هذا التناقض ليستقيم معنى الآية مع الآية التالية لها وهي قوله تعالى: "وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَة" (المدثر: ٣١)

ثانيا الرد على هذا الخطأ ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال قواعد اللغة العربية.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين.

ـ وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال ما ورد في القرآن الكريم:

إن الحذف من معنى النص القرآني أو الزيادة عليه في الترجمة عامة يعد من العبث غير المقبول، فإذا ما كانت الترجمة لمعنى نص منقول عن رب العزة ﷻ، أو أحد أنبيائه عليهم السلام ازداد قبح ذلك الحذف أو تلك الزيادة، وهذا ما وقع فيه الأستاذ أسد عند ترجمته للآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها.

ـ وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" يؤسفني أن يجنح كاتبنا إلى هذه المغالطات الواهية، ويقدم على العبث بنص القرآن الكريم على ذلك النحو مضيفا كلمة " قوة " لتمييز العدد "تسعة عشر" رغم خلو النص القرآني منها ورغم أن الآية التالية تقول إن هؤلاء التسعة عشر هم تسعة عشر ملكا يسمون "أصحاب النار "قال تعالى: "وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَة..."

لقد تحدث القرآن عن هؤلاء التسعة عشر في عدة مواضع، فسماهم في سورتي"غافر"، "الملك"خزنة جهنم.

قال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْما مِنَ الْعَذَابِ" (غافر آية: ٤٩)

وقال تعالى: "كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ" (الملك آية:٨)

---

(١) فكر محمد أسد/ ٤٤، ٤٥بتصرف/ دإبراهيم عوض ترجمة لترجمة أسد للقرآن ص٩٠٩/ ه ١٦.

كما وصفهم في سورة التحريم أنهم غلاظ شداد قال تعالى: "عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم:آية: ٦)

وهاهو هنا يدعوهم أصحاب النار..." (١)

ـ ثم بين –فضيلته– أن هذه الإضافة مع تأويله لها اضطرت الأستاذ أسد إلى وصف هذه القوى بأنها ملائكية، وأكد على أن هذا التأويل لا يتفق مع العقل والمنطق فقال:

" ومن تمحله هنا أيضا أنه كي تتسق الآية المذكور فيها أصحاب النار مع الآية السابقة عليها يقول: إن هذه القوة قوة ملائكية، وهو تلاعب بالألفاظ خطر!ثم كيف تكون قوى الإدراك وحواسه والوظائف العضوية للجسم البشري قائمة على سقر؟ وكيف تكون قوى ملائكية وهي كثيرا ما تغري بالشهوات وتسوق الإنسان إليها وإلى مغامسها سوقا؟

الحق أني أخشى أن تكون هذه التأويلات المتعسفة واشية بوجود شبهة إنكار ولو مبطنا لبعض من جوانب عالم الغيب، وإلا فما معنى أن يضرب الإنسان صفحا عن كل ما يمت إلى ما يسمى في القرآن ب"عالم الغيب" ويؤوله كل مرة بشيء من عالم الحس؟

لطالما نعى محمد أسد على الحضارة الغربية وأبنائها أنهم لا يؤمنون إلا بما يقع عليه الحس، فما السر في موقفه ذاك إذن؟" (٢)

ـ بالتأمل فيما سبق يتبين أن الدكتور إبراهيم عوض بين إضافة الأستاذ أسد لنص الآية في الترجمة ما ليس منها، وأن التسعة عشر هؤلاء هم خزنة جهنم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على هذا الخطأ من خلال قواعد اللغة العربية:

إن الدراية بقواعد اللغة العربية تعين الباحث على توضح المبهم(٣)، وإزالة المشكل(٤) والوصول إلى المراد دون تكلف وتنطع؛ لذا استند الدكتور إبراهيم عوض إليها في الرد على هذه الشبهة فذكر أن الموضع الذي وضع فيه الأستاذ أسد كلمة "قوة" لا يقبلها لأنها مؤنثة فلا تصلح تمييزا "لتسعة عشر"، وفى هذا يقول –فضيلته– :

---

(١) المرجع السابق/ ٤٤.

(٢) المرجع السابق/ ٤٤، ٤٥بتصرف.

(٣) والمبهم هو الذي لا يعقل معناه ولا يدرك مقصود اللافظ ومبتغاه/ البرهان في أصول الفقه ـ الجويني/ ١/ ١٥٣/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان– ط(١) ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧ م.

(٤) هو اسم لما يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يتميز به. أصول السرخسي ـ محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)/ ١/ ١٦٨/ دار المعرفة– بيروت

" ورغم أن الموضع الذي اجتلبت له كلمة "قوة " وزرعت فيه زرعا يرفضها رفضا قاطعا لأنها كلمة مؤنثة، ومن ثم تصلح أن تكون تمييزا لصيغة "تسع عشرة "، أما تسعة عشر فكلا ثم كلا ثم كلا " (١)

ــ ويوضح أن ذلك التأويل لا يصلح؛ لأن قوى الإدراك لا تسمى "أصحاب"، ولأن أصحاب مفردها صاحب "مذكر" والقوى مؤنثة فلا تستعمل للقوة فيقول:

" ثم كيف تسمى هذه القوى "أصحاب كذا "؟ فضلا عن أصحاب مفردها صاحب "مذكر"، ومن ثم لا يصلح استعمالها للقوة لأنها مؤنثة، ولو كانت هي المقصودة لاستعمل لها القرآن كلمة "صواحب" التي مفردها صاحبة." (٢)

– ثم يبين أن هذا التأويل فيه تأثر بآراء القاديانيين(٣)، حيث إن غلام أحمد القادياني(٤) أول الآية تأويلا مشابها لذلك فيقول:

" وما دام الشيء بالشيء يذكر فلا يفوتني الإيماء هنا إلى أن ملك غلام فريد القادياني(٥) قد أول" التسعة عشر" في الآية الكريمة تأويلا مشابها إذ قال إنها الحواس التسعة الحواس السبع الخارجية إلى جانب حاسة إدرك المكان وحاسة الجوع والعطش وغيرهما من الإحساسات الداخلية، وهو كلام لارأس له ولا ذيل كما ترى ــ ومقابلاتها الروحية "وهي تسعة أيضا " بالإضافة إلى الشعور بالألم والحرارة "(٦)

ـ مما سبق يتضح أن تأويل الأستاذ أسد لا يتفق مع قواعد اللغة العربية، ولا مع سياق الآيات

---

(١) فكر محمد أسد . د إبراهيم عوض/ ٤٤.

(٢) المرجع السابق/ ٤٥.

(٣) حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام./ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ مانع الجهني/ ١/ ٤١٦/ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

(٤) أحمد القادياني (١٢٥٢– ١٣٢٦ هـ) (١٨٣٦– ١٩٠٨ م) (غلام) أحمد بن مرتضى القادياني.
مؤسس الطائفة القاديانية، توفي بمدينة لاهور في أيار، ودفن بقاديان،صنف كثيرا من الكتب في دعم مذهبه بالعربية والفارسية والأوردية/ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة/ ٢/ ١٧٤.

(٥) نفس الشخص السابق.

(٦) فكر محمد أسد . د إبراهيم عوض/ ٤٥ ترجمة لـ Malik ghulam farid, the holy quran, p1281,n. 3169

الكريمة، بل يناقض ذلك مناقضة تامة.

(ج) الرد على هذا الخطأ من خلال عرض أقوال بعض المفسرين:

ـ وزيادة في الإيضاح يعرض الباحث أقوال بعض المفسرين في الآية الكريمة، ولكن يحسن بالباحث أولا أن يرد على ما نسبه الأستاذ أسد للإمام الرازى، حيث قال بأنه أوَّل الآية الكريمة بمثل تأويله.

فأما عن قول الإمام الرازي بهذا التأويل فلا صحة له، لأن الرازي ذكر تسع عشرة قوة من قوى الإدراك التي تدفع المسلم إلى فعل الشر، ثم بين أن عدد الزبانية المذكور في الآية يتناسب مع عدد القوى التي تنشأ عنها المعصية، فلَمْ يُؤول الآية وإنما اجتهد في إيجاد حكمة لهذا العدد، وهذا نص كلامه

"عليها تسعة عشر" وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المعنى أنه يلي أمر تلك النار، ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا.

وقيل: تسعة عشر صنفا.

وقيل: تسعة عشر صفا.

وحكى الواحدي عن المفسرين: " على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم"(١)

المسألة الثانية: ذكر أرباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها:

أحدها: وهو الوجه الذي تقوله أرباب الحكمة أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية.

أما القوى الحيوانية فهي: الخمسة الظاهرة، والخمسة الباطنة، والشهوة والغضب، ومجموعهما اثنتا عشرة.

وأما القوى الطبيعية فهي: الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة، وهذه سبعة، فالمجموع تسعة عشر، فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر، لا جرم كان عدد

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري ـ (المتوفى: ٤٦٨هـ)/ ٤/ ٣٨٤.– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط(١)، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٤م.

الزبانية هكذا"(١)

ـ وأما عن أقوال المفسرين في الآية الكريمة فقد نقل الإمام القرطبي أقوال بعض العلماء التي تبين عدد خزنة جهنم، ثم اختار أن التسعة عشر هم النقباء على خزنة جهنم أما عددهم الكلي فلا يعلمه إلا الله فقال:

" قَوْلُهُ تَعَالَى: "عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" أي على سقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها، ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها مالك وثمانية عشر ملكا، ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيبا، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكا بأعيانهم، وعلى هذا أكثر المفسرين

قال الثعلبي: " ولا يستنكر هذا، فإن ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلق"(٢).

وأخرجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: قَالَ نَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ عَدَدَ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالُوا: لَا نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا. فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ غُلِبَ أَصْحَابُكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: (وَمَاذَا غُلِبُوا)؟ قَالَ: سَأَلَهُمْ يَهُودُ: هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ عَدَدَ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: (فَمَاذَا قَالُوا) قَالَ: قَالُوا لَا نَدْرِي حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا. قَالَ: (أَفَغُلِبَ قَوْمٌ سُئِلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ، فَقَالُوا لَا نَعْلَمُ حَتَّى نَسْأَلَ نَبِيَّنَا؟ لَكِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَة، عَلَيَّ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ! إِنِّي سَائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ وَهِيَ الدَّرْمَكُ (. فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ: (هَكَذَا وَهَكَذَا) فِي مَرَّةٍ عَشَرَةٌ وَفِي مَرَّةٍ تِسْعَةٌ. قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ) قَالَ: فَسَكَتُوا هُنَيْهَة ثُمَّ قَالُوا: أَخُبْزَةٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْخُبْزُ مِنَ الدَّرْمَكِ)"(٣)

قلت: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال الله تعالى: " وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" (المدثر: ٣١)

---

(١) مفاتيح الغيب. الرازي/ م١٥/ ج٣٠/ ٢٠٣.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن– أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)/ ١٠/ ٧٤/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان– ط(١) ١٤٢٢، هـ– ٢٠٠٢ م

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ـ باب(ومن سورة المدثر) ـ برقم(٣٣٢٧)/ ٥/ ٤٢٩/ ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي (ط٢) ١٩٧٥

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا"(١)

وقال ابن عباس و قتادة و الضحاك: لما نزل { عليها تسعة عشر } قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! اسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدُهْم – أي العدد – والشجعان فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم! قال السدي: فقال أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحي: لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة يقولها "(٢)

وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الْمَرْوِيِّ فِي الصحيحين. عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: "فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ"(٣)

– وورد في تفسير "روح البيان " أن رأي الجمهور أيضا أن التسعة عشر هم النقباء على خزنة جهنم

" والجمهور على أن المراد بهم النقباء فمعنى كونهم عَلَيْها أنهم يتولون أمرها وإليهم جماع زبانيتها وإلّا فقد جاء:«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٤)

– أما الشيخ الزحيلي فيرى أن التسعة عشر هم خزنة جهنم، وأن الله ما جعل هذا العدد إلا اختبارا لإيمان المؤمنين، وإضلالا للكافرين، وتيقنا لأهل الكتاب بصحة رسالة النبي ﷺ لأن هذا العدد مذكور في كتبهم فقال:

" أخرج البيهقي في البعث وغيره عن البراء: أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النّبي ﷺ عن خزنة جهنم، فجاء، فأخبر النّبي ﷺ، فنزل عليه ساعتئذ: قوله تعالى "عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ـ باب (في شدة نار جهنم وبعد قعرها)برقم (٢٨٤٢)./ ٤/ ٢١٨٤.

(٢) جامع البيان ـ للقرطبي/ ١٠/ ٦٨٧٠ـ ٦٨٧٢.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(بدء الخلق) ـ باب ذكر الملائكة ـ برقم ٣٢٠٧/٤/ ١٠٥ـ ونصه فيه"فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ"

(٤) روح البيان ـ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (المتوفى: ١١٢٧هـ)/ ١٠/ ٢٣٢/ دار الفكر–بيروت.

"(١).

ولم نجعل خزنة النار وزبانيتها القائمين بالتعذيب إلا ملائكة غلاظا شدادا، ولم نجعلهم رجالا تمكن مغالبتهم، ولم نجعل عددهم تسعة عشر إلا اختبارا منّا للناس، وسبب محنة وإضلال للكافرين، حتى قالوا ما قالوا، ليتضاعف عذابهم، وقوله: فِتْنَة أي سبب فتنة للكفار، وفتنتهم: كونهم أظهروا مقاومتهم، والطمع في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم مكَذِّبون بالبعث وبالنار وبخزنتها.

وجعل الله هذا العدد ليتيقن أهل الكتاب (وهم اليهود والنصارى) أن الرسول حق، فإنه جاء ناطقا بما يطابق كتبهم السماوية السابقة، فإن فيها أن عدّة خزنة جهنم تسعة عشر، ولكي يزداد إيمان المؤمنين، ولا يشك أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمؤمنون بالله تعالى ورسوله، في صحة وحقيقة هذا العدد وفي دين الله، وليقول المنافقون الذين في قلوبهم شكّ وريب، في صدق النّبي ﷺ، ومعهم الكافرون من أهل مكة وغيرهم: أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل، وما الحكمة في ذكر هذا العدد هنا؟ مثل ذلك المذكور من الإضلال والهداية، يضلّ الله من يريد، بخذلانه عن إصابة الحق، لسوء استعداده، ويهدي إلى الحق والإيمان من يريد، بتوفيقه إلى الصواب، وليس في ذلك إجبار على الضلالة والهدى، لمنافاته للعدل الإلهي. وما يعلم أنصار الله وأعوانه إلا الله وحده، وما سقر وصفتها إلا تذكرة وعظة للناس، ليعلموا كمال قدرة الله" (٢)

وقوله تعالى: "عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" صفة رابعة من صفات سقر. أي: على هذه النار تسعة عشر ملكا، يتولون أمرها، وينفذون ما يكلفهم الله– تعالى– في شأنها." (٣)

" فعدد خزنة جهنم تسعة عشر كما نص الله تعالى على ذلك في كتابه وسنة رسوله ﷺ، بل وفي الكتب السابقة التوراة والإنجيل".(٤)

ـ وأيا ما يكن من أمر، فإنه يتضح بعد عرض أقوال المفسرين أن الإمام الرازي لم يفسر "التسعة عشر" بقوى الإدراك كما ادَّعى الأستاذ (أسد)، وأن جميع المفسرين يرون أنهم من الملائكة.

---

(١) البعث والنشور ـ الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ/ ج١/ ٢٦٩/ برقم (٤٦٢) ـ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦ م. ـ فيه ابن أبي مطر وحديثه ليس بالقوي، المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي ـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي/ ٣/ ٢٧٧٤/ دار الفكر – دمشق ـ ط(١)– ١٤٢٢.

(٣) التفسير الوسيط د محمد سيد طنطاوي/ م١٥/ ٢٩/ ٢٥٧.

(٤) مباحث العقيدة في سورة الزمر/ ١/ ٦٢٦.

الخلاصة:

من خلال عرض ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

ـ بين الدكتور إبراهيم عوض أن الأستاذ (أسد) أخطأ في ترجمته (التسعة عشر) بأنها قوى الإدراك والحواس.

ـ أوضح الدكتور إبراهيم عوض أن الأستاذ (أسد) أضاف للآية في الترجمة كلمة "قوة"، وهي ليست منها.

ـ وأضاف فضيلته أن الأستاذ (أسد) ظهر متناقضا في وصف هذه القوى بأنها ملائكية؛ إذ إن هناك فرقا بين قوى الإدراك والحواس والقوى الملائكية.

ـ أكد الدكتور إبراهيم عوض أن كلمة "قوة" التي أضافها الأستاذ (أسد) لا تتفق مع السياق ولا مع قواعد اللغة العربية لانها مؤنثة فلا تصلح تمييزا لـ (تسعة عشر).

ـ زاد فضيلته أن سبب هذا التأويل، هو تأثر الأستاذ (أسد) بآراء القاديانيين، حيث إن غلام أحمد القادياني يؤولها تأويلا مشابها لذلك.

ولقد كان رد الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– على هذه الشبهة موفقا إلى حد كبير وإن فاته أن يبين تفسير الإمام الرازي للآية، لاسيما وأن الأستاذ (أسد) ادعى موافقته للإمام الرازي في هذا التأويل.

ـ أن الإمام الرازي لم يؤول الآية هذا التأويل، وإنما ذكر تسع عشرة قوة من قوى الإدراك التي تدفع المسلم إلى فعل الشر، ثم بين أن عدد الزبانية المذكور في الآية يتناسب مع عدد القوى التي تنشأ عنها المعصية.

ـ أن القول بأن "التسعة عشر " من الملائكة هو ما أجمع عليه المفسرون.

ـ أن القول بأن "التسعة عشر " هم من الملائكة النقباء قول يؤيده جمهور العلماء كما ورد في تفسير (روح البيان)، وهو ما يطمئن إليه القلب، وذلك لضعف الرواية التي اعتمد عليها الشيخ الزحيلي، وهذه الغيبيات لابد من الاعتماد فيها على دليل قوي والله أعلم

وبذلك يترجح للباحث أن خزنة جهنم التسعة عشر من الملائكة، وأن تأويل الأستاذ أسد للآية بأنها تسعة عشر قوة وهي قوى الإدراك ليس عليه دليل، وبذلك يسقط هذا التأويل ويتبين أنه لا يقوم على دليل.

الفصل الرابع
جهود الدكتور إبراهيم عوض
في الدفاع عن الشريعة الإسلامية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالمرأة

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالفقه الإسلامي

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالعبادات

المبحث الرابع: الدكتور إبراهيم عوض ما له وما عليه

توطئة:

إن أعداء الإسلام لم يتركوا مجالا من المجالات أو قضية من القضايا، إلا وشككوا فيها وأثاروا حولها الشبهات. كل ذلك بغرض زحزحة العقيدة في قلوب المسلمين، وتزهيد المسلمين في دينهم، وتراثهم، وتزهيد غير المسلمين في الإسلام برسم صورة سيئة عن الإسلام، وقضايا الإسلام.

ومن هذه القضايا قضية المرأة وما يتعلق بموقف الإسلام من عملها، وتعلمها واجتهادها وقبول شهادتها. كذلك قضية الفقه الإسلامي والكلام عن أصالته ومدى صلاحيته، وكذلك بعض الشبهات المتعلقة بالعبادات فى الإسلام.

ولكن الله ﷻ يقيض في كل زمان لهذه الأمة من يدفع عنها، وعن قضاياها تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ومن هؤلاء الدكتور إبراهيم عوض – حفظه الله– ، فبالإضافة إلى رده على بعض القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم، والنبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، والعقيدة الإسلامية، فقد رد كذلك على بعض القضايا المتعلقة بالشريعة الإسلامية وما أثير حولها من شبهات، وبإذن الله سيقوم الباحث برصد أهم هذه الشبهات ورد الدكتور إبراهيم عوض عليها، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالمرأة.

المبحث الثاني: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالفقه الإسلامي.

المبحث الثالث: جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالعبادات.

المبحث الأول:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالمرأة:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبهة احتكار الرجال لباب الاجتهاد والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة عدم السماح للمرأة بالعمل خارج البيت والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة قبول شهادة الرجل في اللعان وعدم قبول شهادة المرأة والرد عليها.

توطئة:

لم يكن للمرأة قبل الإسلام مكانة مرموقة في المجتمع، وإنما هضمت حقوقها في كثير من المجتمعات،" من مجتمع إلى آخر" فكانت تباع وتشترى وتورث وتوهب، وكان يترف فيها كما يتصرف في الرقيق " (١)

لكنه مع ذلك لم تعدم بعض النسوة حقوقهن واحترامهن في كثير من بيوت السادة والزعماء والأكابر وكرام النفوس، فإن هناك نسوة اشتهرن بالعقل والحكمة عند الجاهليين. وكن مرجعا للرجال في أخذ الرأي،حتى إن منهن من تولين أمر الحكومات، كملكة سبأ(٢) التي ذكر القرآن الكريم قصتها مع نبي الله سليمان عليه السلام، وكالسيدة خديجة رضي الله عنها.

"فلم يجد العرب قبل الميلاد ولا بعده غضاضة من تعيين النساء ملكات عليهم. وقد كن يصاحبن الرجال إلى القتال لإثارة هممهم عند اشتداد المعارك ولمداواة الجرحى، وحمل الماء إلى العطشى من المقاتلين، وقد كانت "رفيدة"(٣)رضي الله عنها تداوي جرحى المسلمين في مسجد الرسول بالمدينة المنورة، حتى الشعر، برزت به شاعرات. مثل الخنساء(٤)رضي الله عنها

---

(١) للتفصيل ينظر المرأة بين الفقه والقانون – مصطفى السباعي/ ١١– ٢٦/ مكتبة دار السلام ط(٢) ٢٠٠٣م.

(٢)بلقيس بنت شراحيل الهدهاد بن شرحبيل وفي نسبها اختلاف ملكة سبأ قيل إنها ملكت اليمن تسع سنين ثم كانت خليفة عليها من قبل سليمان بن داود أربع سنين قال مسلمة بن عبد الله بن ربعي لما أسلمت بلقيس تزوجها سليمان بن داود عليه السلام/ تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر/ ٦٩/ ٦٧.

(٣) رفيدة الأسلمية رضي الله عنها من أوائل من أسلم بالمدينة، كانت تدوي الجرحى وهي التي داوت سعد بن معاذ في خيمتها/ أسد الغابة– ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)/ ٢/ ٢٢٢/ دار الفكر – بيروت– ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)

(٤) تماضر بنت عمرو بن الشريد رضي الله عنها من سراة قبائل ملهم، قدمت على رسول الله مع قومها بني سُلَيم وكان– عليه السلام– يستنشد الخنساء ويعجبه شِعرها فكانت تنشد وهو يقول: "هيه يا خنساء" وأجمعوا أنه لم تكن

وخرانق(١)"(٢)

أما تكريم المرأة على سبيل العموم فلم يكن إلا في الإسلام، فإنه يعتبر تاريخ الميلاد الحقيقي لحقوق المرأة، فلم تُكرَّم المرأة في ديانة من الديانات، ولا شريعة من الشرائع، ولا فكر من الأفكار القديمة أو الحديثة كما كرمت في التشريع الإسلامي، وهذا ما أكدته الشريعة الإسلامية، فهي تشترك مع الرجل في الإنسانية، كما تشترك معه في أهليتها للتكليف والمسئولية، والثواب والعقاب.

قال تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" (البقرة:٢٢٨)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الرجلِ يَجِدُ البَلَلَ ولا يَذكُرُ احتِلاما، قال: "يَغتَسِلُ"، وعن الرجلِ يرى أنْ قَدِ احتَلَمَ ولا يَجِدُ البَلَلَ، قال: "لا غُسلَ عليه" فقالت أُمُّ سُلَيم: المرأةُ ترى ذلكَ أعليها غُسلٌ؟ قال: "نعم، إنَّما النِّساءُ شَقائِقُ الرِّجالِ" (٣)

ومع وضوح هذه النصوص وغيرها من النصوص التي لا يلتفت إليها من امتلأت قلوبهم حقدا وحسدا على الإسلام والمسلمين، إلا أننا نجد الكثيرين من أعداء الإسلام يثيرون العديد من الشبهات حول ظلم المرأة في الإسلام، ولقد بذل الدكتور إبراهيم عوض جهدا بارزا في الرد على تلك الشبهات، ومن أهم هذه الشبهات التى تعرض لها الدكتور إبراهيم عوض ما سيتناوله الباحث بمشيئة الله فى المطالب التالية:

المطلب الأول: شبهة احتكار الرجال لباب الاجتهاد والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة عدم السماح للمرأة بالعمل خارج البيت والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة قبول شهادة الرجل في اللعان وعدم قبول شهادة المرأة والرد عليها.

قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها/ سلم الوصول إلى طبقات الفحول- مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ«حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)/ ٤/ ٤٠١/ مكتبة إرسيكا، إستانبول- ٢٠١٠ م.

(١) سبق التعريف بها: ف١، م١.

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام- د/ جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)/ ٨/ ٢٠٨ – ٢١١ بتصرف/ دار الساقي- الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

(٣) أخرجه الإمام أبو داوود فى سننه ـ ك (الطهارة) باب (الرجل يجد البِلَّة في منامه) برقم(٢٣٦)/ ١/ ١٧١ـ حسن لغيره . المرجع نفسه والصفحة نفسها.

المطلب الأول:

شبهة احتكار الرجال لباب الاجتهاد والرد عليها:

من محاسن الدين الإسلامي أنه دين العلم، حث عليه، ورغب فيه، وطالب الإنسان بسؤال المزيد منه قال تعالى: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه: آية: ١١٤)، وحث كل مسلم ذكرا أم أنثى على طلب العلم، فالكل مكلف أمام الله ﷺ، وعلى الكل أن يسعى لفهم دينه، فهناك قدر من العلوم لا غنى لكل مسلم عنه، وهو القدر الذى يصح به معتقده، وتصح به عبادته، ويعرف به ما يحل ويحرم.

ولقد فتح الإسلام الباب أمام كل أحد لكى يزداد من العلم، ولم يقتصر في ذلك على الرجال فقط، ورفع درجة العلماء ليتنافس الجميع إلى الوصول إليها، فمن جد واجتهد فله الحق في الاجتهاد، والإفتاء، والتأليف حتى ولو كانت امرأة، بل حتى ولو كانت أمة؛ لذا وُجِد في تاريخ الأمة العديد من المجتهدات في شتى العلوم والمجالات.

ومع ذلك وجدنا من يتهم الإسلام بفتح باب الاجتهادأمام الرجال دون النساء.

أولا عرض الشبهة:

ـ يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن أسما بارْلَس(١) تزعم بأن تفسير القرآن الكريم كان حكرا على الرجال، ولذلك تم تفسير القرآن بطريقة تنحاز للرجل دون المرأة فتقول:

"إن القرآن لا يعكس من خلال نصوصه وجهة نظر بطرياركية، إلا أن تفسيره قد خضع رغم ذلك لتأثير المجتمع البطرياركي(٢) الذي نزل فيه فكان لزاما عليها، كما تقول، أن تنقي التفسير من تلك التأثيرات البطرياركية"(٣)

---

(١) أستاذة جامعية باكستانية مسلمة، ولدت (١٩٥٠ في باكستان)، عينت رئيسة قسم السياسة في جامعة إثيكا كولدج بنيويورك، تخصصت في السياسة المقارنة والدولية، والإسلام والقرآن والتأويل، لا تشك في قدسية القرآن ولكنها تطالب بتفسير متحرر عن سلطة العلماء الذكورية ـ النساء في الإسلام نسخ التفسير البطرياركي للقرآن ـ أسما بارْلَس ـ د/ إبراهيم عوض/ ٨/ ـ ١٤٣٢هـ ٢٠١١م. بدون دار نشر.

(٢) نظام اجتماعي يظهر فيه سيطرة الذكر على الأنثى في العائلة والمجتمع والسلطة/ النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب/ إبراهيم الحيدري/ ٤/ دار الساقي ـ ط(١) ٢٠٠٤.

(٣) النساء في الإسلام نسخ التفسير البطرياركي للقرآن ـ أسما بارْلَس ـ ص xi ترجمة (النص الإنجليزي مع دراسة مقارنة). د/ إبراهيم عوض. ص١٦ ـ ١٤٣٢هـ ٢٠١١م. بدون دار نشر ـ ترجمة لنفس العنوان صxi.

– ودعت الدكتورة أمينة ودود(١) إلى القضاء على احتكار الرجال لباب الاجتهاد في تفسير القرآن والسنة وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض:

"الدكتورة أمينة ودود... دعت في المؤتمر(٢)المنظمات النسائية الإسلامية في العالم إلى كسر احتكار وهيمنة الرجال على باب الاجتهاد والتفسير في القرآن والسنة النبوية"(٣)

– وعندما يتأمل الباحث في هذه الشبهة يجد أنها جزء من الشبهات التي تهدف إلى إظهار اضطهاد المرأة في المجتمع الإسلامي، وأن المثيرين لها يريدون أن يفتحوا لأنفسهم بابا يباح لهم من خلاله تغييرُ المفهوم الصحيح للآيات التي تتعلق بالمرأة.

ثانيا الرد على الشبهة ويتلخص فيما يلي:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ذكر عالمات مجتهدات في مختلف العلوم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال وجوب توفر شروط المفسر.

(ج) الرد على الشبهة من خلال كتب التفسير النسائية.

وفيما يلي بيان ذلك:

الرد على الشبهة من خلال القرآن الكريم:

" فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى" (آل عمران:١٩٥) أم سلمة: يا رسول الله، لا نَسْمَع اللهَ ذَكَر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله [عز وجل] { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى } إلى آخر الآية... وقوله: { أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى } هذا تفسير للإجابة، أي قال لهم مُجِيبا (١) لهم: أنه لا يضيع عمل عامل لديه، بل يُوَفِّي كل عامل بقسط عمله، من ذكر أو أنثى.

---

(١) أمينة ودود أستاذة التاريخ الإسلامي بجامعة بيركيلي بأمريكا مواليد ٢٥ سبتمبر ١٩٥٢ في بيثيسدا، ومتخصصة في تفسير القرآن والدراسات الإسلامية و أحدثت ضجة كبيرة بكتابها الذي يحمل اسم "القرآن و المرأة" وأمت الرجال والنساء في صلاة الجمعة في ١٨ مارس عام ٢٠٠٥/ النساء في الإسلام ـ دإبراهيم عوض ـ ص٨٢ ، ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) ١٥/١٠/ ٢٠١٧.

(٢) موقع "دُويتشِه فِيلِه مؤتمر بعنوان "قوة النساء في الإسلام توجيهات واستراتيجيات نسائية للقرن ٢١"ـ نظمته مؤسسة فردريش إيبرت في مدينة كولونيا الألمانية في يونيو ٢٠٠٨

(٣) النساء في الإسلام – أسما بارلس– د.إبراهيم عوض / ٨٢، ٨٣.

*موقع "دُويتشِه فِيلِه مؤتمر بعنوان "قوة النساء في الإسلام توجيهات واستراتيجيات نسائية للقرن ٢١" ـ نظمته مؤسسة فردريش إيبرت في مدينة كولونيا الألمانية في يونيو ٢٠٠٨.

وقوله: { بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ } أي: جميعكم في ثوابي سَواء.

وعندما تحدث الله عزوجل عن توزيع التركة في الميراث جعل لكل منهما نصيب محدد يتناسب مع الأعباء التي يتحملها كل منهما.

قال تعالى: " لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ" (النساء:٣٢)

ـ ولقد سوى الله تبارك وتعالى بين الرجال والنساء في الوصف والجزاء في قوله تعالى:

" إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَة وَأَجْرا عَظِيما" (الأحزاب:٣٥)

ـ وعَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذْكَرْنَ بِشَيْءٍ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ"(١)

– من خلال ما سبق يتبين أن الله جعل لكل من الرجل والمرأة جزاءه على كل عمل يقوم به، ولم يميز الرجال على النساء ويجعل لهم الثواب دونهن.

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ذكر عالمات مجتهدات في مختلف العلوم:

ـ لقد حظي المسلمون على مر العصور بالكثير من العالمات المجتهدات اللاتي نبغن في مختلف العلوم، ولم يرد في التاريخ الإسلامي منع المرأة مطلقا من التعليم والاجتهاد بسبب أنها أنثى يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" أما بالنسبة إلى ما دعت إليه أمينة ودود من تولي النساء عملية التفسير والفتاوى الفقهية دون الرجال، وزعمها أن النساء لم يكن لهن في الماضي مشاركات في تفسير القرآن والكتابة في الدراسات الدينية، فيكفي الإنسان أن يرجع إلى كتاب ككتاب "أعلام النساء" لعمر رضا كحالة... فيطلع في الكتاب وحده على المئات بعد المئات من أسماء النساء المحدثات، فضلا عن عدد غير قليل من الفقيهات والمفسرا ت، ويأتي على رأس النساء المفسرات جمعاوات بطبيعة الحال السيدة عائشة زوج النبي ﷺ، فقد كانت مفسرة وفقيهة وراوية للحديث

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ـ في (أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) باب (وَمِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ) برقم (٣٢١١)/ ٥/ ٣٥٤. حَسَنٌ غَرِيبٌ/ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

فقد روى هشام بن عروة (١) عن أبيه أنه قال:" ما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله ولا بسنةعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلا بِشِعْرٍ، وَلا فَرِيضَةٍ مِنْ عَائِشَة رضي الله عنها»(٢).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْما»(٣)

وذكرها السيوطي من السبعة المكثرين لرواية الحديث، فقال:

وَالْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ — أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ

وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ — وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ" (٤)

ولم يتوقف علمها رضي الله عنها على الإكثار من الحديث والفقه حتى استقلت بالفتوى، يقول ابن سعد: "كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان إلى أن ماتت يرحمها الله"(٤)

ومنهن أسماء بنت أسد بن الفرات (ت ٢٥٠هـ)التي اشتهرت برواية الحديث والفقه على رأي أهل العراق أصحاب أبي حنيفة، وطاهرة بنت أحمد بن يوسف الأزرق التنوخية (ت ٤٣٦هـ) وكانت محدثة متفقهة، وعائشة بنت الفضل بن أحمد الكسائي (ت ٥٢٠هـ) وكانت محدثة فقيهه، وفاطمة بنت أحمد السمرقندي (ق٦هـ) وكانت عالمة فقيهة أخذت العلم عن جمة من الفقهاء وتصدت للتدريس وألفت كتبا متعددة في الفقه والحديث، وأسماء بنت أبي موسى الضجاعي اليمنية (ت ٩٠٤هـ)، وفاطمة بنت أسعد الخليل (القرن ١٣هـ) وقد حفظت القرآن الكريم ودرست تفاسير جمة" (٥)

---

(١) هِشَام بن عُرْوَة بن الزبير بن الْعَوام أَبُو الْمُنْذر وَيُقَال أَبُو بكر الْقرشِي الأَسدي الْمدنِي سمع أَبَاهُ عُرْوَة وَابْن عَمه عباد بن عبد الله بن الزبير وَابْنَة عَمه الآخر فَاطِمَة بنت الْمُنْذر بن الزبير وَهِي امْرَأَته ووهب بن كيسَان رَوَى عَنهُ مَالك وَابْن جريج وَابْن عُيَيْنَة وَابْن الْمُبَارك، قَالَ خَليفَة بن خياط مَاتَ سنة ١٤٦ قَالَ خَليفَة بِبَغْدَاد وَقَالَ عَمْرو بن عَلّي مَاتَ سنة ١٤٧ وَقَالَ ولد سنة إِحْدَى وَسِتِّينَ/ الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد– أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفى: ٣٩٨هـ)/ ٢/ ٧٧٠/– دار المعرفة – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ـ باب (الرخصة في الشعر) برقم (٢٦٠٤٨)/ ٥/ ٢٧٦. إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه ـ في (المناقب) باب (من فضل عائشة رضي الله عنها) برقم (٣٨٨٣)/ ٧٠٥/٥ ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥ م. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد/ ٢/ ٣٧٥.

(٥) النساء في الإسلام/ ٩٤ بتصرف.

– ويبين فضيلته مثالا من النساء المعاصرات، والتي أبدعت في التفسير فيقول:

" ومن عصرنا نستطيع أن نذكر بكل فخر السيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن(١) التي وضعت كتابين في تفسير عدد من السور فأبدعت... وهناك الآن بعض نسوة مصريات يفسرن القرآن ويفتين في الفقه على القنوات الفضائية وفي الصحف والمجلات" (٢)

وتأكيدا لما ذكره الدكتور إبراهيم فقد صنف الأستاذ محمد خير رمضان كتابا ليس للعالمات من النساء فحسب، بل يجمع فيه المؤلفات منهن إلى عام ١٢٠٠م ويسميه " المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي " ويقول في مقدمته:

" شاركت المرأة في الحياة العلمية فقد عرف التاريخ منهن قارئات ومحدثات وفقيهات وشاعرات وغير ذلك"(٣)

ـ ويوضح الدكتور إبراهيم سبب قلة مشاركة العالمات المسلمات خاصة في مجال الفقه فيقول: " على أن يكون معلوما أن المرأة في العصور السابقة لم تكن تشارك في الحياة العامة على هذا النطاق الواسع التي تشارك به الآن، ومن ثم لم تكن هناك مدارس فقهية نسائية كمدرسة مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل وابن حزم.

وبالمناسبة فعدد مؤسسي المدارس الفقهية بين الرجال جد قليل، والباقون مجرد تابعين لهذا المذهب أو ذاك.

فليس غريبا، ومشاركة المرأة في الحياة العامة هي هذه، أن تكون مشاركتها في مجال الفقه على هذا النحو المحدود"(٤)

---

(١) ولدت عائشة عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطئ في مدينة دمياط في (٦ من ذي الحجة ١٣٣١هـ= ٦ من نوفمبر ١٩١٣م) تخرجت بكلية الآداب قسم اللغة العربية، ثم حصلت "بنت الشاطئ" على شهادة الماجستير، وفي عام (١٣٧٠هـ= ١٩٥٠م) حصلت على شهادة الدكتوراة، تدرجت في المناصب الجامعية حتى أصبحت أستاذة التفسير والدراسات العليا بجامعة القرويين بالمغرب، والتي درّست بها حوالي ٢٠ عاما، ولها إنتاج علمي وأدبي كبير اقترب من أربعين كتابا منها "القرآن وقضايا الإنسان" و، و"الإسرائيليات والغزو الفكري"، و"تراجم سيدات بيت النبوة"، توفيت في (١٣ من شعبان ١٤١٩هـ =١ من ديسمبر ١٩٩٨م)/ المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين/ أعضاء ملتقى أهل الحديث/ ١/ ١٣٦/ملتقى أهل الحديث[الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة و لا يوجد مطبوع .

(٢) النساء في الإسلام ـ د/ إبراهيم عوض/ ٩٧.

(٣) المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي ـ محمد خير رمضان/ ٧، ٨/ دار ابن حزم ـ ط٢ـ ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

(٤) النساء في الإسلام نسخ التفسير البطرياركي للقران/ ٩٧.

– ويؤكد التباين بين فكر المرأة في العصور التي تم فيها تدوين تلك العلوم وفكر المرأة في العصر الحاضر خاصة إذا لم تكن من المعتزين بإسلامها كاللاتي يثرن مثل تلك الشبه فيقول:

" كذلك لم تكن المرأة المسلمة في تلك العصور تشعر بأي غضاضة في أن تختص بتدبير أحوال البيت وتربية الأولاد والقيام على شؤون زوجها المنزلية، بل كانت تعد ذلك مملكتها الحقيقية.

كما كانت تعتز بإسلامها... ولم تكن ترى في شرائع الإسلام ما يمكن أن يحيك بسببه أي شئ بصدرها لأنها تؤمن أن تلك الشرائع من عند الله، وأن ما هو من عند الله تعالى لا يتسق أبدا مع ما هو من عند مردة الشياطين"(١)

– ومما تجدر الإشارة إليه أن من النساء أن من العلماء الأفذاذ من تتلمذ على يد عالمات من النساء، ومن أشهر هؤلاء ابن حجر العسقلاني حيث قال فاطمة المقدسية(٢) إحدى العالمات التي قرأ عليها " قرأت عليها من الكتب والأجزاء بالصالحية ونعم الشيخة كانت" (٣)

– مما سبق يتبين للباحث وجود العديد من العالمات المسلمات في مختلف العلوم، بل والمؤلفات منهن منذ بداية التاريخ الإسلامي إلى يومنا هذا.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال وجوب توفر شروط المفسر:

ليس كل أحد من الرجال مؤهلا للتصدي لتفسير كتاب الله تعالى، بل لابد أن تتوفر فيمن يتصدى للتفسير عدة شروط سواء كان رجلا أو امرأة، وكل من يعرف قدر العلم من الرجال – فضلا عن العلماء منهم– يبذلون جهدهم لكي يتميز أزواجهم في الناحية العلمية ولا يجدون حرجا في ذلك يقول الدكتور إبراهيم عوض:

---

(١) المرجع السابق. دإبراهيم/ ٩٧، ٩٨.

(٢) فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية ثم الصالحية أم يوسف، كان أبوها محتسب الصحالية وهو عم الحافظ شمس الدين ابن عبد الهادي، اسمعت الكثير على الحجار وغيره وأجاز لها أبو نصر ابن الشيرازي ويحيى بن سعيد وآخرون من الشام وحسن الكردي وعبد الرحيم النشاوي وآخرون من مصر، ماتت في شعبان سنة ثلاث وثمانمائة بصالحية دمشق ايام حضر تمر لدمشق أو بعد رحيله عنها ومولدها سنة ثمان عشر وسبعمائة./ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)/ ٢/ ٣٩١دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر ـ ابن حجر العسقلاني/ ٢/ ١٨١/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– :١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

" ونحن على كل حال نسر سرورا عظيما باشتراك النساء مع شقائقهن الرجال في تفسير القرآن... ولكن بنفس الشروط التي ينبغي أن يراعيها الرجال.

ذلك أن القيام بعملية التفسير والفتيا، هو عمل يحتاج إلى التبحر في العلم، من لغة وبلاغة وتاريخ وحديث وقراءات وتفسير، فضلا عن العلوم الأخرى التي لا تتعلق بالقرآن والفقه تعلقا مباشرا وهي كثيرة.

ولا يكفي أن تُلِم الواحدة من هؤلاء ببعض ما يقال في هذا المجال باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وبخاصة من كتابات المستشرقين وغير المسلمين حتى تظن أنها صارت قادرة على النهوض بهذا العبء الثقيل الجليل"(١)

وهذا هو رأي العلماء المعتد بهم، حيث إنهم رحبوا بمشاركة المرأة للرجل في التفسير، كما رحبوا بمشاركتها له في شتى العلوم مادامت تتوفر فيها الشروط اللازمة لذلك

ونقلت ذلك جريدة المصري اليوم عن الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، حيث ورد فيها:

"وحول موقف الشريعة الإسلامية من مدى جواز تفسير النساء للقرآن الكريم قال عبد الباقي: لا يوجد تفسير " رجالي " وتفسير " نسائي" للقرآن، وإنما المهم عندنا أن يتوافق التفسير مع نصوص القرآن الكريم ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية"(٢)

بل إن منهم من عد ذلك من باب الصحوة واقتداء المرأة بالصحابيات رضوان الله عليهن كالدكتور محمد البري.

"وأبدى الدكتور/ محمد البري ترحيبه بتفسير القرآن الذي أعدته الإعلامية كريمان حمزة مؤكدا أن هذا يدل على صحوة المرأة واقتدائها بالصحابيات وأمهات المؤمنين" (٣)

ـ ويضرب الدكتور/ إبراهيم مثالا على النساء اللاتي قمن بالتفسير بدون أن يتوفر فيهن شروط المفسر ممن أثار الشبهة فيقول:

" لقد لاحظت مثلا أن أسما بارلَس لا ترجع عادة إلى الكتب العربية وهي تتحدث عن القرآن

---

(١) المرجع نفسه/٩٨.

(٢) جريدة المصري اليوم ـ مقال بعنوان " مجمع البحوث الإسلامية يوافق على أول تفسير للقرآن تقوم به امرأة " ـ الثلاثاء ٢٣ديسمبر ـ ٢٠٠٨ العدد١٦٥٤.

(٣) جريدة الشرق الأوسط ـ مقال بعنوان " علماء أزهريون التفسير النسائي للقرآن يؤكد مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة " الثلاثاء ٢٠ يناير ٢٠٠٩ ـ العدد ١١٠١١.

وتفسيره، بل إلى ما كتب عن هذه الكتب بالإنجليزية أو ما أخذ منها مترجما إلى الإنجليزية. وهذا لا يكفي أبدا، إذ ما أدراها أن فهم الكاتب الوسيط، وبالذات إذا كان مستشرقا، أو مبشرا قد أصاب الحقيقة، أو أنه قد صدق في النقل والاستشهاد؟، ثم كيف يصح أن يدور في ذهن أمثالها، وهي بهذا المستوى، أن تفسر القرآن أو أن تضع على الأقل المعايير التي ينبغي تفسيره على أساسها"(١)

ويضيف الباحث إتماما للفائدة إشارة سريعة إلى شروط المفسر كما ذكرها العلماء

فقد ذكر الإمام الأصفهاني(٢) بعض هذه الشروط فقال:

" فالأول: معرفة الألفاظ: وهو علم اللغة.

والثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض وهو الاشتقاق.

والثالث: معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ من الأبنية والتصاريف والإعراب وهو النحوي

والرابع بما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات.

والخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها هذه الآيات وشرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

والسادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعمن شهد الوحي مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمبهم المنبأ عنه بقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}، وبقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} وذلك علم السنن.

والسابع: معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف والمجمل والمفسر، والقياسات الشرعية، والمواضع التي يصح فيها القياس، والتي لا يصح، وهو علم أصول الفقه.

والثامن: أحكام الدين وآدابه، وآداب السياسات الثلاث، التي " هي " سياسة النفس، والأقارب والرعية، مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد...

---

(١) النساء في الإسلام نسخ التفسير البطرياركي للقرآن/ ٩٨، ٩٩.

(٢) – (٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م)الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.، من كتبه (محاضرات الأدباء) مجلدان، و (جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و (المفردات في غريب القرآن) و (حلّ متشابهات القرآن)/ الأعلام/ الزركلي/٢/ ٢٥٥.

والتاسع: معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقة، والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات، وغير ذلك، وهو علم الكلام.

والعاشر: علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله من عَمِلَ بِمَا عَلِمَ

فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسرا للقرآن برآية" (١)

. وعنما يتأمل الباحث ما سبق من النصوص التي ذكرها الدكتور إبراهيم عوض يجد أن رده على هذه الشبهة يتلخص فيما يلي:

ـ عدم احتكار الرجال لباب الاجتهاد بدليل وجود العديد من النساء المذكورات في كتب التاريخ اللاتي برعن في مختلف العلوم.

ـ أن سبب قلة المجتهدات من النساء خاصة في مجال الفقه قلة المدارس الفقهية والتي تتلخص في أربعة مذاهب وباقي الرجال تابعون لهذه المذاهب، وانشغالهن بأمور بيوتهن، لأنهن لم يكن يرين أي غضاضة في ذلك.

ـ الترحيب بدخول النساء في باب الاجتهاد عامة والتفسير خاصة بشرط توفر الشروط اللازمة للاجتهاد في أي علم من العلوم.

ـ أن سبب إثارة هذه الشبهة عدم اعتزاز المثيرات لها بإسلامهن، والعمل على هدم مبادئ وأحكام الإسلام من خلال إصدار تفسيرات مخالفة لتلك المبادئ والأحكام.

(ج) الرد على الشبهة من خلال كتب التفسير النسائية:

ـ عندما يتتبع الباحث كتب التفسير يجد أن النساء قد أدلين بدلوهن في هذا المجال فهناك تفسيرات نسائية مدونة وإن لم تأخذ نفس شهرة تفسيرات الرجال.

ـ ومن أوائل من ألَّف في التفسير باعتبار ما هو مدون من النساء المفسرة الهندية (زيب النساء عالمكير) ويذكر ذلك الأستاذ عادل نويهض فيقول:

" زيب النساء بنت الشاه محي الدين أورنك زيب عالمكير سادس أباطرة المغل في الهند(١٦٥٨ – ١٧٠٧ م). أديبة، شاعرة، من آثارها "زيب التفاسير" في تفسير القرآن"(٢)

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ـ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)/ ١/ ٣٨، ٣٩ بتصرف./ كلية الآداب– جامعة طنطا/ الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ– ١٩٩٩م.

(٢) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» المؤلف: عادل نويهض/ ١/ ١٩٧ ـ قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد ـ مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٨م.

وهذا التفسير عبارة عن ترجمة فقط لتفسير الفخر الرازي للفارسية.

" وأما زيب التفاسير فهو ترجمة التفسير الكبير للرازي بالفارسي نقله من العربية إلى الفارسية الشيخ حفي الدين الأردبيلي ثم الكشميري بأمرها ولذلك سماه باسمها " (١)

ومع أن هذا التفسير ترجمة فقط لتفسير الرازي إلا أنها محاولة محمودة ومهمة تعكس اهتمام المرأة بهذا الجانب من العلوم الشرعية.

ـ ومن أوائل التفاسير النسائية أيضا " التفسير البياني للقرآن الكريم " لبنت الشاطئ، ويتكون هذا التفسير من جزأين الجزء الأول منه يشمل سور (الضحى، االشرح، الزلزلة، العاديات، النازعات، البلد، التكاثر) والجزء الثاني (العلق، القلم،، العصر، الليل، الفجر، الهمزة، الماعون) ويأخذ هذا التفسير الطابع الأدبي " (٢)

ـ ومما يشوب هذا التفسير أنه يركز على السور السابقة فقط وليس تفسيرا شاملا للقرآن الكريم كاملا.

ـ وجاءت التجربة التفسيرية النسائية المتكاملة مع الداعية الإسلامية والمجاهدة زينب الغزالي الجبيلي، حيث صدر لها سنة ١٩٩٤م تفسير بعنوان (نظرات في كتاب الله)، وهو تفسير جميل جليل تنتهج فيه الداعية النهج الدعوي الإصلاحي الذي يجعل من القرآن دستورا للأمة وطريقا إلى تقدمها وسط ما تعانيه من تقهقر وركود "(٣)

وصدر هذا التفسير في مجلدين فسرت خلالهما الداعية القرآن كاملا.

ـ وتتابعت الإضافات النسائية في مجال التفسير فوافق الأزهر على صدور تفسير للداعية فوقية إبراهيم الشربيني بعنوان " تيسير التفسير "كما نشر في جريدة الشرق الأوسط.

" وصرح الشيخ عبد الظاهر أبو غزالة مدير إدارة الترجمة والبحوث والنشر في مجمع البحوث الإسلامية قائلا:...إن مجمع البحوث الإسلامية في الفترة الأخيرة وافق على عدة تفاسير للقرآن الكريم بينها تفسير للدكتورة فاتن الفلكي وهي طبيبة أطفال، والآخر لسيدة من محافظة الإسكندرية

---

(١) الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام/ المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ـ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ـ، المتوفي(١٣٤١هـ)/ ٦/ ٧٢٤/ دار ابن حزم. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

(٢) مطالعة من الباحث لمقدمة الجزأين للتفسير البياني للقرآن الكريم ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ـ دار المعارف. دون.

(٣) مقال بعنوان " المرأة والتفسير الحاضر الغائب ـ للباحث الموريتاني محمد السالك محمد فال ـ مركز آفاق للدراسات والبحوث ـ تاريخ ٢٦. ١٢ ـ ٢٠١٢ ـ تاريخ الزيارة ٢٢. ٨ ـ ٢٠١٧.

وتدعى فوقية إبراهيم" (١)

ـ وفي يسمبر ٢٠٠٨ وافق مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف على طبع وتوزيع تفسير يعود لصاحبته الداعية الإعلامية المعروفة كريمان حمزة (٢)

" وصرح الشيخ على عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لـ " المصري اليوم " بأن المجمع وافق على تفسير القرآن الكريم الذي تقدمت به كريمان حمزة المذيعة السابقة للبرامج الدينية للتليفزيون " (٣)

ولكن يبدو أن صدوره وتداوله لم يتم إلا في عام ٢٠١٠.

وفي هذا نشرت جريدة المصري اليوم " صدر حديثا عن مكتبة الشروق الدولية كتاب " اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن " المجلد الأول من الجزء الأول للجزء العاشر للإعلامية البارزة كريمان حمزة... وعن قصة صدوره تقول كريمان: ذهبت إلى مكتبة الشروق، واتفقنا على تفسير سهل مبسط للقرآن، واستأذنت ربي واستخرته واستغرق مني ثلاث سنوات متواصلة، وقد وافق مجمع البحوث على طبعه وتداوله خلال شهر ديسمبر من العام قبل الماضي" (٤)

وتفسير السيدة كريمان حمزة الذي يحمل اسم (اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن)يعتبر أيضا إضافة مهمة إلى هذا الحقل المعرفي، وجاء تفسير الداعية في ثلاث مجلدات فسرت خلالها الداعية القرآن الكريم كاملا، ويتميز تفسير اللؤلؤ والمرجان بسمات بارزة أهمها: تركيزه على تبسيط معاني القرآن، وتقديمها بأسلوب سلس ومشوق يتجنب التعقيدات والمحاجحات التي قد تدخل القارئ متاهات هو في غنى عنها.

كما ينحو هذا التفسير منحى اجتماعيا، حيث تحاول الداعية كريمان حمزة من خلاله تقديم رؤية إصلاحية شمولية للنهوض بالمجتمعات الإسلامية من خلال التمسك بروح القرآن

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ـ مقال بعنوان " علماء أزهريون التفسير النسائي للقرآن يؤكد مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة " الثلاثاء ٢٠ يناير ٢٠٠٩ ـ العدد ١١٠١١.

(٢) كريمان حمزة/ إعلامية مصرية عملت في البرامج الدينية بالتليفزيون منذ عام ١٩٧٠ وحتى ١٩٩٩. والدها هو الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الصحافة بكلية الإعلام بدأت عملها بتقديم برنامج للأطفال بعنوان "قرآن ربى". قدمت أكثر من ١٥٠٠ حلقة تلفزيونية على مدار تاريخها الطويل مع مختلف علماء الدين الإسلامي/ ويكيبيديا " الموسوعة الحرة ١٧/ ١٠/ ٢٠١٧.

(٣) جريدة المصري اليوم ـ مقال بعنوان " مجمع البحوث الإسلامية يوافق على أول تفسير للقرآن تقوم به امرأة " ـ الثلاثاء ٢٣ديسمبر ـ ٢٠٠٨ العدد ١٦٥٤.

(٤) جريدة المصري اليوم ـ الخميس ٤مارس ٢٠١٠ ـ عدد ٢٠٩٠.

الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ـ كما يوجد تفسير آخر ـ عثرت عليه حديثا ـ بعنوان (المبصر لنور القرآن للداعية الفلسطينية السيدة نائلة هاشم صبري(١) صدر عام ٢٠٠٣،.وهو تفسير مهم وعميق رجعت فيه المفسرة إلى العديد من كتب التفسير القديمة والحديثة.

وقد اعتمدت المفسرة منهجا يمزج بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود، فكانت تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والسلف، كما يلاحظ أن المفسرة كانت تبدي اهتماما بقضايا المرآة في ثنايا الآيات الخاصة بها كالزواج والطلاق والإيلاء والحيض وغير ذلك"(٢)

ـ مما سبق يتبين وجود العديد من النساء المسلمات قد اعتنين بتفسير القرآن الكريم، فمنهن من اكتفت ببعض السور، ومنهن من ترجمته، ومنهن من فسرته كاملا، كما يتبين كذلك موافقة مجمع البحوث الإسلامية (باسم الأزهر الشريف الذي هو أعلى سلطة دينية في العالم الإسلامي)على تداول تفاسيرهن للقرآن الكريم.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

ـ ذكر الدكتور إبراهيم عوض العديد من النساء المجتهدات في شتى العلوم عامة وفي مجال تفسير القرآن الكريم ورواية السنة النبوية خاصة، مما يقضي على الشبهة من جذورها.

ـ أوضح الدكتور إبراهيم عوض أن الإسلام لا يمنع المرأة من الاجتهاد والتأليف كالرجل إذا ما توفرت فيها الشروط اللازمة لما تقوم به من الأعمال.

ـ أن سبب إثارة أمثال تلك الشبهات ضرب قيم الإسلام ومبادئه وصرف الناس عن الالتزام بها، والعمل على تخلي المرأة عما يصونها ويحفظها، لتنحرف كما انحرفت المرأة في الغرب، وتصبح

---

(١) السيدة نائلة هاشم صبري من مواليد قلقيلية عام ١٩٤٤م .نشأت وترعرعت في بيت اشتهر بالتدين وحب العلم. فهي ابنة المرحوم الشيخ هاشم حسن صبري، خريج الأزهر الشريف، ومفتي محافظة قلقيلية الأسبق، وهي زوجة الشيخ الدكتور عكرمة سعيد صبري، خطيب المسجد الأقصى المبارك، ومفتي القدس والديار الفلسطينية السابق ومن أهم مؤلفاتها (المبصر لنور القرآن، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم) وقد صدر في أحد عشر مجلدا، على مدى عشرين عاما/ . موقع قليقيلة بين الأمس واليوم/ ١٧/ ١٠/ ١٧www.myqalqilia.com

(٢) ـ مقال بعنوان " المرأة والتفسير الحاضر الغائب ـ للباحث الموريتاني محمد السالك محمد فال ـ مركز آفاق للدراسات والبحوث ـ تاريخ ٢٦ـ ١٢ ـ ٢٠١٢ ـ تاريخ الزيارة ٢٢ـ ٨ ـ ٢٠١٧ annisae.ma/ www.Article.aspx?c=6139

معول هدم وانهيار للمجتمع الإسلامي.

ولقد كان الدكتور إبراهيم عوض موفقا في الرد على هذه الشبهة، حيث إنه بين الأسباب التي أدت إلى قلة المشاركات من النساء في بعض الفنون كالفقه والتفسير، كما أنه رحب بمشاركة النساء في التفسير إذا توفرت فيهن الشروط اللازمة للقيام بهذا العمل الجلل، بل أثنى على ما قامت به بعض النسوة في هذا المجال، إلا أنه أشار إلى بعض الأمور على وجه الإجمال والتي كانت تحتاج إلى تفصيل كشروط المفسر والإشارة إلى بعض كتب التفسير النسائية، والمساواة بين الرجل والمرأة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

- وبهذا تسقط الشبهة، ويتبن أنها لا تقوم على أي دليل صحيح.

المطلب الثاني:

شبهة عدم السماح للمرأة بالعمل خارج البيت والرد عليها:

ذكر الباحث في بداية هذا المبحث أن الإسلام كرم المرأة في كل مراحل حياتها، ومن تكريمه لها أنه صانها عن الحاجة والعوز، فجعل الرجل – أبا وزوجا وأخا ووليا – مسئولا عن النفقة عليها، ولا يعنى ذلك أنه يمنعها من الخروج لما تحتاج إليه، كما أنه أعطاها الحرية في أن تعمل في أي مجال تريد طالما أنها تلتزم بالضوابط الشرعية عند خروجها، وعند تعاملها مع الآخرين رجالا ونساء.

ولكنه مع ذلك يحاول أعداء الإسلام أن يُحوِّلوا هذه المنقبة إلى مسلبة، وهذه الصيانة إلى مهانة، فَيَدَّعون أن الإسلام لم يُنْزِل المرأة منزلتها، ولم يعطها حقها، ولم يسمح لها بالعمل كما سمح للرجل.

أولا: عرض الشبهة:

يدَّعي أعداء الإسلام دائما أن الإسلام ظلم المرأة وهضم حقها، وممن قال بذلك "اللورد كرومر" (١) حيث يقول: " إن لفشل الإسلام كنظامٍ اجتماعي أسبابا، منها أنه جعل المرأة في مركز

---

(١)اللورد كرومر "١٨٤١ - ١٩١٧م": سياسي بريطاني ومعتمد بمصر من سنة ١٨٨٣م إلى سنة ١٩٠٧م، ولد في ٢٦ فبراير سنة ١٨٤١م لأسرة تعمل في التجارة والمال، اشتغل ضابطا بالجيش البريطاني في عام ١٨٥٨م، جاء إلى مصر بعد الاحتلال البريطاني معتمدا "قنصلا عاما" بريطانيا، وصار الحاكم الفعلي حيث وطد تبعية مصر السياسية والاقتصادية لبلاده، سلب الخديوي أهم اختصاصاته، ووأد النظام النيابي، وضع سياسة للتعليم تحصر أهدافه في تخريج الموظفين، ألف كتاب "مصر الحديثة" من جزأين عام ١٩٠٨م، وكتابا عن عباس الثاني عام ١٩١٥م.. أ.هـ، موسوعة السياسية، د/ عبد الوهابي الكيالي، ٥/ ١١٥، وينظر:المستشرقون، العقيقي، ٢/ ٤٩٩

منحطٍ كثيرا عن الرجل" (١).

ـ وتدعي الدكتورة نوال السعداوي(٢) أن الإسلام يسمح للرجل بالعمل في جميع المجالات بينما لا يسمح للمرأة بذلك فتقول: "إن الرجل طبقا للنظام الذكوري الظالم يمكن أن يكون مهندسا مثلا، أو طبيبا فوق كونه أبا وزوجا، أما المرأة فلا يسمح لها إلا أن تكون أما وزوجة فقط" (٣)

ـ وعندما يتأمل الباحث هذه الشبهة يتبين له أنها تدور في مجملها حول ظلم المرأة وهضم حقوقها في المجتمع الإسلامي خاصة حقها في العمل، وهذا الكلام ليس عليه دليل، وإنما هي مقولات جائرة يطنطن بها أعداء الإسلام للنيل منه وصرف الناس عنه لَمَّا رأوا إقبال الكثيرين على الدخول فيه في كل مكان.

ثانيا الرد على الشبهة:

ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال تنوع عمل المرأة في بيتها وتشابهه مع عملها خارجه.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان التناقض فيها.

(ج) الرد على الشبهة من خلال إباحة الإسلام لعمل المرأة.

(د) الرد على الشبهة من خلال عدم قدرة أحد على القيام بدور المرأة في بيتها.

ـ وفيما يلي بيان ذلك:

رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال تنوع عمل المرأة في بيتها وتشابهه مع عملها خارجه.

---

(١) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، د/ شوقي أبو خليل/ ١٣٣/ دار الفكر . دمشق . ط(١) ـ ١٩٩٥م.نقلا عن: الإسلام روح المدنية/ ٢٥٧.

(٢) نوال السعداوي ولدت في 27 أكتوبر عام1931 ، طبيبة أمراض صدرية وطبيبة أمراض نفسية،كاتبة وروائية مصرية مدافعة عن حقوق الإنسان بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص. كتبت العديد من الكتب عن المرأة في الإسلام، اشتهرت بمحاربتها للختان.

شغلت نوال السعداوي العديد من المناصب مثل منصب المدير العام لإدارة التثقيف الصحي في وزارة الصحة في القاهرة، الأمين العام لنقابة الأطباء بالقاهرة، من مؤلفاتها (قضايا المراة المصرية السياسية والجنسية ـ معركة جديدة في قضية المرأة ـ الأنثى هي الأصل) ويكيبيديا " الموسوعة الحرة ١٣/ ١٠/ ٢٠١٧.

(٣) الأنثى هي الأصل ـ نوال السعداوي ص٢٥٩ ـ دار المستقبل ـ ١٩٩٠م.

إن المرأة لا يتوقف عملها في بيتها على الزوجية والأمومة كما يدعي أعداء الإسلام، وإنما تقوم بالعديد من الأعمال في بيتها غير الأمومة والزوجية، بل إن الأعمال التي تقوم بها في بيتها تشبه إلى حد كبير الأعمال التي تقوم بها خارجه، وإلى هذا يشير الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ فيقول:

"المرأة التي تعمل في البيت تقوم بأشياء غير الأمومة (أي الحمل والولادة)، إذ أنها تربي أولادها وتوجههم وتشرف على سلوك الخدم إن كانت ممن يستعين بالخدم،... وعلى كل حال ما الفرق بين عمل المرأة في البيت وعملها في الخارج؟ أليس كله عمل؟

خذ مثلا طهيها طعام الأسرة ترى لماذا يكون طهيها الأكل في مطعم أو شركة أغذية شيئا عظيما وقيامها بذلك العمل لأفراد أسرتها شيئا شائنا لا يليق بها ولا بمواهبها؟، ولماذا تكون تربية الأطفال في الحضانة والمدرسة أمرا رائعا وقيامها بذلك لأطفالها هي أمرا معيبا؟ وقس على ذلك؟"(١)

وتأكيدا لما سبق يذكر الباحث تلك القصة التي تؤكد اقتناع كثير من المنادين بعمل المرأة خارج البيت، أنها تعمل أيضا إذا لم تخرج من البيت.

" فقد كان أحد الباحثين مدرسا لعلم الاجتماع في ثانوية مختلطة، ومعظم طلابها وطالباتها من الماركسيين، وكان عنوان الدرس عمل المرأة، وكان المدرس يجتهد في إقناع الطلاب والطالبات أن المرأة تعمل ولكن داخل البيت وليس خارجه، لذا قال المدرس:

أنا أشفق على أمهاتكم أيها الطلاب والطالبات، فأنا أعرف أنهن غير متعلمات ولا يعملن خارج البيت وفعلا حياة الإنسان بدون عمل صعبة جدا، بل هي سجن، وإني أتصور هذه الأمهات التي لا تعمل خارج البيت تنام في الصباح حتى تمل من النوم، ثم تنهض فتأكل وتشرب وتلعب بعض الوقت ثم تعود إلى النوم، حتى العصر، فتذهب إلى جاراتها يلعبن ويتسلين ويقتلن أوقات الفراغ التي أحاطت بهن. ولم تستطع إحدى الطالبات الصبر كثيرا، فقاطعت المدرس ـ وهو راض عن هذه المقاطعة ـ وقالت: غريب يا أستاذ، لا توجد أم في الدنيا كما تقول الآن، وأنت تمزح ولا تقول حقيقة.

فسألها المدرس: هل تعمل أمك خارج البيت؟

---

(١) القرآن والمرأة لأمينة ودود مع ست دراسات عن النسوية الإسلامية د.إبراهيم عوض/ ٣٨/ دار الفردوس ـ ٢٠١٣م.

أجابت: لا، لا تعمل خارج البيت. ولكن لا يوجد عندها فراغ أبدا.

فقال المدرس: غريب!!! ماذا تعمل؟

ضحكت الطالبة وقالت: تعد لنا الإفطار في الصباح، وتساعدنا على الاستعداد إلى المدرسة، حتى إذا صار الضحى قامت إلى تنظيف البيت وترتيبه، ثم تبدأ بإعداد طعام الغداء الذي يستغرق من وقتها قرابة ثلاث ساعات... وفي المساء تنام آخر فرد من الأسرة، بعد أن توفر لنا ما نحتاجه ونطلبه.

قال المدرس: هذا صحيح، لكن هذا العمل ليس خارج المنزل وهل يسمى عملا؟ بتعبير آخر: المرأة التي لا تعمل خارج المنزل، هل نقول عنها تعمل أم لا تعمل؟ عندئذ انقسم الفصل بين مؤيد للمدرس شمل أغلبية الطلاب، وبين أقلية استمرت تجادل وتماطل " (١)

ـ ويوضح فضيلته أن عمل المرأة في البيت ليس معيبا، وأنه لم يمنعها من القراءة والإبداع قديما وحديثا فيقول:

" ترى هل العمل في البيت أمر شائن؟ وهل من الحكمة أن تفرض السعداوي نمطا واحدا من المعيشة على كل نساء العالم رغم اختلاف الثقافات والاقتناعات والقيم والضرورات والغايات؟ وهل بقاء المرأة في البيت معززة مكرمة دون صراعات مجتمعية وعملية وإدارية يمنع المرأة من القراءة والتفكير والإبداع الأدبي والفني؟

لقد كانت المرأة العربية منذ الجاهلية تبدع الشعر وهي لا تطاحن في معظم الأحيان الرجل خارج البيت، وظلت كذلك حتى العصر الحديث كما هو الحال مع عائشة التيمورية، ومي زيادة وملك حفني ناصف مثلا، بل ولا يزال هذا مستمرا إلى الآن... ثم من يقوم بتربية الأطفال إذا ما تركت النساء البيوت واشتغلن خارج البيت؟ أيعقل أن تترك المرأة أولادها لامرأة أخرى تربيهم، ثم تذهب هي فتربي أولاد الآخرين مثلا في حضانة أومدرسة؟" (٢)

وتأكيدا لما ذكره الدكتور إبراهيم فقد ترجم الأستاذ محمد خير رمضان لإحدى المؤلفات المسلمات تُدْعى "نانا أسماء" التي بلغت مؤلفاتها نحو سبعين مؤلفا فقال:

" نانا أسماء بنت عثمان فودي "من نيجريا، التي ضربت رقما قياسيا في التأليف بالنسبة لغيرها من النساء المترجم لهن في هذا الكتاب، من حيث عدد مؤلفاتها التي بلغت أكثر من ٧٠

---

(١) تربية البنات في البيت المسلم ـ د/ خالد أحمد الشنتوت/ ٩٥، ٩٦ـ ط٤ ـ المدينة المنورة ١٤٢٢هـ ـ بدون دار نشر.

(٢) القرآن والمرأة ـ لأمينة ودود/ ٣٨.

كتابا وقصيدة، وكانت تؤلف هذه المؤلفات وهي في بيتها بين أسرتها"(١)

ـ مما سبق يتبين أن المرأة التي تجلس في بيتها غير معطلة عن العمل،وأن عملها في البيت متنوع و يشبه عملها خارجه، وأن بقاء المرأة في البيت لا يمنعها من الإبداع.

رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان التناقض فيها:

إن الفكر الذى يتحدث حديثا متواصلا عن خروج المرأة إلى العمل ورفض بقائها في بيتها يتسم بالتناقض الواضح، حيث إن المرأة تعمل في بيتها كما تعمل خارجه.

يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" وإذا خرجت المرأة إلى العمل ولم تشأ أن تفعل ذلك فمن يقوم بهذا العمل؟ أليست امرأة أخرى بأجرة؟ فما الفرق في هذه الحالة؟ ولماذا كان هذا العمل مقبولا لتلك المرأة الأخرى ومنكرا وشائنا للزوجة؟ ثم أليست الأخرى هي زوجة أيضا؟ فلماذا كان ذلك العمل كريما إذا ما قامت به لأسرة أخرى، وشائنا إذا قامت به لزوجها وأولادها؟ أليس هذا اضطرابا في الفكر والمنطق؟"(٢)

ـ ويوضح أن عمل المرأة في البيت له مقابل، وليس كما تدعي نوال السعداوي أنه بدون مقابل، لأن الرجل يقضي لها حاجاتها، كما تقضي حاجاته فيقول:

" ثم هي تقول (نوال السعداوي) إن المرأة إذا اشتغلت في البيت فإنه عمل بلا مقابل. ترى هل هذا صحيح؟ ألا تأخذ مرتب الرجل كله أو جزءا كبيرا منه تتصرف فيه بحريتها؟ ألا تقضى لها كل حاجاتها مثل الرجل" (٣)

ـ ويؤكد الدكتور على خدمة كل من الرجل والمرأة للآخر، وخدمة الناس كلهم لبعض في المجتمع فيقول:

" ثم إن المرأة حين تعمل داخل البيت لا تخدم الرجل بل تخدم الأسرة كلها، مثلما أن الرجل حين يعمل خارج البيت إنما يخدم الأسرة كلها أيضا، وإلا فأين تذهب نقوده ومرتباته؟أليس لها ولأولادها؟" (٤)

ويقول أيضا: " ثم إن الناس رضوا أم كرهوا، هم بعض لبعض، وإن لم يشعروا خدم بالمعنى الواسع

---

(١) المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي. محمد خير رمضان/ ٥/ دار ابن حزم ـ ط٢. ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

(٢) القرآن والمرأة لأمينة ودود ـ دإبراهيم عوض/ ٣٩.

(٣) المرجع السابق/ ٣٨.

(٤) المرجع السابق/ ٣٩ .

النبيل، إذ عليهم التعاون، وإلا استحالت الحياة والحضارة أليس كذلك؟"(١)

ـ وعندما يتأمل الباحث رد الدكتور إبراهيم عوض يجد أنه أكد على تنوع عمل المرأة في البيت، وأنها لا تكون أما أو زوجة فقط كما تدعي الدكتورة نوال السعداوي، وأنه لا فرق بين عملها في بيتها وعملها خارجه من حيث نوعية الأعمال التي تقوم بها، كما أن الإصرار على خروج المرأة من بيتها ليس بهدف حصولها على حقوقها، لأنها عندما تخرج تقوم امرأة أخرى بأعمالها، وأن المرأة تحصل على مقابل هذا العمل من خلال ما يقدمه الزوج لها ولأبنائها من النفقات والتغلب على صعوبات الحياة، وكذلك فإن بقاءها في البيت لا يمنعها من الثقافة والابتكار.

– وزيادة في الإيضاح يذكر الباحث ما يلي:

(ج) الرد على الشبهة من خلال إباحة الإسلام لعمل المرأة:

– لم تمنع شريعة الإسلام ولا أحد من علماء الإسلام الراسخين في العلم المرأة من العمل مطلقا كما تريد أن توهم نوال السعداوي وغيرها القارئ، وإنما وضعوا لخروجها بعض الضوابط حتي لا تتضرر هي أو أهلها من هذا الخروج للعمل ومن أهمها ما يلي:

ـ ستر جميع البدن عدا الوجه والكفين والقدمين.

قال تعالى:" يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورا رَحِيما" (الأحزاب:٥٩)

ـ التزام الاعتدال في زينة الثياب الوجه والكفين والقدمين.

" وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" (النور:٣١)

ـ أن يكون اللباس مما تعارف عليه مجتمع المسلمين.

"مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ"(٢)

ـ أن يكون مخالفا في مجموعه لباس الرجال.

«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ" (٣)

---

(١) النساء في الإسلام ـ أسما بارلَس ـ ترجمة د إبراهيم عوض/ ٢٦.

(٢) أخرجه لإمام ابن ماجة في سننه في أبواب (اللباس) باب (من لبس شهرة من الثياب) برقم(٣٦٠٦) ٤/ ٦٠١، حسن – المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(اللباس) باب(المُتَشَبِّهُونَ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتُ بِالرِّجَالِ) برقم(٥٨٨٥) ٧/ ١٥٩.

ـ أن يكون مخالفا في مجموعه لباس الكافرات.

فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَخْبَرَهُ، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا" (١)(٢)

فقد سمح الرسول ﷺ للمرأة أن تقوم ببعض الأعمال

فمن حقّ المرأة أن تتلقى العلم الشَّرْعي، وقد ورد في ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ أنه قَالَ: "جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْما نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ" (٣)

وسمح النبي لهن في أن يخرجن للجهاد يداوين الجرحى ويسقين العطشى، بل ويجاهدن بالسيف إذا تطلب الأمر

فعن الرُّبَيِّع بنت معوِّذ قَالَت: "كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: نَسْقِي القَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ القَتْلَى وَالجَرْحَى إِلَى المَدِينَةِ" (٤)

وقاتلت أم عمارة(٥) نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد. فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك ؛ فقالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب(اللباس والزينة) باب (النَّهْيِ عَنْ لُبْسِ الرَّجُلِ الثَّوْبَ الْمُعَصْفَرَ) برقم (٢٠٧٧).

(٢) تحرير المرأة في عصر الرسالة – عبد الحليم محمد أبو شقة/ ٣/ ٣٠/ دار القلم – الكويت– ط(٤)– ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في .كِتاب (العلم)ـ باب (هل يَجعلُ للنساءِ يوما على حدَةٍ في العِلم) ـ برقم ٧٣١٠/ ٩/ ١٠١.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في .كِتاب (الطب) ـ بَاب:(هل يُداوِي الرجل المَرأة أو المَرأة الرجل) ـ برقم. ٥٦٧٩/ ٧/ ١٢٢

(٥) (٠٠٠– ١٣ هـ = ٠٠٠– ٦٣٣ م) أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار الأنصارية النجارية والدة عبد الله وحبيب من بني زيد بن عاصم، قال أبو عمر شهدت بيعة العقبة وشهدت أحدا مع زوجها، ثم بيعة الرضوان، كما شهدت أيضا قتال مسيلمة باليمامة، وجرحت يومئذ اثنتي عشرة جراحة وقطعت يدها وقتل ولدها حبيب، روت عن النبي ﷺ أحاديث/ الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ ٨/ ٢٦٥، الأعلام للزركلي/ ٥/ ٣٦

رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي. قالت فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان" (١)

وقد بَوَّب البُخَارِيّ في كتاب الجهاد: جهاد النساء، وباب غزو المرأة في البحر، وباب حمل الرَّجُل امرأته في الغزو دون بعض نسائه، وباب غزو النساء وقتالهنّ مع الرجال، وباب حمل النساء القُرب إلى الناس في الغزو، وباب مداواة النساء الجرحى في الغزو، وباب ردّ النساء الجرحى والقتلى

وساعدت المرأة زوجها في العمل خارج البيت عندما احتاج إلى ذلك، كما حدث مع أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها

وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْما وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: إِخْ إِخْ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي قَدْ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ يكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي"(٢)

ـ ولقد مارست السيدة عائشة رضى الله عنها الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) على الرجال والنساء داخل بيتها وخارجه، فتارة تحتسب على رجال ضحكوا من سقوط رجل بمنى كما روى الإمام مسلم قال: " دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بِمِنى، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ(٣) فُسْطَاطٍ(١)، فَكَادَتْ عُنُقُهُ، أَوْ عَيْنُهُ أَنْ

---

(١) سيرة ابن هشام/ ٢/ ٨١، ٨٢

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في .كِتاب (النكاح) ـ باب (الغيرة) ـ برقم ٥٢٢٤/ ٧/ ٣٥

(٣) "الطُنُب: الحبل تشد به الخيمة و نحوها، والجمع أطناب" انظر المصباح المنير للرافعي ـ مادة " طنب"/ ٢/ ٢٧٨

تَذْهَبَ، فَقَالَتْ: لَا تَضْحَكُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَة، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ"(٢).

وتارة يأتيها الرجال يسألنها عن أمور دينهم، فتُقَوِّم ما طرأ على فكرهم من مخالفة هدي النبي ﷺ، كما حدث مع من أراد التبتل.

فعن سعد بن هشام بن عامر قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أَخْبِرِينِي بخُلُقِ رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله ﷻ " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" قلت فإني أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ فَقَالَتْ لَا تَفْعَلْ أَلَمْ تَقْرَأْ "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" قَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوُلِدَ لَهُ" (٣)

وتارة يسألها يزيد بن الأصم وابنٌ لطلحة بن عبيد الله وهي خارج بيتها راجعة من مكة بعد أن وقعا في حائط من حيطان المدينة فأصابوا منها فتحتسب(٤)

"فعن يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ، قَالَ: لَقِيتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنٌ لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا، وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ(٥) مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهَا، فَبَلَغَهَا ذَلِكَ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعْذِلُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعَظَتْنِ مَوْعِظَة بَلِيغَة، ثُمَّ قَالَتْ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ، ذَهَبَتْ وَاللهِ مَيْمُونَةُ وَرُمِيَ بِرَسَنِكَ عَلَى غَارِبِكَ، أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لِلَّهِ، وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحِمِ"(٦)

- وبهذا يتبين أن النساء منذ عهد النبي ﷺ كن يخرجن للعمل، فمنهن من خرجت لمساعدة زوجها في علف فرسه، ومنهن من خرجت للجهاد في سبيل الله تعالى، ومنهن من احتسبت على الرجال

---

(١) "الفسطاط: بضم الفاء وكسرها بيت من الشَّعَر، والجمع فساطيط" انظر المصباح المنير مادة "فسط"/ ٢/ ٤٧٢.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كِتاب (البر والصلة والآداب)- بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا - برقم (٢٥٧٢) - م٨/ ١٦/ ٩٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في باب (حديث السيدة عائشة رضى الله عنها)- برقم (٢٤٦٤٥)/ ٦/ ٩١/ تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٤) (احْتَسَبَ) فُلَانٌ (عَلَيْهِ: أَنْكَرَ) عليه قَبِيحَ عَمَلِه عليهما وتقوم بنصحهما/ تاج العروس - باب الحاء - مادة "حَسِبَ"/ ٢/ ٢٧٨

(٥) "الحائط البُستان من النَّخل إذا كان عليه جدار" انظر تاج العروس - مادة "حوط"/ ١٩/ ٢٢١.

(٦) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه في باب (ذكر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها) - برقم (٦٧٩٩)/ ٤/ ٣٤/ تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم - المرجع نفسه والصفحة نفسها

والنساء، ولكن كل هذا بالضوابط الشرعية.

– وورد التأكيد على هذا المعنى في كتاب (دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام):

" وأما قولهم بأن الإسلام قضى بسجن المرأة بين جدران البيت، ومنعها من مزاولة بعض الأعمال، فالشريعة الإسلامية لا ترى مانعا من أن تعمل المرأة في الميادين التي تستطيع أن تعمل فيها، وتؤهلها لها كفاءاتها ومواهبها الفطرية، وتكوينها الأنثوي كالطب والتدريس، لتزاوله مع بنات جنسها، ولها أن تباشر البيع والشراء، والأخذ والعطاء، وتقوم بإجراء مختلف العقود، بشرط ألا تشغلها هذه الأعمال عن وظيفتها الأساسية، وهي قيامها بتدبير شئون بيتها ورعاية أولادها.

وكل ما يطلب من المرأة حال اختلاطها الضروري بالرجال، ومباشرة بعض الأعمال هو البعد عن التبرج وكل ما يثير الفتنة محافظة على أخلاق المجتمع، وحرصا على كرامة المرأة نفسها، في حين أن تبرج المرأة كثيرا ما يكون سببا في العزوف والإحجام عن الزواج بها؛ مما قد يسبب لها الانحراف، أو الانغماس في أوحال الرذيلة"(١)

– ولما خرجت المرأة للعمل دون أن تلتزم بزي مناسب، وتعامل لائق مع الرجال في الغرب، كان ذلك سببا في انحدار الأخلاق في تلك المجتمعات، حتى شهد بذلك المنصفون من الغربيين

تقول الدكتورة إيدابلين(٢): " إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وسرّ كثرة الجرائم في المجتمع هو الزوجة، تركت بيتها لتضاعِف دخلِ الأسرة، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق"(٣)

وتقول لين فارلي(٤): " إن الاعتداءات الجنسية بأشكالها المختلفة منتشرة انتشارا ذريعا في الولايات المتّحدة وأروبا... وهي القاعدة وليست الاستثناء بالنسبة للمرأة العاملة في أي نوعٍ من الأعمال تمارسه مع الرجال"(٥)

– ويوضح الأستاذ محمد قطب أن حق المرأة في العمل لا خلاف عليه، وإن كان الأولى ألا تعمل إلا في المجالات التي تقتضيها حاجة المجتمع، وفي الأعمال التي تتناسب مع طبائعهن فيقول:

---

(١) دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام. عبد المنصف محمود عبد الفتاح/ ١١٥/ سلسلة البحوث الإسلامية. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. ١٩٨٤م. ١٤٠٥هـ

(٢) ما استطعت الوصول إليه أنها كاتبة أمريكية معاصرة.

(٣) قضايا تهم المرأة عبد الله بن جار الله/ ٦٥،٦٦/ دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض بدون طبعة

(٤) كاتبة أمريكية تهتم بالكتابة عن قضايا المرأة من أهم كتبها (الابتزاز الجنسى)./ (لين فارلي) فيس بوك ـ مقال بعنوان (حقيقة الملحدين والعلمانيين) ـ صورة بعنوان (عيون على الإلحاد).

(٥) عمل المرأة في الميزان ـ محمد على البار/ ١٦٧/ مكتبة موقع صيد الفوائد ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ.

" ونستمر في استعراض الشبهات، فنتحدث عن حق العمل، وهو حق لا شبهة فيه، وكانت النساء في صدر الإسلام يعملن حيث تقتضي الظروف منهن العمل...

فالواقع أن الإسلام لا يستريح لخروج المرأة تعمل في غير الأعمال الضرورية التي تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية أو حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى، فتعليم البنات والتمريض وتطبيب النساء وما إلى ذلك أمور ينبغي أن تقوم بها المرأة...، وحاجة المرأة إلى العمل لعدم وجود عائل لها، أو عدم كفاية ما يعولها به عائلها حاجة تقرر حق المرأة في العمل لأن ذلك أصون لها من الابتذال في سبيل العيش"(١)

ـ ويؤكد على أن الوضع السئ للمرأة في الشرق ليس بسبب الإسلام، وإنما يرجع إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية فيقول:

" ولكن قوما سيقولون إن وضع المرأة في الشرق وضع سئ لا يمكن السكوت عليه وقد تحررت المرأة في الغرب ونالت مكانتها فعلى المرأة الشرقية أن تسلك سبيلها وتقلدها للحصول على حقوقها المسلوبة

وهذا كلام فيه حق... ولكن من المسئول عن هذه الحقيقة، أهو الإسلام وتعاليم الإسلام؟ إن الوضع السيء الذي تعانيه المرأة الشرقية يرجع إلى ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية ينبغي أن نلم بها، لنعلم من أين تأتينا هذه المفاسد، ونكون على هدى ونحن نحاول الإصلاح.

هذا الفقر البشع الذي يعانيه الشرق منذ أجيال عدة. هذا الظلم الاجتماعي الذي يجعل قوما يغرقون في الترف الفاجر والمتاع الغليظ، وغيرهم لا يجد لقمة الخبز والثوب الذي يكسو به العورات... هذا الإرهاق العصبي الذي يعيش فيه سواد الشعب نتيجة هذه الظروف هذا كله هو المسئول عما تعيش فيه المرأة من الذل والاضطهاد"(٢)

ـ من خلال ما سبق يتبين أن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل، وإنما قنن الأمر حماية للمرأة، وحفاظا على أخلاق المجتمع، والاضطهاد للمرأة إن وجد في بعض المجتمعات الشرقية فليس بسبب شرائع الإسلام، وإنما بسبب السياسات القائمة في تلك الدول، والثقافات المتوارثة، وكذا بسبب الجهل الكبير بأحكام الإسلام وتعاليمه التي تحفظ للمرأة كرامتها ومكانتها.

(د) الرد على الشبهة من خلال عدم قدرة أحد على القيام بدور المرأة في بيتها:

---

(١) شبهات حول الإسلام ـ محمد قطب ـ ص١٣٧، ١٣٨/ ط. دار الشروق. ط (٢١) ـ ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.

(٢) المرجع السابق/ ١٤١، ١٤٢.

من المسلم به أنه لا أحد يستطيع أن يكون بديلا عن الأم في رعايتها لأبنائها خاصة الأطفال منهم، وذلك لأن دور رعاية الأطفال لا يمكن أن تعطى الطفل ما تعطيه الأم من الحنان

" فالمحاضن تستطيع المحاضن أن تمد الطفل بكل رعاية جسدية وبكل توجيه عقلي وعلمي ونفسي ولكنها لا تستطيع أن تمده بالعنصر الواحد الذي لا تقوم الحياة بدونه ولا تستقيم بغيره الأوضاع ذلك هو الحب برعاية الأم، الأم بالذات دون غيرها من النساء"(١)

ـ وهذا حق "فمهما بذلت الدولة – أيا كانت – من رعاية في سبيل تربية الأطفال، بحيث يكونون بعيدين عن أمهاتهم فإنها لن تستطيع أن تقوم بالدور العظيم الذي تؤديه الأم في هذا المضمار.

وقد ورد في تقرير هيئة الصحة العالمية عن رعاية الأم والصحة العقلية " إن الدراسات أثبتت أن حرمان الطفل من رعاية الأمومة يعرقل نموه البدني والعقلي والاجتماعي، وقد تظهر عليه أعراض المرض البدني والعقلي مباشرة، ولو كان في ملجأ توفرت فيه أسباب العناية المادية دون العناية العاطفية والنفسية، أو كان في أحضان أهله ولكنه مُني بأم قاسية" (٢)

ـ وعندما يستطلع الباحث رأي المنصفين من المصلحين المسلمين وغير المسلمين يجد أنهم يعترفون بتأثر الأسرة بشكل كبير إذا خرجت المرأة للعمل.

فقد ورد في كتاب (تربية البنات):

" أن المصلحين المجددين مثل غاندي، وفيصل الأول، وسعد زغلول، وغيرهم قد أجمعوا على أن المرأة التي تنصرف إلى الأعمال الخارجية يخسر زوجها وأولادها بقدر ما تكسب من المال وروجعت (١٨٠٠) أغنية شعبية أمريكية بين عام (١٩٠٠ـ ١٩٥٠) لمعرفة أكثرها رواجا ونجاحا فتبين أن الأغاني التي تصور الحنين إلى حياة الأسرة والأم والطفولة هي الأغاني المفضلة"(٣)

ومن غير المسلمين يقول ساموبل سمايلس(٤): "إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية، لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية بسلبه الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم"(٥)

---

(١)المرجع السابق/ ١٣٨، ١٣٩.

(٢) دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام ـ عبد المنصف محمود عبد الفتاح/ ١٠٨/ بتصرف يسير.

(٣) تربية البنات خالد أحمد الشنتوت/ ١/ ٤٦، ٤٧ـ بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) الحرب الباردة ـ بدر بن علي بن طامي العتيبي/ ٧١ ـ بدون دار ـ ولا تاريخ.

ـ وبهذا يتبين عدم قدرة أي أحد على القيام بدور الأم في البيت، وأن خروجها لا بد أن يؤثر بالسلب على استقرار الأسرة، وتربية الأطفال من الناحية العاطفية والتربوية، وإن كانت نسبة هذا التأثر تختلف من أسرة إلى أخرى.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي

-. بين الدكتور إبراهيم عوض أن عمل المرأة في بيتها لا يتوقف على الأمومة والزوجية فقط، وإنما هو عمل متنوع، يتشابه إلى حد كبير مع عملها خارج بيتها، كما أن إقامتها في بيتها لترعى شئون أسرتها لا تمنعها مطلقا من القراءة والإبداع، بدليل وجود كثيرات من اللآتي يقمن في بيوتهن نبغن في أنواع مختلفة من العلوم.

– وضح الدكتور إبراهيم عوض أن عمل المرأة في بيتها له مقابل، لأن الرجل يعمل ليل نهار ليوفر لها حاجاتها هي وأبنائها.

ـ لا يوجد أي شخص يستطيع القيام بتربية الأبناء كبديل عن الأم، وهذا ما أثبتته الدراسات الاجتماعية كما أثبته الواقع.

– أن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل خارج بيتها، وإنما وضع بعض الضوابط التي تصونها وتحمي كرامتها وتحفظ المجتمع من الانحراف، وقد التزم النساء في عهد النبي ﷺ وأصحابه من بعده بذلك، فسُمح لهن بالخروج والقيام بما يناسبهن من أعمال.

والملاحظ أن الدكتور إبراهيم أحسن عندما بين التشابه الكبير بين عمل المرأة في بيتها وعملها خارجه، وأن وجودها في البيت لا يمنعها من الإبداع، ولكن هناك جوانب أخرى كان يمكن إضافتها في الرد على هذه الشبهة ولا يمكن إغفالها، كبيان حكم الإسلام في عمل المرأة، والأثر السئ لخروجها في كثير من الأوقات على الأسرة والمجتمع.

وبهذا تسقط الشبهة، ويتبين أنها لا تقوم إلا على الظن والتخمين، أو على حقد دفين للإسلام والمسلمين، وأن الهدف منها العمل على انحلال المجتمع الإسلامي أخلاقيا كما انحلت المجتمعات الغربية.

المطلب الثالث:

شبهة قبول شهادة الرجل في اللعان وعدم قبول شهادة المرأة والرد عليها:

إن الله تبارك وتعالى خالق الإنسان وصانعه، وكل صاحب صنعة أدرى بصنعته من غيره، كما قال تعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (الملك: ١٣)، فلكل من الرجل والمرأة طبيعة فسيولوجية مختلفة، فالمرأة لها ظروف وأحوال تمر بها لايتعرض لها الرجل؛ لذلك راعى الخالق ﷻ هذه الطبيعة وتلك الأحوال، فجعل للمرأة بعض الاستثناءات، ومن هذه الاستثناءات أنه جعل شهادتها في بعض المواطن على النصف من شهادة الرجل؛ وذلك صيانة للحقوق المتعلقة بهذه الشهادات.

وقد استغل أعداء الإسلام ذلك أسوأ استغلال، فأثاروا العديد من الشبهات حول شهادة المرأة، ومن تلك الشبهات التي أثاروها حول هذا الأمر الشبهة التي نحن بصددها.

أولا عرض الشبهة

- يدعي كاتب الموسوعة الكاثوليكية(١) أن شهادة الرجل في اللعان على زوجته مقبولة، أما شهادة المرأة عليه فلا تقبل، يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" ومن تزييفات الكاتب دعواه أنه في حالة ارتكاب أحد الزوجين للفاحشة، فإن شهادة الرجل على زوجته تقبل للتو واللحظة ودون نقاش على عكس شهادة المرأة عليه فإنها لا تقبل بحال"(٢)

وعند تأمل الشبهة فإنها يبدو عليها المبالغة، وعدم الموضوعية، والبعد عن الواقعية للوهلة الأولى، حيث إن مثير الشبهة يحاول أن يوهم القارئ بعدم اعتبار الإسلام أى كلام للمرأة في مسألة اللعان مهما كان الأمر، وهذا مخالف لأحكام الشريعة الإسلامية كما سيتبين بإذن الله.

ثانيا الرد على الشبهة: ويتلخص فيما يلي:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال كيفية اللعان.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما يترتب على إجراء اللعان.

وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال كيفية اللعان:

إن كثيرا من المؤلَفات الغربية من كتب وموسوعات يتعمد كتابها تشويه الإسلام بشكل

---

(١) هي مرجع عن تاريخ معتقدات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، طبعت بداية عام ١٩٦٧م، وجاءت الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢م.

(٢) كتابات استشراقية د.إبراهيم عوض/ ٣٩١.

ملحوظ حتى لا يُقبل أبناء الغرب على الدخول في الإسلام، ومن هذه المؤلفات الموسوعة الكاثوليكية(١)، والتي ورد فيها الادعاء بعدم قبول شهادة المرأة في اللعان.

يقول الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله معلقا على الشبهة ـ:

" وهو كلام لا صدق فيه على الإطلاق، إذ من المعروف أن في الفقه الإسلامي بابا لما يسمى بـ "اللعان"، وهو أن يتهم أحد الزوجين الآخر بالفاحشة فعندئذ يجب عليه أن يكرر شهادته أربع مرات أمام القاضي حتى يكون لشهادته قبول وتتم معاقبة الطرف المتهم، ولكن بشرط ألا يعود فيشهد أربع شهادات بأن متهمه كاذب فيما قال عنه. وعلى هذا فلا تمييز هنا بين زوج وزوجه، بل مساواة تامة" (٢)

– والملاحظ هنا أن رد الدكتور إبراهيم عوض على هذه الشبهة قد جاء مقتضبا، مما يجعل القارئ غير المتخصص لا يستطيع أن يستوعب الرد على هذه الشبهة استيعابا كافيا، ولعل هذا كان منه لوضوح مسألة اللعان في القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب الفقه.

– وهذه الكيفية التي ذكرها الدكتور إبراهيم عوض للعان هي الكيفية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وإن كان لم يذكر الشهادة الخامسة لكل من الطرفين، للرجل باستحقاق اللعنة من الله إن كان كاذبا وللمرأة باستحقاق غضب الله عليها إن كانت كاذبة. والتي يتم التفريق بين الزوجين بعدها.

– وهذا هو نص القرآن والسنة في كيفية اللعان

قال تعالى:"وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ" (النور:٦. ٩)

ويبين الإمام ابن كثير سبب تخصيص الرجل اللعن والمرأة بالغضب، فيقول:

" فخصها بالغضب، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنى إلا وهو صادق معذور، وهي تعلم صدقه فيما رماها به. ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها.

---

(١) هي مرجع عن تاريخ معتقدات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، طبعت بداية ١٩٦٧م، وجاءت الطبعة الثانية عام ٢٠٠٢م.

(٢) كتابات استشراقية ـ د/ إبراهيم عوض/ ٣٩١ بتصرف يسير.

والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه"(١).

ـ وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (٢) قَالَ سُئِلْتُ عَنْ الْمُتَلَاعِنَيْنِ فِي إِمْرَةِ مُصْعَبٍ أَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ، فَمَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِ ابْنِ عُمَرَ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ: لِلْغُلَامِ اسْتَأْذِنْ لِي قَالَ: إِنَّهُ قَائِلٌ، فَسَمِعَ صَوْتِي قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ ادْخُلْ فَوَاللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا حَاجَةٌ، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا هُوَ مُفْتَرِشٌ بَرْذَعَة مُتَوَسِّدٌ وِسَادَة حَشْوُهَا لِيفٌ قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُتَلَاعِنَانِ أَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ نَعَمْ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أَنْ لَوْ وَجَدَ أَحَدُنَا امْرَأَتَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ قَدْ ابْتُلِيتُ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي سُورَةِ النُّورِ، فَتَلَاهُنَّ عَلَيْهِ وَوَعَظَهُ وَذَكَّرَهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا كَذَبْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ دَعَاهَا فَوَعَظَهَا وَذَكَّرَهَا وَأَخْبَرَهَا أَنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ قَالَتْ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنَّهُ لَكَاذِبٌ، فَبَدَأَ بِالرَّجُلِ، فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْكَاذِبِينَ، ثُمَّ ثَنَّى بِالْمَرْأَةِ، فَشَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا" (٣)

ـ وبهذا يتبين أن الإسلام قد أعطى للزوج الحق في اللعان، وأعطى للزوجة الحق في تبرئة نفسها، بل إنه سوى بينهما حتى في عدد الشهادات التي يشهدها كل منهما

ـ وإنما أعطى الإسلام الحق في اللعان للرجل لما يترتب عليه من إلحاق ولد، وميراث، أما المرأة فالولد منسوب لها كان من زوجها أو من غيره، وأعطى الإسلام كذلك للمرأة الحق في الخلع إن لم تستطع أن تكمل حياتها مع زوجها.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما يترتب على إجراء اللعان:

ـ عندما يطالع الباحث كتب الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبها يجد أنها تحفظ للملاعنة ولابنها

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير/ ٣/ ٣٢٣.

(٢) أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام، مولى والبة بن الحارث من بني أسد: توفي سنة خمس وتسعين./ طبقات الفقهاء

أبو إسحاق الشيرازي/ ١/ ٨٢/ ط١/ دار الرائد العربى ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب (اللعان) ـ باب (انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها) ـ برقم (١٤٩٣)/ م٥/ ١٠/ ٩٦، ٩٧.

حقوقهما، كما أنها تحفظ لزوجها حقه، ويتبين ذلك من خلال ما يلي:

١ـ عدم مطالبة أحد من الزوجين بالحد أو الحبس:

- يرى جمهور الفقهاء ومنهم المالكية والشافعية والحنابلة، أن الزوج إذا لاعن سقط عنه حد القذف "

ويكتفي الباحث بذكر بعض النصوص المدونة في بعض كتب المذاهب الأربعة فقط لأن فيها غنى عن غيرها

فمن كتب المالكية ما ورد في الثمر الداني:

" ويتعلق باللعان أربعة أحكام أحدها أشار إليه بقوله: "وإذا افترقا باللعان لم يتناكحا أبدا، والثلاثة الباقية سقوط الحد ونفي النسب وقطع النكاح وتقع الفرقة بينهما بتمام لعانهما" (١)

ومن كتب الشافعية ما ورد في الإقناع:

" ويتعلق بلعانه خمسة أحكام: سقوط الحد عنه، ووجوب الحد عليها، وزوال الفراش، ونفي الولد، والتحريم إلى الأبد، ويسقط الحد عنها بأن تلاعن" (٢)

ومن كتب الحنابلة ما ورد في منار السبيل:

" ويثبت بتمام تلاعنهما أربعة أحكام:" سقوط الحد أو التعزير"الذي أوجبه القذف عنها وعنه.(٣)

. من خلال ما سبق يتبين سقوط الحد عن كل من الزوجين إذا لا عن كل منهما الآخر.

٢ـ وجوب الحد على من امتنع عن اللعان منهما: يرى جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة و بعض الأحناف إقامة الحد على من امتنع من الزوجين عن اللعان يقام عليه الحد، فالرجل يقام عليه حد القذف، و المرأة يقام عليها حد الزنا.

فمن الفقه الحنفي ما ورد في المبسوط:

" فزفر(١) رحمه الله تعالى يوافقنا أن في حال تشاغلهما باللعان لا تقع الفرقة بينهما. ثم ذكر عن

---

(١) الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالةابن أبي زيد القيرواني . صالح بن عبدالسميع الآبي الأزهري (المتوفى: ١٣٣٥هـ)/ ١/ ٤٧٨، ٤٧٩/ ط.المكتبةالثقافية – بيروت.

(٢) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ـ الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب ـ كتاب (النكاح) ـ فصل (في اللعان)/ ٢/ ٢٦٨ـ ٢٧٠ ./ المكتبة التوفيقية ـ ٢٠٠٣م.

(٣) منار السبيل في شرح الدليل ـ ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم (المتوفى: ١٣٥٣هـ) كتاب (اللعان) ـ فصل (شروط اللعان ثلاثة)/ ٢/ ١٢٧٢/ ط. المكتب الإسلامي ـ ط(٧)، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٩م.

إبراهيم قال: اللعان تطليقة بائنة، وإذا أكذب الملاعن عن نفسه جلد الحد وكان خاطبا من الخطاب وبه أخذ أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى" (٢)

ومن الفقه الشافعي ما ورد في كتاب "الأم" للإمام الشافعي حيث قال:

" فكان كل زوج قاذف يُلَاعِنُ أو يُحَدُّ إنْ كانت المقذوفة ممن لها حد أو لم تكن "(٣)

وما ورد في الحاوي " فإن لم يلاعن حد للقذف، ولا حد عليها ولا لعان، وإن لاعن الزوج سقط عنه حد القذف ووجب حد الزنا عليها، فإن لاعنت سقط عنها حد الزنا"(٤)

ـ ومن الفقه المالكي ما ورد في "أسهل المدارك":

" وأيهما نكل حُد، لكن حد الزوج يقف على كونها يحد قاذفها " يعني أي واحد من المتلاعنين نكل عن اللعان يحد فإن التعن الزوج ونكلت رجمت بشروط، وإن كان الناكل الزوج والتعنت الزوجة فإنه يحد حد القذف" (٥)

ومن الفقه الحنبلي ما ورد في المغني لابن قدامة(٦)، حيث قال: " فإن لم يكذب نفسه ولكن لم يكن به بينة ولا لاعن أقيم عليه الحد فإن أقيم عليه بعضه فبذل اللعان وقال أنا ألاعن قبل منه

---

(١) زفر بن الهذيل العنبري من أنفسهم ويكنى أبا الهذيل، صاحب أبي حنيفة، ولد سنة عشر ومائة، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة وله ثمان وأربعون سنة. وكان قد جمع بين العلم والعبادة،وكان قد سمع الحديث ونظر في الرأي فغلب عليه ونسب إليه/ الطبقات الكبرى/ ٦/ ٣٨٧، طبقات الفقهاء ـ الشيباني/ ١٣٥.

(٢) المبسوط للسرخسي ـ شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي/ ٧/ ٧٨/ ط. دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ـ ط(١)، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) الأم الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(١٥٠– ٢٠٤ هـ)/ ٥ـ/ ١٣٣/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ ط(١) ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

(٤) الحاوي في فقه الشافعي . الماوردي . (المتوفى: ٤٥٠هـ)/ ١١/ ٧/ دارالكتب العلمية ـ ط(١) ـ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤.

(٥) أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك» أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (المتوفى: ١٣٩٧ هـ) ـ كتاب (الطلاق)/ ٢/ ١٧٧/ دار الفكر، بيروت – لبنان ـ ط(٢).

(٦) (ابن قدامة) * (٥٩٧– ٦٨٢ هـ = ١٢٠٠– ١٢٨٣ م) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة، ولد وتوفي في دمشق.وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها، استمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه (معلوما) ثم عزل نفسه، له تصانيف، منها (الشافي– ط) وهو الشرح الكبير للمقنع فى فقه الحنابلة، المغنى)/ الأعلام/ الزركلى/ ٣/ ٣٢٩.

لأن اللعان يسقط جميع الحد" (١)

ـ مما سبق يتبين المساواة بين الرجل والمرأة في إقامة الحد على من امتنع منهما عن اللعان

٣ـ عفة الملاعنة وولدها:

يرى جمهور الفقهاء، ومنهم، المالكية،والشافعية، والحنابلة، أن الملاعنة عفيفة، فلا يجوز قذفها ولا تسقط عفتها باللعان، لاعنت بولد أو كانت غير ذات ولد، وأن ابن الملاعنة عفيف حتى يأتي ما ينافي العفة، ومن قذفه فعليه الحد.

واستدلوا على رأيهم بأن الملاعنة لم يثبت زناها، ولو ثبت لوجب حدها، فإذا لاعنت فلا حد عليها ولا تعزير، ولم يثبت عليها الزنا فكيف يتأتى القول بأنها غير عفيفة.

وهذه بعض أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم

ـ فمن أقوال المالكية ما ورد في المدونة الكبرى للإمام مالك رحمه الله لما سئل أيحد قاذف الملاعنة، قال:

" أرأيت رجلا قذف ملاعنة معها ولد، وإنما التعنت بغير ولد، أيحد قاذفها؟ قال: نعم، إذا قذف ملاعنة التعنت بولد أو بغير ولد، أو كان معها ولد أو لم يكن، ضرب الحد. قلت: أرأيت إن قال لولد الملاعنة: لست لأبيك. أيحد القائل له هذا؟ قال: إن قال له هذا في مشاتمة ضرب الحد، وإن كان إنما يخبر خبرا، فلا حد عليه" (٢)

–ـ ومن أقوال الشافعية ما نقل عن الإمام الشافعي في الحاوى:

" قال الشافعي: ولو قال لابن ملاعنة: لست ابن فلان اللعان بين الزوجين أحلف ما أراد قذف أمه ولا حد، فإن أراد قذف أمه حددناه...، فإن أراد به قذف أمه حد لها، وإن لاعن الزوج منها؛ لأن لعانه بينة في حقه وليست بينة في حق غيره، فصارت على عفتها مع الأجانب وإن ارتفعت عفتها مع الزوج، فيحد لها إن كانت حرة مسلمة، ويعزر لها إن كانت ذمية أو أمة، وقد روى ابن عباس: أن النبي ﷺ فرق بين المتلاعنين ونفي النسب،وقضى ألا ترمي ولا يرمى ولدها، فمن رماها فعليه الحد. وهذا نص الشافعي" (٣)

---

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ـ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد/ ٩/ ٣٥ ـ دار الفكر – بيروت ـ ط(١)، ١٤٠٥.

(٢) المدونة الكبرى ـ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)/ ٤/ ٥٠٢/ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(٣) الحاوي ـ الماوردي/ ١١/ ٩٠/ .

– ومن أقوال الحنابلة ما نقل عن الإمام أحمد في المغني لابن قدامة، حيث قال:
" ويحد من قذف الملاعنة نص أحمد على هذا، وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن و الشعبي و طاووس ومجاهد ومالك والشافعي وجمهور الفقهاء، ولا نعلم فيه خلافا، وقد روى ابن عباس أن النبي ﷺ قضى في الملاعنة أن لا ترمى ولا يرمى ولدها، ومن رماها فعليه الحد رواه أبو داود ولأن حصانتها لم تسقط باللعان ولا يبت الزنا به ولذلك لم يلزمها به حد ومن قذف ابن الملاعنة فقال: هو ولد زنا فعليه الحد" (١)

ـ مما سبق يتبين أن الملاعنة تعامل كغيرها من العفيفات، ولا يقع عليها أي ضرر من الناحية الشرعية، لا هي ولا ولدها، لأنها لم يثبت عليها الزنا، وأن من قذفها أو قذف ولدها يقام عليه الحد.

الخلاصة

من خلال ما تم عرضه يتبين ما يلي:

ـ وضح الدكتور إبراهيم أن الإسلام أعطى للرجل الحق في نفي نسب الولد إذا شاهد امرأته في حال الزنا، كما أنه أعطى للمرأة الحق في تبرئة نفسها من الزنا، وإسقاط الحد، وأن تعيش محصنة كأي امرأة عفيفة هي وولدها في المجتمع الإسلامي ما لم يثبت عليها الزنا.

– لم يستدل الدكتور إبراهيم على ما ذهب إليه في هذه الشبهة، بل جاء رده مختصرا إلى حد كبير، وكان من الممكن أن يستند في رده إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب الفقه، مما يجعل غير المتخصص لا يستوعب هذا الرد، ولعله ترك هذا لوضوح الآيات والأحاديث في ذلك.

وكان من الممكن –أيضا– أن يوضح أن الإسلام أعطى المرأة كذلك الحق في الانفصال عن الرجل بالخلع ما دامت لا تقدر بحال من الأحوال على استكمال حياتها معه.

وأن شهادة المرأة لو كانت غير مقبولة في اللعان كما يدعي مثير الشبهة، لأقيم الحد عليها لاعنت أو لم تلاعن، ولما عوقب قاذفها هي وولدها.

وبذلك تسقط الشبهة ويتبين أن شهادة المرأة مقبولة كشهادة الرجل في اللعان وهو ما أشار إليه الدكتور إبراهيم عوض في رده، وأن هذه الشبهة واهية لا تقوم على دليل معتبر.

---

(١) المغني ـ ابن قدامة/ ١٠/ ٢١٩.

المبحث الثاني:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالفقه الإسلامي:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شبهة تحريم شهادة الزور ضد المسلم فقط والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة رفض الإسلام للفن القصصي لأنه يقوم على الكذب والرد عليها.

توطئة:

النصوص الواردة في القرآن والسنة هى المصدر الرئيسي للتشريع الإسلامي، ونصوص القرآن كلها قطعية الثبوت، ولكن منها ما هو قطعي الدلالة، ومنها ما هو ظني الدلالة، أما نصوص السنة فمنها ما هو قطعي الثبوت والدلالة ومنها ما هو ظني الثبوت والدلالة، فقطعي الثبوت والدلالة لا يعد فقها إنما هو تشريع ووحى من الله ﷻ، وقطعى الثبوت ظني الدلالة أو ظني الدلالة والثبوت هو ما يجلس الفقهاء للنظر فيه، وهو الذى يسمى فقها.

إذن هناك فرق بين الفقه والشريعة، فالشريعة هى النصوص والأحكام الثابتة، أما الفقه فهو الفهم والاستنباط لنصوص الشريعة الظنية الدلالة.

والخلط بين الفقه والشريعة خطأ فادح وقع فيه كثيرون، مما فتح المجال للمشككين والذين في قلوبهم مرض أن يثيروا الشبهات حول الفقه الإسلامي وحول الشريعة الإسلامية، ولقد تناول الدكتور إبراهيم عددا من هذه الشبهات بالعرض والرد، ومنها ما سيتناوله الباحث في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: شبهة تحريم شهادة الزور ضد المسلم فقط والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة رفض الإسلام للفن القصصي لأنه يقوم على الكذب والرد عليها.

المطلب الأول:

شبهة تحريم شهادة الزور ضد المسلم فقط والرد عليها:

لما كان مصدر الشرائع السماوية واحدا وهو الله، اتفقت الشرائع السماوية في أصولها من حيث التحليل والتحريم، فالزنا مثلا محرم في جميع الشرائع، والقتل، وشرب الخمر، ومن المحرمات كذلك شهادة الزور، حيث امتدح الله عباد الرحمن بأنهم لا يشهدون الزور سواء كان

بالشهادة أو المشاهدة والآية تحتمل المعنيين(١) قال تعالى: "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا"(الفرقان: ٦٤،٦٣)

فالآية لم تقيد(٢) المعاملة مع المسلمين فقط، وإنما أطلقت(٣) هذا الوصف دون تقييد فهم لا يشهدون الزور سواء على المسلم أو غير المسلم، كذلك عندما حذر النبي ﷺ من شهادة الزور أخبر أنها من كبائر الذنوب سواء كانت على المسلم أو غيره أيا كان دينه أو جنسه قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ "(٤)

ومع ذلك وجدنا من يتهم الإسلام بأنه أباح شهادة الزور ضد غير المسلمين، ومن ذلك ما ورد في الموسوعة الكاثوليكية كما ترجم عنها الدكتور إبراهيم عوض.

أولا: عرض الشبهة:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ أن الموسوعة الكاثوليكية ورد فيها الزعم بأن شهادة الزور في الإسلام محرمة ضد المسلم فقط فيقول: "ثم انظر إلى الكاتب كيف يلوي الحقائق بدم بارد، فيذكر من بين المحرمات في الإسلام، شهادة الزور ضد المسلم، ومعنى هذا بطبيعة الحال أن المسلم يجوز له أن لم يكن واجبا عليه أن يشهد بالزور ضد غير المسلم" (٥)

مما سبق يتضح أن مفاد الشبهة يتلخص في أن المسلم يشهد الزور على غير المسلمين.

ثانيا الرد على الشبهة: ويتلخص فيما يلي:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى/ ٣/ ١٥٨/ ط.المكتبة العصرية . بيروت . ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م.

(٢) المقيد: هو ما كان من الألفاظ دالا على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه كقولك: " دينار مصري./ الإحكام في أصول الأحكام– أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)/ ٣/ ٤/– المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

(٣) المطلق: هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه/ الإحكام في أصول الأحكام– الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)/ ٣/ ٣.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب(الشهادات) باب (مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ) برقم (٢٦٥٤)/ ٣/ ١٧١.

(٥) كتابات استشراقية ـ د/ إبراهيم عوض/ ٣٨٦ ترجمة ودراسة للموسوعة الكاثولكية.

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في القرآن الكريم.
(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس.
ـ وفيما يلي بيان ذلك:
(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في القرآن الكريم:

إن كثيرا من المؤلَفات الغربية من كتب وموسوعات يتعمد كتابها تشويه الإسلام رغبة في إبعاد الناس عن الإقبال عليه والدخول فيه، ومن هذه المؤلفات الموسوعة الكاثوليكية، وإلى هذا يشير الدكتور إبراهيم عوض . حفظه الله ـ فيقول:

"أرأيت كيف يتعمد الكاتب تشويه الإسلام بالباطل؟ ولكى يرى القارئ بنفسه مدى التدليس الذى يمارسه الكاتب أسوق له بعض الآيات القرآنية التي تتعلق بهذا الموضوع:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"(المائدة: ٨)

هذا عن وجوب تأدية الشهادة على وجهها الصحيح دون أى اعتبار لأى شئ، من غنى أو فقرٍ أو قرابة أو غرابة أو دين، حتى لو كان بيننا وبين من نشهد عليه شنآن، أى بغض مستحكم.

ترى هل هناك شنآن كالذى كان بين اليهود والمسلمين، والذى ألبوا بسببه الوثنيين على أصحاب التوحيد، وأكدوا لهم أن وثنيتهم خير من توحيد الإسلام؟ "(١)

-. ثم يوضح فضيلته أن الله تعالى أنزل القرآن ليحكم النبي ﷺ به بين الناس كافة فيقول: "قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيما وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورا رَحِيما وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانا أَثِيما يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطا" (النساء: ١٠٥ – ١٠٨)

– ويؤكد فضيلته على أن الإسلام يوصي أتباعه بحسن التعامل مع غيرهم ما داموا مسالمين فيقول:

" ولكن هذا ليس غريبا على دين يوصى أتباعه بما يوصيهم به الإسلام تجاه عدوهم فيقول لهم" "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّة وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى

---

(١)المرجع السابق/ ٣٨٦، ٣٨٧ بتصرف.

إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (الممتحنة: ٧– ٩)

ويحذرهم من العدوان على أي إنسان أو أية جماعة، وإن كان يسمح لهم بالرد على العدوان بمثله "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة: ١٩٠)

مع إيثار التسامح على الانتقام رغم مشروعيته، ما دامت الظروف تسمح بالتسامح دون أن يستتبع ذلك ضرر أشد.

"وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" (النحل:١٢٦) (١)

ـ مما سبق يتبين أن الإسلام يحث أتباعه على حسن التعامل مع الآخرين ما داموا مسالمين، ووجوب إقامة العدل في المجتمع الإسلامي بين المسلمين بعضهم مع بعض، وبين المسلمين وغيرهم.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس:

إن منهج القرآن الكريم في التعامل مع الآخرين عادل وواضح، أما الكتاب المقدس فلا يتصف بما اتصف به القرآن الكريم في هذا المجال.يقول الدكتور إبراهيم عوض: " إن الكاتب ليعلم أن ما قاله عن الإسلام لا وجود له في الإسلام، بل في اليهودية، إذ نقرأ في سفر الخروج

" لا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ"(٢) ومعنى ذلك أنَّ شهادة الزور على الغريب وغير اليهودي أمر جائز إن لم تكن أمر واجبا(٣)

ثم يوضح فضيلته أن العهد الجديد لا يختلف كثيرا عن العهد القديم في هذه القضية، فيجيز الكذب إذا كان يزداد به مجد الله كما ورد على لسان بولس فيقول:

"هذا ما يقول القرآن، ولكن انظر إلى هذا النص من رسالة بولس إلى أهل رومية، وفيه أن الكذب مشروع مادام يؤدي إلى تمجيد الله:

" فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبا فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللهِ قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟"(٤)(٥)

---

(١)كتابات استشراقية ـ د/ إبراهيم عوض/ ٣٨٧بتصرف يسير.

(٢) سفر الخروج/ الإصحاح ٢٠/ فقرة ١٦.

(٣)كتابات استشراقية/ ٣٨٧.

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية/ الإصحاح الثالث/ فقرة ٣، ٧.

(٥)كتابات استشراقية –دإبراهيم عوض/ ٣٨٦ـ٣٩٠ بتصرف.

ـ من خلال ما سبق يتبين أن شهادة الزور على الغير في الكتاب المقدس مباحة إذا ترتب على ذلك إقامة مجد لله.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين ما يلي:

- أن القرآن الكريم يأمر المسلمين بتأدية الشهادة على وجهها الصحيح دون النظر إلى دين من نشهد له أو عليه، حتى ولو كان بيننا وبين من نشهد عليه بغض مستحكم، وأنه يوصى أتباعه بالتسامح مع الآخرين، ويحذرهم من العدوان والظلم.
- أن الواقع العملي يشهد بتحقيق عدالة النبي ﷺ والخلفاء من بعده في الشهادة مع غير المسلمين، وأنهم كثيرا ما أنصفووهم على المسلمين.

فهل يعقل بعد هذا كله أن يقال إن الإسلام أباح شهادة الزور ضد غير المسلمين.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل صحيح، وإنما تقوم على الكذب والافتراء على الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني:

شبهة رفض الإسلام للفن القصصي لأنه يقوم على الكذب والرد عليها:

لم يكن الإسلام في يوم من الأيام ضد أي لون من ألوان الفن الهادف المنضبط بالضوابط الشرعية والأخلاقية، ومن هذه الأنواع من الفن، الفن القصصي، فمع استخدام القرآن الكريم له، واستعمال النبي ﷺ، وجعله أسلوبا من أساليب الدعوة والتربية، إلا أن هناك من يدعى زورا على الإسلام بأنه عادى الفن القصصي وحرمه.

ومن ذلك ما ترجمه الدكتور إبراهيم عوض عن الموسوعة البريطانية(١).

أولا عرض الشبهة:

ـ يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن كاتبي الموسوعة البريطانية يدعون رفض الإسلام للفن القصصي فيقول:

---

(١) الموسوعة البريطانية) بالإنجليزية (Encyclopedia Britannica :أو الـ"بريتانيكا "هي موسوعة عامة باللغة الإنجليزية تصدرها شركة الموسوعة البريطانية، المحدودة) بالإنجليزية (Encyclopedia Britannica, Inc : الخاصة. المقالات في الموسوعة تستهدف القراء المتعلمين والمثقفين ويكتبها ١٠٠ موظف بدوام كامل، وأكثر من ٤٤٠٠ مساهم مختص وتعد من أشهر وأدق الموسوعات وأشدها سعة واطلاعا. صدرت لأول مرة بين عامي 1768 م و١٧٧١ م في مدينة إدنبرة الأسكتلندية.

" وحين يصل الكلام إلى فن الأدب نفاجأ بالكاتب يَدَّعِي" أن الفن القصصي مرفوض في الإسلام لقيامه على الكذب" (١)

ثانيا الرد على الشبهة

(أ) الرد على الشبهة من خلال استخدام القرآن الكريم والسنة النبوية للأسلوب القصصي.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التفريق بين الفن القصصي والكذب.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال موقف علماء الإسلام من الفن القصصي.

وفيما يلي بيان ذلك

قبل أن يعرض الباحث رد الدكتور إبراهيم عوض على هذه الشبهة، ينبغي أن يبين معنى القصة، وأهم مميزات القصص في القرآن والسنة:

- ورد في المصباح المنير:

" وقصصت الخبر قصا من باب قتل أيضا حدثت به على وجهه والاسم القصص بفتحتين وقصصت الأثر تتبعته والقصة الشأن والأمر (٢)

أما القصة في الاصطلاح: هي فن أدبي نثري يتناول بالسرد حدثا وقع أو يمكن أن يقع "(٣)

وقيل إنها: " عمل أدبي يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، يتعمد القاص في تقصيتها والنظر إليها من جوانب متعددة ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها وتسلسل الفكرة فيها، وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي وما يكتنفها من مصاعب وعقبات على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة"(٤)

(أ) الرد على الشبهة من خلال استخدام القرآن الكريم والسنة النبوية للأسلوب القصصي:

مما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم نفسه أورد سير الأنبياء والسابقين معتمدا على الأسلوب القصصي، فالقصة القرآنية تشغل مساحة كبيرة من القرآن الكريم، وكذلك اعتمد النبي على الأسلوب القصصي في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة؛ لذا فإن الأسلوب القصصي في الإسلام له دور لا ينكر، بل إن القصص في القرآن والسنة يعد نوعا من الإعجاز البياني.

---

(١) كتابات استشراقية - د/ دإبراهيم عوض/ ٧٥ ترجمة لما ورد في الموسوعة البريطانية.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)/ ٢/ ٥٠٥/ باب" القاف" مادة (ق ص ص)/ المكتبة العلمية – بيروت .

(٣) فن كتابة القصة - فؤاد قنديل/ ٣٠/ الهيئة العامة لقصور الثقافة - يونيو ٢٠٠٢م.

(٤) موقع الدكتورة عائشة الحكمي - مقال بعنوان الفن القصصي/ تاريخ الدخول ١٠- ٩ - ٢٠١٧م.

ويتصف القصص الإسلامي بعدة مميزات تميزه عن غيره من أهمها ما يلي:

ـ الواقعية والصدق:

فالقصة في القرآن والسنة لا تجنح إلى عالم الخيال لتستمد منه موضوعاتها، أما القصص الأدبي فمنه ما هو خيالي، ومنه ما هو واقعي، وقد يكون لهذا تأثير على كثير من الأشخاص، حيث يبعدهم القصص الخيالي عن معايشة الواقع.

يقول الأستاذ أنور الجندي: " وأخطر ما تواجهه القصة هو الخروج من عالم الواقع إلى عالم ليس موجودا في الحقيقة، فهي تقدم للمحرومين العاجزين تعويضا خياليا وهميا عن جميع حاجاتهم الهامة، فتقتل فيهم الحافز القوي، وتميت فيهم الضمير، وتضللهم عن مقاييس العقل، وترفع عنهم تكاليف الحياة " (١)

والقصة في القرآن والسنة عندما تتحدث عن الجانب السلبي فإنها تركز على لحظة التوبة والعودة إلى الله، وفي هذا يقول الأستاذ محمد قطب:" وحين تتحدث القصة النبوية عن جوانب الشر لا تقصد بذلك إجازة الانحراف، وإنما لترتقي بالمرء إلى المستوى الإنساني اللائق به،... ومن ثم فإنها تركز دائما على لحظة الإفاقة وتسلط الضوء عليها" (٢)

ـ عفة الأسلوب:

مما يتميز به قصص القرآن الكريم والسنة النبوية عن القصص الأدبي، أن أسلوبه عفيف لا يذكر فيه ألفاظ خادشة للحياء

انظر إلى قول الله تعالى عندما قص دعوة امرأة العزيز نبي الله يوسف عليه السلام لارتكاب الفاحشة " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ

ومن السنة قول النبي ﷺ في قصة الكفل التائب " فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ"(٣)

أما القصص الأدبي فإنه في كثير من الأحوال لا يهتم بهذه العفة، لا سيما ما تدعوا إليه المذاهب المعاصرة فإنهم يقولون " لا شأن للأخلاق في الأدب" (٤)

---

(١) أخطاء المنهج الغربي الوافد – أنور الجندي/ ٣٢٢/ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط(١) – ١٩٧٤م.

(٢) منهج التربية الإسلامية ـ محمد قطب/ ٢٤١/ ط(٢) – دون.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في باب(مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب) برقم (٤٧٤٧)/ ٢/ ٢٣.ضعيف.

(٤) القصص في الحديث النبوي ـ محمد حسن الزير/ ٣٨١/ المطبعة السلفية ـ ط(١) – ١٩٧٨م.

- الإيجاز:

الإيجاز من أهم ما يميز الأسلوب القصصي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويعني: "اختصار بعض ألفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزا من غير حذف لبعض الاسم، ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له... ومثاله أن يقتص المتكلم قصة بحيث لا يغدر منها شيئا، في ألفاظ قليلة موجزة جدا، بحيث لو اقتصها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة، أتى بها في أكثر من تلك الألفاظ، وأكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل، كقصة موسى عليه السلام في "طه" فإن معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة، وهي مستوعبة في تلك الألفاظ." (١)

- الالتزام بالهدف الديني:

فقصص القرآن والسنة يلتزم بالوصول إلى الغاية الدينية، أما القصص الأدبي فكثيرا ما لا يهتم بهذا الأمر، بل ربما دعا إلى نقيضه.

ففي نهاية قصة امرأة العزيز مع نبي الله يوسف ﷺ أظهر القرآن الكريم تبرئة سيدنا يوسف ﷺ وندم امرأة العزيز وتوبتها، وفي نهاية قصة نبي الله يوسف ﷺ مع إخوته أظهر اعتافهم بالخطأ وتوبتهم وعفوه ﷺ عنهم، واعترافه ﷺ بفضل الله عليه.

" القصص النبوي ملتزم بهدفه الديني لا يحيد عنه، وهذا الالتزام ينتفي في كثير من القصص الأدبي الذي يبرز الانحراف - أحيانا- ويدعوا إلى الإلحاد، والمروق من الدين، ويسخر من الدين وعلمائه، ويدعوا إلى الرضا بالأخلاق السيئة مثل انتحار البطل إذا فشل"(٢)

مما سبق يتبين أن القصص في الإسلام يتميز عن القصص الأدبي في موضوعاته، وأساليبه، وأهدافه.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال التفرقة بين الكذب والفن القصصي إن هناك فرقا واضحا بين الكذب والفن القصصي، فالكذب مخالفة الخبر للواقع لتحقيق هدف سيء،أما الفن القصصي فلا يكون لغرض سيء، وإنما للتسلية وضرب الأمثال يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" والواقع أن هذا الكلام لا يدخل العقل، فالكذب هو تعمد حكاية ما جرى على غير وجهه

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني(المتوفى: ٦٥٤هـ)/ ٤٥٩/ الجمهورية العربية المتحدة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي. دون

(٢) القصص القرآني - د/ عبده إبراهيم بلبول/ ص١٥٩- ١٦١ بتصرف/ رسالة دكتوراة ـ كلية أصول الين بالقاهرة.

الذي وقع به بغية تضليل السامع لغرض من الأغراض السيئة.

أما الفن القصصي فليس فيه تعمد كذب، بل يقصد به التسلية وضرب المثل واستخلاص العبرة واستعراض المهارة اللغوية والفنية..." (١)

– وأوضح بعض الباحثين أن القص يرتبط ارتباطا وثيقا بالبحث عن الحقيقة فقال:

" فإن القص مرتبط بقضية البحث عن الحقيقة التي يسعى الإنسان إلى اكتشافها في دروب الكون ومتاهات الحياة، والقص وسيلة لنقل الحقائق المتمثلة في أفعال الناس وعلاقة بعضهم ببعض من ناحية وعلاقتهم بالقوى المتحكمة في حياتهم منظورة كانت أو غير منظورة من ناحية أخرى" (٢)

– وأكد البعض الآخر أن الأسلوب القصصي من أكثر المواعظ تأثيرا في القلوب فقال:

" دلت التجربة التربوية على أن أشد المواعظ نفاذا إلى القلوب ما عرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص، والتأثر بالأحداث والانفعال بالمواقف" (٣)

ـ مما سبق يتبين أن الفن القصصي يختلف اختلافا واضحا عن الكذب، وأن له ارتباطا وثيقا بالبحث عن الحقيقة، وأنه يبرز قيما إنسانية خاصة يستفيد منها المستمع، ويستخدم في المواقف التربوية والدعوية لما يتمتع به من تأثير في القلوب، ولكن يوجد مع ذلك بعض القصص التي لا تبني قيما، ولا تربي نشأ، بل ربما تفسد الأخلاق، كقصص التي تتحدث عن الجرائم دون أن تسلط الضوء على ما يتعلمه القارئ أو المستمع من ذلك.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال موقف علماء الإسلام من الفن القصصي:

لم يكن الفن القصصي بالأمر المستحدث في الإسلام، وإنما تناول علماء المسلمين القدامى الحديث عنه في كتبهم، ويشير الدكتور إبراهيم عوض – حفظه الله– إلى هذا فيقول:

"وليس من المعقول أن يكون علماؤنا القدامى كلهم بهذه العقلية السطحية الساذجة، وفيهم فطاحل المفكرين والفلاسفة والنقاد والمفسرين والفقهاء من كل لون وشكل ومذهب.

بل لقد تناول بعض كبارهم الكلام في هذا الفن، كالجاحظ وأبي الهلال العسكري وابن الأثير وغيرهم ولم يقل أي منهم شيئا من مثل هذا بتاتا" (٤)

---

(١) كتابات استشراقية ـ د/ دإبراهيم عوض/ ٧٥.

(٢) فن القص في النظرية والتطبيق د/ نبيلة إبراهيم/ ٣/ مكتبة غريب ـ الفجالة. بدون.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن ـ التهامي نقرة/ ٤٤/ الشركة التونسية للتوزيع/ ط(١) ـ١٩٧٤م.

(٤) كتابات استشراقية ـ د إبراهيم عوض/ ٧٥.

ـ ويوضح ـ فضيلته ـ أن ما وجد في كتب التراث، كـ(تنبيه الغافلين للسمرقندي) مما يفهم منه ذم القصاص كان رفضا لمبالغات بعضهم وكذبه، وليس رفضا للفن القصصي فيقول:

" صحيح أن في بعض كتب التراث زراية على قصاص المسجد من الذين يتصدون لوعظ الجماهير بأسلوب التهويل الكاذب والمبالغات الفاسدة والروايات التي ليس لها أصل، لكن مبعث هذا الهجوم هو أن أولئك القصاص يفسدون بهذه الطريقة على العامة أمر دينهم.

فهذا الموقف حيال القصاص لا يعود إذن إلى كراهية أو احتقار لفن القصص في حد ذاته، بل إلى أن كثيرا من طائفة القصاصين كانوا عوام الفكر يعتمدون في وعظهم على الخرافات والمبالغات التي لا يقبلها العقل ناسبين خرافاتهم ومبالغاتهم الى الدين ذاته، موهمين الناس أنها من أحاديث النبي ﷺ....

وعلى العكس من ذلك نجد الجاحظ (١)مثلا يعلي من شأن القصاص المخلصين كما نقرأ في كتابه "البيان والتبيين".

ولكي تتضح الصورة ويعرف القارئ أن ذلك الموقف من القصاص لم يكن تعبيرا عن رفض القصص بوصفه فنا أدبيا بل رفضا للخرافات والمبالغات وإفساد الدين...

فقد قال ابن قتيبة (٢)مثلا في "تأويل مختلف الحديث": "إن الحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه:

منها الزنادقة واجتيالهم للإسلام وتهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة...

ومنها: القصاص على قديم الزمان فإنهم يُميلون وجوه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث... (٣) (١)

---

(١) الجاحظ (١٦٣- ٢٥٥ هـ = ٧٨٠- ٨٦٩ م) عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام لبديع التصانيف كان من أهل البصرة وأحد شيوخ المعتزلة وقدم بغداد فأقام بها مدة، وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة، منها " الحيوان"، و " البيان والتبيين " و " سحر البيان " و " التاج" ويسمى أخلاق الملوك،/ تاريخ بغداد/ ١٢/ ٢١٢ـ ٢١٩ باختصار، الأعلام/ الزركلي/ ٥/ ٧٤.

(٢) أحمد بن عبد الله بن مُسلِم بن قتيبة أبو جعفر الكاتب ولد ببغداد، وروى عن أبيه كتبه المصنفة، وولي ابْن قتيبة قضاء مصر، سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، وتوفي بمصر وهو على القضاء فِي شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة./ تاريخ بغداد/ ٥/ ٣٧٨، الأعلام/ ١/ ١٥٦.

(٣) تأويل مختلف الحديث ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري/ ٢٧٩/ دار الجيل- بيروت، ١٣٩٣ – ١٩٧٢م.

ـ وزيادة في الإيضاح يذكر الباحث أقوال بعض العلماء الوارد على ألسنتهم ذم القص، وأقوال بعض العلماء الوارد على ألسنتهم مدح القص، ثم يرجح بينهما

ـ فمن الكتب التي ورد فيها ذم القص ما ذكره الأبشيهي(٢) في المستطرف، حيث بين نهي النبي ﷺعن القص، وأنه لم يكن في زمن أحد من الخلفاء فقال:

"فقد رُوي عن رسول الله أن بني إسرائيل لما قصوا هلكوا وروي أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص، وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله، ولاعهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وإنما كان القصص حين كانت الفتنة، وقال ابن المبارك سألت الثوري: مَنْ الناس؟ قال العلماء، قلت فمن الأشراف؟ قال المتقون، قلت فَمَنْ الملوك؟ قال الزهاد، قلت فَمَنْ الغوغاء؟ قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام".(٣)

ويوضح ابن الجوزي أن معظم البلاء يقع من القصاص لعدم تحريهم الصحاح فيقول:

"قوم شق عليهم الحفظ فضربوا نقد الوقت وربما رأوا أن الحفظ معروف فأتوا بما يغرب مما يحصل به مقصودهم فهؤلاء قسمان أحدهما القصاص.

ومعظم البلاء منهم يجري، لأنهم يزيدون أحاديث تثقف وترقق والصحاح يقل فيها هذا" (٤)

ـ وينقل الإمام الغزالي موقفا للأعمش(٥) مع بعض القصاص الكاذبين فيقول:

"ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لِمَ أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما

---

(١) كتابات استشراقية/ ٧٥، ٧٦ بتصرف.

(٢) الأبشيهي (٧٩٠- ٨٥٢ هـ = ١٣٨٨- ١٤٤٨ م) محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي، بهاء الدين، أبو الفتح: أديب، واعظ ولد بأبشويه، ودخل القاهرة، وحضر دروس الجلال البلقيني، وولي خطابة بلده، وتوفي بعد سنة ٨٥٠ هـ.، من آثاره: (المستطرف من كل فن مستطرف، أطواف الأزهار على صدور الأنهار في الوعظ)/ الأعلام/ ٥/ ٣٣٢، معجم المؤلفين/ ٩/ ٢٢

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف . شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي/ ٢٢٥/ دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

(٤) كتاب الموضوعات ـ للعلامة الإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزي القرشى (٥١٠- ٥٩٧)/ ١/ ٤٤/ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة . ط(١) (١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م).

(٥) الأعمش الحافظ الثقة شيخ الإسلام أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي: أصله من بلاد الري رأى أنس بن مالك وحفظ عنه وروى عن بن أبي أوفى وعكرمة،له نحو من ألف وثلاثمائة حديث.، وقال يحيى القطان: الأعمش علامة الإسلام توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة، وله سبع وثمانون سنة رحمه الله تعالى./ تذكرة الحفاظ/ الذهبى/ ١/ ،١١٦، الأعلام/ ٣/ ١٣٥.

حدثتك.

وقال الإمام أحمد: أكثر الناس كذبا القصاص..." (١)

ـ ويشير بعض علماء الأزهر إلى أن الذم الوارد في كتب العلماء للقص المقصود به الإسرائيليات فيقول:

"وخلاصة هذا الأمر أن مجال القص قد استهوى بعض الناس فراحوا يضعون من القصص ما لا أصل له ولا أساس من الصحة، ليستمنحوا عطايا الناس أو يستدروا عطفهم أو غير ذلك.

وأخطر ما في الموضوع أن يختلق هؤلاء قصصا لا أصل له ثم ينسبونه إلى رسول الله ﷺ، فتتلقفه أيادي العامة... ويذيعونه على الناس ثقة فيمن قاله، ومن ثم نبه أئمة الجرح والتعديل على أن هذا المجال هو أخصب المجالات لوضع الأحاديث

" فإذا ما ورد في السنة أو كلام الأئمة ما يفيد ذم القص أو القصاص فهو محمول على ما يتطرق إليه الشك والاختلاف، وهو ما اصطلح على تسميته بالإسرائيليات.

فإذا تحرى الداعية صدق الرواية، وحرص على انتقاء الأخبار التي لا تتعارض مع عقل أو نقل فلا ضير فيما يورده من قصص"(٢)

ومن العلماء الذين نقل عنهم مدح القص، وعدم رفضه ما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين فقال:" وأما حديث القصص والرقة فإني لم أر أحدا يعيب ذلك" (٣)

وما نقله الإمام أبو حامد الغزالي عن الإمام أحمد بن حنبل في الإحياء فقال:

" قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس إلى قاص صادق، فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقا صحيح الرواية، فلست أرى بها بأسا، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومىء إلى هفوات، أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتفكيرات متداركة بحسنات تغطى عليها، فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته، ويمهد لنفسه عذرا فيه، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر، فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو، وإن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدرى، فبعد الاحتراز عن هذين

---

١) إحياء علوم الدين ـ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد/ ١/ ٦٨/ ط دار االمعرفة – بيروت . بدون.

(٢) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية (دراسة تحليلية تربوية) . د/ طلعت محمد عفيفي/ ٣٣، ٣٤بتصرف . ط(١) . ٢٠٠٢م . مكتبة الإيمان ـ القاهرة.

(٣) البيان والتبيين ـ الجاحظ/ ٧٠/ دار صعب – بيروت ـ ط(١)، ١٩٦٨م.

المحذورين فلابأس به، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة، وإلى ما يشتمل عليه القرآن، ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار"(١)

ـ وعندما يتأمل الباحث هذه الأقوال يجد أن علماء الإسلام لم يرفضوا الفن القصصي لذاته، وإنما لما كان يترتب عليه من إفساد دين العوام بسبب كثرة ما يذكره بعض القصاص من المبالغات والكذب؛ لذا فقد ذمه البعض.

يقول ابن الجوزي:

" والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله ﷻ قال: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} وقال: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ}، وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبهم يخلط فيما يورد، وربما اعتمد على ما أكثره مخالف، أما إذا كان القصص صدقا ويوجب وعظا، فهو ممدوح"(٢)

ـ ومما سبق يتبين أن الإسلام قدم موقفا واضحا من الفن القصصي، حيث قبل منه ما يخدم أغراضا دينية واجتماعية ثابتة، ورفض ما يقع بسببه الضرر للفرد والمجتمع، وبهذه النظرة أصبح القاص مطالبا بأن يستمد موضوعاته من أحكام القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسير الصالحين.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين ما يلي:

ـ ذكر الدكتور إبراهيم عوض أن الفن القصصي يختلف اختلافا واضحا عن الكذب.

ـ وضح –فضيلته – أن علماء الإسلام لم يرفضوا الفن القصصي لذاته، كما يدعي مثير الشبهة، وإنما رفضوا المبالغات والأكاذيب التي كان يروجها بعض القصاص لأنها تفسد على الناس دينهم.

ولقد كان رد الدكتور إبراهيم على هذه الشبهة موفقا، لكنه جاء مختصرا، وكان من الممكن أن يضيف فوائد الفني القصصي واستخدام القرآن والسنة له.

ـ أن القرآن الكريم استخدم الأسلوب القصصي، ولكنه يستخدمه في أسلوب وعظي تربوي، وهو ما مدحة علماء المسلين.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل صحيح، وإنما تقوم على سوء فهم، أو سوء نية ممن يثيرها.

---

(١) إحياء علوم الدين ـ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد/ ١/ ٧٠.

(٢) تلبيس إبليس ـ ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)/ ١١٠، ١١١/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان ـ ط(١)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

المبحث الثالث:

جهود الدكتور إبراهيم عوض في رد الشبهات المتعلقة بالعبادات:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شبهة الادعاء بأن صلاة الكسوف والخسوف من موروثات الجاهلية والرد عليها.

المطلب الثاني: شبهة الادعاء بأن فريضة الصيام جزء من خطة محمد لتهيئة المسلمين في المدينة للحرب والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة الادعاء بأن الإنفاق على الحج إهدار للأموال العامة والرد عليها.

المطلب الأول:

شبهة الادعاء بأن صلاة الكسوف والخسوف من موروثات الجاهلية والرد عليها:

جاءت العبادات في الإسلام من عند الله العليم الحكيم، فقد شرعها الله لعباده ليتقربوا بها إليه، ولا يستطيع العباد بعقولهم أن يضعوا لأنفسهم ما يتعبدون به إلى خالقهم، فلا يُعبد الله إلا بما شرع، لأن العبادات في الإسلام توقيفية، لا مجال للاجتهاد فيها قال رسول الله ﷺ " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"(١)، كما أنه، كذلك لا مجال للأخذ عن غير المسلمين، فقد حرص الإسلام كل الحرص على ألا يتأثر المسلم بغيره بالأخص في مجال العبادة، ولكن مع ذلك وُجِد مَن يدَّعى بأن هناك عبادات في الإسلام أُخذت عن غير المسلمين، ومن هذه العبادات صلاة الكسوف والخسوف، والتي يزعم البعض أنها مأخوذة من أهل الجاهلية، ولقد تعرض الدكتور إبراهيم عوض– حفظه الله– لهذه الشبهة بالعرض والرد كما سيتبين بمشيئة الله.

أولا عرض الشبهة:

ـ يذكر الدكتور إبراهيم عوض أن خليل عبد الكريم يزعم أن الإسلام يعتمد على الخرافات في بعض تشريعاته، ومن ذلك صلاة الكسوف والخسوف عند المسلمين فيقول:

" فهو يفسر صلاة الكسوف والخسوف على أساس أن الرسول ﷺ وأصحابه كانوا ينظرون إليهما على أنهما من علامات غضب الله، وخاصة أن قوم عاد وثمود عاشوا في جزيرة العرب، وكان هلاكهم على أيدي ظواهر جوية خوارق، نتيجة انتقام السماء منهم، فهذه الصلاة "من آثار

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى ك (الصلح) باب (إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) برقم (٢٦٨٩)/ ٣/ ١٨٤

المعتقدات القبلية " أي أنها خرافة من الخرافات التي ورثها الإسلام وحافظ عليها" (١)
ـ مما سبق يتبين أن مثير الشبهة يدعي أن صلاة الكسوف والخسوف من آثار الخرافات والمعتقدات القبلية.

ثانيا الرد على الشبهة:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان جهل مثير الشبهة وسوء نيته.

(ب) الرد على الشبهة من خلال الحكمة في الكسوف.

(ج) الرد على الشبهة من خلال أقوال بعض المنصفين من المستشرقين.

ـ وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان جهل مثير الشبهة وسوء نيته:

إن كثيرا من المستشرقين وأعداء الإسلام لا يعتمدون في أغلب شبهاتهم على قواعد علمية واضحة، ولا على منطق عقلي متزن، وإنما يعتمدون على العشوائية وخبث الطوية، ومن القضايا التي اتسم كلامهم فيها بالعشوائية تلك الشبهة التي نحن بصدد الحديث عنها، وفي هذا المعنى يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ فيقول:

"هذا كله خبط عشوائي فيه من سوء النية ما يعادل ما فيه من جهل، فليس في هاتين الصلاتين ما يشير إلى شيء من هذه الاعتقادات.

وكل ما ورد عن النبي ﷺ "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا"(٢)

وهو كلام ساطع الدلالة تماما على أن الأمر لا يعدو في نظر الرسول ﷺ أن يكون ظاهرة طبيعية لها قوانينها التي تخضع لها، وليست لها أية علاقة بما يقع في المجتمع من أحداث.

ولو كان الرسول ﷺ يلعب على أوتار الخرافات والشعبذات، أو على الأقل يؤمن بها لانتهز فرصة كسوف الشمس يوم موت ابنه إبراهيم، وأكد ما ظنه بعض الصحابة من أن ذلك مشاركة من السماء للرسول في أحزانه"(٣)

---

(١) اليسار الإسلامي د/ إبراهيم عوض/ ٤٩/ نقلا عن شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة السفر الأول/ محمد والصحابة/ ١٧٠.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في .كتاب (الكسوف) ـ باب (صلاة الكسوف)ـ برقم (٩٠١)/ م٣/ ٦/ ٥١٠.

(٣)اليسار الإسلامي/ ٥٠.

– وتأكيدا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض فقد ورد في شرح سنن النسائي:

" وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، وهو نحو قوله في الحديث الآتي في "الاستسقاء" "يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا". قال الخطابي – رحمه اللَّه تعالى– : كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت، أو ضرّ، فأعلمهم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان مسخّران للَّه، ليس لهما سلطان في غيرهما, ولا قُدرة على الدفع عن أنفسهما، وفيه ما كان عليه النبيّ ﷺ من الشفقة على أمته، وشدة الخوف من ربه" (١)

ـ ثم يبين فضيلته أنه لا علاقة لصلاة الكسوف بعاد وثمود، وأن بعض أتباع الديانات الأخرى يفزعون إلى الصلاة عند الكسوف كالمسلمين على الرغم من عدم معرفتهم بعاد وثمود، ولو كان الأمر كما يدعي مثير الشبهة، لشرع الإسلام صلاة لكل حادثة كونية يُتوقع أن يكون لها تأثير سلبي على البشرية فيقول:

" ونحن نرى عند الكسوف أحيانا أن أتباع الديانات يفزعون إلى الصلاة رغم عدم معرفتهم بعاد وثمود وما جرى لهما، بل ونسب كثير منهم هذه الظاهرة إلى الأرواح الشريرة وظن أنها نذير بنهاية العالم، وهذا هو الفرق بين خرافة الجهل في أديان القوم واستقامة أمور الإسلام مع العلم ومنطقه وقوانينه.

إنه لا علاقة بين ظاهرة الكسوف والخسوف وما حدث لعاد وثمود، فقد كان هلاك عاد بريح صرصر عاتية، وأما ثمود فقد دمرتهم الرجفة كما هو معروف لكل من يتلوا القرآن الكريم، فلو كان تفسير شيخنا صحيحا لشرع الإسلام صلاة العاصفة والزلزلة"(٢)

ـ ويؤكد أن الإسلام شرع صلاة الكسوف والخسوف حرصا منه على ربط أتباعه بالله في جميع الظروف فيقول:

" إن الملاحظ في الإسلام هو حرصه على ربط أتباعه وهم في جميع الظروف والمناسبات واستغلال كل سانحة لتحبيبهم في عمل الخير،وهذا موجود في عمل الرسول الكريم للمسلمين عند مشاهدتهم ظاهرتي الكسوف والخسوف، إذ أمرهم بالدعاء والاستغفار والصلاة والتصدق على

---

(١) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى». ـ محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي/ ١٦/ ٣٨٦/ دار آل بروم للنشر والتوزيع ـ ط(١) ـ ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣ م.

(٢) اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٥٠، ٥١.

المحتاجين"(١)

ـ مما سبق يتبين أن خليل عبد الكريم يعتمد على الجهل وسوء النية في إثارته لهذه الشبهة، وأن الإسلام لا يعتمد على الخرافات في تشريعاته، وأن ظاهرة الكسوف والخسوف

لا تعدو أن تكون ظاهرة طبيعية لها قوانينها في نظر النبي ﷺ، وأنه لا علاقة لصلاة الكسوف والخسوف بما حدث لعاد وثمود.

(ب) الرد على الشبهة من خلال الحكمة في الكسوف:

إن تقلب الظواهر الكونية يدفع العبد إلى توحيد الله، والثقة قدرته ﷻ، كما أنه يوقظ القلوب الغافلة ويدفعها إلى طاعة الله ﷻ.

يقول د/عبدالله الطيار(٢):

" إن المتأمل في ظاهرة الكسوف يقف على حقائق ثابتة، تدفع النفس إلى التوحيد الخالص من كل شبهة، والعمل على طاعة الله والبعد عن المعاصي، فلما تعود الناس على رؤية الشمس كل صباح غفلوا عن كونها من آيات الله، فتأتي ظاهرة الكسوف لتخرج الناس من غفلتهم ولتبين لهم أن الله موجود وأنه وحده المتصرف في الكون، وأنه على كل شيء قدير، فتعود العقول الضالة إلى رشدها والقلوب الغافلة إلى انتباهها فتراقب الله وتتقرب إليه" (٣)

ـ ويوضح بدر الدين العيني أن اختصاص ظاهرتي الكسوف والخسوف بالصلاة دون غيرهما من آيات الله لأن القيامة تقوم وهما منكوسان، فأُمِر المسلمون بالصلاة خوفا من أن يكون كسوفهما لقيام القيامة فيقول:

" ومنها ما قيل أليس في رؤية الأهلة وحدوث الحر والبرد وكل ما جرت العادة بحدوثه من آيات الله تعالى فما معنى قوله في الكسوفين أنهما آيتان، وأجيب بأن هذه الحوادث آيات دالة على وجوده ﷻ وقدرته، وخص الكسوفين لإخباره عن ربه ﷻ أن القيامة تقوم وهما منكوسان وذاهبا النور، فلما

---

(١)المرجع السابق/ ٥١.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، ولد ١٣٧٣هـ، نشأ يتيما، حيث توفى والده وعمره أربعة أشهر، تخرج بكلية الشريعة بالرياض، وأتم دراسته حتى حصل على الدكتوراه، ثم تدرج فى الوظائف حتى عين عميدا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء، ثم عميدا لعدد من الكليات الأخرى، ثم عين وكيلا لوزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، له ما يزيد على سبعين مؤلفا، من أهمها (البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، التكافل الاجتماعي فى الفقه الإسلامي، الصلاة)./ الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة/ تاريخ الدخول ١٠/ ٤/ ٢٠١٨.

(٣) الصلاة ـ عبدالله محمد الطيار/ ٣٠٨ بتصرف/ مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م.

أعلمهم بذلك أمرهم عند رؤية الكسوف بالصلاة والتوبة خوفا من أن يكون الكسوف لقيام الساعة ليستعدوا لها" (١)

ويجمع في موضع آخر العديد من الحكم لصلاة الكسوف والخسوف فيقول:

" ما الحكمة في الكسوف والجواب ما قاله أبو الفرج فيه سبع فوائد:

الأول: ظهور التصرف في الشمس والقمر

الثاني: تبيين قبح شأن من يعبدهما

الثالث: إزعاج القلوب الساكنة بالغفلة عن مسكن الذهول

الرابع: أن يرى الناس نموذج ما سيجري في القيامة من قوله وجمع الشمس والقمر كما في قوله تعالى: "وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" (القيامة: ٩)

الخامس: أنهما يوجدان على حال التمام فيركسان ثم يلطف بهما فيعادان إلى ما كانا عليه فيشار بذلك إلى خوف المكر ورجاء العفو

السادس: أن يفعل بهما صورة عقاب لمن لا ذنب له

السابع: أن الصلوات المفروضات عند كثير من الخلق عادة لا انزعاج لهم فيها ولا وجود هيبة، فأتى بهذه الآية وسنت لهما الصلاة ليفعلوا صلاة على انزعاج وهيبة" (٢)

ـ ويضيف ابن دقيق العيد(٣)ـ رحمه الله ـ أن معرفة أهل الحساب بموعد الكسوف والخسوف لا ينافي تخويف الله عباده بوقوعهما فيقول:

" ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء لأن لله أفعالا على حسب العادة، وأفعالا خارجة عن ذلك، وقدرته حاكمة على كل سبب، فله أن

---

(١) عمدة القاري. بدر الدين العيني . باب (الصلاة في كسوف الشمس)/ ٧/ ٦٦/ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق/ ٧/ ٦٦.

(٣) محمد بن على بن وهب أبى الطاعة القشيرى.،الإمام العلامة شيخ الإسلام قاضى القضاة تقى الدين أبو الفتح ابن الشيخ الإمام القدوة مجد الدين بن دقيق العيد، أحد علماء وقته بل أجلهم وأكثرهم علما ودينا وورعا وتقشفا، نشأ بقوص واشتغل على والده بمذهب مالك ودرس فيه بمدينة قوص، ثم تمذهب بمذهب الشافعي على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبرع في علوم لا سيما علم الحديث، مات حادى عشر صفر سنة اثنين وسبعمائة، وهو عالم هذه، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة). له تصانيف، منها (إحكام الأحكام والإلمام بأحاديث الاحكام)/ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب ـ ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤ هـ)/ ١/ ١٧٥/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ ط(١)، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م/ الأعلام/ ٦/ ٢٨٣.

يقتطع ما يشاء من الأسباب والمسببات بعضها عن بعض، وإذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وأنه يفعل ما يشاء إذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسباب تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله خرقها، وحاصله أن الذي يذكره أهل الحساب إن كان حقا في نفس الأمر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى"(١)

ـ مما سبق يتبين أن الكسوف والخسوف يقومان على حقائق كونية ثابتة في غالب الأمر، وأنهما علامتان من علامات قدرة الله في الكون تدفعان الناس إلى اليقظة من غفلتهم، وتربطان الناس بربهم ﷻ، وأن صلاة الكسوف والخسوف شرعت خوفا من أن يكون كسوفهما لقيام الساعة، وأن معرفة أهل الحساب لمواعيد كسوف الشمس وخسوف القمر لا تنافي الحكمة من تخويف الله عباده بهذه الآيات. (ج) الرد على الشبهة من خلال أقوال بعض المنصفين من المستشرقين:

لقد حاز النبي ﷺ على إعجاب كثير من المستشرقين والغربيين في مناسبات عديدة، تارة بسبب تأثيره في المجتمع، وأخرى بسبب عدله، وثالثة لحسن خلقه،...إلخ، ومن المواقف التي حاز فيها على إعجاب المستشرقين موقفه من ظاهرة الكسوف والخسوف، ويشير الدكتور أبو شهبه(٢) إلى هذا فيقول:

" وقف بعض المستشرقين ممن كتب في هذه القصة منها موقف الإجلال والإعظام، ولم يستطيعوا كتم إعجابهم وإكبارهم للنبي وإعلان عرفانهم بصدق إنسان لم يرض في أدق المواقف إلا الصدق وإعلان الحق"(٣)

---

(١) فتح الباري - ابن حجر/ ٣/ ٥٣٧/ دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩.

(٢) (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م) محمد محمد أبو شهبة، أستاذ التفسير والحديث في الدراسات العليا في جامعة الأزهر سابقا، وفي كلية الشريعة بمكة المكرمة حاليا، وعميد ومؤسس كلية أصول الدين في أسيوط، وصاحب المؤلفات العلمية القيمة في الحديث، وعلومه، ورجاله/ من كتبه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)، السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة)/ منهج النقد في علوم الحديث ـ الدكتور نور الدين عتر/ ٧/ دار الفكر، دمشق – سورية.(ط٣)، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م، الوفيات والأحداث/ ٢١٢/ ملف غير مطبوع/ ملتقى أهل الحديث.

(٣) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة. محمد أبو شهبة/ ٢/ ٥٨٢ ـ دار القلم. دمشق/ ط(٨) ـ ١٤٠٨هـ. ١٩٩٨م

– وفي هذا المعنى ينقل الأستاذ محمد رضا(١) في كتابه "محمد رسول الله" عن درمنغم(٢) فيقول: " ومن هؤلاء المستشرقين درمنغم الذي قال في كتابه "حياة محمد " بمناسبة هذا الحادث: " إن محمدا ﷺ كان واسع العقل فرد على هذه الخرافة الجميلة بقوله إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد وهذه كلمات لا يقولها مخادع" (٣)

ـ مما سبق يتبين أن من علماء الغرب من شهد بأن النبيﷺ لم يعتمد على الخرافة في تقريره لهذه الظاهرة.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

ذكر الدكتور إبراهيم عوض أن ظاهرة الكسوف والخسوف في نظر الإسلام لا تعدو أن تكون ظاهرة طبيعية لها قوانينها، بل إن النبي ﷺ قضى على ما كان يعتقده أهل الجاهلية في كسوف الشمس وخسوف القمر لموت عظيم أو ميلاده

أوضح الدكتور إبراهيم عوض أن صلاة الكسوف والخسوف لا علاقة لها بأن عادا وثمود هلكوا بظواهر طبيعية، بدليل قيام العديد من أهل الديانات الأخرى للصلاة عند الكسوف، وهم لا يعرفون ما حدث لعاد وثمود.

جاء رد الدكتور إبراهيم على هذه الشبهة مقنعا إلى حد كبير، حيث بين أن الشبهة من أساسها لا تقوم على أي أسس علمية، واستدل على ماذهب إليه السنة النبوية المطهرة، كما أنه أحسن عندما استدل على بطلان الشبهة بعدم وجود صلاة لأي من الظواهر الطبيعية الأخرى.

وكان من الممكن أن يضيف– فضيلته– بعض الردود الأخرى منها مايلي:

أن من حِكَمِ الله في ظاهرة الكسوف الخسوف وصلاتهما دلالة على قدرة الله في خلقه،

---

(٣) محمد رضا هو أديب مصري، ولد في مصر ونشأ فيها، تعلَّم اللغة العربية وآدابها وبرع فيها، شغل منصب أمين مكتبة الجامعة بالقاهرة، وكان أحد المدرسين بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية.، مؤلفاته: له مؤلفات عديدة في التاريخ الإسلامي، والفلسفة، والتربية، من هذه المؤلفات(محمد رسول الله ـ أبو بكر الصديق . التجارب فى الأخلاق) وفاته: توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ-١٩٥٠) الموقع الرسمى للمكتبة الشاملة.

(٢) (إميل درمنغم :E.Dremenghem مستشرق فرنسى، عمل مديرا لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من ادق ما صنّفه مستشرق عن النبى صلى الله عليه وسلم، و (محمد والسنة الاسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عددا من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الافريقية)، و (حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و (نشرة الدراسات العربية...(الخ..– المستشرقون –نجيب العقيقي– ١/ ٢٩٧.

(٣) محمد رسول الله ـ محمد رضا/ ٣٤٥/ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٩٧م.

وأنه وحده المتصرف في الكون، مما يدفع الناس إلى الاستيقاظ من غفلتهم وعبادة الله وحده والتقرب إليه، والخوف من أن يكون كسوف الشمس أو خسوف القمر لقيام الساعة، حيث إنها تقوم وهما منكوسان.

أن المنصفين من علماء الغرب لم يستطيعوا أن يخفوا إعجابهم بموقف النبي ﷺ عند كسوف الشمس يوم وفاة ابنه إبراهيم، وأكدوا عدم اعتماد النبي ﷺ على الخرافة والجهل في تقريره لهذه الظاهرة.

وبهذا تسقط الشبهة، ويتبين أنها لا تقوم إلا على الجهل وسوء النية، وأن صلاة الكسوف ليست من آثار الخرافات والمعتقدات القبلية، وهذا ما قرره الدكتور إبراهيم عوض.

المطلب الثاني:

شبهة الادعاء بأن فريضة الصيام جزء من خطة محمد لتهيئة المسلمين في المدينة للحرب والرد عليها:

إن كثيرا مِنَ المستشرقين ومَنْ تأثر بهم، ينظرون إلى النبي ﷺ على أنه رجل سياسة، وليس على أنه مرسل من عند الله، فهم لا يؤمنون برسالته، ومن ثم يفسرون كل ما جاء به تفسيرا سياسيا، ومن ذلك تفسيرهم عبادة الصيام أنها وسيلة من محمد لتدريب المسلمين على تحمل الجوع والعطش لكثرة الحروب التي يقومون بها، وقد تعرض الدكتور إبراهيم عوض لهذه الشبهة بالعرض والرد، وفيما يلي بيان ذلك.

أولا عرض الشبهة:

ـ يذكر خليل عبد الكريم أن المسلمين بعد الهجرة عملوا على إنشاء دولة قريش، ومن أجل ذلك شرع الصيام كجزء من خطة محمد لتأهيل مجتمع المدينة للحروب والغزوات فيقول:

أما بالنسبة للصيام فقد كتب خليل عبد الكريم في الصفحة العاشرة من "صحيفة الأهالي" بتاريخ ٧ فبراير ١٩٩٦م مقالا بعنوان "مجرد اجتهاد: الصيام فريضة المجتمع المعسكر" جاء فيه ما نصه "عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تغيرت الصورة جذريا، ولم يعد المسلمون مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس، بل شرعوا في إنشاء دولة حصرا هي "دولة قريش"، أخذت تطلق السرايا، وتشن الغزوات للسيطرة على جزيرة العرب، وذلك عبر أسلمة القبائل، حيث جاءت الأوامر حاسمة قاطعة كحد السيف "فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ" (التوبة:٥)

من أجل هذا كان مجتمع يثرب بمثابة معسكر حرب تخرج منه كل شهر ونصف غزوة، أو

سرية، أو بعث، أو فرقة لأداء مهمة خاصة...، والمجتمع المعسكر له موجباته الخاصة، منها أن يتمرن أفراده المدنيون على تحمل آلام الجوع والعطش إذا أحاط بهم عدو..، فإن الصوم بحالته التي نراها اليوم، كان جزءا من خطة رسمها رسول الله ﷺ لتأهيل مجتمع المدينة عامة، وجنود الغزوات والسرايا والبعوث وفرق المهمات الخاصة"(١)

مما سبق يتبين أن مثير الشبهة يعمل على إقناع القارئ بأن الصيام ليس مفروضا من قبل الله ﷻ على المسلمين، وإنما فرضه النبي على أصحابه لتهيئتهم للقتال، وبالتالي فلا داعي لأدائه

ثانيا الرد على الشبهة ويتلخص في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال عالمية الإسلام.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بعض أحكام الصيام والجهاد.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال حكمة مشروعية الصوم.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أسبقية الإذن بالقتال على فرض الصوم

(هـ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال فرض الصيام على الأمم السابقة.

- وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال عالمية الإسلام:

يذكر الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ خطأ ادعاء مثير الشبهة بأن النبيﷺ أقام دولة قريش في المدينة فيقول:

" لكننا نلفت نظر القارئ الكريم إلى الحقائق التالية التي تبرهن أقوي برهان أن هذه الدعوى لا تستند إلا إلى المغالطة والتدليس والجهل.

فالدولة التي أقيمت في المدينة لم تكن دولة قريش، وإنما كان القرشيون مجرد جزء منها، وهو بالتأكيد جزء صغير بالمقارنة بأهل المدينة الأصليين من الأوس والخزرج واليهود، وكذلك المهاجرين المسلمين من غير قريش، أما على الجانب الآخر فقد كان معسكر الأعداء (كله فى البداية ثم معظمه بعد ذلك وقيادته) من القرشيين، وهو ما يهدم دعوى الكاتب هدما تاما"(٢)

ـ ويوضح فضيلته أن النبي ﷺ لو أرادها دولة قرشية لما عاد إلى المدينة بعد فتح مكة فيقول:"ولو كان النبي يريدها دولة قرشية لما هاجر من مكة، أو لما عاد على الأقل إلى المدينة بعد فتح مكة

---

(١) اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٥٧، ٥٨.

(٢) اليسار الإسلامي/ ٥٨، ٥٩.

ودخول من لم يكن قد دخل من قريش قبل ذلك في الإسلام

ولقد ظن الأنصار أنه بعد الفتح سيبقى في مسقط رأسه...، ولكنه أكد لهم أنه معهم إلى آخر العمر... قائلا لهم "معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم(١)"(٢)

ـ ويؤكد أن الصيام لو فرض لإعداد المسلمين لحرب العرب، لتوقف المسلمون عن أدائه بدخول لعرب في الإسلام فيقول:

" لو كان الصيام فرضا على المسلمين لتهيئتهم لحرب العرب لكانت النتيجة الطبيعية لدخول العرب جميعا في الإسلام في أواخر حياة الرسول ﷺ هي إلغاء هذا الفرض، إذ قد تمت الغاية منه، ولم تعد ثمة حاجة إليه"(٣)

ومما يمكن أن يضيفه الباحث لما سبق ما يلي:

ـ أن القرآن الكريم والسنة النبوية أقرا منذ الوهلة الأولى بأن الدعوة الإسلامية لن تتوقف عند حدود العرب؛ فالله سبحانه وتعالى أرسل النبي ﷺ للناس كافة "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّة لِلنَّاسِ بَشِيرا وَنَذِيرا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (سبأ:٢٨)

والنبي ﷺ يقول: " أُعْطِيتُ خَمْسا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدا وَطَهُورا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّة، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّة، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ "(٤)

ولذلك بشر النبي ﷺ بامتداد دولة الإسلام إلى الفرس والروم في أحلك الظروف أثناء الهجرة، وعند اجتماع الأحزاب عليه في المدينة كما جاء في كتب السير.

ومن ذلك ما ورد في السيرة الحلبية:

" قال سراقة: يا محمد إني لأعلم أنه سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس، فعاهدني أني إذا أتيتك يوم ملكك فأكرمني فأمر عامر بن فهيرة

وقيل أبا بكر فكتب لي في رقعة من أدم. وقيل في قطعة من عظم وقيل في خرقة

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه في باب (قوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل) برقم (١١٢٩٧)/ ٦/ ٣٨٢ط/ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.، إسناده صحيح.

(٢) اليسار الإسلامي/ ٥٩.

(٣) المرجع السابق/ ٦٤.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الصلاة)ـ باب(قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) برقم (٤٣٨)/ ١/ ٩٥.

أقول وحينئذ يمكن أن يكون كتب عامر بن فهيرة أولا، فطلب سراقة أن يكون أبو بكر هو الذى يكتب، فأمره رسول الله ﷺ بكتابة ذلك، فأحدهما كتب في الرقعة من الأدم والآخر كتب في العظم أو الخرقة أو المراد بالخرقة الرقعة من الأدم فلا مخالفة.

ولما أراد الانصراف قال له: كيف بك ياسراقة إذا تسورت بسوارى كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز، قال: نعم"(١)

وزيادة على ما سبق تأكيده، فقد أعد النبي ﷺ جيشا لملاقاة الروم قبل وفاته، وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بعد مراجعة كثيرة من الصحابة له في ذلك، وكل ذلك يأبى عليهم ويقول: والله لا أحل راية عقدها رسول الله ﷺ.

" فساروا حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام، حيث قتل أبوه زيد وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم، فأغار على تلك البلاد وغنم وسبى وكر راجعا سالما مؤيدا. (٢)

ـ مما سبق يتبين أن إعداد النبي للدولة في المدينة كان إعدادا لدولة إسلامية عالمية وليس لدولة قرشية، وأن الصوم لم يفرض لمحاربة العرب وإعداد الدولة القرشية كما يدعي مثير الشبهة، وإنما فرض باعتباره من أسمى وأرقى العبادات التى كلف الله سبحانه بها عباده المؤمنين في الإسلام وفي سائر الرسالات السابقة لأنه سبيل إلى صلاح القلوب واستقامة السلوك.

(ب) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بعض أحكام الصيام والجهاد:

إن من يتأمل أحكام الصيام والجهاد يتيقن أن الصيام لم يفرض لإعداد المسلمين للجهاد، حيث إن هناك فئات غير مطالبة بالجهاد لكنها مطالبة بالصيام، كما أن إيجاب الكفارة على غير المستطيع تنفي أن يكون المراد من الصيام في الإسلام التهيئة للجهاد، ويشير الدكتور إبراهيم عوض ـ حفظه الله ـ إلى هذا فيقول:

" لو كان المقصود بالصوم تهيئة المسلمين للحروب التي كان عليهم أن يخوضوها، فلِمَ فُرِض على النساء أيضا؟ والغزو غير واجب عليهن ولم يكُنَّ يشاركن فيه اللهم إلا بسقي العطشى ومداواة الجرحى إن فعلن؟، ولِمَ فُرِضَ على العميان والعرجان والشيوخ والمتفرغين للتفقه في الدين الذين لم

---

(١) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المشهور بـ (السيرة الحلبية) ـ علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥/ ١٠٤٤)/ ٢/ ٣٢١/ ط.دار المعرفة ـ ـ بيروت ـ ط ١٤٠٠هـ.

(٢) السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير/ ٤/ ٦١٦/ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت – لبنان ـ ١٣٩٦هـ.

يكونوا يخرجون للغزو والقتال؟"(١)

ـ ويوضح ـ فضيلته ـ أن الصيام لو فرض لتهيئة المسلمين عسكريا لروعي فيه تحقيق المشقة على الدوام، ولكن الواقع خلاف ذلك، وأنه لا دليل في القرآن أو السنة يمكن أن يفهم منه مثل هذا الادعاء فيقول:

" لو كان المقصود بالصيام تهيئة المسلمين عسكريا لتوخيت فيه المشقة بكل سبيل، وروعي فيه مثلا أن يكون في فصل الحر دائما، وأن يؤخر الفطر ويعجل السحور، وأن يصوم من أكل أو شرب ناسيا يوم آخر بدل اليوم الذي أفطره لكونه لم تتحقق فيه الحكمة من تهيئة الفرد لتحمل مشاق الحروب والغزوات.

أتحدى أي إنسان أن يأتي بنص من القرآن أو من الأحاديث يمكن أن يفهم منه ولو بالتأويل المتمحل أن الصوم شرع من أجل تهيئة المسلمين عسكريا للغزو...، بل العكس هو الصحيح، فقد أمر الرسول ﷺ أتباعة في سفرهم لفتح مكة أن يفطروا قائلا تَقُوَّوْا لِعَدُوِّكُم"(٢) ثم أفطر معهم.

وفي غزوة أخرى قام المفطرون وحدهم بأعمال المعسكر لأن الصائمين كانوا مجهدين...، فقال الرسول قولته ذات المغزى "ذَهَبَ المُفْطِرُونَ اليَوْمَ بِالأَجْرِ"(٣)

وبالمناسبة فليس هذا التخفيف في أثناء الغزو خاصا بالصيام وحده، بل هو أمر ملحوظ في الصلاة أيضا (صلاة الخوف) وكذلك في الحج إذا أحصر المسلم".(٤)

ـ ويؤكد على أن الصيام لو فرض لتهيئة المسلمين للحرب لما اهتم فيه بمراعات الجوانب الأخلاقية فيقول:

" لو كان الصيام قد شرع لتهيئة المسلمين لمقاتلة سائر العرب، لانصب الاهتمام فيه على الامتناع عن الطعام والشراب والجماع، بيد أن الأحاديث النبوية تتضافر على الجانب الأخلاقي والنفسي فيه، بحيث إن المسلم قد يصوم طوال رمضان عن شهوات البطن والفرج، ثم لا يحسب له هذا

---

(١) اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٦٢.

(٢) أخرجه الإمام أبو داوود في سننه في كتاب (الصيام) باب (الصائم يصب عليه الماء من العطش ويبالغ في الاستنشاق) ـ برقم ٢٣٦٥/ ٤/ ٤٥/ تعليق الشيخ الأرنؤوط ك: إسناده صحيح ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٣) أخرجه لإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الجهاد والسير) باب (فضل الخدمة في الغزو)ـ برقم (٢٨٩٠)/ ٤/ ٣٥.

(٤) اليسار الإسلامي ـ دإبراهيم عوض/ ٦٠ـ ٦٣ بتصرف.

الصيام بسبب عدم امتناعه عن الغيبة والنميمة وقول الزور...إلخ"(١)

ويضيف فضيلته ـ قائلا:"ولو كان الصيام قد فرض لتهيئة المسلمين للحرب لما فرضت كفارة على من لا يستطيعون أداءه، إذ إن الحكمة من وراء فرضيته قد تعطلت وانتهى الأمر...، وعلى أية حال فلِمَ لم يوجه مال الكفارة إلى شراء السلاح للجيش والإنفاق على الجنود بدلا من إعطائه للمساكين؟"(٢)

ـ مما سبق يتبين أن القول بأن الصوم قد فرض لتهيئة المسلمين للحرب وإعدادهم للقتال والغزو ادِّعاء لا أساس له من الصحة على الإطلاق، ولا يؤيده عقل ولا شرع ولا واقع.

(ج) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال حكمة مشروعية الصوم:

بالإضافة إلى ما سبق، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أوضحا الحكمة من الصيام والغاية منه، ألا وهى حسن الخلق وتحقيق التقوى، وفي هذا المعنى يذكر الدكتور/إبراهيم عوض فيقول:

" وعلى أية حال فقد نص القرآن والحديث على الحكمة من فرض الصوم ففي القرآن "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة: ١٨٣)

وفي الحديث " الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ".(٣)

ومن الواضح أن الغاية من فرض الصيام، هي مساعدة المسلم على إرضاء ربه والتخلق بخلق التقوى". (٤)

ـ وتأكيدا لما أشار إليه الدكتور إبراهيم عوض يذكر الدكتور محمد سيد طنطاوي ـ رحمه الله– أن الصيام وقاية من المعاصي، ومن عذاب الآخرة، ومن العلل والأمراض فيقول:

" وقوله: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } جملة تعليلية جيء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام، فكأنه – سبحانه – يقول لعباده المؤمنين: فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه على الذين من قبلكم، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوى والخشية من الله، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه.

---

(١) اليسار الإسلامي – د/ إبراهيم عوض/ ٦٢.

(٢) المرجع نفسه/ ٦٣.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الصوم) باب (فضل الصوم) برقم (١٨٩٤)/ ٣/ ٢٤.

(٤) اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٦٤.

ولا شك أن هذه الفريضة ترتفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أداها بآدابها وشروطها، ويكفى أن الرسول ﷺ قد قال في شأن الصوم: " الصوم جُنَّة " أي: وقاية، إذ في الصوم وقاية من الوقوع في المعاصي، ووقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن الإفراط في تناول بعض الأطعمة والأشربة"(١)

ـ ويوضح الشيخ الشعراوي أن ارتكاب المعاصي يكون بسبب شره المادية في الجسم، وأن تقليل الطعام يقلل هذا الشره، ولذلك أمر النبي ﷺ مَنْ لم يستطع الزواج من الشباب بالصيام فيقول:

" قول الحق: { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } أي أن نهذب سلوكنا فنبتعد عن المعاصي، والمعاصي في النفس إنما تنشأ من شره ماديتها إلى أمر ما. والصيام كما نعلم يضعف شره المادية وحدَّتِها وتسلطها في الجسد، ولذلك يقول ﷺ للشباب المراهق وغيره: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ "(٢)

وكأن الصوم يهذب شِرَّة المادية في جسم الشاب. وإن تقليل الطعام يعني تقليل وقود المادة، فيقل السعار الذي يدفع الإنسان لارتكاب المعاصي. والصيام في رمضان يعطي الإنسان الاستقامة لمدة شهر، ويلحظ الإنسان حلاوة الاستقامة فيستمر بها بعد"(٣)

ويضيف الشيخ محمد رشيد رضا(٤) بعض الفوائد الصحية والاجتماعية للصيام فيقول:

" وأعظم فوائده من حيث هو رياضة بدنية إزالة مرض تمدد المعدة أو تخفيفه، وهو مرض قلما يسلم منه أحد من المترفين وغيرهم من معتادي الامتلاء من الطعام والشراب، وإفناء الفضلات والمواد الراسبة التي هي سبب أمراض كثيرة، ولاسيما تصلب الشرايين الذي يوهن القوى ويعجل

---

(١) التفسير الوسيط ـ د/ محمد سيد طنطاوي/ م١/ ٢/ ٤٩٦.

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (النكاح) باب (قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح)ـ برقم (٥٠٦٥)/ ٧/ ٣.

(٣) تفسير الشعراوي/ م٢/ ٢/ ٧٦٥بتصرف يسير.

(٤) (١٢٨٢– ١٣٥٤هـ= ١٨٦٥– ١٩٣٥م) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له تنقل بين عدد من البلدان واستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا، و (تفسير القرآن الكريم (المنار)، ولم يكمله/ الأعلام/ ٦/ ١٢٦بتصرف.

الهرم.

وأعظم فوائده الاجتماعية أنه يساوي بين الملوك والسوقة وبين الأغنياء والفقراء، ويُذِّكر الواجد الموسر بحاجة العادم المعسر، ويُلزِم أفراد الأمة النظام الدقيق في مواعيد أكلهم ؛ إذ يتناوله الملايين منهم في وقت واحد" (١)

ـ مما سبق يتبين أن الصيام شرع لتهذيب النفس، وتدريبها على ترك المعاصي والالتزام بالطاعة، والتمسك بحسن الخلق، كما أنه مفيد للإنسان من الناحية الصحية، حيث إنه يعالج العديد من أمراض المعدة، ويحقق كذلك من الناحية الاجتماعية شعور الموسرين بالمعسرين بين أفراد المجتمع.

(د) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال أسبقية الإذن بالقتال على فرض الصوم:

ومما يمكن أن يضاف أيضا أنه من المستبعد عقلا أن الغاية تسبق الاستعداد للوصول إليها، وأن تسبق النتائج المقدمات، وإلا لكان ذلك الاستعداد عبثا، ولقد سبق الإذن بالقتال فرضية الصيام في التشريع.

يقول الدكتور إبراهيم عوض فيقول:

" إن الإذن بالقتال قد نزل بعد بيعة العقبة الثانية، على حين لم يشرع الصيام في رمضان إلا بعد الهجرة بعامين، ولو كان الصيام قد فرض على المسلمين من أجل تهيئتهم عسكريا، أفما كان ينبغي أن يقترن الإذن بالقتال وفرض صوم رمضان معا؟"(٢)

ـ ويبين فضيلته فساد استدلال مثير الشبهة بآية سورة التوبة، حيث إن سورة التوبة لم تنزل إلا في السنة التاسعة من الهجرة فيقول:

" يقول الكاتب إن المسلمين قد شرعوا في إنشاء دولة لإدخال سائر العرب قسرا في الإسلام واستشهد بالآية التي تقول:"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ" (التوبة:٥)

فما رأيه إذا قلنا إن سورة التوبة التي منها هذه الآية لم تنزل إلا في أواخر السنة التاسعة من الهجرة، أي أن هناك مدى زمنيا بين فرضية الصوم ونزول الآية المذكورة التي امتلخها الكاتب من سياقها لغرض في نفسه يبلغ سبعة أعوام؟، إن هذه الآيات وما قبلها وما بعدها...، إنما تتحدث عن

---

(١) مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدا) ـ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) و غيره من كتاب المجلة/ ٢٢/ ٣٤٤ـ مقال بعنوان "حقيقة الصيام وحكمه وفوائده.

(٢) اليسار الإسلامي. د/ إبراهيم عوض/ ٦٢.

المشركين الذين كانت بينهم وبين المسلمين عهود، فخانوها وقتلوا بعض من كان في حلف الرسول ﷺ وأصحابه.

إن مثل هذا الغدر جزاؤه القتل، ومع ذلك فإن القرآن قد أعطاهم فرصة عظيمة حين قال لهم إن حياتهم مصونة إن هم دخلوا في الإسلام، فأين الدولة التي تعامل أعداءها الغدارين بهذه الرحمة وهذا التسامح؟

أما المشركون الذين لم يخونوا ولم يغدروا فهؤلاء لم يكن أحد ليمسهم بسوء، فأين الإكراه على الدخول في الإسلام هنا؟".(١)

وتأكيدا على ما ذكره الدكتور إبراهيم عوض يقول الإمام الزمخشري: "فاقتلوا المشركين"، يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم،" حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ " من حِلٍّ أو حرم " وَخُذُوهُمْ " وأسروهم. والأخيذ: الأسير "، واحصروهم " وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد، وعن ابن عباس ﷺ: حَصْرُهم أن يُحال بينهم وبين المسجد الحرام "كُلَّ مَرْصَدٍ "كلَّ ممرّ مجتاز ترصدونهم به، وانتصابه على الظرف كقوله " لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صراطك المستقيم (الأعراف: ١٦)" فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ " فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر، أو فكفوا عنهم ولا تتعرّضوا لهم"(٢)

ويعلق بعض الباحثين المعاصرين على الآية الكريمة فيقول:

" موضوع الحديث وسياقه يدوران حول مشركي قريش الذين كانوا قد نقضوا صلح الحديبية عهد الأمان الذي عقده معهم الرسول ﷺ لمدة عشر سنوات... وإدراك هذه الحقيقة يزيل كل لبس أو شبهة، فالتوجيه ليس عاما كما يتصور البعض، ولكنه يتصل بحالة نقض الهدنة، ويؤكد ذلك نص الآية التي تليها وهي قوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ" (التوبة:٦)

فهل تعني هذه الصورة بأن هناك أمرا عاما بمطاردة غير المسلمين وقتلهم" (٣)

ـ ويؤكد الدكتور إبراهيم أن آية الإذن بالقتال لم يرد فيها أي إشارة إلى إكراه أحد على الدخول في الإسلام فيقول:

"لقد شرع القتال... ولم يرد فيه أي شيء يدل على أن الهدف منه هو إكراه أحد على اعتناق

---

(١) اليسار الإسلامي ـ د/ إبراهيم عوض/ ٦٤، ٦٥.

(٢) الكشاف ـ الزمخشري/ ٢/ ١٣٩، ١٤٠.

(٣) مواطنون لا ذميون (موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين) ـ فهمي هويدي/ ٢٥٨/ ط. دار الشرق ـ ط(٣)(١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م).

الدين الجديد، بل كانت الحكمة من الإذن به واضحة في الآيات التي نزلت بذلك غاية الوضوح ألا وهي رد الظلم الذي طالما أوقعه المشركون بالنبي ﷺ وصحابته واحتمله هؤلاء سنين عددا.

قال تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (الحج: ٣٩،٤٠)

فهل يرى القارئ في هذا النص شيئا مما يدعيه الكاتب؟". (١)

ـ مما سبق يتبين أن القتال لم يشرع لإكراه أحد على الدخول في الإسلام، وأن الإذن بالقتال سابق على فرضية الصيام، مما يؤكد عدم فرضية الصيام لتهيئة المسلمين للحروب كما يدعى مثير الشبهة.

(هـ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال فرض الصيام على الأمم السابقة:

إن الصيام لم يفرض على المسلمين وحدهم، وإنما فرض كذلك على الأمم السابقة، ولم يدع أحد أنه فرض على هذه الأمم لتهيئتهم للجهاد، وليس من المنطقي أن يُخص المسلمون بغاية لتشريع عام على الأمم السابقة دونهم، وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم عوض:

" ولقد شرع الصوم في كل الأديان تقريبا، فلماذا لا يعزى تشريعه إلى أسوأ البواعث إلا إذا كان الكلام على الصوم الإسلامي؟ أى حقد هذا يا إلهى؟، ثم هل نحن بحاجة إلى أن نقول إن الإسلام لم يأت للعرب وحدهم، وإنما للعالمين جميعا كما تبين الآيات القرآنية منذ العهد المكي والأحاديث المشرفة ".(٢)

ـ ويضيف الباحث بعض نصوص العهدين القديم والجديد، التي تبين وجود الصيام على الأمم السابقة.

ففي العهد القديم:

(أ) صوم الشعب أيام أستير "وَفِي كُلِّ كُورَةٍ حَيْثُمَا وَصَلَ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمَلِكِ وَسُنَّتُهُ، كَانَتْ مَنَاحَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ، وَصَوْمٌ وَبُكَاءٌ وَنَحِيبٌ" (٣)

---

(١) اليسار الإسلامي. د إبراهيم عوض/ ٦٥، ٦٦. مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق/ ٦٦.

(٣) سفر أستير/ الإصحاح ٤/ فقرة ٣.

(ب) صوم أهل نينوى (فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ. وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِل " (١)

(ج) صوم الشعب أيام عزرا(وَنَادَيْتُ هُنَاكَ بِصَوْمٍ عَلَى نَهْرِ أَهْوَا لِكَيْ نَتَذَلَّلَ أَمَامَ إِلهِنَا لِنَطْلُبَ مِنْهُ طَرِيقا مُسْتَقِيمَة لَنَا وَلأَطْفَالِنَا وَلِكُلِّ مَالِنَا" (٢)

أما بالنسبة للعهد الجديد:

(أ) صيام يسوع عليه السلام أربعين يوما وأربعين ليلة (فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَة، جَاعَ أَخِيرا"(٣)

(ب) صيام الرسل قبل القداسات وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ:«أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ»، فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ، ثُمَّ أَطْلَقُوهُمَا" (٤)

(ج) الصوم في وقت الخطر خلال رحلة بولس الرسول لروما فَلَمَّا حَصَلَ صَوْمٌ كَثِيرٌ، حِينَئِذٍ وَقَفَ بُولُسُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ:«كَانَ يَنْبَغِي أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْ تُذْعِنُوا لِي، وَلاَ تُقْلِعُوا مِنْ كِرِيتَ،(٥).

ـ ويوضح فضيلته أن النبي ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء في الجاهلية فيقول:

" قد كان الرسول عليه السلام يصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ولم تكن هناك دولة عسكرية أو غير عسكرية، أو حروب تحتاج إلى الاستعداد لها بالصوم"(٦)

ـ ويؤيد هذا ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها. قالت:"كَانَ عَاشُورَاءُ يَوْما تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُهُ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا افْتُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ رَمَضَانُ هُوَ الْفَرِيضَةُ وَتَرَكَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ" (٧)

---

(١) سفر يونان/ الإصحاح ٣/ فقرة ٥ـ٧.

(٢) سفر عزرا/ الإصحاح ٨/ فقرة ٢١.

(٣) إنجيل متى/ الإصحاح ٤/ فقرة ٢.

(٤) سفر أعمال الرسل/ الإصحاح ٢/ فقرة١٣.

(٥) سفر أعمال الرسل/ الإصحاح ٢٧/ فقرة ٢١.

(٦) اليسار الإسلامي/ ٦١، ٦٢.

(٧) أخرجه الإمام الترمذي في سننه في أَبْوَاب (الصوم عن رسول اللهِ ﷺ) باب (مَا جاءَ فِي الرخصةِ في تركِ صومِ صومِ يوم عاشوراء) ـ برقم (٧٥٣)/ ٣/ ١١٨ ـ صححه الشيخ الألباني ـ صحيح وضعيف سنن الترمذي ./ ٢/

ـ وربما يرد إشكال بين هذه الرواية التي ذُكِر فيها صيام النبي ﷺ لهذا اليوم في مكة وبين سؤال اليهود عنه بعد قدومه ﷺ المدينة وأمر أصحابه بصيامه كما في روايات أخرى كرواية ابن عباس ﷺ مثلا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ، فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ:«مَا هَذَا؟»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ" (١)

ـ ويزول هذا الإشكال بما ذكره الإمام ابن حجر حيث قال:

" وقد استشكل ظاهر الخبر لا قتضائه أنه ﷺ حين قدومه المدينة وجد اليهود صياما يوم عاشوراء، وإنما قدم المدينة في ربيع الأول والجواب عن ذلك أن المراد أن أول علمه بذلك وسؤاله عنه كان بعد أن قدم المدينة" (٢)

وما ذكره الإمام ابن القيم(٣) رحمه الله ـ فقال: "لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يوم عاشوراء، فليس فيه أن يوم قدومه وجدهم يصومونه، فإنه إنما قدم يوم الاثنين في ربيع الأول

ثاني عشرة، ولكن أول علمه بذلك بوقوع القصة في العام الثاني الذى كان بعد قدومه المدينة" (٤)

ــ ويؤكد ـ فضيلته ـ على جهل مثير الشبهة واستخفافه بعقول العوام فيقول:

"أما قول المؤلف إن الرسول ﷺ اختار شهر رمضان لأنه شهر القيظ اللاهب...، فهو قول يبعث على القهقهة حتى الصباح، ذلك أن رمضان شهر قمري... فتارة يأتي في أول الصيف أو

٢٥٣/ سنن الترمذي . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ـ الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ– ١٩٧٥ م.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الصوم) باب (صيام يوم عاشوراء) برقم (٢٠٠٤)/ ٣/ ٤٤.

(٢) فتح الباري . ابن حجر/ ٤/ ٢٢٧.

(٣) محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعى الدمشقى شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلى العلامة الكبير ولد سنة ٦٩١ إحدى وتسعين وستمائة، وسمع من ابن تيمية ودرس بالصدرية وأم بالجوزية وأخذ الفرائض عن أبيه وأخذ الأصول عن الصفى الهندى وابن تيمية وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق،وله من التصانيف (إعلام الموقعين، وبدائع الفوائد، والداء والدواء، وزاد المعاد فى هدى خير العباد)، وغير ذلك، مات في رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة/ البدر الطالع/ ٢/ ١٣٧، ١٣٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)/ ٢/ ٦٩/ ط. مؤسسة الرسالة، بيروت– مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ـ ط(٢٧) , ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

أوسطه أو آخره وتارة في الشتاء وثالثة في الخريف ورابعة في الربيع"(١)

من هذا كله يتجلى لكل ذي بصر أن جَزْم خليل في مقالته تلك العصماء بأن الصوم إنما شرع ليوائم مجتمع يثرب المعسكر... هو كلام فارغ عار عن الصحة جملة وتفصيلا".(٢)

ـ مما سبق يتبين أن الصيام شرع على الأمم السابقة قبل أمة محمد ﷺ، ومع ذلك فلم يشر مثير الشبهة إلى أن صيامهم كان لتهيئتهم عسكريا مما يدل على التناقض الواضح في ادعائه.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث أن الدكتور إبراهيم عوض بين ما يلي:

– أن النبي ﷺ لم يؤسس دولة قريش في المدينة، وإنما أسس دولة إسلامية عالمية

– أن تشريعات الصيام والرخص التي رخصها الله للصائمين تتناقض مع ادعاء فرض الصيام لتهيئة المسلمين للحرب.

ـ أن الإذن بالقتال كان قبل فرض الصوم، وبالتالي يسقط القول بفرض الصوم لتهيئة المسلمين للحرب، إذ كيف تأتي النتيجة قبل المقدمات، وأن الاستدلال بآية سورة التوبة للتأكيد على إرغام الناس على الدخول في الإسلام استدلال باطل؛ لأنه يتنافى مع سياق الآيات، كما أن سورة التوبة نزلت متأخرة كثيرا على مشروعية القتال.

– أن ادعاء فرض الصيام لتهيئة المسلمين وحدهم للقتال باطل لأنه فرض على الأمم السابقة، وليس على المسلمين وحدهم.

ولقد حالف الدكتور في رده على هذه الشبهة توفيق من الله، حيث تعرض في رده إلى جوانب عديدة، فجاء رده كافيا إلى حد كبير.

وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل، وإنما تقوم على سوء نية مثيرها وحقده على الإسلام والمسلمين.

المطلب الثالث:

شبهة الادعاء بأن الإنفاق على الحج إهدار للأموال العامة والرد عليها:

الله ﷻ خلق الجن والإنس ليعبدوه، ولا تكون العبادة إلا بما شرعه الله ﷻ، وما شرعه ﷻ لعباده لا يخلو من الحكمة والمصلحة، وحاشاه سبحانه أن يخلق شيئا عبثا، أو أن يشرع لعباده ما

---

(١)اليسار الإسلامي/ ٦٣.

(٢) المرجع السابق/ ٦٦، ٦٧.

ليس فيه مصلحة أو حكمة، وكما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:"إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهى عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمةِ إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أوغلت فيها بالتأويل"(١)

ولكنه مع ذلك وُجِد من يتهم بعض العبادات في الإسلام بأنها تخلو من الفائدة والحكمة، بل يرون أنها مضرة، كمن يقول إن الحج فيه إهدار للمال العام، ولقد تعرض الدكتور إبراهيم عوض لهذه الشبهة بالعرض والرد.

أولا: عرض الشبهة:ـ

ـ يزعم خليل عبد الكريم أن الأموال التي ينفقها المسلمون في الحج من باب الإسراف، ويلمح إلى أنها سبب ديون مصر فيقول:

" في كل عام يخرج ما لا يقل عن مائة ألف في أداء الحج ومثلهم للقيام بالعمرة، ومتوسط تكاليف رحلة الواحد منهم ٥٠٠٠ جنيه كحد أدني، أي أن مصر المديونة تخرج من ماليتها العليلة ١٠ مليارات من الجنيهات سنويا، وهو ما يوازن ربع ديونها العالمية." (٢)

ويضيف بأن أداء الحج والعمرة ضمان لمغفرة الذنوب لكل الفاسدين ومرتكبي المعاصي على اختلاف أنواعها، والأميين المضيق عليهم في الرزق فيقول:" والوفاء بهذين الطقسين يحقق أهدافا متنوعة لمختلف الطوائف التي تؤديها، فهناك نسبة واضحة من تجار الصنف، ومستوردي البضائع المغشوشة، واللصوص، والنشالين والقوادين، والشواذ، ومؤجري الشقق المفروشة، وأصحاب الملاهي الليلية، وبائعي الخمور، والمرابين، ومستحلي عرق العاملين لديهم...إلخ.

هؤلاء يجدون في القيام بهما، وخاصة الحج طريقة مضمونة للحصول على وثيقة لمغفرة الذنوب، باعتبار أنهم يعودون بعدها كيوم ولدتهم أمهاتهم...

ولكن الأمر ذا الدلالة البالغة أن الإحصائيات تقطع بأن ٦٠ بالمائة من الحجاج هم من الأميين من أصحاب الدخول المحدودة. وقد تبدو للوهلة الأولى أنها مفارقة، ولكن هؤلاء المضيق عليهم في الرزق والمعدومي التعليم يذهبون إلى الأراضي المقدسة وبأيديهم شهادة ضمان مؤكدة لدخول الجنة...، وبالتالي فلا قيمة للمتاعب التي تحاصرهم في دنياهم الفانية"(٣)

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ ابن القيم/ ج٣/ ص٣/ ط. دار الجيل– بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) شدو الربابة ـ خليل عبد الكريم/ ١١٦ـ ١١٩.

(٣) شدو الربابة ـ خليل عبد الكريم/ ١١٧

ويزعم غيره أن الذبائح التي تذبح في الحج من باب الإسراف فيقول: " إن دينكم ينهى عن الإسراف والتبذير مع أنكم أشد الناس تبذيرا وإسرافا ألا ترون ما تفعلونه في الحج من كثرة الذبائح التي تعد بمئات الألوف، وتركها في منى لا يستفيد منها أحد من الفقراء، ويكون مصيرها الفساد، وانتشار الأمراض"(١)

مما سبق يتبين أن الشبهة تتلخص في اتهام المسلمين بالإسراف في المال من خلال الإنفاق على فريضة الحج والذبائح التي يذبحها المسلمون هناك، واستغلال الفاسدين ومرتكبي المعاصي لهذه الفريضة؛ لتماديهم في الفساد، وارتكاب المعاصي؛ لأنها تكفر سيئاتهم.

ثانيا الرد على الشبهة:

ويتلخص الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان ما فيها من تناقض.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس.

(ج) الرد على الشبهة من خلال توزيع لحوم الهدي.

(د) الرد على الشبهة من خلال منافع الحج.

- وفيما يلي بيان ذلك:

(أ) رد الدكتور إبراهيم عوض على الشبهة من خلال بيان ما فيها من تناقض:

- يذكر الدكتور إبراهيم عوض - حفظه الله - أن مثير الشبهة يجافي الحقيقة ويخالف الواقع، بل يغالط نفسه عندما يدعي بأن الحج سبب ديون مصر فيقول:

" هذه مغالطة سخيفة جدا والذين أوقعوا مصر في الديون ليس هم الحجاج الذين يقر هو نفسه بأن أغلبيتهم من الأميين أصحاب الدخول المحدودة فما دخل هؤلاء بديون مصر؟!

تلك الديون التي يعرف خليل عبدالكريم قبل كثيرين غيره مَن المتسببون فيها، وبأي الطرق أوقعوا مصر في شباكها" (٢)

- ويبين فضيلته أن كلام مثير الشبهة واضح التناقض، حيث إنه لا يتكلم إلا عن نفقات الحج فقط، ولا يتحدث عن كثير من النفقات التى تنفق لأغراض أخرى دون الحاجة إلى إنفاقها فيقول:

" ثم إن الرحلات السياحية لا تكف يوما عن الانطلاق من مصر إلي جميع بلاد العالم، ومنها

---

(١) ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين (٥٠٠سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب) . الشيخ محمد ياسين/ ٢٠٨/ ط. مكتبة الإيمان (ط٢) ٢٠٠٩

(٢)اليسار الإسلامي - د/ إبراهيم عوض/ ٥٤

رحلات من أجل المتعة الجنسية الحرام، فما السر يا تري في أن لا يتكلم خليل عبد الكريم عنها جميعا!

ولا يتأرق إلا بسبب رحلة الحج التي لم يوجبها الإسلام إلا علي القادر مع تأكيده في ذات الوقت أنها لو تمت بمال حرام حُرِم صاحبها من الأجر حرمانا" (١)

ـ وتأكيدا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم عوض، فقد نشر في مجلة "البيان" ما يدل على أن العشر دول الأولى إنفاقا للأموال في مجال السياحة ليس من بينها دولة إسلامية، وأن عدد الحجاج إلى نهر الجانج(٢) في كل عام أكثر من عدد الحجاج إلى الكعبة المشرفة ومع ذلك فلا يتكلم أحد عن إهدار هذه الأموال فيقول:

" الصين الشيوعية الاشتراكية تعد أكثر الدول إنفاقا على السياحة، حيث بلغ إنفاق الصينيين فيها ١٠٢ مليار دولار!وبينها وبين أمريكا تنافس في هذا المضمار، وبهذه المناسبة، فإن قوائم الدول الأكثر إنفاقا في السياحة ليس فيها دولة عربية ولا إسلامية، بل كلها دول إلحادية علمانية، إما اشتراكية أو ليبرالية! كالصين والولايات المتحدة ثم اليابان، فألمانيا، فالمملكة المتحدة (إنجلترا) . ففرنسا، فإيطاليا، فكوريا الجنوبية، فالبرازيل، فالهند، فكندا، فاستراليا، فروسيا، وإسبانيا، وهولاندا... وقد تتفاوت هذه الدول بحسب جهة التصنيف لكنها ليس فيها دولة إسلامية!"(٣)

ـ ويتضح في ذلك المقال أن الأموال التي تنفق في فضول الحاجات الأخرى كالمشروبات غير الضرورية، تزيد كذلك على نفقات الحج بأضعاف كثيرة ولا يتحدث أحد عن هذه النفقات فيقول:

" وكل هذه شبهات يدعيها أعداء الإسلام وهم متناقضون فيها، أما تناقضهم فلأن ما يستهلكه أحدهم من قيمة التبغ وربما الأصناف الأخرى! وحدها لو جمعت لكانت كفيلة بأن يحج بها أحد أولئك الذين يرونهم مهدرين للمال مرات!بينما الحج فريضة مرة واحدة في العمر!

ولئن كان الحج مكلفا فما واحدة من الفضول التي يتلبس بها الناقد له إلا وهدرها للمال على سطح الكرة الأرضية أضعاف ما يهدره الحج!

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها بتصرف.

(٢) هو نهر طوله نحو (٢٥١٠ كم)،يجرى بشمال الهند وشرق الباكستان، وينبع من جبال هيمالايا، ينظر الهندوس إليه باعتباره نهرا مقدسا ويعبدون إلها يمثله هو الإله غانغا/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ أبوسعيد المصري/ ١١/ ٣٢٦.

(٣) مجلة البيان ـ تحت عنوان (الحج وترهات الملحدين) إبراهيم عبد الرازق . عدد٣٢٨ ـ بتاريخ ٢٤/ ٩/ ٢٠١٤/ موقع مجلة البيان .www.albayan.co

خذ مثلا علبة المشروب الغازي! هل تعلم أن أرباح شركة كوكاكولا وحدها في العام الواحد تتجاوز ست مليارات دولار!، أما الدخل فأضعاف ذلك يوازي دخل الحج في عام أو يزيد!" (١)

ـ وتؤكد المجلة أن إيرادات السعودية من الحج أقل من إيرادات كثير من الدول الإسلامية والغربية من السياحة فيقول:

"إن إيراد السعودية من الحج أقل من إيرادات بعض الدول في الشرق الأوسط كمصر والإمارات وغيرهما من السياحة.

أما عالميا فأمامها (يقصد السعودية) نحو خمسة وخمسون دولة بحسب بيانات البنك الدولي المنشورة على موقعه، وإذا كانت السعودية تستقبل في عامها كله نحو عشرة ملايين مابين حاج ومعتمر، فمصر، والإمارات، والمغرب تستقبل في مواسم السياحة ما يضاهيها أو يزيد عليها!"(٢)

ـ مما سبق يتبين مدى التناقض الواضح وسوء النية عند من يثير تلك الشبهة، حيث إنهم لا يتحدثون إلا عن الأموال التي تنفق في الحج عند المسلمين، على الرغم من إهدار أضعافها في مجالات أخرى عند المسلمين وغير المسلمين، ولو كانوا مخلصين في دعوتهم لتوفير النفقات للفئات الأكثر احتياجا لتحدثوا عن كل الأموال التي تنفق بدون ضرورة على مستوى العالم أجمع.

(ب) الرد على الشبهة من خلال ما ورد في الكتاب المقدس:

ـ عندما يطالع الباحث الكتاب المقدس يجد فيه كثيرا من وجوه الإسراف خاصة في بناء هيكل سليمان ﷺ وفي هذا يقول بعض الباحثين المعاصرين:

"هل تعتبرون هذا (يعني الإنفاق على الحج وذبح الهدي)إسرافا، ولا تعتبرون ما جاء في كتابكم المقدس من استخدام الذهب، والمجوهرات في بناء الهيكل، وعمل مراحيض من النحاس إسرافا؟

"وَالْبَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِلرَّبِّ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعا، وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعا، وَسَمْكُهُ ثَلاَثُونَ ذِرَاعا. وَالرِّوَاقُ قُدَّامَ هَيْكَلِ الْبَيْتِ طُولُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعا حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ، وَعَرْضُهُ عَشَرُ أَذْرُعٍ قُدَّامَ الْبَيْتِ... وَلأَجْلِ الْمِحْرَابِ عِشْرُونَ ذِرَاعا طُولا وَعِشْرُونَ ذِرَاعا عَرْضا وَعِشْرُونَ ذِرَاعا سَمْكا. وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ خَالِصٍ، وَغَشَّى الْمَذْبَحَ بِأَرْزٍ. وَغَشَّى سُلَيْمَانُ الْبَيْتَ مِنْ دَاخِل بِذَهَبٍ خَالِصٍ. وَسَدَّ بِسَلاَسِلِ

---

(١)المرجع السابق نفس العدد بتصرف.

(٢) المرجع نفسه.

ذَهَبٍ قُدَّامَ الْمِحْرَابِ. وَغَشَّاهُ بِذَهَبٍ. وَجَمِيعُ الْبَيْتِ غَشَّاهُ بِذَهَبٍ إِلَى تَمَامِ كُلِّ الْبَيْتِ، وَكُلُّ الْمَذْبَحِ الَّذِي لِلْمِحْرَابِ غَشَّاهُ بِذَهَبٍ" (١)

وفي الكتاب المقدس أيضا كلمة "محرقة" ومحرقات عشرات المرات (٢) ومنها قوله "وَلَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ مِنَ الصَّلاَةِ، نَزَلَتِ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالذَّبَائِحَ" (٣)

وقوله: ثُمَّ إِنَّ وَكُلَّ الشَّعْبِ ذَبَحُوا ذَبَائِحَ أَمَامَ الرَّبِّ. وَذَبَحَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ ذَبَائِحَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفا، وَمِنَ الْغَنَمِ مِئَة وَعِشْرِينَ أَلْفا، وَدَشَّنَ الْمَلِكُ وَكُلُّ الشَّعْبِ بَيْتَ اللهِ. وَكَانَ الْكَهَنَةُ وَاقِفِينَ عَلَى مَحَارِسِهِمْ، وَاللاَّوِيُّونَ بِآلاَتِ غِنَاءِ الرَّبِّ الَّتِي عَمِلَهَا دَاوُدُ الْمَلِكُ لأَجْلِ حَمْدِ الرَّبِّ «لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ» حِينَ سَبَّحَ دَاوُدُ بِهَا، وَالْكَهَنَةُ يَنْفُخُونَ فِي الأَبْوَاقِ مُقَابِلَهُمْ، وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ وَاقِفٌ.

وَقَدَّسَ سُلَيْمَانُ وَسَطَ الدَّارِ الَّتِي أَمَامَ بَيْتِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَرَّبَ هُنَاكَ الْمُحْرَقَاتِ وَشَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ، لأَنَّ مَذْبَحَ النُّحَاسِ الَّذِي عَمِلَهُ سُلَيْمَانُ لَمْ يَكْفِ لأَنْ يَسَعَ الْمُحْرَقَاتِ وَالتَّقْدِمَاتِ وَالشَّحْمَ."(٤)

وتشير هذه النصوص بوضوح إلى المصير المحتوم للذبائح التي تقدم قربانا في الهيكل وهو الحرق، وأقول هنا لمثير الشبهة لِمَ لَمْ تسلط الضوء على هذا، وتتكلم عما فيه من إسراف يفوق الخيال، وتثير الغبار حول فريضة الحج عند المسلمين وما يذبح فيها من الهدي؟ وقد أحل الله لهم الأكل منه والاستفادة به في إطعام الفقراء والمساكين، وهو المعمول به الآن ولله الحمد، أم أن الكلام على الإسلام وإثارة الشبهات حول شعائره حلال وعلى غيره حرام؟

ـ ويوضح البعض الآخر أهم الفوارق التي يتميز بها الحج في الإسلام عن الحج في بني إسرائيل فيقول:

" وأول هذه الفوارق أن الحج في بني إسرائيل إنما كان وسيلة لتدعيم سلطان الهيكل وكهانه، وكان في أهم مناسكه فرصة لتدعيم أولئك الكهان بالضرائب والإتاوات والقرابين، وقد صرحت بهذا مأثوراتهم كما رووها في العهد القديم"(٥)

---

(١) سفر الملوك الأول الإصحاح/ ٦/ فقرات ٢، ٣، ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٢) ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين/ ٢٠٩ وما بعدها.

(٣) أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٧/ فقرة ١.

(٤) أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٧/ فقرة ٧٤

(٥) شبهات المستشرقين حول العبادات من خلال دائرة المعارف الإسلامية (دراسة نقدية) د/ ناصر محمد السيد/ ٤٠٥. رسالة دكتوراه ـ كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة. ط٢٠٠٣م

والحج في الإسلام ليس لجمع الإتاوات، ولا لإثراء رجال الدين، وإنما هو سياحة روحية وبدنية لبيت الله الحرام، وتلبية لنداء الحق على لسان إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: " وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ" (الحج:٢٧- ٣٢)

فهو إحياء للحنيفية الحقة، وإقصاء لكل ما علق بها من شوائب الوثنية والجاهلية "(١)

- ومما سبق يتبين أن الكتاب المقدس يحتوي على العديد من النصوص التي تدل على الإسراف في استخدام المال، وخاصة في بناء هيكل سليمان عليه السلام، كما أن الحج في الكتاب المقدس لتدعيم سلطان الهيكل ورجال الدين، وجمع الإتاوات، بينما الحج في الإسلام سياحة روحية، وإحياء للحنيفية الحقة، وأن الذبائح التي كانت تذبح في الهيكل لم يستفد بها أحد وإنما كانت تأتي نار من السماء فتحرقها، ومع ذلك تنطلق الألسنة الحاقدة على الإسلام بالطعن في شرائعه وشعائره، في الوقت الذي لا تنطق بكلمة واحدة على ما سجله الكتاب المقدس من إسراف وتبذير في بعض الطقوس التي تفوق الوصف وتتجاوز حدود الخيال.

(ج) الرد على الشبهة من خلال توزيع لحوم الهدي:

إن الأنعام التي يذبحها المسلمون في الحج لا تذبح كلها في وقت واحد ويوم واحد، وإنما يمتد وقت الذبح فيها إلى أيام التشريق الثلاثة والتي قال عنها النبي ﷺ: "إِنَّا كُنَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ لُحُومِهَا أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلَاثٍ لِكَيْ تَسَعَكُمْ، فَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالسَّعَةِ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَاتَّجِرُوا، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ ﷻ " (٢)

- فالمسلم مأمور بأن يوسع على نفسه وأهله وعلى فقراء المسلمين على قدر استطاعته، ولم يصل الغنى بالعرب قديما إلى الدرجة التي تجعلهم يتركون ما يتبقى من هذه اللحوم ليفسد ويرمي به، فقد كانوا يعيشون عيشة كفاف، وكانوا يجففون هذه اللحوم حتى لا تفسد ويستخدمونها بعد ذلك، وفي الوقت الحاضر تحفظ في الثلاجات وتوزع على الفقراء في شتى بقاع الأرض وفى هذا يقول بعض

---

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٢)أخرجه الإمام أبو داوود في سننه في كتاب (الضحايا) - باب (في حبس لحوم الأضاحي) برقم(٢٨١٣)/ ٤/ ٤٣٦ - (صحيح)/ صحيح وضعيف سنن أبي داوود/ ٦/ ٣١٣.

الدعاة:

"وهذه الذبائح لا تترك لتفسد كما يدعي مثيرو الشبهة... فالعرب كانوا يذبحون الذبائح في منى، ثم يسلخونها، ويقطعونها قطعا صغيرة، ويرشونها بالملح، ويربطونها، ويعلقونها في اتجاه شروق الشمس إلى أن يخرج منها الماء تماما، وتصبح جافة مثل قوالب الطوب، وهذه الطريقة كانت تحفظ اللحم من التعفن ليستخدموه طوال العام... أما الآن فتوجد جمعيات وهيئات خيرية تقوم بالإشراف على هذه الذبائح، والاحتفاظ بها في الثلاجات ثم تقوم بتوزيعها على فقراء المسلمين في أنحاء العالم". (١)

ـ وأمر النبي ﷺ عليا ﷺ ليقسم بدنه كلها كما ورد في صحيح البخاري

فعن علي ﷺ "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ، وَأَنْ يَقْسِمَ بُدْنَهُ (٢) كُلَّهَا، لُحُومَهَا وَجُلُودَهَا وجلالها(٣)، وَلَا يُعْطِيَ فِي جِزَارَتِهَا شَيْئًا".(٤)

– فهل كان النبي ﷺ يأمر عليا بتقسيمها لرميها للكلاب أو لتركها لتفسد.

ــ مما سبق يتبين أن لحوم الهدي يتم تقسيها وتوزيعهاعلى الفقراء في مكة، وما يتبقى يتم يحفظ ويتم توزيعه على الفقراء في سائر أنحاء المعمورة، ولا تترك لتفسد كما يدعي مثير الشبهة، وليس في هذا أي نوع من أنواع إهدار المال، وإنما تكافل وتعاون بين المسلمين.

(د) الرد على الشبهة من خلال منافع الحج:

إن منافع الحج عديدة ولقد أكد الله سبحانه وتعالى على ذلك في كتابه الكريم فقال:

"لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ" (الحج:٢٨)

"لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ" (البقرة: ١٩٨)

كما ذكر أهل العلم والمفسرون، منها ما يُعدُّ من منافع الدنيا ومنها ما يُعدُّ من منافع الآخرة، بل إن الإمام أبي حنيفة كان يفضل الحج على سائر العبادات كما ذكر الإمام الزمخشري ـ رحمه الله ـ حيث قال:

---

(١) ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين ـ الشيخ محمد ياسين/ ٢٠٨، ٢٠٩.مرجع سابق.

(٢)(البدنة) ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانا ـ المعجم الوسيط ـ باب(الباء) مادة "بدن"/ ١/ ٤٤

(٣) والجل بالكسر: ضد الدق و من المتاع: البسط والأكسية ونحوها وقصب الزرع إذا حصد ويضم ويفتح وبالضم وبالفتح: ما تلبسه الدابة لتصان به وقد جللتها وجللتها ج: جلال.

(٤)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب (الحج) ـ باب (ما يأكل من البدن وما يتصدق) برقم (١٧١٧)/ ٢/ ١٧٢

" نَكَّر المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات. وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حجّ فضل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص، وكَنَّى عن النحر والذبح بذكر اسم الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله". (١)

ـ ونقل ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن من هذه المنافع، ما يصيبه الناس من ذبح البدن والربح في التجارات فقال:

" قال ابن عباس: "لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ" قال: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البُدْن والربح (٣) والتجارات" (٢)

ـ ومن المنافع التي يحصل عليها الحجيج كذلك في الحج تحقيق غاية من غايات الله في خلقه بالتعارف على إخوانهم والتشاور معهم في أمور دينهم ودنياهم، وفي هذا ورد في "المنتخب في التفسير " في تفسير الآية الكريمة:

" ليحصلوا على منافع دينية لهم بأداء فريضة الحج، ومنافع دنيوية بالتعارف مع إخوانهم المسلمين، والتشاور معهم فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم". (٣)

ـ ويوضح الإمام (أبو زهرة) في (زهرة التفاسير) أن المنفعة التجارية لا تتوقف على الإتجار الفردي للحجيج، وإنما تشمل التبادل التجاري الجماعي بين الأقاليم الإسلامية مما يحقق النمو الاقتصادي لكل منها فيقول:

" وإباحة طلب المال في الحج لايقتصر على الاتجار الآحادي، أو طلب المال من الآحاد فقط، بل يشمل العمل على التبادل الجماعي، ونمو الاقتصاد بين الأقاليم الإسلامية؛ فأهل الخبرة بشئون المال من الحجاج يتصل بعضهم ببعض من الأقاليم المختلفة، ويعرف أهل كل إقليم ما عند الآخرين من فاضل الرزق الذي تخرجه أرض الله، وما ينقصهم من أسباب الحياة، ويتبادلون الفائض، ويسدون النقص، وهو ما يسمى في لغة العصر الحاضر التبادل التجاري؛ فيعم الخير، ولا يكون إقليم من الأقاليم الإسلامية في نقص من الموارد، وآخر في الكثير منها.

وهذه تكون إحدى منافع الحج المادية التي اشتمل عليها قوله تعالى: (لِيَشهَدُوا مَنَافِعَ

---

(١) الكشاف ـ للزمخشرى/ ٣/ ٣٠.

(٢)تفسير ابن كثير/ ٣/ ٢٦٤.

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم/ ٤٩٢.

لَهمْ..." (١)

ـ ويضيف الشيخ الشعراوي رحمه الله بعض المنافع الأخرى، كإعداد الحاج نفسه روحيا لتلك الرحلة، وما يجلبه لأهله من الهدايا، وما يتأدب به في التعامل مع سائر المخلوقات في الحرم فيقول:

" المنافع المادية في الحج كثيرة ومتشابكة، متداخلة مع المنافع الدينية الأخروية، فحين تشتري الهَدْي مثلا تؤدي نُسُكا وتنفع التاجر الذي باع لك، والمربِّي الذي ربَّى هذا الهَدْي، والجزار الذي ذبحه، والفقير الذي أكل منه.

إذن: لا يتم الحج إلا بحركة حياة واسعة، فيها نَفْع لك وللناس من حيث لا تدري، ولك أنْ تنظرَ في الهدايا التي يجلبها الحجاج معهم لأهليهم وذويهم، خاصة المصريين منهم، فترى بعضهم ينشغل بجَمْع هذه الأشياء قبل أنْ يُؤدِّي نُسُكه ويقضي معظم وقته في الأسواق، وكأنه لن يكون حاجا إلا إذا عاد مُحمّلا بهذه الهدايا...أليست هذه كلها من المنافع؟

ومن منافع الحج أن الحاجَّ منذ أنْ ينوي أداء هذه الفريضة ويُعِد نفسه لها إعدادا ماديا، وإعدادا نفسيا معنويا، فيحاول أنْ يُعيد حساباته من جديد، ويُصلح من نفسه ما كان فاسدا، وينتهي عَمَّا كان يقع فيه من معصية الله، ويُصلِح ما بينه وبين الناس، إذن: يُجرى عملية صَقْل خاصة تُحوِّله إلى إنسان جديد يليق بهذا الموقف العظيم، ويكون أهْلا لرؤية بيت الله والطواف به.

ومن الإعداد للحج أنْ يتعلّم الحاجُّ ما له وما عليه، ويتأدب بآداب الحج فيعرف محظوراته وما يحرُم عليه، وأنه سوف يتنازل عن هِنْدامه وملابسه التي يزهو بها، ومكانته التي يفتخر بها بين الناس، وكيف أن الإحرام يُسوِّي بين الجميع.

ويتعلم كيف يتأدب مع نفسه، ومع كل أجناس الكون من حوله، مع نفسه فلا يُفكّر في معصية، ولا تمتدّ يده حتى على شعرة من شعره، أو ظُفْر من أظافره ولا يقْربُ طيبا، والعجيب أن الحاج ساعة يدخل في الإحرام يحرص كل الحرص على هذه الأحكام، وأتحدى أيَّ إنسان ينوي الحج ويأخذ في الإحرام به، ثم يفكر في معصية؛ لأنه يُعِدُّ نفسه لمرحلة جديدة يتطهر فيها من الذنوب، فكيف يكتسب المزيد منها وقد أتى من بلاد بعيدة ليتطهر منها؟

وفي الحجِّ يتأدب الحاج مع الحيوان، فلا يصيده ولا يقتله، ومع النبات فلا يقطع

(١) زهرة التفاسير/ ٢/ ٦١٩، ٦٢٠ بتصرف.

شجرا"(١)

ـ مما سبق يتبين أن الحج كله منافع للحاج ولغيره من إخوانه، وليس إهدارا للمال كما يدعي مثير الشبهة.

الخلاصة:

من خلال ما سبق يتبين للباحث ما يلي:

– بين الدكتور إبراهيم عوض أن النفقات التي ينفقها المصريون في فريضة الحج لا علاقة لها بما يقع على مصر من الديون كما يزعم مثير الشبهة.

– أوضح فضيلته سوء نية المثيرين لهذه الشبهة وعدم إخلاصهم، حيث إنهم لا يتحدثون إلا عن الأموال التي ينفقها المسلمون في الحج، ولا يشيرون مجرد إشارة إلى الأموال التي ينفقها المسلمون في السياحة وغيرها مما لا ضرورة للإنفاق عليه، كما لا يشيرون مجرد إشارة من قريب ولا من بعيد إلى ما ينفقه غير المسلمين في حجهم، ولا ما ينفقونه في السياحة وغيرها وهو أضعاف أضعاف ما ينفقه المسلمون في الحج.

– ولقد اكتفى الدكتور إبراهيم عوض في الرد على هذه الشبهة ببعض الردود العقلية والواقعية النافعة، وكان من الممكن أن يضيف بعض الردود الأخرى منها مايلي:

– أن ما يذبحه المسلمون في الحج من الأنعام لا إسراف فيه، وإنما يستفيد به المسلمون في إطعام الفقراء والمساكين في دول كثيرة، وأن الإسراف الحقيقي لم يشر إليه مُدَّعي الشبهة، إنما يوجد فيما تحدث عنه الكتاب المقدس بشأن بناء الهيكل وتقديم القرابين والذبائح لتحرق بعد عرضها وتقديمها.

– أن الحج في بني إسرائيل كان وسيلة لتدعيم سلطان رجال الدين وجمع الضرائب والإتاوات، أما في الإسلام فهو وسيلة للتزكية النفسية والروحية ومغفرة للذنوب.

–أن المسلم يحصل على الكثير من المنافع من أداء فريضة الحج.

– أن جميع الطوائف من مرتكبي المعاصي ممن ذكر مثير الشبهة خاصة الكبائر مع الإصرار عليها لا يُقبل حجهم ولا تُغفر ذنوبهم.

– وبهذا تسقط الشبهة ويتبين أنها لا تقوم على دليل معتبر، وأن الحج ليس إهدارا للأموال كما يدعي مثير الشبهة، وهذا ما قرره الدكتور إبراهيم عوض.

---

(١) تفسير الشعراوي/ ١٦/ ١٦/ ٩٧٨٦ ـ ٩٧٨٨ بتصرف.

المبحث الرابع:

الدكتور إبراهيم عوض ما له وما عليه:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدكتور إبراهيم عوض: ما له

المطلب الثاني: الدكتور إبراهيم عوض: ما عليه

المطلب الأول

الدكتور إبراهيم عوض: ما له:

خلق الله الإنسان، وفضله على سائر المخلوقات، وميزه بالعقل، وجعله مسئؤلا عما يقوم به من الأعمال، وما يتلفظ به من الأقوال قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا" (الإسراء: ٧٠)

ولا يتمتع أحد من البشر بالعصمة من التقصير أو الوقوع في الخطأ إلا الأنبياء عليهم السلام، والدكتور إبراهيم عوض كسائر البشر يخطئ ويصيب.

وسوف يشير الباحث في هذه السطور إلى ما يحسب للدكتور إبراهيم عوض كعالم معاصر تصدى للدفاع عن هذا الدين، وما يؤخذ عليه.

أولا ما يحسب له:

ـ أن فضيلته يتمتع ببصيرةٍ نافذةٍ، وعزيمةٍ قوية، وعمرٍ مبذولٍ في سبيل الله، حيث كان من شغله الشاغل: الدفاعُ عن الإسلام والمسلمين، فعلى الرغم من أنه ـ حفظه الله ـ متخصص في النقد الأدبي، إلا أنه واجه كثيرا من شبهات المستشرقين والمبشرين والعلمانيين واليساريين والملاحدة وغيرهم من أعداء الإسلام.

ـ الإلمام الواسع بعلوم اللغة العربية على اختلاف فروعها، والتبحر في علوم الشريعة الإسلامية.

ـ إتقانه للغتين الإنجليزية والفرنسية وسعيه لإتقان الألمانية، مما أتاح له ترجمة العديد من كتب ومقالات عدد من المستشرقين وغيرهم.

ـ الثروة العلمية الهائلة التي تميز بها، فقد ألف عشرات الكتب التي يفند فيها تلك الشبهات والتي يدافع فيها عن القرآن الكريم، والنبي ﷺ وأصحابه، وعقائد الإسلام، وشرائعه، من خلال مؤلفاته الكثيرة وترجماته العديدة التي بين فيها وجه الحق في قضايا إسلامية عديدة.

ـ تشجيعه الدائم لطلاب العلم، وتقديم شتى سبل العون لهم ماديا ومعنويا قدر استطاعته.

ـ حسن معاشرته، وخفة ظله، وتواضعه الشديد، مما يجعل الملتقين به يرغبون في تكرار لقائه

ومجالسته.

ـ نقاء سريرته ـ كما يبدو للباحث من خلال لقائه ومؤلفاته ـ

ـ تنوع منهجه – حفظه الله– في مواجهته لشبهات أعداء الإسلام، ويمكن أن نبين أهم ملامح منهجه فيما يلي:

أ ـ عرض شبهات أعداء الإسلام عرضا أمينا، فأحيانا ينقلها نصا من كتب قائليها، وأحيانا أخرى يعرض مفهومها ومؤداها بأسلوبه الخاص.

ب . يبدأ في الرد على الشبهة أحيانا من خلال نقاط محددة واضحة للقارئ قبل الدخول في التفاصيل، وأحيانا يدخل في الرد مباشرة.

ج. استخدام الأسلوب اللاذع الذي لا يخلو من التهكم والطرفة أحيانا في نقد الأفكار الخاطئة والآراء المخالفة، إلا أنه لا يخلو من الموضوعية والمنهجية العلمية في معظم الأوقات.

د . قدرته – حفظه الله– الفائقة في انتقاء الشواهد وتوظيفها.

هـ . دقة عزوه لنصوص القرآن والسنة، ونصوص الكتاب المقدس والنقول المختلفة.

و . الانتقال في معترك الأفكار من مرحلة الدفاع والتبرير إلى الهجوم الواثق المطمئن وإلى كشف عوار الآخر.

ح . استند في تفنيد شبهات المستشرقين التي عرض لها على ما يلي:

نصوص القرآن الكريم. نصوص السنة النبوية المطهرة.

نصوص الكتاب المقدس

أحداث السيرة النبوية

أقوال بعض المستشرقين المنصفين.

أقوال بعض العلماء والمفكرين الذين سبقوه في معالجة هذه الشبهات والاستفادة من آرائهم.

اعتمد في الكثير من مناقشاته على العقل ومسلماته.

ابتكر فى الرد على بعض الشبهات طريقة التحليل الأسلوبى.

كما اعتمد على نقد مناهج أعداء الإسلام في عرضهم لشبهاتهم وبيان تهافتها، ومن ثم بيان تهافت شبهاتهم التي أثاروها حول الإسلام ومختلف قضاياه. وهذا مما يحسب له ـحفظه الله ـ في هذا المجال.

المطلب الثاني:

الدكتور إبراهيم عوض: ما عليه:

مع هذا الجهد المشكور لا يخلو الأمر من ملاحظات تؤخذ على الدكتور/ إبراهيم عوض . حفظه الله– في مواجهته لشبهات أعداء الإسلام ومنها:

قلة مواجهته– حفظه الله – للشبهات التي أثيرت حول السنة النبوية المطهرة على الرغم من كثرة الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام من المستشرقين والعلمانيين والملاحدة وغيرهم حولها.

أنه– حفظه الله– أحيانا ما يكون رده على الشبهات مقتضبا لا يفي بالمطلوب، وأحيانا أخرى يسترسل في ردوده دون تحديد نقاط محددة في الرد، مما أرهق الباحث في كثير من الأوقات في استخلاص ردوده.

يبدو في بعض كتبه أنه كان يكتبها لجمهور المسلمين وليس للمعنيين بمعالجة شبهات المستشرقين مما جعلها تأخذ الأسلوب المقالي.

عدم الاعتماد في بعض المواضع على كتب متخصصة، مع أن الرد كان يتطلب ذلك.

ولعلَّ هذا هو ما سمح به وقته، وما جادت به قريحته مع كثرة أعبائه ومشاغله.

وعلى أية حال فهو جهدٌ مشكور، له عليه من الله تعالى خير الجزاء إن شاء الله.

الخاتمـــة

وتشتمل على ما يلي:

أولا: أهم النتائج.

ثانيا: أهم التوصيات.

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع.

رابعا: فهرس الموضوعات.

الخاتمـة:

وبعد هذا المشوار الشيق حول جهود الدكتور/ إبراهيم عوض في الدفاع عن الإسلام يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: النتائج:

١ ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– من خلال الدراسة وجود بعض الترجمات للقرآن الكريم بها أخطاء جسيمة ينبغي تصحيحها وبيان وجه الصواب فيها.

٢ ـ بين الدكتور إبراهيم عوض من خلال الدراسة وضوح إعجاز القرآن في إخباره بوجود حاجز بين

الماء المالح والماء العذب عند اختلاطهما، ورجح الباحث أن يكون الاختلاط حقيقيا ولو كان ذلك لمسافة محددة.

٣ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– عدم تأسيس وتهيئة ورقة بن نوفل وخديجة ـ رضي الله عنها ـ للنبي ﷺ لادعاء النبوة، وأنه ﷺ مرسل من قِبل الله سبحانه وتعالى.

٤ ــ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– عدم تأثر النبي ﷺ باليهودية أو النصرانية في رسالته، وأن هناك تباينا واضحا بين القرآن والعهدين القديم والجديد في أصول العقيدة كالتوحيد والقصص المشترك فيما بينهم وغير ذلك.

٥ ـ بين الدكتور إبراهيم من خلال الدراسة أن أسلوب القرآن الكريم يختلف اختلافا كليا عن أسلوب الحديث الشريف، في ألفاظه وتعبيراته وقصصه وأساليبه البلاغية المتنوعة، مما يحيل عقلا أن يكون القرآن الكريم من تأليف النبي ﷺ كما يدَّعيَ المستشرقون المغرضون وغيرهم من أعداء الإسلام . إذ لو كان من تأليفه ﷺ، لكان أسلوبه وأسلوب الأحاديث المنقولة عنه سواء، والواقع بخلاف ذلك.

٦ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– من خلال الدراسة أن سيرة ابن إسحاق صحيحة وليست مخترعة كما ادعى الأستاذ (محمود مراد)، وثبوت عدالة ابن إسحاق (صاحب السير).

٧ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– من خلال الدراسة طهارة مجتمع المدينة وبراءته مما نسب إليه من كثرة الوقوع في الفاحشة، والانشغال الدائم بالأمور المتعلقة بالناحية الجنسية.

٨ ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– من خلال الدراسة خطأ الأستاذ (محمد أسد) في تأويله للمعجزات الحسية للأنبياء ـ عليهم السلام ـ، كإلقاء إبراهيم عليه السلام في النار حقيقة ونجاته منها، وكلام عيسى عليه السلام في المهد حقيقة، وإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى بإذن الله.

٩ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– من خلال الدراسة خطأ الأستاذ (محمد أسد) في تأويله لكثير من الأمور الغيبية كالقول إن المراد بالجِنَّة في قوله تعالى " وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبا" قوى الطبيعة، والقول إن التسعة عشر في قوله تعالى عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" بأنها تسعة عشر قوة.

١٠ـ بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– عدم احتكار الرجال لباب الاجتهاد، ووجود العديد من النساء المجتهدات واللاتي ألَّفن العديد من المؤلفات قديما وحديثا.

١١ – بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– تنوع عمل المرأة في البيت وعدم اقتصاره على الأمومة والزوجية، والتشابه الكبير بين عمل المرأة في البيت وخارج البيت، وأن الإسلام لم يمنع

المرأة من العمل خارج البيت وإنما وضع بعض الضوابط لخروجها للحفاظ على القيم الأخلاقية في المجتمع.

١٢ – بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– اختلاف الفن القصصي اختلافا واضحا عن الكذب، وأن علماء الإسلام لم يرفضوا الفن القصصي لذاته، كما يدعي أعداء الإسلام، وإنما رفضوا المبالغات والأكاذيب التي كان يروجها بعض القصاص لأنها تفسد على الناس دينهم.

١٣– بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– أن ظاهرة الكسوف والخسوف في الإسلام ظاهرة لها قوانينها الطبيعية تدل على قدرة الله في تغيير نظام الكون في أي وقت، ولا علاقة لها بهلاك عاد وثمود، وإنما شرعت صلاة الكسوف الخسوف لإيقاظ الناس من غفلتهم ولكي يتقربوا إلى ربهم ﷻ، ولئلا يكون الكسوف أو الخسوف لقيام الساعة، حيث إنها تقوم وهما منكوسان.

١٤. بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– بما لا يدع مجالا للشك أن الصيام لم يشرع لتهيئة المسلمين للحرب كما يدعي أعداء الإسلام، بدليل مشروعيته على الأمم السابقة، وفرضه على النساء، ووجود بعض التراخيص لذوي الأعذار، والإذن بالقتال قبل الصيام، وإنما شرع للتربية الروحية والبدنية، وتدريب المسلمين على مراقبة الله في السر والعلن والإحساس بالفقراء، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

١٥. بين الدكتور إبراهيم عوض –حفظه الله– وجود منافع عديدة للمسلم في الحج، وعدم إهدار الأموال التي تنفق عليه، وأن غفران الذنوب في الحج متوقف على الإخلاص والتوبة النصوح، وأن المثيرين لهذه الشبهة لا يتسمون بالموضوعية، حيث إنهم لم يتكلموا عن الأموال التي تنفق في السياحة، أو في التدخين، أو حج غير المسلمين، أو ما لا ضرورة له مما يمكن الاستغناء عنه، مع أن الأموال التي تنفق على هذه الأشياء أضعاف أضعاف ما ينفقه المسلمون على الحج والعمرة.

ثانيا: التوصيات:

- ضرورة الاستمرار في كتابة الأبحاث عن العلماء الأجلاء، الذين أفنوا أعمارهم في دراسة الشبهات التي تثار حول الإسلام وتفنيدها وإثبات بطلانها بالأدلة الدامغة، والبراهين الساطعة، للاقتداء بهم والسير على دربهم في مواجهة كل ما يستجد من شبهات ضد الإسلام والمسلمين.
- وتشجيع الباحثين على دراسة الشخصيات الإسلامية البارزة التي أثْرَت المكتبة الإسلامية بفكرها الواعي المستنير، والذي أهلها لعرض الإسلام عرضا يليق به، ومكنها لدفع الشبهات عنه والذود عن حياضه، والتعاون معهم وإمدادهم بالمعلومات التي تخدم بحوثهم

- **وفي هذا الصدد اقترح إصدار موسوعات إسلامية تعرِّف بجهود علماء المسلمين ومؤلفاتهم في خدمة الإسلام والمسلمين، وإنشاء مواقع لهم على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت".**
- **تكريم الشخصيات العلمية الإسلامية في حياتها، وبعد مماتها، وإعطائها ما تستحقه من تكريم مادي ومعنوي، وذلك من باب الوفاء لهم وتشجيع طلاب العلم على مواصلة دراستهم.**
- **ضرورة التنسيق بين جميع الدعاة والهيئات والمؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي من أجل مواجهة شبهات المستشرقين وأذنابهم حول الإسلام وقضاياه.**
- **ضرورة الاهتمام بإبراز محاسن الإسلام في كل جانب يحاول أعداؤنا تشويهه من خلاله، وعدم الانشغال كثيرا بالرد إلا حين يتعَّين ويكون ضروريا.**
- **من الأهمية بمكان الاتصال المباشر بالعلماء والباحثين والكتاب والأدباء الغربيين واطلاعهم على الإسلام من منبعيه الصافيين: الكتاب والسنة، وإعلامهم بما حوت كتبهم ومصادرهم من تحريف وتناقض.**
- **الاستفادة من خبرات من أسلم من علماء الغرب في وضع الخطط اللازمة لنشر الإسلام، وبيان أجدى الطرق للتأثير في العقلية الغربية، فهم أدرى الناس ببيئتهم وظروفهم وعقليات أهلها ونفسياتهم، وذلك من باب "أهل مكة أدرى بشعابها".**
- **وجوب متابعة ما يكتبه من دخل في الإسلام من غير المسلمين وتصحيح ما يمكن أن يقعوا فيه من أخطاء بسبب موروثاتهم الدينية والفكرية السابقة على إسلامهم.**
- **وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه أنيب**

فهرس المصادر والمراجع

(١) الإحكام في أصول الأحكام - أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)- المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ـ الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة ـ ط. مكتبة السنة ـ ط(٤)ـ دون تاريخ.

(٣) الإسلام في قفص الاتهام . د شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط (١٢)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ـ دار الجيل – بيروت ـ ط(١)، ١٤١٢هـ.

(٥) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ مناهج جامعة المدينة العالمية ـ الناشر جامعة المدينة العالمية ـ ماليزيا ـ دون.

(٦) الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام / المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) ـ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ـ، المتوفي ١٣٤١هـ ـ دار ابن حزم. ط(١) . ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى (٦٧١هـ) ـ دار التراث العربي ـ القاهرة ـ دون رقم طبعة ـ ٨ ١٣٩هـ.

(٨) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ـ الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب ـ المكتبة التوفيقية . دون رقم طبعة ـ ٢٠٠٣م.

(٩) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين- ابن الأنباري /٣٨٤/٢/ —المكتبة العصرية – ط. (١) – ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط(١) ١٤١٩هـ.

(١١) الإيضاح في علوم البلاغة ـ لمحمد بن عبدالرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق المتوفي سنة (٧٣٩هـ) دار إحياء التراث ـ ط(٤) ١٩٩٨م.

(١٢) الأبطال ـ توماس كارليل ـ ترجمة محمد السباعي ـ المطبعة المصرية بالأزهر ـ ط(٣) ـ ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.

(١٣) الأصول في النحو- أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)/مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

(١٤) الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ ـ ـ دار العلم للملايين ـ ط(١٥)- أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

(١٥) الأم الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(١٥٠ – ٢٠٤ هـ)مع مختصر المزني ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط(١) ـ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.

(١٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (سنة الوفاة ٤٦٣هـ) باب ماجاء في الغلول ـ الناشر دار الكتب العلمية ـ ط ٢٠٠٠م.

(١٧) الأنثى هي الأصل ـ نوال السعداوي ـ دار المستقبل ـ ١٩٩٠م.

(١٨) البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة – د/ عبدالله على سمك/ط(٣) – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(١٩) البدء والتاريخ ـالمطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط(١) ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م.

(٢٠) البداية والنهاية ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ط(١)، ١٤٠٨ هـ. ـ ١٩٨٨م.

(٢١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـ محمد بن علي الشوكاني ـ دار الكتاب الإسلامي القاهرة ـ ـدون.

(٢٢) البلاغة العربية ـ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة /دار القلم، دمشق،ط(١)، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٢٣) البيان والتبيين ـ أبي عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ) ـ دارصعب – بيروت ـ ط(١)، ١٩٦٨م.

(٢٤) التجربة المصرية في التعليم وتجارب الآخرين . د/ أيمن يَسِنْ محمد محمد عمر/. مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع . دون رقم طبعة ولا تاريخ.

(٢٥) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ـ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس ـ ١٩٨٤م.

(٢٦) التطور السياسي للمجتمع العربي . د/ سليمان محمد الطماوي ـ ط. دار الفكر العربي . بدون.

(٢٧) التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول ـ محمد عزة دروزة (المتوفى ١٩٨٤م) ـ ط. دار الغرب الإسلامي ـ ط(٢) ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢٨) التفسير المنير ـ د وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ ط(١) ـ ١٤١١هـ . ١٩٩١م.

(٢٩) .التفسير الوسيط ـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي ـ دار الفكر – دمشق ط(١) – ١٤٢٢هـ

(٣٠) التفسير الوسيط ـ د/ محمد سيد طنطاوي ـ مطبعة السعادة ـ ط(٣) ـ دون تاريخ.

(٣١) التفسير والمفسرون ـ الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) مكتبة وهبة، القاهرة ـ دون.

(٣٢) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ـ محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (سنة الولادة ٥٧٤/ سنة الوفاة ٦٢٩)ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ سنة النشر ١٤٠٨هـ.

(٣٣) التوراة والانجيل والقرآن والعلم – موريس بوكاي– المكتب الإسلامي – ط(٣) – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٣٤) الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني . صالح بن عبدالسميع الآبي االأزهري (المتوفى: ١٣٣٥هـ) ـ المكتبةالثقافية – بيروت ـ دون.

(٣٥) الجرح والتعديل ـ الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى ٣٢٧ هـ) ـ ط. دار إحياء التراث العربي بيروت ـ ط(١) ـ ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.

(٣٦) الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى ـ محمد أبو زهرة / دار الفكر العربى . القاهرة ـ ٢٠٠٦م.

(٣٧) الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية . عقيدة ومنهجا وسلوكا ـ الشيخ محمد على

مسعود . منشورات الجمعية الشرعية . القاهرة ـ ١٨٨٢م.

(٣٨) الجنى الداني في حروف المعاني– أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط(١)، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.

(٣٩) الجوهرة النيرة . أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ) ـ المطبعة الخيرية ط(١)، ١٣٢٢هـ.

(٤٠) الحاوي في فقه الشافعي ـ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(المتوفى: ٤٥٠هـ) دارالكتب العلمية ـ ط(١) ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

(٤١) الحرب الباردة ـ بدر بن علي بن طامي العتيبي ـ دون دار أو تاريخ.

(٤٢) الحريات والحقوق في الإسلام ـ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي ـ من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٤٣) الحلول المستوردة . د/ يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة . (ط٥) . عام ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.

(٤٤) الحياة الدينية الإسلامية في مصر خلال الربع الأخير من القرن العشرين، محمود نور الدين أحمد عبد العال ـ رسالة دكتوراه .كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

(٤٥) الخالدون مائة أعظمهم محمد ـ مايكل هارت، ترجمة وتلخيص: أنيس منصور ـ مكتبة الأهرام للإعلام العربي، دون تاريخ.

(٤٦) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون . د/ أنور الجندي . دار الاعتصام . القاهرة . دون.

(٤٧) الداء والدواء ـ ابن القيم ـ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ـ ط(١٧) دون تاريخ.

(٤٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام جلال الدين السيوطي . دارالمعرفة للطباعة والنشر. بيروت ـ دون تاريخ ولا رقم طبعة .

(٤٩) الدكتور البهي ومنهجه في الدفاع عن الإسلام ـ د/ ماجد عبد السلام، رسالة دكتوراة .كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م.

(٥٠) الدكتور القرضاوي وجهوده في خدمة السنة النبوية (عرض ونقد)، شعبان محمود عبد القادر ـ رسالة دكتوراه .كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة،٢٠١٣م.

(٥١) الدكتور عبد الوهاب المسيري وجهوده في دراسة الفرق والجماعات اليهودية (دراسة تحليلية نقدية)، أحمد قنعان محمد قنديل، رسالة ماجستير .كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ـ دون تاريخ.

(٥٢) الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) د. محمد عبدالله دراز ـ دار القلم ـ الكويت . دون.

(٥٣) الرحيق المختوم ـ صفي الرحمن المباركفوري ـ دار الوفاء ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٥٤) الرد على ضلالات زكريا بطرس(حقائق الاسلام الدامغة وشبهات خصومه الفارغة) مكتبة جزيرة الورد . القاهرة . ط(١) . ٢٠١٠م.

(٥٥) الزهد والرقائق ـ أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(٢) ـ ٢٠٠٤م.

(٥٦) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ١– ٩/ محمد ناصر الدين الألباني ـ تم تصحيحها من قبل مجموعة من العلماء ـ دون دار أو طبعة.

(٥٧) السنن الكبرى ـ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ـ مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ– ١٩٩٤م.

(٥٨) السيرة الحلبية ـ في سيرة الأمين المأمون ـ علي بن برهان الدين الحلبي (سنة الولادة ٩٧٥/ سنة الوفاة ١٠٤٤) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ .

(٥٩) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة– محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)/١/٣٧١، ٣٧٢– دار القلم – دمشق– ط(٨)– ١٤٢٧ هـ.

(٦٠) السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) ـ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط(٢)، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

(٦١) السيرة النبوية ـ محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني المتوفى (١٥١هـ) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط(١) .٢٠٠٤م.

(٦٢) السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير تأليف محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس(٦٧١ هـ – ٧٣٤ هـ) مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ـ بيروت – لبنان – ١٩٨٦م.

(٦٣) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة . محمد أبو شهبة ـ دار القلم . دمشق ـ ط(٨) ـ ١٤٠٨هـ . ١٩٩٨م.

(٦٤) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية ـ الأستاذ الدكتور كريم الوائلي ـ بدون.

(٦٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ ـ مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء ـ للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى(ت ٨٧٣) ـ ط. دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع ـ بدون.

(٦٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . إسماعيل بن حماد الجوهري.دار العلم للملايين– بيروت ـ ط(٤) ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

(٦٧) الصلاة ـ عبدالله محمد الطيارـ ط. مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨م.

(٦٨) الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ـ دار صادر– بيروت ـ دون طبعة ولا تاريخ.

(٦٩) الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري ـ رسالة لنيل الدكتوراه مقدمة من الطالب: عبدالمحسن بن زبن بن متعب المطيري ـ كلية الشريعة جامعة الكويت ـ دون طبعة ولا تاريخ.

(٧٠) الفتوحات الإلاهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية الجمل على تفسير الجلالين) سليمان الجمل كتاب التعريفات– الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)– دار الكتب العلمية بيروت –لبنان – ط(١) ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٧١) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) . دار الآفاق الجديدة – بيروت ط(٢)، ١٩٧٧م.

(٧٢) الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل ـ محمد البهي ـ مكتبة وهبة ط(٣) ـ ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م.

(٧٣) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية_ نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) ـ دار ركابي للنشر – الغورية، مصر ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

(٧٤) القاموس المحيط . للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفي ٨١٧هـ) . ط. مؤسسة الرسالة ـ ط(٨) ـ ٢٠٠٥م.

(٧٥) القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ـ د.إبراهيم عوض ــ مكتبة زهراء الشرق ـ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٧٦) القرآن والمرأة لأمينة ودود مع ست دراسات عن النسوية الإسلامية ـ دإبراهيم عوض . دار الفردوس ـ ٢٠١٣م.

(٧٧) القرآن وإعجازه العلمي ـ محمد إسماعيل إبراهيم ـ دون.

(٧٨) القصص في الحديث النبوي ـ محمد حسن الزير /٣٨١/المطبعة السلفية . ط(١) – ١٩٧٨م.

(٧٩) الكتاب ـ سيبويه ـ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(٣)، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٨٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٤٦٧.٥٣٨هـ) دار المعرفة ـ بيروت . دون.

(٨١) اللغة– جوزيف فندريس Joseph Vendryes (المتوفى: ١٣٨٠هـ)– عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص– مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.

(٨٢) المبسوط للسرخسي ـ شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ـ ط(١)، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٨٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . نجاة الزنيري . دون.

(٨٤) المدونة الكبرى ـ مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) . المحقق: زكريا عميرات ـ دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ـ دون.

(٨٥) المرأة بين الفقه والقانون " مصطفى السباعى – ط. دار السلام (ط٢) ٢٠٠٣م.

(٨٦) المستدرك على الصحيحين . أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥) دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(١)، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٨٧) المستشرقون (موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراسات عنهم منذ ألف عام حتى اليوم)– نجيب العقيقي ـ ط. دار المعارف بمصر . ط(٣) ـ ١٩٦٤م.

(٨٨) المستشرقون والقرآن (دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآراؤهم فيه) – إبراهيم عوض ــ مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ ط٣ ٢٠٠٣م.

(٨٩) المستطرف في كل فن مستظرف . شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي . دارالكتب العلمية – بيروت . ط(٢)، ١٩٨٦م.

(٩٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ــ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ـ المكتبة العلمية – بيروت.

(٩١) المعجم الأوسط ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٩٢) المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار /دار الدعوة ـ تحقيق

/ مجمع اللغة العربية ـ دون ـ

(٩٣) المغازي النبوية (للإمام محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (٥١ ـ ١٢٣هـ) ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٩٤) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني– عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ـ دار الفكر – بيروت ـ ط(١)، ١٤٠٥هـ.

(٩٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ للجنة من علماء الأزهر ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر، مؤسسة الأهرام. ١٨١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.

(٩٦) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ـ دار ابن القيم – الدمام ـ ط(١) ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

(٩٧) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) https:arwikipedia.org.wiki.

(٩٨) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة / مانع الجهني/١/٤١٦/ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

(٩٩) الموطأ . رواية محمد بن الحسن ـ مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي . ط. دار القلم – دمشق ـ ط(١) ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م.

(١٠٠) المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي ـ محمد خير رمضان ـ دار ابن حزم . ط(٢) . ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

(١٠١) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ـ عبد العزيز بن أحم بن حامد (ت ١٢٣٩هـ) ـ دار غراس للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ط(١) ـ ١٤٢٢هـ.

(١٠٢) النبأ العظيم د / محمد عبدالله دراز ـ دار الثقافة ـ الدوحة ـ ١٩٨٥م.

(١٠٣) النساء في الإسلام نسخ التفسير البطرياركي للقرآن ـ أسما بارْلَس ـ (النص الإنجليزي مع دراسة موازية) دإبراهيم عوض ـ ١٤٣٢هـ ٢٠١١م ـ بدون دار نشر ..

(١٠٤) النصرانية بين الحقيقة والتحريف ـ د عادل درويش ـ ط(٢) ـ٢٠٠٥م.

(١٠٥) النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب/إبراهيم الحيدري /٤/ دار الساقي ـ ط(١) ٢٠٠٤.

(١٠٦) اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة ـ دإبراهيم عوض ـ مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(١٠٧) إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية (خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود على مراد في الدفاع عن سيرة ابن اسحاق) /دإبراهيم عوض ـ مكتبة زهراء الشرق ـالقاهرة ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(١٠٨) إحياء علوم الدين ـ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ./ط دار االمعرفة – بيروت ـ دون تاريخ أو رقم طبعة.

(١٠٩) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) ـ المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ـ ط(٧)، ١٣٢٣ هـ.

(١١٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)/٨/٤/ دار إحياء التراث العربي – بيروت– دون.

(١١١) إشكالية التعليم في العالم الإسلامي ـ سعيد محمد غانم / ط. مركز البحوث والدراسات ـ قطر (ط١).

١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

(١١٢) إصلاح التعليم (دعوة إلى تجريد التعليم المصري من عثراته)، حليم جريس، ط. الأنجلو المصرية. دون رقم طبعة ولا تاريخ.

(١١٣) إظهار الحق – رحمة الله الهندي– الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

(١١٤) إعراب القرآن الكريم ـ أحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم ط. دار المنير ودار الفارابي – دمشق ـ ط(١)، ١٤٢٥ هـ.

(١١٥) إعراب القرآن وبيانه/ محي الدين درويش ـ ط. دار الإرشاد للشئون الجامعية ـ حمص ـ سورية، (دار اليمامة، دمشق ـ بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق– بيروت) ط(٤)،١٤١٥هـ.

(١١٦) إنباء الغمر بأبناء العمر ــ ابن حجر العسقلاني /١٨١/٢/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – :١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م

(١١٧) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/ فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط (١)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١١٨) أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ـ عبدالله الخزعان . ط. مكتبة الرشد ـ ط(١) ـ ١٤٢٤هـ. دون تاريخ.

(١١٩) أخطاء المنهج الغربي الوافد – أنور الجندي– دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط(١) – ١٩٧٤م.

(١٢٠) أسنى المطالب شرح روض الطالب ـ زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) هو شرح لكتاب روض الطالب لابن المقري اليمني إسماعيل بن أبي بكر (المتوفى: ٨٣٧ هـ)] ـ دون طبعة ولا تاريخ.

(١٢١) أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك» أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (المتوفى: ١٣٩٧ هـ) ـ دار الفكر، بيروت – لبنان ـ ط(٢) دون تاريخ.

(١٢٢) أصول البحث – د/عبد الهادي الفضلي – مؤسسة دار الكتاب الإسلامي –إيران – دون.

(١٢٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ـ ط. عالم الكتب ـ بيروت ـ دون رقم طبعة ولاتاريخ.

(١٢٤) أفكار مارقة (قراءة في كتابات بعض العلمانيين العرب)– إبراهيم عوض ـ مكتبة جزيرة الورد . ط٢٠١١م.

(١٢٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي (المتوفى ٧٩١ هـ) ـ ط. مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط(٢)، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

(١٢٦) آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن دراسة ونقد . د أحمد نصري ـ ط. دار القلم للطباعة والنشر ـ الرباط ـ ط(١) ـ ٢٠٠٩م.

(١٢٧) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (دراسة ونقد) د/ عمر بن إبراهيم رضوان ـ بحث لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود ـ دار طيبة ـ الرياض. دون.

(١٢٨) بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم – دار الفكر، دون.

(١٢٩) تاج العروس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ـ ط. دار

الهداية ـ دون.

(١٣٠) تـاريخ الإسـلام السياسـي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي، د. حسـن إبـراهيم حسـن ـ النهضـة المصـرية – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

(١٣١) تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(١)، ١٤٠٧هـ.

(١٣٢) تـاريخ الشـعوب الإسـلامية ـ كـارل بروكلمـان ـ ترجمـة: نبيـه أمـين فـارس، منيـر البعلبكـي ـ دار العلـم للملايين، بيروت، لبنان، ط (٥)، ١٩٦٨م.

(١٣٣) تـاريخ القـرآن نولدكـةـ تعـديل فريـد بـريش شـفالي ـ دار جـورج ألمـز ـ هيلـد سـهايم ـ زوريـخ ـ نيويـورك ـ ٢٠٠٠م.

(١٣٤) تـاريخ خليفـة بـن خيـاط ـ خليفـة بـن خيـاط الليثي العصـفري أبو عمـر ـ دار القلـم , مؤسسـة الرسـالة – دمشق , بيروت ـ ط(٢) . ١٣٩٧هـ.

(١٣٥) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ـ (سنة الولادة ٤٩٩/ سنة الوفاة ٥٧١) دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٩٥م

(١٣٦) تأويـل مختلـف الحـديث ـ عبـدالله بـن مسـلم بـن قتيبـة أبـو محمـد الـدينوري . دار الجيـل – بيـروت، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م.

(١٣٧) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن– عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني(المتوفى: ٦٥٤هـ)– الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي. دون

(١٣٨) تحريـر المـرأة فـي عصـر الرسـالة – عبـد الحليم محمـد أبـو شـقة – دار القلـم – الكويـت– ط(٤)– ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(١٣٩) تخجيـل مـن حـرف التـوراة والإنجيـل ـ صـالح بـن الحسـين الجعفـري أبـو البقـاء الهاشـمي المتـوفي عام(٦٦٨هـ) ـ مكتبة العبيكان الرياض ـ ١٩٩٨م ـ ١٤١٩هـ.

(١٤٠) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي– السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)– دار طيبة– دون.

(١٤١) تربية البنات في البيت المسلم ـ د/ خالد أحمد الشنتوت ـ ط(٤) ـ المدينة المنورة ١٤٢٢هـ ـ دون دار نشر.

(١٤٢) تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم – زغلول النجار – مكتبة الشروق الدولية.

(١٤٣) تفسير البحر المحيط ـ لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(٦٥٤ـ ٧٥٤ هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط(٢) ـ ١٩٨٣م.

(١٤٤) تفسير الشعراوي ـ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) دار أخبار اليوم ـ دون.

(١٤٥) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ـ الإمام محمد الرازي (٥٤٤ـ ٦٠٤) ـ ط.دار الفكر ـ ط(١) ـ ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

(١٤٦) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار/ محمد رشيد رضا ـ دار المعرفة ـ بيروت. بدون.

(١٤٧) تفسير القـرآن العظـيم ـ أبي الفـداء إسـماعيل بـن كثيـر القرشـي الدمشـقي (٧٠٠ـ ٧٧٤) /ط(١) /دار التوزيع والنشر الإسلامية دون تاريخ.

(١٤٨) تفسير القرطبي ـ لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ دار الريان للتراث ـ دون.

(١٤٩) تفسير المراغي ـ الأستاذ أحمد مصطفي المراغي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . ط(٢)ـ ١٩٨٥م.

(١٥٠) تكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م) ـ محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ـ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – ط(١) ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

(١٥١) تلبيس إبليس ـ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ط. دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان ـ ط(١)، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(١٥٢) تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ـ د/ منقذ بن محمود السقار ـ رابطة العالم الإسلامي.دون.

(١٥٣) تهافت الفلاسفة ـ للإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسي ـ ط.دار المعارف ـ ط(٦) ـ دون تاريخ.

(١٥٤) تهذيب اللغة ـ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط(١)، ٢٠٠١م.

(١٥٥) ثورة الشعب المصري ملهمة شعوب العالم، تقرير شهري يصدر عن مركز المعلومات وصنع القرار، مجلس الوزراء . فبراير ٢٠١١م.

(١٥٦) جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ـ ط. مكتبة دار البيان ـ ط(١) ـ ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م.

(١٥٧) جامع البيان عن تأويل القرآن /أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ– مصطفى البابي الحلبي وشركاه– ط(٣)– ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م.

(١٥٨) جريدة الشرق الأوسط ـ مقال بعنوان " علماء أزهريون التفسير النسائي للقرآن يؤكد مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة " الثلاثاء ٢٠ يناير ٢٠٠٩ م ـ العدد ١١٠١١

(١٥٩) جريدة المصري اليوم ـ مقال بعنوان " مجمع البحوث الإسلامية يوافق على أول تفسير للقرآن تقوم به امرأة " ـ الثلاثاء ٢٣ديسمبر ـ ٢٠٠٨ العدد ١٦٥٤.

(١٦٠) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ـ د. قاسم علي سعد ـ ط دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ـ ط(١)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(١٦١) حاشية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ١٩٤٨م.

(١٦٢) حاضر العالم الإسلامي . د/ على جريشة ـ مكتبة وهبة (ط٥)، ١٤٢٠هـ .١٩٩٩م.

(١٦٣) حقوق أهل الذمة ـ أبو الأعلى المودودي ـ كتاب المختار . دون.

(١٦٤) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام ـ د صالح حسين العابد ـ وكالة المطبوعات والبحث العلمي . وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ـ ط(٤) ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(١٦٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) دار السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

(١٦٦) دحض دعوي المشركين أن القرآن من عند النبي صلي الله عليه وسلم ـ سعود بن عبد العزيز الخلف ـ

غراس للنشر والتوزيع ـ دون.

(١٦٧) دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام . عبد المنصف محمود عبد الفتاح . سلسلة البحوث الإسلامية . الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية . ١٩٨٤م . ١٤٠٥هـ.

(١٦٨) دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام . عبد المنصف محمود عبد الفتاح .– دون دار.
دراسات في تاريخ مصر المعاصر ـ د/ عبد المنعم رمضان ـ ط. المركز العربي للبحث والنشر ـ ١٩٨١م.

(١٦٩) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ـ الشيخ محمد الغزالي ـ نهضة مصر . ط(٧) ـ ٢٠٠٥م.

(١٧٠) دفاع عن القرآن ضد منتقديه د عبد الرحمن بدوي ـ الدار العالمية للكب والنشر . ترجمة كمال جاد الله ـ دون طبعة ولا تاريخ.

(١٧١) ديوان الخرنق بنت هفان – رواية أبي عمرو بن العلاء /٤٣/دار الكتب العلمية – بيروت – ط(١)– ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(١٧٢) ديوان المتنبي – دار بيروت للطباعة والنشر – ١٤٠٣ – ١٩٨٣م.

(١٧٣) ديوان النابغة الذبياني– دار الكتب العلمية – بيروت – دون.

(١٧٤) ديوان تأبط شرا – جمع علي ذو الفقار شكر /٢٢٤، ٢٢٥/ دار الغرب الإسلامي/ ط(١)/١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(١٧٥) ديوان علقمة الفحل – جمع السيد أحمد صقر– المطبعة المحمودية –ط(١)– ١٣٥٣هـ – ١٩٣٥م.

(١٧٦) ديوان مهلهل بن ربيعة – قصيدة بعنوان (أثبت مرة) – الدار العالمية – دون.

(١٧٧) ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين (٥٠٠سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب) . الشيخ محمد ياسين ـ مكتبة الإيمان ط٢. ٢٠٠٩م.

(١٧٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الآلوسي البغدادي المتوفى ١٢٧٠هـ ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . دون.

(١٧٩) زهرة التفاسير ./. للإمام الجليل محمد أبو زهرة / ط دار الفكر العربي. دون.

(١٨٠) سلم الوصول إلى طبقات الفحول– مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ) مكتبة إرسيكا، إستانبول – ٢٠١٠ م.

(١٨١) سنن النسائي الكبرى ـ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط(٣)، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(١٨٢) سنن أبي داود ـ أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) دار الرسالة العالمية ـ ط(١)، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(١٨٣) سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ـ إبراهيم عوض ـ الطائف ـ ١٩٩٣م ـ دون.

(١٨٤) سير أعلام النبلاء ـ . شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذَهَبي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط(٩) ـ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م.

(١٨٥) سيرة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ علي محمد محمد الصَّلابي ـ دار ابن الجوزي . القاهرة ـ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(١٨٦) سيكلوجية القصة في القرآن - التهامي نقرة. الشركة التونسية للتوزيع - ط(١) - ١٩٧٤م.

(١٨٧) شبهات المستشرقين حول العبادات من خلال دائرة المعارف الإسلامية (دراسة نقدية) د/ناصر محمد السيد - رسالة دكتوراه - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - ط٢٠٠٣م.

(١٨٨) شبهات حول الإسلام - محمد قطب - ط. دار الشروق. ط(٢١) - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي(١٠٣٢- ١٠٨٩) - دار الكتب العلمية. دون.

(١٩٠) شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل - المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق - مصر - ط(٢). ١٣١٧هـ.

(١٩١) شرح العقيدة الطحاوية صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)- مؤسسة الرسالة – بيروت - ط(١٠) ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(١٩٢) شرح ديوان المتنبي – أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)– دار المعرفة – بيروت.

(١٩٣) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»- محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي - دار آل بروم للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.

(١٩٤) شرح طيبة النشر في القراءات شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(المتوفى: ٨٣٣هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت/الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(١٩٥) شرف المصطفى - عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧هـ) ط دار البشائر الإسلامية – مكة - ط(١) – ١٤٢٤ هـ.

(١٩٦) شريعة القرآن من دلائل إعجازه، الإمام محمد أبو زهرة - دار العروبة – القاهرة، ١٣٨١ هـ – ١٩٦١م.

(١٩٧) شعب الإيمان - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية – بيروت - ط(١)- ١٤١٠هـ.

(١٩٨) صَحِيحُ الأثَرِ وجَمَيلُ العبر من سيرة خير البشر (صلى الله عليه وسلم) - عدد من العلماء - مكتبة روائع المملكة – جدة - ط(١) - ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

(١٩٩) صحيح ابن حبان - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) - مؤسسة الرسالة – بيروت - ط(٢) ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٢٠٠) صحيح مسلم بشرح النووي - محيي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي (٦٣١- ٦٧٦هـ) -.دار المنار - ٢٠٠٣م.

(٢٠١) صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - ط. دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط(١).دون.

(٢٠٢) صيد الخاطر- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - دار القلم – دمشق، ط(١) ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

(٢٠٣) ضعيف الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف – الرياض - دون.

(٢٠٤) طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة - عالم الكتب – بيروت ط(١) – ١٤٠٧ هـ.

(٢٠٥) طبقات المفسرين– أحمد بن محمد الأدنروي - ط. مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة - ط(١) ١٩٩٧م.

(٢٠٦) طبقات النحويين واللغويين ـ محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ)– دار المعارف/ ط(٢).

(٢٠٧) عصمة القرآن وجهالات المبشرين د/ إبراهيم عوض ـ مكتبة زهراء الشرق . القاهرة . ٢٠٠٤م.

(٢٠٨) عقيدة المؤمن ـ أبو بكر الجزائري ـ دار الكتب السلفية . القاهرة . ١٩٨٥م.

(٢٠٩) علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر ـ عبد المنعم النمر (المتوفى: ١٩٩١ م) دار الكتب الاسلامية – القاهرة ـ ط(١) ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

(٢١٠) على هامش كتاب جوزيف هل (الحضارة العربية) ـ د إبراهيم عوض ـ مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٤م.

(٢١١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ دون.

(٢١٢) عمل المرأة في الميزان ـ محمد على البارـ مكتبة موقع صيد الفوائد ـ ط(٢) ـ ١٤٢٥هـ.

(٢١٣) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ محمد بن عبدالله بن يحي بن سيد الناس (٦٧١هـ ـ ٧٣٤هـ) ـ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر . ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢١٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ـ دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢١٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ـ محمد بن على بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) . دار الفكر . (١٤٠١هـ. ١٩٨١م).

(٢١٦) فترة التكوين في حياة الصادق الأمين . خليل عبد الكريم ـ دار مصر المحروسة . ط(٢) ـ ٢٠٠٤م.

(٢١٧) فتوح البلدان " البلاذري ـ مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ـ بدون تاريخ.

(٢١٨) فكر محمد أسد (ليو بول فايس) كما لا يعرفه الكثيرون ـ د/إبراهيم عوض ـ دار الثقافة ـ قطر ـ ط(١) ـ ٢٠٠٥م.

(٢١٩) فن القص في النظرية والتطبيق – نبيلة إبراهيم ـ مكتبة غريب . الفجالة ـ دون تاريخ

(٢٢٠) فن كتابة القصة ـ فؤاد قنديل ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ يونيو ٢٠٠٢م.

(٢٢١) في ظلال القرآن الكريم ـ سيد قطب ـ دار الشروق ـ ط(١٧).

(٢٢٢) قصة الاقتصاد المصري في علاقته بالعالم من عهد محمد على إلى عهد مبارك . جلال أمين . دار الشرق ـ ط(١) . ٢٠١٢م.

(٢٢٣) قضايا تهم المرأة ـ عبد الله بن جار الله ـ دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض ـ دون.

(٢٢٤) كتاب شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ خليل عبد الكريم ـ دار سينا للنشر (القاهرة)، الانتشار العربي (بيروت) ١٩٩٧م.

(٢٢٥) كتاب الموضوعات للعلامة الإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزي القرشى (٥١٠ – ٥٩٧) المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة . ط(١) ـ ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م.

(٢٢٦) كتاب الوفيات . أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (٧٤٠هـ/ ٨٠٩هـ) دار الإقامة الجديدة ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.

(٢٢٧) كتابات استشراقية عن الإسلام والمسلمين (الإسلام في خمس موسوعات إنجليزية) نصوص ودراسات. إبراهيم عوض ـ دار المنار للطباعة والنشر.. القاهرة ٢٠٠٩م.

(٢٢٨) كفاح دين ـ محمد الغزالي ـ مكتبة وهبة ـ (ط٥)، دون.

(٢٢٩) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ علاء الدين على بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري المتوفي (٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة ـ ط(٥)،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢٣٠) لباب النقول في أسباب النزول ـ جلال الدين السيوطي ـ دار الكتب العلمية بيروت– لبنان ـ دون

(٢٣١) لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)دار صادر – بيروت ـ ٣ ١٤١٤ هـ.

(٢٣٢) لطائف الإشارات (تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم) للإمام القشيري ـ مركز تحقيق التراث ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط(٢) ـ ١٩٨١م.

(٢٣٣) لكن محمدا لا بواكي له (هتك الأستار عن كتاب فترة التكوين في حياة الصادق الأمين) د. إبراهيم عوض ـ دار الفكر العربي ـ ط(٢) ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

(٢٣٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية– شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)– مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق– ط(٢)– ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

(٢٣٥) مُصنف ابن أبي شيبة ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ . ٢٣٥ هـ) ـ مكتبة الرشد – الرياض ـ ط(١) ـ ١٤٠٩هـ.

(٢٣٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن الندوى ـ دار القلم، القاهرة ـ ط(٦) ٢٠٠٥م.

(٢٣٧) مباحث العقيدة في سورة الزمر ـ ناصر بن على عايض حسن الشيخ ـ مكتبة الرشد . الرياض . ١٩٩٥م.

(٢٣٨) مباحث في إعجاز القرآن ـ مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط(٣) ـ ٢٠٠٥م.

(٢٣٩) مجتمع يثرب (العلاقة بين الرجل والمرأة في العهد النبوي والخليفي) ـ خليل عبد الكريم– سينا للنشر (القاهرة)، الانتشار العربي (بيروت) ط(١) – ١٩٩٧م.

(٢٤٠) مجلة البيان . عدد٣٢٨ ـ بتاريخ ٢٠١٤/٩/٢٤

(٢٤١) مجلة التبيان . القاهرة . العدد ١١٤. السنة العاشرة . نوفمبر ٢٠١٣ . المحرم ١٤٣٥هـ.

(٢٤٢) مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدا) ـ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) و غيره من كتاب المجلة ـ مقال بعنوان "حقيقة الصيام وحكمه وفوائده ـ بدون تاريخ.

(٢٤٣) محاسن التأويل ـ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)ـ ط. دار الكتب العلميه – بيروت ـ الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ـ تحقيق محمد باسل عيون السود.

(٢٤٤) محمد رسول الله ـ محمد رضا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢٤٥) محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن ـ عباس عبدالنور ـ طبعة تجريبية ٢٠٠٤م . دون

(٢٤٦) مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ـ مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ـ ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

(٢٤٧) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية (دراسة تحليلية تربوية) . دطلعت محمد عفيفي ـ ط. مكتبة الإيمان . العجوزة ـ ط١ . ٢٠٠٢م.

(٢٤٨) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ـ عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد . دار البيان العربى – القاهرة ـ بدون .

(٢٤٩) مدخل لدراسة التلمود – ليلى أبو المجد- الدار الثقافية للنشر –القاهرة – ط(١)- ١٤٣٢هـ- ٢٠١٠م.

(٢٥٠) مذكرات في السياسة المصرية . محمد حسنين هيكل . دار المعارف . دون.

(٢٥١) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥ ـ١٣٩٣) ط دار علم الفوائد ـ مكة ـ ط(١) ـ ١٤٢٦هـ.

(٢٥٢) مسند أحمد بن حنبل ـ أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ـ دار الحديث . القاهرة ـ ط(١) ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢٥٣) مصدر القرآن(دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي) دإبراهيم عوض ـ بدون تاريخ ولا دار نشر

(٢٥٤) مصر إلى أين ما بعد مبارك وزمانه . محمد حسنين هيكل . دار الشرق . ط(٣) . ٢٠١٣م.

(٢٥٥) مصر وتحديات التسعينيات ـ أعمال المؤتمر السنوي الثالث للبحوث السياسية ـ عدد من المؤلفين ـ مركز البحوث والدراسات السياسية، ط(١) ـ ١٩٩١م.

(٢٥٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ـ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ) دار ابن القيم . الدمام . ط(١) ـ ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.

(٢٥٧) معالم أصول الدين – فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)- دار الكتاب العربي – لبنان.

(٢٥٨) معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د/ إدوارد غالي ـ مكتبة غريب ـ ط(١) ـ ١٩٩٣م.

(٢٥٩) معاني القرآن – الفراء– دار المصرية للتأليف والترجمة – ط(١) – دون.

(٢٦٠) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – ياقوت الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) – دار الغرب الإسلامي، بيروت – ط(١)، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م.

(٢٦١) معجم الشعراء ـ للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ) ـ مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

(٢٦٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون ـ عالم الكتب، ط(١) ـ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

(٢٦٣) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ـ عادل نويهض . مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان ـ ط(٣) ـ ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

(٢٦٤) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ـ عمر رضا كحالة ـ الناشر مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ـدون.

(٢٦٥) معجم أعلام المورد- منيرالبعلبكي ـ دار العلم للملايين . بيروت ـ ط(١) ـ ١٩٩٢م

(٢٦٦) معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ـ محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) . دار الجيل – بيروت ـ ط(١) ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

(٢٦٧) معجم مقاييس اللغة ـ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – دار الفكر/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢٦٨) مقدمة بن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ ط دار يعرب . دمشق . ط(١.) ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

(٢٦٩) من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة ـ المستشار عبد الله العقيل ـ دار البشير ـ ط(٧) ـ

١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.

(٢٧٠) من روائع حضارتنا ـ مصطفى السباعي ـ دار الوراق ـ ط(١) .١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢٧١) منار السبيل في شرح الدليل ـ ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم (المتوفى: ١٣٥٣هـ). المكتب الإسلامي ـ ط(٧) ـ ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م.

(٢٧٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد عبد العظيم الزرقاني دار الكتاب العربي ـ بيروت . ط(١) ـ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

(٢٧٣) منهج التربية الإسلامية ـ محمد قطب - ط(٢) - دون.

(٢٧٤) مواطنون لا ذميون (موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين) فهمي هويدي ـ دار الشرق ـ ط(٣) ـ ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

(٢٧٥) موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- عبد الدائم الكحيل- موقع الدكتور عبد الدايم الكحيل - دون.

(٢٧٦) موسوعة المستشرقين- الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ دار العلم للملايين . بيروت . ط(٣) ـ يوليو ١٩٩٣م.

(٢٧٧) موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي من (١٣٠١ـ ١٤١٧هـ) ـ إبراهيم بن عبد الله الحازمي ـ دار الشريف ـ ط(١) ـ ١٤١٩هـ.

(٢٧٨) موقع الدكتورة عائشة الحكمي ـ مقال بعنوان الفن القصصي/ تاريخ الدخول ١٠ـ ٩ ـ ٢٠١٧م.

(٢٧٩) نصوص إنجليزية استشراقية عن الإسلام ـ د إبراهيم عوض ـ ٢٠٠٦م ـ دون دار نشر

(٢٨٠) نظام الإسلام ـ وهبة الزحيلي ـ . منشورات جامعة بنغازي كلية الحقوق ـ ط(١) . ١٩٧٤م

(٢٨١) نظم العقيان في أعيان الأعيان ـ جلال الدين السيوطي ـ ط. المكتبة العلمية.ـ بيروت . ١٤٢٥هـ.

(٢٨٢) هل القرآن معصوم ـ عبدالله عبد الفادي / موقع إسلاميات كوم / ٢٠/ ١٠ /٢٠١٥.

(٢٨٣) واقع العالم الإسلامى بين تغريب التعليم وكشف تجربة المتآمرين . سعيد عبد الحكيم . مكتبة وهبة . القاهرة . ط(١) . ١٤١٨هـ.

(٢٨٤) وفيات الأعيان وأنباء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان . ط. دار صادر - بيروت ـ دون.

الفهرست